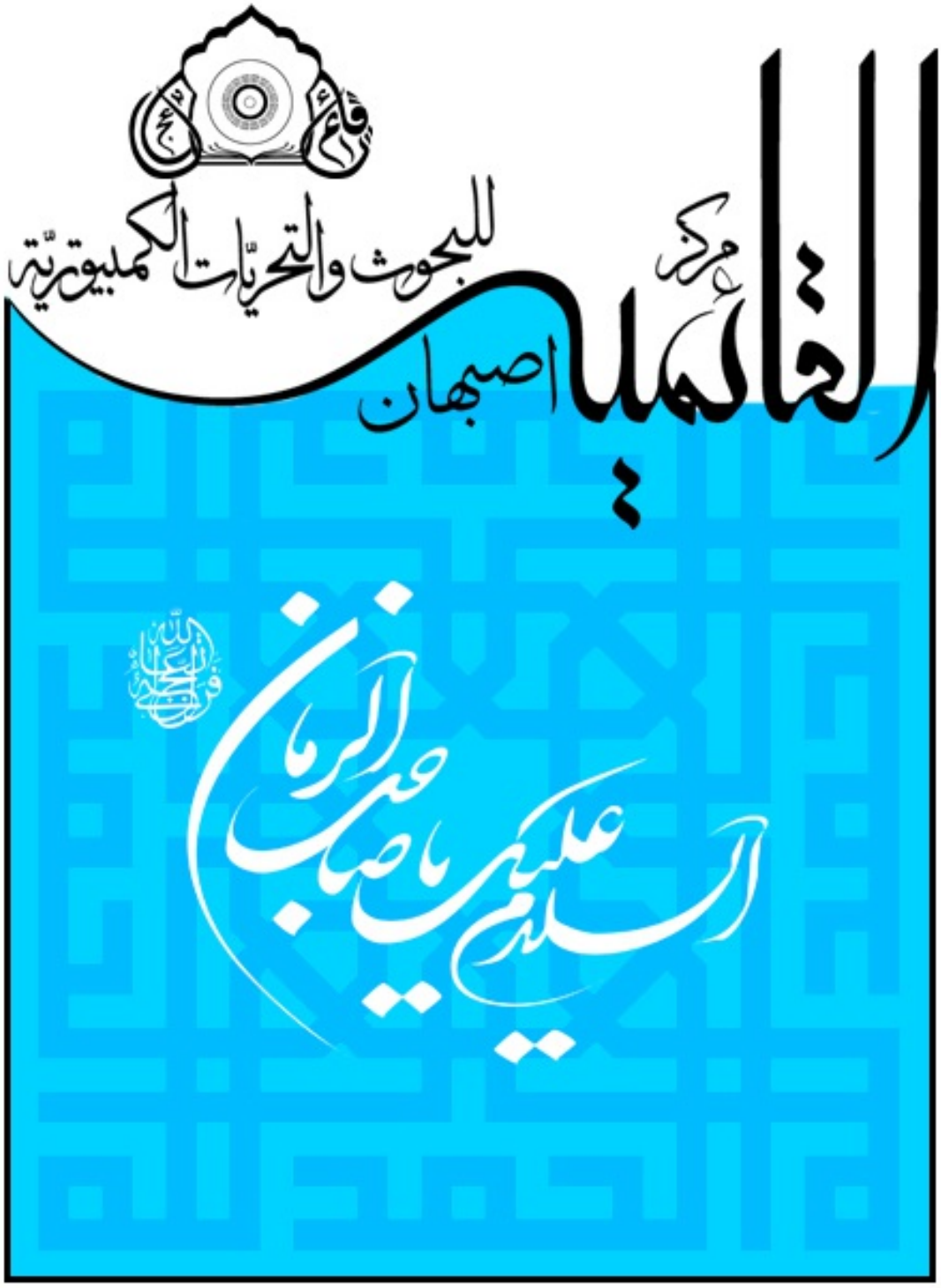

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

طلوع سعد السعود

"في أخبار وهران والجزائر وتلمسان وقسنطينة"
"إلى أواخر القرن التاسع عشر"

للأغا بن عودة المزاري

تحقيق ودراسة
الدكتور يحيى بوعزيز

الجزء الأول

دار الغرب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

طلوع سعد السعود

كاتب:

اغا بن عودة المزارى

نشرت فى الطباعة:

دارالغرب الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
طلوع سعد السعود، المجلد ۱ ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
الجزء الأول ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
کلمة شکر و تقدیر ----- ۱۲
تقدیم و توضیح ----- ۱۴
المخطوطات ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
تمهید فی التعریف بمخطوط طلوع سعد السعود فی أخبار وهران و مخزنها الأسود ----- ۱۶
أقسام المخطوط و تاریخه ----- ۱۷
محتویات المقاصد الخمسة ----- ۱۸
بعض الملاحظات حول محتوی المخطوط ----- ۲۷
هل مخطوط طلوع سعد السعود من تألیف المزاری؟ ----- ۳۰
المقارنة بین دلیل الحیران و طلوع سعد السعود ----- ۳۱
[مقدمة] ----- ۳۶
المقصد الأول فیمن بنی وهران ----- ۳۶
المقصد الثانی فی ذکر بعض أولیائها ----- ۳۹
المقصد الثالث فی ذکر بعض علمائها ----- ۴۶
المقصد الرابع فی ذکر دولها ----- ۵۰
اشارة ----- ۵۰
الدولة الأولی مغراوة عمال بنی أمیة ----- ۵۰
الدولة الثانیة الشیعة الفاطمیون ----- ۵۲

اشارة ----- ۵۲
قائمة حكام وهران ----- ۵۶
قائمة الخلفاء الأمويين بالأندلس و المشرق ----- ۵۶
قائمة خلفاء الشيعة الفاطميين ----- ۵۷
قائمة ملوک الأدارسة بالمغرب الأقصى ----- ۵۷
قائمة ملوک السليمانيين بالمغرب الأوسط ----- ۵۸
الدولة الثالثة المرابطون ----- ۵۸
قائمة ملوک صنهاجة ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
الفرقة الأولى البلكانية: ----- ۶۱
الفرقة الثانية: المرابطون و يقال لهم الملثمون ----- ۶۲
الفرقة الثالثة الغانية: ----- ۶۲
الدولة الرابعة: الموحّدون ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۳
قائمة ملوک الموحدين ----- ۶۸
الدولة الخامسة الزيانيون ----- ۷۱
الدولة السادسة: المرينيون ----- ۷۶
اشارة ----- ۷۶
عودة وهران لدولة بنى زيان ----- ۸۲
عودة وهران للدولة المرينية ----- ۸۳
عودة وهران للدولة الخامسة الزيانية ----- ۸۳
عودة وهران للدولة السادسة ----- ۸۸
عودة وهران للدولة الخامسة ----- ۸۸
الدولة السابعة: الإسبان ----- ۹۱

اشارة ----- ۹۱
أنهار الشمال الإفريقى و العالم ----- ۹۳
جبال العالم ----- ۹۴
موقع إسبانيا و الأقاليم الأرضية ----- ۹۵
محيط الدائرة الأرضية ----- ۹۶
أصل الإسبان ----- ۹۶
قائمة ملوک الإسبان ----- ۹۷
غزو المرسى الكبير و وهران ----- ۹۸
غارات الإسبان على أحواز وهران ----- ۹۸
غارات الإسبان على تلمسان و معسكر ----- ۱۰۱
غارات الإسبان على مدينة الجزائر ----- ۱۰۳
حملة شاركان الكبرى على الجزائر عام ۱۵۴۱ م ----- ۱۰۳
حملة الإسبان على تونس ----- ۱۰۶
معركة كدية الأخيار و استشهاد الداى شعبان ----- ۱۰۷
حملة السلطان إسماعيل على وهران ----- ۱۰۹
قائمة الملوک الوطاسيين و السعديين و العلويين ----- ۱۰۹
منشآت الإسبان بوهران ----- ۱۱۰
التحرير الأول لوهران عام ۱۷۰۸ م ----- ۱۱۰
الدولة الثامنة: الترک ----- ۱۱۳
اشارة ----- ۱۱۳
نسل الأتراک و سلاطينهم ----- ۱۱۴
أسباب قدوم الأتراک إلى الجزائر ----- ۱۱۸
قائمة الحكام الأتراک بالجزائر ----- ۱۱۹
عودة وهران لحكم الدولة السابعة الإسبانية ----- ۱۲۱

عودة إلى تاريخ ملوک إسبانيا ----- ۱۲۲
التحرير الثانی و النهائی لوهران و المرسی الکبير ----- ۱۲۴
من اخترع البارود؟ ----- ۱۲۷
تتميم لملوک/ الإسبانيين ----- ۱۲۷
قائمة أباطرة الرومان ----- ۱۲۸
عودة وهران لحکم الدولة الثامنة الترکية و الألقاب و الرتب الترکية ----- ۱۲۸
بايليکات الجزائر و أقسامها ----- ۱۲۹
بايليک الغرب الوهرانی و عواصمه و بایاته ----- ۱۲۹
طبيعة حکم البايات و موظفوهم و نوابهم ----- ۱۳۰
کيفية حمل الدنوش إلى الجزائر ----- ۱۳۰
أقسام بايليک وهران الستة ----- ۱۳۱
اشارة ----- ۱۳۱
الباى مصطفى بوشلاغم المسراتی ----- ۱۳۲
الباى يوسف المسراتی ----- ۱۳۳
الباى مصطفى الأحمر المسراتی ----- ۱۳۳
اشارة ----- ۱۳۳
الباى محمد أبو طالب المجاجی المسراتی ----- ۱۳۴
الباى مصطفى قائد الذهب المسراتی ----- ۱۳۵
فضل البايات المسراتية ----- ۱۳۶
الباى الحاج عثمان ----- ۱۳۶
الباى حسن ----- ۱۳۷
الباى إبراهيم المليانی ----- ۱۳۷
الباى الحاج خليل ----- ۱۳۹
الباى محمد بن عثمان الکبير ----- ۱۴۰

منشآت الباى محمد بن عثمان بوهران و معسكر و البرج ----- ۱۴۲
الباى عثمان بن محمد ----- ۱۴۵
ثورة أحمد بن الأحرش الدرقاوى ----- ۱۴۶
اشارة ----- ۱۴۶
الباى مصطفى العجمى و ثورة درقاوة ----- ۱۴۷
أسباب ثورة درقاوة ----- ۱۴۷
اشارة ----- ۱۴۷
جوابه ----- ۱۴۸
معركة فرطاسة و نتائجها ----- ۱۴۹
الباى محمد بن عثمان المقلش و حروبه مع الدرقاوى ----- ۱۵۱
ظهور الدرقاوى من جديد ----- ۱۵۳
ظهور الدرقاوى مرة أخرى ----- ۱۵۵
ظهور بالحرش مع الدرقاوى فى غريس ----- ۱۵۹
عودة الدرقاوى للظهور ----- ۱۶۰
نهاية الباى المقلش المحزنة ----- ۱۶۱
الباى مصطفى العجمى و حروبه مع الدرقاوى ----- ۱۶۱
الباى محمد بن عثمان الرقيق و المسلوخ أبو كابوس و حروبه مع الدرقاوى ----- ۱۶۲
حملة الباى على عريب ----- ۱۶۴
أعراش المخزن الوهرانى الخمسة ----- ۱۶۴
نهاية الباى بوكابوس المحزنة ----- ۱۶۵
خروج الباى من وهران فى طريقه إلى تونس و عصيانه ----- ۱۶۶
عمر آغا يقتل الباى بوكابوس و ينصب الباى على قارة باغلى ----- ۱۶۷
أبو راس يرثى الباى بوكابوس ----- ۱۶۸
الباى على قارة باغلى ----- ۱۶۹

نهایة الباى على قارة باغلى ----- ۱۷۳
الباى حسن بن موسى الباهى ----- ۱۷۴
اشارة ----- ۱۷۴
سیاسة الباى حسن و سلوکه ----- ۱۷۵
وفاة أبى راس الناصر بمعسکر ----- ۱۷۵
ثورة أحمد التیجانى ----- ۱۷۷
اشارة ----- ۱۷۷
تآمر الحشم مع التیجانى ضدّ الباى حسن ----- ۱۷۸
محمد التیجانى یهاجم مدینة معسکر ----- ۱۷۸
الباى حسن یذهب لمعسکر لمحاربة التیجانى ----- ۱۷۹
المعرکة الفاصلة و مقتل التیجانى ----- ۱۸۰
حصول القحط و غلاء الأسعار ----- ۱۸۱
سجن الشیخ محى الدین بوهران ----- ۱۸۱
حملته على الشیخ بلقندوز التیجانى و قتله ----- ۱۸۲
الهجوم على قبائل الأحرار و عقابهم ----- ۱۸۴
رأى محمد بن یوسف الزیانى فى الأتراک ----- ۱۸۵
أغوات الباى حسن ----- ۱۸۶
الفهارس العامة ----- ۱۸۶
اشارة ----- ۱۸۶
فهرس الأعلام ----- ۱۸۶
فهرس القبائل و الجماعات ----- ۲۰۵
فهرس الأماکن الجغرافیة ----- ۲۱۰
فهرس الکتب ----- ۲۱۹
فهرس الخرائط ----- ۲۲۱

فهرس الموضوعات ----- ۲۲۱

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۲۵

طلوع سعد السعود، المجلد ۱

اشارة

سرشناسه : مزاری، آغا

Mazari, Abu Ismail bin Awdah

عنوان و نام پدیدآور : طلوع سعد السعود فی اخبار و هران و الجزائر و اسبانیا و فرنسا الی اواخر القرن التاسع عشر = للاغابن عودة المزاری/ تحقیق و دراسة یحیی بو عزیز

مشخصات نشر : بیروت: دارالغرب الاسلامی ، ۱۹۹۰م. = ۱۳۶۹.

مشخصات ظاهری : ج۲

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : ص.ع. بهفرانسه: Tulu' Sa'd - a's - su'u'd(chronique d'oran, D'ran,D'Alger, d'Espagne de france Jusque'a la fin du xix eme siecle.

یادداشت : کتابنامه

موضوع : الجزایر -- تاریخ

موضوع : وهران -- تاریخ

موضوع : فرانسه -- تاریخ

موضوع : اسپانیا-- تاریخ

شناسه افزوده : بوغزیز، یحیی ، مصحح ، Bu Aziz, Yuhya

رده بندی کنگره : DT۲۸۵/م۴ط۸

شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۳۰۳۳۱

الجزء الأول

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

کلمة شکر و تقدیر

إن کتاب طلوع سعد السعود الذی نقدمه الیوم للقراء، عبارة عن موسوعة کبیرة تاریخیة، و ثقافیة و جغرافیة، و اجتماعیة، لعدد من بلدان العالم القدیم علی مستوی قاراته الأربعة: إفریقیا، و أوروبا، و آسیا، و أوقیانیا.

فقد توسّع مؤلفه الآغا إسماعیل بن عودة المزاری فی التأریخ لمدینة وهران، و الجزائر، و الغرب الوهرانی، و إسبانیا، و فرانسا، و الأتراک العثمانیین، من غابر العصور إلی عهده عام ۱۸۹۰ م. فأرخ لسیر أجیال من العلماء، و الأولیاء، و الأمراء، و السلاطین، و الملوک، و الخلفاء. و أسهب فی الحدیث عن النظام الإداری للأتراک فی بلادهم، و فی الجزائر، و بلدان المغرب، و عن قبائل المخزن فی الغرب الوهرانی، مع تتبع أصولها، و فروعها، و أدوارها السیاسیة و العسکریة خلال عهد الأتراک، و قبلهم، و بعدهم إلی

عهده هو. و سلك طريق و أسلوب ابن خلدون فی وضع شجرات الأنساب لها.

كما أسهب فی التأريخ لأجناس أوروبا، و سكان إسبانيا، و فرنسا، و أقاليم الأرض الجغرافية، و الجزر، و الأودية، و الأنهار، و الخلجان، و المدن، و الموانیء، و فی التأريخ لملوك اسبانيا الكاثوليكية الحديثة، و ملوك فرنسا من غابر الأزمان إلی نهاية القرن التاسع عشر.

و توسع فی الحديث عن أصل جنس الأتراك فی آسيا. و نزوحهم إلی آسيا الصغری و تكوينهم لدولتهم، و استعرض ملوكهم و سلاطينهم جميعا إلی عهده أواخر القرن ۱۹ م. كما توسع فی التأريخ لبايليك الغرب الوهرانی، و بایاته،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲

و صراعهم ضد الوجود الإسبانی فی وهران و المرسی الكبير، و استعرض الحكام الأتراك فی الجزائر. و تفرغ بعد ذلك لاستعراض مقاومة الأمير عبد القادر بتوسع، و قدم لنا قراءة جديدة لها سوف تسمح بأعادة النظر فی فهم و تفسير الكثير من أحداثها. خاصة مواقف قبائل المخزن من الأمير عبد القادر، و مواقفه هو منها.

و أوجز فی التاريخ للأندلس الإسلامية، و أورد قوائم للخلفاء الأمويين فی الشرق، و الأندلس، و الخلفاء الفاطميين، و سلاطين المرابطين، و الموحدين، و الزيانيين، و المرينيين، و السعديين، فی الجزائر، و المغرب الأقصی، و تتبع غارات الإسبان و الفرنسيين، علی الجزائر و تونس، فی العصر الحديث، و تحدث عن الحروب الصليبية خلال حديثه عن ملوك فرنسا.

و خلال كل هذا، تحدث المؤلف علی قضايا كثيرة، تاريخية، و فكرية و أدبية، و ثقافية، و اعتمد علی مصادر كثيرة نثرية، و شعرية، مخطوطة، و مطبوعة.

مما أضفی علی المخطوط القيمة العلمية المطلوبة. و هذا بغض النظر علی أسلوب السجع الممل الذی اتبعه، و ركاكة اللغة فی بعض الأحيان.

و إخراج هذا المخطوط إلی حيز الساحة الثقافية بعد مضی قرن كامل علی تأليفه، يدخل فی إطار إحياء التراث الفكری بمفهومه الواسع للبلدان المغاربية أساسا، و الإسلامية بصفة عامة.

و هذا ما تقوم به مؤسسة: دار الغرب الإسلامی بقيادة رئيسها الفاضل السيد الحبيب اللمسی، الحريص علی أن يكون المثل و النموذج لعملية الإحياء هذه، التی بدأها منذ عدة سنوات، و أخرج إلی الساحة الثقافية تراثا حضاريا هاما و متنوعا: فی العلوم، و الآداب، و التاريخ، و السير، و اللغة، و الدين، و غيرها، و زوّد المكتبات العربية و العالمية بنصيب وافر، من أمهات الكتب، و نفائس المخطوطات، و قدم للأجيال الصاعدة جهود الأجداد الضخم الذی شاركوا به فی خدمة العلم، و الفكر، و الثقافة العربية الإسلامية، و الإنسانية العالمية.

و ما إقدام هذه الدار، و رئيسها الفاضل، علی طبع هذا المخطوط، و نشره، إلا دليل آخر علی مدی الجهد الذی يبذله فی هذا الميدان.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳

هذا و قد أدخلنا تحويرا جزئيا علی اسم المخطوط فی ظهر الغلاف الخارجی فقط، ليكون أكثر دلالة علی محتواه، و هو «طلوع سعد السعود، أو تاريخ و هران، و الجزائر، و إسبانيا، و فرنسا، من غابر الأزمان إلی نهاية القرن ۱۹ م».

فإلی الأخ الفاضل السيد الحبيب اللمسی، و إلی داره العامرة: دار الغرب الإسلامی، نقدم كل التحية، و الشكر، و التقدير، و السلام.

و اللّه الموفق

و هران- حی جمال الجمعة ۲۵ رمضان ۱۴۱۰ ه.

۲۰ أبريل ۱۹۹۰ م.

د. يحيی بو عزيز (جامعة وهران)

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۵

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

تقديم و توضيح

إن مخطوط طلوع سعد السعود فى تاريخ و هران و مخزنها الأسود. الذى نقدمه اليوم للقراء. قد استنفد منا عملا شاقا و طويلا، بسبب كبر حجمه، و تعقد إجراءات الحصول على إذن لتصويره. و الوقت الطويل الذى استغرق فى نقله باليد، و ضربه على الآلة الكاتبة، و مراجعته، و التعليق عليه.

فقد استغرق الحصول على إذن لتصويره من طرف وزارة الثقافة و السياحة، أكثر من ستة شهور، و كان السبب فى ذلك المسؤول عن متحف زبانا بوهران الذى تلكأ و راوغ فى تنفيذ أمر الوزارة لأمور لا نعلمها، سامحه اللّه.

و استغرق نسخه باليد قرابة عام كامل، بسبب ضخامة حجمه، و صعوبة ضربه على الآلة الكاتبة مباشرة. و بذل الأخ الطالب صديقى سليمان القنادسى.

جهودا مشكورة فى نسخه. و تحمل ذلك و تطوع رغم انشغاله بمتابعة دروسه.

لتحضير شهادة الليسانس فى التاريخ، و لو لا جهوده هذه، لتأخر إعداد المخطوط للطبع سنوات أخرى. أو تعذر إطلاقا.

و تطلبت قراءته و تصحيحه، و التعليق عليه، و تبويبه أوقاتا طويلة. و استغرق ضربه على الآلة الراقنة قرابة عام كامل كذلك مع إعادة قراءته و تصحيحه و ترتيبه، و فهرسته، كل ذلك وسط الأشغال و الاهتمامات اليومية التربوية و غيرها. و هنا لا بد من التنبيه على عدة أمور:

أولا: توحد بالمخطوط أخطاء كثيرة جدا. و لا تخلو منها أية صفحة فى

اللغة و قواعد اللغة، و الرسم، و الإنشاء، و الصياغة، فاكتفينا بالإشارة و التنبيه على البعض منها و تركنا الباقى على حالها، لأن الإشارة إليها كلها. سيؤدى إلى تضخيم حجم المخطوط. ثم إنها لا تؤدى إلى عدم فهم المعلومات و الحوادث.

ثانيا: إن التعليقات و الهوامش التى وضعناها للمقاصد الثلاثة الأولى، أثبتت أن المواصلة على ذلك النهج سيؤدى إلى مضاعفة حجم المخطوط مرة أو أكثر، و لذلك خففنا منها كثيرا فى المقصدين الباقيين و الطويلين: الرابع، و الخامس. و اكتفينا فقط بالضرورى منها.

ثالثا: أورد المؤلف قوائم كثيرة و طويلة لأسماء الأعلام الأجنبية الرومانية، و اليونانية، و الإسبانية، و الفرنسية، و غيرها، فكتب البعض صحيحا، و حرف أخرى، و لذلك حاولنا نحن تصحيح بعضها بكتابتها بالحروف اللاتينية أمامها. أو فى الهامش. و تركنا الباقى إلى حين التعرف عليها.

رابعا: ليس للمخطوط عناوين و لذلك وضعنا نحن له عناوين فرعية مستقلة ليسهل التعرف على موضوعاته، و العودة إليها بدون مشقة، و صعوبة، و وضعنا أرقام الصفحات بين قوسين داخل النص.

خامسا: نظرا لطول المخطوط و كبر حجمه، فقد قسمناه إلى جزئين:

الجزء الأول: يشمل المقاصد الثلاثة الأولى. و القسم الأكبر من المقصد الرابع، و ينتهى عند نهاية الدولة الثامنة أو دولة الأتراك العثمانيين عام ۱۸۳۰ م، و يحوى ۳۱۷ صفحة من المخطوط.

الجزء الثانى: يشمل القسم الأخير من المقصد الرابع، و المقصد الخامس و الأخير و يحتل باقى صفحات المخطوط إلى صفحة ۵۸۲.

سادسا: بذلنا جهودا مكثفة للحصول على سيرة المؤلف الآغا بن عودة المزارى. فلم نوفق، فقد راجعنا مجلة الجمعية الجغرافية و الأثرية لمدينة و هران.

و رجعنا إلى ما كتبه مارسيل بودان عن المخطوط، و لم نحصل على شىء، وزرنا أفراد عائلة المزارى فى سبدو، و مغنية، و

استجوبناهم فلم يفيدونا بشيء و يجهلون أصلا هذا الرجل.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۷

و سألنا المسنين فى مدينة و هران، الذين لهم صلة بالعائلات المخزنية فلم يفيدونا بشيء.

و قد سجل المؤلف حياته و سيرته فى مخطوطه، خلال تأريخه لرجال المخزن، بعد أن سجل سيرة والده الحاج محمد المزارى، و عمه مصطفى ابن إسماعيل. فى المقصد الخامس و الأخير من مقاصد الكتاب من صفحة ۵۳۸ إلى صفحة ۵۴۵. و لكن هذه الصفحات بترت من المخطوط و يبدو أن ذلك تم عن عمد، و قصد. و لذلك بقيت حياة هذا الرجل ثغرة. و لم نجد حاليا ما يملؤها. فأرجأنا ذلك إلى حين العثور على معلومات جديدة عنه، أو العثور على الصفحات المبتورة من المخطوط. و قد قال فى صفحة ۵۴۶ التى بقيت لم تبتر:

«ولى فى هذا الوقت ولدان بلامين أكبرهما إسماعيل، و الآخر الحسين».

و الشيء المعروف عنه حاليا هو أنه ابن الحاج محمد المزارى الذى هو ابن أخ مصطفى بن إسماعيل، و كلاهما تولى وظيفة للأمير عبد القادر، ثم للفرنسيين بعد أن انضما إليهم فى حدود عام ۱۸۳۵ م. و من بعدهما تولى المؤلف ابن عودة المزارى وظيفة الآغا للفرنسيين، و لكن لا ندرى متى تولى هذه الوظيفة، و متى ولد، و متى توفى كذلك، و المؤكد هو أنه توفى بعد عام ۱۸۹۷ م.

و قد يكون عاش إلى مطلع القرن الحالى و لا ندرى أيضا أين توفى، و أين دفن، و لعلنا نكتشف فى يوم ما الأجوبة على هذه الأسئلة و التساؤلات. فنضمها للطبعة التالية إن شاء اللّه تعالى.

سابعا: وضعنا للمخطوط فهارس، للأعلام، و القبائل، و الجماعات، و الأماكن الجغرافية، و أسماء الكتب. كل جزء بفهارسه الخاصة.

ثامنا: أضفنا إلى المخطوط فى الأخير قائمة المراجع ذات الصلة بالموضوع، و منها المراجع التى اعتمد عليها المؤلف و أشار إليها داخل النص.

تاسعا: إذا كان ما بد من شكر أحد فهو الناسخ للمخطوط الأخ الطالب و الأستاذ صديقى سليمان، و المسؤولون عن مديرية التراث بوزارة الثقافة و على رأسهم الأخ عبد اللّه بالسريانى، ثم الأخ الضابط الصديق إيمخلاف رئيس القطاع العسكرى بولاية النعامة و الأخ قاسمى الهاشمى بالإذاعة الجهوية بوهران اللذان

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸

ساعدانى فى ضرب المخطوط على الآلة الراقنة، فإليهم و إلى غيرهم شكرى و تقدرى.

عاشرا: و قد زودنا هذه الدراسة فى الأخير بقوائم لأسماء أباطرة الرومان و البيزنطيين، و ملوك فرنسا، و إسبانيا، و حكام و هران الأوائل، و السلاطين العثمانيين، و حكام الجزائر فى العهد العثمانى، و بثلاثة خرائط لوهران؛ و المنطقة الوهرانية التى شهدت أحداث الإسبان، و المرسى الكبير.

حادى عشر: لقد أدخلنا تحويرا جزئيا على عنوان المخطوط الأصلى ليكون أكثر دلالة على محتواه، و ذلك على ظهر الغلاف الخارجى فقط، و أصبح هكذا: «طلوع سعد السعود أو تاريخ و هران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا». (من غابر العصور إلى نهاية القرن ۲۱۹). أما فى الداخل فقد أبقينا على العنوان الأصلى للأمانة التاريخية.

و أرجو أن يجد الطلاب و الباحثون، و الأساتذة فى المعاهد و الجامعات، ضالتهم فى هذا المخطوط الذى لا شك أنه سيزودهم بمعلومات واسعة، عن تاريخ و هران، و الغرب الوهرانى و الجزائر، و إسبانيا و فرنسا، و عبر التاريخ خاصة خلال عهد الأتراك العثمانيين و عهد الاحتلال الفرنسى إلى عام ۱۸۹۰ م.

و اللّه الموفق:

وهران- حى الصديقية الخميس ۲۹ شعبان ۱۴۰۹ ه ۰۶ أبريل ۱۹۸۹ م

د. يحيى بو عزيز

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۹

المخطوطات

اشارة

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۱

الصفحة الأولى من مخطوط: طلوع سعد السعود.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲

الصفحة الثانية من مخطوط: طلوع سعد السعود.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳

تمهيد فى التعريف بمخطوط طلوع سعد السعود فى أخبار وهران و مخزنها الأسود

للآغا بن عودة المزارى مؤلف هذا المخطوط هو أبو إسماعيل ابن عودة بن الحاج محمد المزرى البحثاوى، كما جاء فى مطلع الصفحة الأولى منه التى تحمل رقم ۲. و يعرف عن الناس فى الناحية الغربية بالآغا المزارى. و كان أبوه الحاج محمد المزارى، و عم أبيه مصطفى بن إسماعيل، قد توليا منصب: و وظيفة «الآغا» عند الأمير عبد القادر أولا، ثم عند الفرنسيين بعد أن انضما إليهم فى حدود ديسمبر ۱۸۳۵ م الموافق لأواخر شعبان ۱۲۵۱ ه. كما جاء فى صفحات ۴۳۱- ۴۳۴ من المخطوط نفسه.

و يقع هذا المخطوط فى مجلد كبير يحتوى على ۵۸۲ صفحة من مقاس ۱۹* ۲۵، و تتراوح أسطرها بين ۱۸ و ۳۰ سطرا، و كتب بخط مغربى واضح، و سهل القراءة على طريقة المصحف الكريم المغربى، بحيث تنقط الفاء من أسفل و القاف من أعلى بنقطة واحدة.

ليس للمخطوط عنوان على ظهره بالصفحة الأولى، و لكن ذكر داخل الصفحة الثالثة و فى آخرها. و قد بدئى بالصفحة الثانية، بينما أبقيت الصفحة الأولى بيضاء، و لا توجد به صفحة رقم ۵۰۵، و ذلك لخطأ فى الترقيم فقط، إذا انتقل المؤلف من رقم ۵۰۴ إلى رقم ۵۰۶ مباشرة. و لكن المخطوط تنقصه ثمانى صفحات من رقم ۵۳۸ إلى رقم ۵۴۵، إذ اقتلعت منه أربعة أوراق، و ذلك فى المقصد الأخير منه. و من سوء الصدف أن الصفحات الناقصة هى التى تتصل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴

بحياة المؤلف نفسه، و موقفه من الأمير و المقاومة الوطنية. و يبدو لنا أن هذه الصفحات انتزعت عن قصد و لغرض معين كذلك، و كل صفحة من صفحات المخطوط يبدؤها المؤلف بالعبارة التالية:

«اللهم صلّ على الحبيب محمد و آله و صحبه و سلم». و ذلك على يمين صفحة اليمين، و يسار صفحة اليسار.

و يوجد هذا المخطوط فى مكتبة متحف زبانا بمدينة و هران تحت رقم ۴۶۶، و جلد بغلاف من الورق المقوى ذى اللون البنى المائل إلى الخضورة، و كتب على ظهر حاشيته القاعدية الجلدية الحمراء بالحروف اللاتينية، المزرى.

تاريخ و هران. و ليس له نظير على ما نعرف، بحيث تتفرد به مكتبة هذا المتحف دون غيرها .

و يضم هذا المجلد بين دفتيه ثلاثين كرّاسا، كل منها يتألف من عشرة أوراق ما عدا:

كراس رقم ۲۶ الذى يحتوى على ۱۲ ورقة من صفحة، ۴۸۰ إلى ۵۰۴.

و كراس رقم ۲۷ الذى يحتوى على ۱۲ ورقة كذلك من صفحة ۵۰۶ إلى ۵۲۹.

و كراس رقم ۲۸ الذى يحتوى فقط على ۸ ورقات من صفحة ۵۳۰ إلى ۵۵۳، و هو الكرّاس الذى تنقص به الصفحات التى تخص حياة المؤلف و بعض أفراد أسرته.

و كراس رقم ۳۰ الأخير الذى يحتوى فقط على ۵ ورقات من ۵۷۴ إلى ۵۸۲.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵

أقسام المخطوط و تاريخه

و يتألف هذه المخطوط من خمسة أقسام يحمل كل منها اسم المقصد:

- المقصد الأول: فيمن بنى و هران، و فيمن أمر ببنائها و أى تاريخ بنيت فيه.

و به ۸ صفحات من ۴ إلى ۱۱.

المقصد الثانى: فى ذكر بعض أوليائها و التعريف بهم، و به ۲۰ صفحة من ۱۱ إلى ۳۰.

- المقصد الثالث: فى ذكر بعض علمائها و التعريف بهم، و به ۹ صفحات من ۳۰ إلى ۳۸.

- المقصد الرابع: فى ذكر الدول التى حكمتها و هى تسعة و به ۴۸۶ صفحة من ۳۸ إلى ۵۲۳.

- المقصد الخامس: فى ذكر مخزنها و هو عين المراد، و به ۵۹ صفحة من ۵۲۳ إلى ۵۸۲. و تنقص به ثمانى صفحات من ۵۳۸- ۵۴۵.

و ليس لهذا المخطوط تاريخ محدد لتأليفه، و لكنه ألف فى نهاية عقد الثمانينات و مطلع التسعينات من القرن التاسع عشر، و ذلك استنادا إلى كلام المؤلف نفسه فيما أورده فى صفحتى ۵۲۰ و ۵۲۱ حول تواريخ حكام الجزائر و وهران. فقد قال عن الحاكم العام تيرمان بأنه «تولى يوم ۱۶ نوفمبر ۱۸۸۱ م و ما يزال عليها حتى الآن سنة ۱۸۹۰ م». و قال عن سعدية كارنو الذى يحكم و هران بأنه «تولى سنة التسليم (و هى ۱۸۸۸) و هذا الرايس هو الموجود الآن فى عام التسعين و الثمانمائة و الألف الموافق للعام الثامن و الثلاثمائة و الألف».

و استنادا كذلك إلى التقريظ الذى وضعه للمخطوط فى صفحته الأخيرة السيد عبد العالى شبكه و أثبت فى نهايته التاريخين ۱۸۹۷ م و ۱۳۱۴ ه و أذن له فى طبعه. و إلى التقريظ الذى وضعه له كذلك بعد التقرظ الأول، السيد عبد الرحمن بن سليمان المصرى المالكى، و لكنه لم يضع له تاريخا على أى حال.

ليس للمخطوط عناوين مستقلة، ما عدا فى المقاصد الثلاثة الأولى و جزء من المقصد الرابع صفحة ۵۷ فإن له عناوين على هوامش الصفحات توضع دائما

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶

تحت كلمة: قف، غير أن المؤلف يبرز عناوينه داخل الصفحات بكتابتها بالخط الغليظ، و يستعمل المداد الأحمر فى كتابة الكلمات الأولى أو الحروف الأولى للكلمات فى بداية الجمل و الفقرات التى من المفروض أن تكون فى بداية السطر، لأنه لا يتوقف اطلاقا قبل تمام السطر ليبدأ فى الآخر، كما هو متعارف حاليا، غير أنه يستعمل النقط الغليظة للفصل بين الجمل و الفقرات حتى و لو مع عدم تمام المعنى، و يستعمل المداد الأحمر كذلك لوضع سطور تحت الكلمات، و الحروف، و كل عناوين الكتاب من وضعنا نحن.

و يختلف عدد أسطر الصفحات، و شكل الخط، حسب الكيفية التالية:

- فالصفحات الأولى لغاية صفحة ۱۲۰ تقريبا، عدد أسطرها بين ۱۸ و ۱۹ و خطها واسع.

- الصفحات من ۱۲۰ إلى ۲۹۸ عدد أسطرها بين ۱۹ و ۲۰. و خطها مضغوط نوعا ما.

- و الصفحات الباقية من ۲۹۹ إلى نهاية المخطوط عدد أسطرها بين ۲۴ و ۳۰ و كتابتها مضغوطة جدا و دقيقة.

أغلب الصفحات استعمل فيها المؤلف المداد الأحمر، و الباقى لم يستعمل فيها، و هناك بعض الأوراق يقطعها، و يستبدلها بغيرها و

يلصقها الصاقا. و هذا واضح فى عدة مواطن من المخطوط. و بما أن المخطوط يتألف من ۳۰ كرّاسا فإن المؤلف رقمها كلها فى بدايتها على اليسار بالتتابع من ۱ إلى ۳۰ و ذلك بوضع الرقم فوق حرف الكاف هكذا: ك ۲. و يعنى كراس ۲.

و مما تجدر ملاحظته هنا أن كل عناوين الكتاب من وضعنا نحن و لم نحاول أن نشير لكل أخطاء الكتاب اللغوية، و الرسم، لأنها كثيرة جدا. و تتطلب الإشارة إليها زيادة لا أقل من ربع حجم الكتاب. كذلك تجنبنا التعقيب و التدخل كثيرا فى المعلومات لأن ذلك يتطلب زيادة حجم الكتاب بالنصف على الأقل.

و قد كانت تجربة التعليقات فى المقاصد: الأول، و الثانى، و الثالث، خير دليل على هذا. إذ زادت على حجم كل مقصد على حدة.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷

محتويات المقاصد الخمسة

- المقصد الأول: يقع فى عشر صفحات، و موضوعه فيمن بنى و هران و أى وقت بنيت، و من أمر ببنائها، و من أشرف على ذلك، و فى وصف الرحالة و المؤرخين لها. و قد ذكر المزرى أنها بنيت فى القرن الثالث الهجرى، و لكن هناك خلاف فى السنة. فالحافظ أبوراس له روايتان:

الأولى: فى كتابه، عجائب الأسفار، مفادها أن مغراوة هى التى بنتها بأمر من الخليفة الأموى بالأندلس عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، و الذى أشرف على بنائها هو خزر بن حفصى بن صولات بن وزمار ابن صقلاب، بن مغراو الزناتى المغراوى. و هذا يعنى أنها بنيت فى وسط القرن الثالث لأن عبد الرحمن بن الحكم تولى الخلافة عام ۲۰۶ ه، و توفى فى ربيع الآخر عام ۲۸۸ ه، كما فى المختصر لأبى الفداء.

الثانية: فى كتابيه: عجائب الأخبار، و الخبر المعرب، و تفيد أن الذى بناها هو خزر بن حفص حقيقة، و لكن الذى أمر ببنائها هو الخليفة الأموى بالأندلس أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، و ذلك اما سنة ۲۹۰ أو ۲۹۱ أو ۲۹۲. و قد رجح الزيانى الذى نقل عليه، التاريخ الثالث و الأخير لأن هذا الخليفة تولى الخلافة عام ۲۷۵ و توفى عام ۳۰۰ ه كما فى مختصر أبى الفداء. و قد بناها قبل وفاته بعشر سنوات كما فى دليل الحيران.

أما عبد الرحمن الجامعى فقد ذكر فى شرحه على الحلفاوية أنها بنيت من طرف مغراوة و فى أيام أمرائها، و لكنه لم يحدد السنة و تجنب ذلك حتى لا يقع فى حرج أو خطأ. بينما أكد كل من محمد بن يوسف القيروانى، و أبى عبيد اللّه البكرى، و ابن خلكان، و الرشاطى، و الصفدى، كل فى تاريخه بأن الذين بنوها هم: محمد بن أبى عون، و محمد بن عبدوس، و محمد بن عبدون، و جماعة من البحارة الأندلسيين الذين كانوا ينتجعون مرسى و هران، مع نفزة و بنى مسقن، و هم بنو مسرغين من أزديجة و كانوا أصحاب القرشى، و هو الخليفة الأموى بالأندلس، و ذلك عام ۲۹۰ ه.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۸

و قد استعرض أوصاف الرحالة و المؤرخين لها كالزيانى، و ابن خلكان، و أبى راس المعسكرى، كل ذلك نقلا حرفيا عن دليل الحيران لشيخه محمد ابن يوسف الزيانى فى ست صفحات كاملة.

- المقصد الثانى: فى ذكر بعض أوليائها بحسب الاستطاعة و التعرض بالذكر لمن هو منهم شريف، و قد اعتمد فيه على دليل الحيران حرفيا و مما قاله بالحرف الواحد: «اعلم أيدنى اللّه و إياك بأنواره و نفعنى و إياك بأسراره أن أولياءها عددهم كثير، و حصرهم عسير و لكنى أذكر منهم المشاهير كما ذكرهم شيخنا الزيانى فى الفصل الثالث من دليل الحيران و أنيس السهران.

و قد استعرض المؤلف فى هذا المقصد سير و مناقب، و حياة عدد من أولياء و هران عددهم حوالى ۵۳ وليا صالحا، و توسع فى ترجمة البعض مثل الشيخ محمد بن عمر الهوارى، الذى خصه بثمانى صفحات و تلميذه إبراهيم التازى الذى خصه بأربع صفحات و

نصف الصفحة. أما الباقی فقد اختصر تراجمهم فی ما بین نصف الصفحة، و ثلثها و ربعها و سطر، و نصف السطر، بل أن عددا کبیرا منهم أوردهم بأسمائهم فقط، و ذلک لقلة المعلومات عنهم لدیه علی ما یبدو.

و من ضمن من ترجم لهم إلی جانب من ذکر: سیدی هیدور، و دادة أیوب، و محمد بن یبقی، و سیدی غانم، و عبد اللّه بن خطاب، و أحمد بن أبی جمعة الوهرانی، و بلخیر الجماعی، و سیدی الغریب، و سیدی البشیر بن یحیی، و بدر الدین، و سیدی السنوسی، و الخروطی، و محمد بن یعزی، و سیدی قتادة بالمختار، و عبد اللّه رحو التیجینی، و فرقان الفلیتی، و سیدی أحمد الفیلالی الضریر. کل ذلک فی ۲۰ صفحة من المخطوط.

- المقصد الثالث: فی ذکر بعض علمائها من حیث بنیت للآن. اعتمد فیه کذلک علی دلیل الحیران للزیانی، و قال: «اعلم أیدنی اللّه و إیاک بنوره، و نفعنی و إیاک بسره، و وقانا من ضروره أن علماءها عددهم کثیر و حصرهم شدید عسیر، و لکنی أذکر منهم إن شاء اللّه تعالی المشاهیر کما ذکرهم شیخنا الحافظ المحقق سیدی و مولای، و سمط محیای العالم الربانی الشریف الحسن أبو عبد اللّه محمد ابن یوسف الزیانی فی الفصل الثالث من کتابه دلیل الحیران».

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹

و قد ترجم لحوالی ۶۳ عالما، توسع فی البعض منهم و اختصر فی الباقی کما فعل فی مقصد الأولیاء. و کرر فی هذا المقصد ذکر عدد من أولیاء وهران عدهم من العلماء کذلک، و هم: الشیخ الهواری، و إبراهیم التازی و سیدی یحیی البوعنانی، و سیدی محمد بن یبقی، و سیدی غانم، و أحمد بن أبی جمعة المغراوی.

و من العلماء الذین ترجم لهم کذلک: أبو إسحاق إبراهیم الوهرانی و أبو تمیم الواعظ، و أبو زید عبد الرحمن مقلاش، و أبو عبد اللّه محمد بن أبی جمعة الوهرانی المغراوی، و الکاتب المستغانمی محمد بن حسن، و السید أحمد ابن الخوجة، و مصطفی بن عبد اللّه الدحاوی، و الشیخ الطاهر بن الشیخ المشرفی، و محمد بن عبد اللّه سقاط المشرفی، و الحاج عبد القادر بن مصطفی المشرفی، و الخوجة السید مسلم بن عبد القادر الذی کان کاتبا لدی البای الباهی حسن آخر بایات و هران. کل ذلک فی تسع صفحات.

- المقصد الرابع: و هو أطول مقاصد الکتاب یحتل خمسة أسداس المخطوط تقریبا. و یشغل ۴۸۶ صفحة کاملة. و قد تحدث فیه المزاری علی الدول التی حکمت و هران و المغربین الأوسط و الأقصی علی سبیل الترتیب من یوم بنیت إلی زمن المؤلف و عددها تسعة کما فی دلیل الحیران دائما، و هی:

۱- دولة الأمویین بالأندلس القائمین بأمور زناتة و عمالهم مغراوة و أولهم خزر، و ذلک فی ۴ صفحات من ۳۸ إلی ۴۱.

۲- و العبیدیون و هم الشیعة فی ۱۵ صفحة من ۴۱ إلی ۵۶.

۳- و المرابطون و هم الملثمون فی ۱۲ صفحة من ۵۷ إلی ۶۸.

۴- و الموحدون فی ۲۳ صفحة من ۶۸ إلی ۹۱.

۵- و الزیانیون و هم بنو عبد الواد فی ۱۳ صفحة من ۹۱ إلی ۱۰۴.

۶- و المرینیون بنو أحمامة ثم الزیانیون فی ۳۳ صفحة من ۱۰۴ إلی ۱۳۷.

۷- و الإسبانیون فی ۳۹ صفحة من ۱۳۷ إلی ۱۷۶.

۸- و الأتراک و هم الترک فی ۱۴۱ صفحة من ۱۷۶ إلی ۳۱۷.

۹- و الفرنسیین فی ۲۰۸ صفحة من ۳۱۷ إلی ۵۲۳.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰

و قد أکثر المؤلف فی هذا المقصد من الاستطرادات التی أخرجته تماما عن موضوعه الأصلی، و أغرقت تاریخ و هران فی محیط تاریخ العالم کله تقریبا و خاصة بلدان المغرب، و الأندلس، و فرنسا، و البلاد العثمانیة بالمشرق، و سنحاول أن نقدم فیما یلی موجزات

و مختصرات، لما توسع فيه من تاريخ هذه الدول أو العهود التسعة، للتعريف بمحتوياتها، و التنبيه إلى ما هو مهم منها:

أولا- الدولة الأولى بنو أمية و عمالهم مغراوة و أولهم خزر بن حفص الذى اختطها و بناها فى القرن الهجرى الثالث، و كان جده الأعلى و زمار بن صقلاب ابن مغراو، قد أسلم على أيدى عبد اللّه بن سعد بن أبى سرح، فأرسله ضمن وفد إلى المدينة لمقابلة الخليفة الثالث لرسول اللّه، سيدنا عثمان بن عفان، فجدد إسلامه على يديه كذلك، و من ثم بقيت مغراوة موالية لبنى أمية، مثلما فعلت صنهاجة عند ما بقيت موالية للعلويين العبيديين بإفريقيا.

و قد أورد المؤلف تفاصيل عدة عن أحداث و هران و ولاتها المغراويين بعد خزر مثل ابنه محمد، و الخير بن محمد، و تحدث عن إحراقها عام ۲۹۷ ه و تجديدها فى العام الموالى و عن حروب محمد بن خزر مع أزديجة و عجيسة، و صلات ابنه الخير بالمروانيين بالأندلس خاصة عبد الرحمن الناصر، و اتساع ملكه على معظم المغربين الأوسط و الأقصى إلى السوس الأدنى، و الصحراء، و حروبه مع الشيعة، و غزوه لبسكرة و الزاب و المسيلة و تدويخه للمغرب الأوسط تدويخا كاملا- إلى أن حصل خلاف له مع أبيه، شديد، فأرسل الخليفة الناصر من الأندلس قاضى قرطبة الفقيه منذر بن سعيد الولهاصى البلوطى ليصلح بينهما، و يبقى الأمر هكذا حتى سيطر الشيعة العبيديون على و هران. و قد استغرق ذلك أربع صفحات نقلها من دليل الحيران.

ثانيا: دولة الشيعة الرافضة، و العبيديون، و العلويون، و الفاطميون، و قد شرح فيها أسباب تسميتهم بهذه الأسماء و الألقاب و سيطرتهم على و هران.

و انتقال الحكم فيها إلى بنى يفرن، و قيام يعلى بن محمد اليفرينى ببناء مدينة إيفكان عام ۳۳۸ ه، فى ضواحى بنى راشد بسفح جبل أوسلاس، و نقله سكان و هران إليها بعد أن خربها، و نقل مقر حكمه إليها كذلك، ثم شرح بعد ذلك

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۱

كيف مال محمد بن الخير بن خزر المغراوى إلى الشيعة، و التحق بالمعز لدين اللّه الفاطمى فى القيروان، و عاد مع جيش جوهر الصقلى إلى تيهرت و تم قتل اليفرينى غدرا، و خرب جوهر مدينة إيفكان و عاد محمد بن الخير إلى حكم و هران، فبث فيها و فى غيرها الدعوة الشيعية الفاطمية العبيدية، و قد استعرض أحداث الخزريين فى هذا العهد الثانى و أشار إلى بناء مدينة و جدة عام ۳۸۴ ه من طرف زيرى بن عطية، و إلى فساد العلاقة بين زيرى بن عطية، و المنصور بن أبى عامر بالأندلس، و ختم هذا العهد و هذه الدولة بذكر أسماء حكام و هران خلال العهدين: المغراوى الخزرى، و الشيعى الفاطمى، و ذكر أنهم ستة عشر حاكما، عشرة مغراويون، و اثنان من أزديجة و عجيسة، و واحد شيعى، و واحد يفرينى، و اثنان صنهاجيان. و أورد كذلك أسماء ملوك الأمويين المروانيين بالأندلس، و عددهم ستة عشر ملكا و أسماء ملوك و خلفاء بنى أمية بالمشرق و عددهم أربعة عشر، و أسماء ملوك الشيعة العبيديين، و عددهم أربعة عشر ملكا، و ملوك الأدارسة بالمغرب الأقصى و عددهم ثلاثة عشر. و ملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط و عددهم واحد و عشرون: أربعة بتلمسان، و أربعة برشقون و ثلاثة بجراوة، و ثلاثة بتاهرت، و سبعة بتنس. و قد استغرق الحديث عن هذه الدولة ۱۵ صفحة من المخطوط.

ثالثا: دولة المرابطين الملثمين، ابتداء من يوسف بن تاشفين مؤسس مدينة مراكش، و قد استعرض فيها أحداث هذه الدولة فى المغربين الأقصى، و الأوسط، و الفتوحات و التوسعات التى قامت بها، و بناء مدينة مراكش، و أحداث و هران و مشاكلها خلال ذلك، و ذكر أن ملوك صنهاجة الملثمين، الذين يبلغ عددهم اثنين و أربعين أميرا ينتمون إلى ثلاثة فرق هى:

۱- البولكانية: نسبة إلى بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى، و عددهم خمسة و عشرون ملكا: عشرة بإفريقيا (تونس)، و عشرة ببجاية و واحد بالمغرب الأوسط، و أربعة بالأندلس.

۲- المرابطون الملثمون اللمتونيون: و عددهم اثنا عشر.

۳- الغانية: أو بنو غانية أولاد المرأة التى يقال لها غانية و هى بنت عم يوسف ابن تاشفين. و عدد ملوكهم خمسة ما بين بجاية و

تونس.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲

و قد استغرق الحديث على هذا العهد ۱۲ صفحة من المخطوط.

رابعا: دولة الموحدين، و قد تحدث فيها عن سبب تسميتهم بالموحدين و عن المهدى بن تومرت داعية هذه الدولة، و نسبه، و دعوته، و عن عبد المؤمن و نسبه، و أصله، و سيرته، و أوليات حياته، و بداية حكمه، و فتوحاته، و قيامه بمسح جغرافى لبلدان المغرب من برقة إلى واد نون بالسوس الأقصى، بالفراسخ، و الأميال، طولا و عرضا، مع إسقاط الثلث بعد ذلك الذى يشغل الأودية، و الجبال، و الغابات، و الشعاب، و السباخ، و الطرقات، و الخرابات، و ذلك من أجل تحديد الخراج بها. و تحدث عن قيام عبد المؤمن ببناء مدينة البطحاء بأرض هوارة، و مدينة الفتح بجبل الفتح فى الأندلس التى نقل إليها عددا من سكان الحشم بإفريقيا للاستقرار بها.

و بعد ذلك استعرض تاريخ خلفائه من بعده، و أحداثهم و حروبهم أحيانا بإيجاز و أحيانا بالتفصيل، و ختم ذلك بإيراد إحصاء لعدد ملوك و أمراء هذه الدولة الموحدية و عددهم ۴۷ ملكا: منهم ۱۴ بالمغرب الأقصى، و ۲۹ بإفريقيا (تونس)، و ۳ ببجاية، و واحدة بالمهدية و طرابلس، و حدد الأقاليم و الأوطان التى وصل إليها حكمهم، و خضعت لهم و استغرق ذلك ۲۳ صفحة من المخطوط.

خامسا: الدولة الخامسة و هم الزيانيون و بنو زيان، و العبد لواديون، و بنو عبد الواد، و قد تحدث فيها عن سبب تسميتهم بذلك، و أصلهم و نسبهم، و كيفية وصولهم إلى الحكم ابتداء من جابر بن يوسف بن ياغمراسن و استقلالهم بتلمسان و المغرب الأوسط، و استعرض أحداث أمراء هذه الدولة و تاريخ و هران و أحداثها خلالها، و أورد بعض الصراعات و الحروب التى كانت تحصل بين بنى زيان و بنى مرين حول السلطة و النفوذ على كل أقاليم المغرب العربى، و تدخل بنى حفص فى الصراع كذلك، و ما انجز عن ذلك من التقلبات السياسية و التمردات، و الانقلابات. و قد استغرق ذلك ۱۳ صفحة من المخطوط.

سادسا: دولة المرينيين و يقال لهم بنو أحمامة، و قد تحدث عن تسميتهم، و نسبهم، و مواطنهم بالزاب، و فيقيق، و تافيلالت و ملوية، و عن كيفية وصولهم إلى الحكم، و أول ملكهم بالمغرب الأقصى عبد الحق، و من جاء بعده من الأمراء

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۳

و الملوك، هذا وراء الآخر، مع اختصار أحداثهم إلى عهد أبى الحسن المرينى، و ابنه أبى عنان، و ما حصل بينهما من الأحداث و المشاكل.

و خلال هذا شرح أحداث و هران و تعاقب الحكم فيها بين بنى زيان و بنى مرين حوالى خمس مرات مثلما حصل لتلمسان و باقى المغرب الأوسط، نظرا لحدة الخلافات و الصراعات بين الفريقين، و قد استغرق ذلك ۳۳ صفحة من المخطوط.

سابعا: «الدولة السابعة و هم الإسبانيون، و يقال لهم السبنيول سموا بذلك نسبة لمدينة إسبانيا بقطع الهمزة المكسورة و سكون السين المهملة، و فتح الباء الموحدة من أسفل بعدها ألف ساكن، ثم نون موحدة من أعلى مكسورة ثم ياء مثناة من تحت بعدها ألف مقصورة». و قد تحدث فيها عن عاصمة إسبانيا ماتريج (مجريط)، و موقعها، و موقع إسبانيا و مساحتها، و الدول و الملوك الذين تعاقبوا عليها، و سكانها، و عددهم و أصولهم، و أقسام إسبانيا السياسية الثلاثة عشرة، الثمانية الساحلية و الخمسة الداخلية، و أشهر مدنها، و جبالها، و أنهارها، و أنهار العالم كلها، و جباله، و موقع إسبانيا فى أوربا، و باقى القارات الخمس، و سكانها و دول العالم جميعها، فى القارات الخمس. و قد توسع فى الحديث عن أصل السكان الإسبان إلى أن وصل إلى عهد فيرديننـد، و إزابلا الكاثولكيين فى القرن ۱۵ م. و استعرض بعد ذلك أحداث الغزو الإسبانى لوهران و المرسى الكبير، و ضواحيهما و أحوازهما بكثير من التفصيل و شرح سعى الإسبان لتركيز وجودهم بهما، و فرض سيطرتهم على المناطق المجاورة و مقاومة السكان لهم، و تحدث عن سكان هبرة، و أصلهم و فروعهم، و استعرض الغزوات الإسبانية، و توسعاتهم خارج و هران على طول سواحل الجزائر، و تونس، و طرابلس، و تتبع تاريخ ملوك الإسبان أمثال فرديننـد الأول، و فيليب الأول و الثانى، و الثالث، و كارلوس الأول، و الثانى، و الثالث، و

الرابع، و استطرد للحديث عن قدوم الأتراك إلى مدينة الجزائر ابتداء من خير الدين و عروج و سعيهم لتحرير و هران ابتداء من حسن بن خير الدين إلى الباى شعبان الزناقى، و اغتنم فرصة حديثه عن محاولة السلطان العلوى إسماعيل تحرير و هران، فأورد أسماء ملوك بنى وطاس بفاس،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴

و ملوك العلويين، و أشار إلى التحصينات الإسبانية بوهران، و استغرق ذلك ۳۹ صفحة من المخطوط.

ثامنا: «دولة الأتراك و هى الدولة الثامنة التى حكمت و هران و قد تحدث عن أصل الأتراك، و منبتهم، و بلادهم فى أقصى المعمورة و ما وراء النهر إلى الصين، و السد الذى بناه ذو القرنين، و عن انتشارهم فى الأرض، و إسلامهم، وجدهم الأول عثمان، و نسبه، إلى آدم عليه السلام، و أخذ بعد ذلك يستعرض تاريخ ملوك و سلاطين العثمانيين إلى عهد السلطان عبد الحميد الثانى الذى كان يحكم فى عهده أواخر القرن ۱۹ م تم تطرق للحديث عن وصول الأتراك إلى الجزائر، و أسباب ذلك و تاريخه، و استعرض حكامهم و أمراءهم بها، مع أحداثهم ابتداء من عروج و خير الدين إلى الداى حسين باشا آخرهم بالجزائر.

و توقف عند أحداث استعادة الإسبان لوهران عام ۱۷۳۲ بعد أن حررها بوشلاغم قبل ذلك عام ۱۷۰۸ لمدة ربع قرن، و أرخ للأحداث التى تلت ذلك، و الغزوات الإسبانية المتكررة على الجزائر خلال عهد الداى محمد عثمان باشا فى أعوام ۱۷۷۵ و ۱۷۸۳، و ۱۷۸۴ م. أثناء حكم الملك الإسبانى كارلوس الثالث، و عاد بعد ذلك للحديث عن فتح و هران، و تحريرها التحرير الثانى و النهائى على أيدى البطل الشجاع الباى محمد بن عثمان الكبير، و حشد من طلبة العلم، و الفقهاء و العلماء، و حفاظ القرآن الكريم، و أورد حكايات و تفاصيل كثيرة حول الموضوع. ثم استطرد للحديث و التاريخ عن باقى ملوك إسبانيا قبل أن يعود للتأريخ عن نظام الحكم التركى بالجزائر الإدارى و العسكرى و أجهزة الحكم، و أقسام البايليكات، و أجهزة الحكم، و الألقاب، و الرتب، و التخصصات، و تحدث عن عواصم بايليك الغرب: مازونة مع بایاتها، و تلمسان مع بایاتها، ثم قلعة بنى راشد، و معسكر، و وهران و مستغانم أخيرا، و شرح أجهزة حكم البايات، و تنظيماتهم الإدارية و السياسية و العسكرية، و الاقتصادية، و اختصاصات الموظفين، و رتبهم، و نظام الدنوش.

و بعد كل هذا شرع فى الحديث و التأريخ بالتفصيل، لبايات بايليك الغرب ابتداء من حسن بن خير الدين إلى مصطفى بوشلاغم المسراتى و أبنائه، و الباى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۵

محمد بن عثمان الكبير و ابنه عثمان إلى أن وصل إلى الباهى حسن آخر بايات و هران و بايليك الغرب و قد خصص حيزا كبيرا للحديث عن البايات المسراتية، و أعمالهم و منشآتهم العمرانية فى معسكر، و مستغانم، و وهران، و قلعة سيدى راشد، كما خصص حيزا كبيرا للحديث عن ثورة درقاوة، و التيجانى ضد بايات بايليك الغرب، و ما حصل خلالهما من الأحداث و التطورات، و الحروب، و القلاقل و الاضطرابات و تحدث عن قبائل المخزن الخمسة ببايليك الغرب و هى:

الدوائر، و الزمالة، و الغرابة، و البرجية، و المكاحلية، و لم ينس أن يتحدث عن مقتل الرئيس حميد و خلال مواجهته للمراكب الأمريكية فى البحر، و عن الصلح الذى تم على أثر ذلك بين الجزائر، و أمريكا، و غارات الإنكليز على الجزائر، إلى أن وصل إلى حملة الاحتلال الفرنسى على الجزائر عام ۱۸۳۰ م، و قد استغرق ذلك ۱۴۱ صفحة من المخطوط. و قد استقى كل معلوماته و نقلها عن دليل الحيران.

تاسعا: «ثم ملك و هران الدولة التاسعة و هى الفرنسيس و يقال لهم أيضا الفرنج، فتسميتهم بالفرنج قديمة التأسيس ثم سمتهم العامة بعدها بالفرنسيس نسبة إلى بلدة افرانسا بقطع الهمزة، و هى قاعدتهم القديمة، و ملك دارهم القويمة، و تقرأ بالجيم بدل السين أيضا لا حرجا كما قال ابن خلدون».

و قد تحدث عن نسب الفرنسيين، و مملكتهم، و موقعها، و حدودها و عاصمتهم، و موقع فرنسا من أوربا، و سكانها، و نسلهم، و

دیانتهم، و عددهم و مساحة فرنسا، و أشهر مدنها، و موانیها، و خلجانها، و جبالها، و أودیتها و جزرها، و بواغیزها، و الشعوب، و الدول، التی توالت علیها من الإغریق إلی اللاتین، و الفرنجة، و الغالیین، و شرع بعد ذلک فی الحدیث و التأریخ لملوک فرنسا ابتداء من فرامون الذی تولی سنة عشرین من القرن الخامس المیلادی إلی نابلیون الثالث، و عددهم ثلاثة و سبعون ملکا فاستعرض أحداثهم أحیانا باختصار، و أحیانا بتوسع، سواء فی فرنسا أو خارجها، و ذلک زیادة علی رؤساء الجمهوریات الذین جاؤوا بعدهم و قد قسمهم إلی أربع طبقات:

۱- المیروفینجیون، و عدد ملوکهم ۲۲.

۲- الکارلوفینجیون و عدد ملوکهم ۱۳.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۶

۳- الکبیسیان و ینقسمون إلی ستة فروع:

أ- الکابی و عددهم ۱۴.

ب- رومیارد و فالوا و عددهم ۷.

ج- دورلیان و عددهم واحد.

د- سیفوائد دیفیلوا و عددهم ۵.

ه- بوربون، و عددهم ۵.

و- أورلیان و عددهم ۲.

۴- النابولیونیون و عددهم ۳.

و قد عدد المؤلف سلاطین فرنسا کما قلت واحدا وراء الآخر من فرامون أوائل القرن الخامس المیلادی إلی شارل العاشر الذی تم فی عهده احتلال الجزائر، و لویس فیلیب بعده الذی تمت فی عهده مقاومة الأمیر عبد القادر التی دامت سبعة عشر عاما کاملة، و من الأحداث التی تناولتها: الحروب الصلیبیة، و دور الأمراء الفرنسیین فیها، و غزو لویس التاسع لمصر، و قصة أسره فی المنصورة، و غزوة لتونس، و موته بها، و قد استغرق ذلک ۱۲۴ صفحة من المخطوط.

ثم تفرغ للحدیث بالتفصیل کشاهد عیان، عن أحداث مقاومة الأمیر عبد القادر، و جهاده و أحداثه و حروبه الواسعة، و المکثفة، و استطرد للحدیث عن أعمال أبیه الحاج محمد المزری و دوره مع الأمیر عبد القادر أولا ثم مع الفرنسیین ثانیا، و عن دور عم أبیه مصطفی بن إسماعیل کذلک مع الأمیر أولا- ثم الفرنسیین ثانیا مثل أبیه، و استعرض قصة تخلیهما عن الأمیر و التحاقهما بالجیش الفرنسی، و تعرض للحدیث بالتفصیل کذلک عن کیفیة احتلال فرنسا لوهران، و التفاف زعماء المخزن حول الشیخ محی الدین الغریسی الراشدی، و اتصالهم بسلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام، و عرضهم علیه أن یبایعوه سلطانا علی المغرب الأوسط کذلک مقابل إمداده لهم بالدعم المادی للمقاومة، و قبوله لذلک و إرساله ابن أخیه علی إلی تلمسان، ثم تراجعه، و قیامهم بالإلحاح علی محی الدین لمبایعة ابنه عبد القادر أمیرا للجهاد و المقاومة، و مما قاله عن هذه المبایعة بالغمز و اللمز: «و کان أول من مد یده فبایعه من هؤلاء

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷

السادة السید الأعرج بن محمد بن فریحة من أولاد سیدی محمد بن یحیی ...

و لما عقدوا له البیعة ... قال بعض علماء و أولیاء اللّه بغریس سبحان اللّه هذه البیعة لا یستقیم لصاحبها حال، و لا یهنأ له قرار و منال، و لا شفقة له و رحمة فی الأعیان و غیرم من النساء و الرجال و إنما هو سفاک للدماء، و لیس من السادات الرحماء لکون أول من بایعه اسمه الأعرج، و المحل المبایع فیه اسمه الدردارة، فلا ریب أن أیامه و أحکامه و أحواله عرجاء و لا تستقیم و إنما تبقی مدردارة، و

هلا كان اسم و محل غير هذين من الأسماء التى يكون بها التعاون و لا تدل على الريب و البين، قلت و كأنه أخذ فى فراسته من قضية المبايعة للإمام سيدنا على ابن أبى طالب ... لأن أول من بايعه سيدنا طلحة بن عبد اللّه أحد العشرة ...

و كانت يده قد شلت فى قضية أحد فيما اشتهر فقال حبيب بن ذؤيب ... إنا للّه و إنا إليه راجعون، و أول من بدأ بالمبايعة يد شلاء لا يتم هذا الأمر. و لما سمع الأمير الراشدى المقاتلة (كذا) أسرها فى نفسه و أضمر الفتك بمن سيظفر به من علماء و أولياء غريس، فكان بعد ذلك بينه و بينهم من العداوة الواضحة التغريس» (ص ۴۰۲).

و بعد هذا استطرد المؤلف للحديث عن المخزن، و إحداث الدوابر و الزمالة و استسلامهم للفرنسيين و إمضائهم معهم معاهدة من ۱۲ بندا لتنظيم العلاقة بينهم. و قد تحدث بتوسع عن مقاومة الأمير عبد القادر و معاركه كما قلنا، و ذكر أحداث أسرى سيدى إبراهيم، و عين تيموشنت و بلعباس و تلمسان، و معارك المقطع و الهبرة، و آرزيو، و مستغانم و وهران، و مسرقين، و موقف سلطان المغرب الأقصى عبد الرحمن بن هشام منه، و محاربته له، و مقتل بلأحمر، و بعثة البوحميدى إلى فاس، و أسره و قتله بالسم، و شرح بالتفصيل كذلك بعض خلفيات استسلام الأمير عبد القادر و مما قاله فى هذا الصدد: «و لما رأى الأمير قلة جيشه صعد ليلا لبنى يزناسن، و من الغد أخذ عياله و صار بمن معه فى التردد هل يرجعون لناحية الدولة أو يذهبون على وجدة لناحية توات. و قد سدت عليه الدولة طرق المجاز و هو لا علم له بذلك، ثم أسرع السير بقصد أن يأخذ أسفل الجبل و يصعد على وجدة و يذهب لصحراء المغرب إلى أن يصل إلى توات، و يستريح من جميع المهالك، فبينما هو سائر إذا به وجد نفسه قد دخل بعسة الدولة و كان

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸

فى تلك العسة رجلان أحدهما يقال له محمد بن خوجة الزمالى و الآخر يقال له أحمد بن حطاب الدايرى، و هما من أهل السياسة فى الفعلة و القولة، فاجتمعا به و عرفاه بأنفسهما و قالا له أيها الأمير أين تريد الذهاب، فأخبرهما بالواقع، فقالا له نحن لا طاقة لنا على إهلاكك و لا تسريحك للجواز بغير ارتياب، و لكن الرأى عندنا الذى ندلك عليه هو أن تسلم نفسك للدولة و تكتب لهم بأنك رجعت لهم برضاك و نحن نضمن لك إن شاء اللّه تعالى أن لا يقع لك شىء و تريح نفسك من هذا التعب و نحن من تلامذتك فقد رأينا لأن لك مصلحة و تصير من أهل الراحة لا من أهل الوصب. فقال، فوافقهما على ذلك و كتب لهما كتابا للجنرال لمنسيير (لامورسيير) يطلب فيه من الدولة الأمن و الأمان، فأخذ محمد بن خوجة الزمالى تلك الرسالة و ذهب مسرعا لولد الرأى، و أبى هراوة (لامورسيير) «ص ۵۰۸».

و قد ترجم المؤلف للأمير بعد استسلامه و تتبع مراحل حياته باختصار فى فرنسا، و دمشق الشام إلى أن توفى عام ۱۸۸۳ م، و أشاد به و بخصاله، و أعماله، و بعد ذلك ترجم لحياة نابوليون الثالث، الحاكم الثالث و السبعون. من ملوك فرنسا، و أشار إلى أحداث ثورة أولاد سيدى الشيخ باختصار، و إلى زيارة نابوليون الثالث للجزائر عام ۱۸۶۰ و عام ۱۸۶۵، و أورد خطابه الذى ألقاه على السكان الجزائريين.

و ختم هذا المقصد الرابع، و هذه الدولة التاسعة، باستعراض أسماء الحكام الفرنسيين الذين حكموا الجزائر إلى عهده و عددهم ۲۷ حاكما، آخرهم ترمان الذى كان ما يزال يحكم تلك السنة عام ۱۸۹۰ و أسماء الضباط الذين حكموا و هران و عمالتها و عددهم ۱۴ حاكما لغاية عام ۱۸۹۰ كذلك.

و ذكر أن مساحة عمالة و هران ۹۷۲، ۵۷۲، ۱۱ هكتارا، منها:

- ۹۷۲، ۹۷۹، ۲ ه تخضع للحكم المدنى.

- ۸۰۰، ۵۷۲، ۸ ه تخضع للحكم العسكرى.

و أن فرنسيى الجزائر ينقسمون إلى ثلاثة طوائف:

۱- الخاصة: و هم العسكريون و يتوزعون على سبعة أصناف أو طبقات:

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۹

الکبلار: و المرسلوجی: و الفسیان:(L'officier) .

و القبطان:(Le capitaine) و الکماندات:(Le commandant) و الکولونیل:

(Le colonel)

. و الجنرال(Le General) .

۲- العامة: و هم المدنیون، و عبر عنهم بطبقة العمومی، و یتوزعون إلی أربع طبقات:

المیر:(Le Maire) و الأدمنیستراتور:(L'administrateur) .

و السوبریفی:(Le sous -Prefet) و البریفی:(Le Prefet) .

۳- الشرعی: و عددهم أربعة:

الجوج:(Le Juge) و وکیل الدولة:(Procureur D'etat) .

و البریزیدان:(Le President) و البّروکیرو جینیرال:(Procureur General)) .

و قد استغرق هذا العهد التاسع أو هذه الدولة التاسعة ۲۰۸ صفحة من المخطوط، و هو ما یمثل ثلثی المخطوط کله: و یبدو أنه أراد أن یتقرب من السلطات الفرنسیة بتوسعه فی عهدهم و فترتهم، و تاریخ بلادهم فرنسا، فأقحم نفسه فی موضوع لیس من تخصصه، و لا شک أن أحدا من المتخصصین هو الذی زوده بالمعلومات التی صاغها فی مخطوطه بأسلوبه هو، أو أسلوب من کتب المخطوط کله.

- المقصد الخامس: فی ذکر مخزنها و هو عین المراد، و استغرق ۶۰ صفحة من المخطوط رغم أنه عین المراد کما ذکر المؤلف نفسه. و قد استعرض فیه المؤلف فرق المخزن و العائلات المخزنیة بکثیر من التفصیل و أورد شجرات

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰

النسب لها و لفروعها، و فرقها فی الغرب الوهرانی، و ذلک منذ عهد الأتراک حتی عهده هو أواخر القرن ۱۹. و قد تتبع أصول هذه العائلات منذ القدم بالجزیرة العربیة، و خلال هجرة عرب بنی هلال إلی هذه البلاد المغربیة، و وضح ذات الأصل العربی من غیره، و تتبع تاریخ زعمائها من العهد الترکی إلی عهده هو.

و تأثر بابن خلدون فی وضع شجرات نسب فرق و قبائل المخزن.

و قد عرف المزری المخزن بقوله: «إن المخزن هو الناصر للدولة کیفما کانت، و حیثما وجدت و تملکت و باتت، و النسبة إلیه مخزنی، و مخازنی، مفرد المخازنیة فی تحقیق المبانی و سمی بذلک لأنه یخزن بصدره ما یولمه إلی وقت الظفر و حصول الانتقام فیفعله بصاحبه و به یلزمه، و قد یطلق المخزن مجازا علی دار الحاکم نفسها فی المستبن و منه قولهم إنی ذاهب إلی دار المخزن».

ثم ذکر أن مخزن و هران علی قسمین و هما: المخزن الشرقی و المخزن الغربی، فالشرقی هو نجع المکاحلیة، و أولاد سیدی عربی، و صبیح، و أولاد العباس، و غیرهم من أهل النواحی الشرقیة من واد مینا إلی واد الشلف.

و الغربی هو نجع الدوایر، و الزمالة، و الغرابة، و البرجیة، لا غیر. فالدوایر و البرجیة إخوة یتناوبون الخدمة بینهما و یتداولونها و أصل الریاسة فی الدوایر للبحایثیة، و خلال عهد الأتراک صارت تدور بین ثلاثة فرق و مجموعات هی:

البحایثیة، و الکراطة، و البناعدیة. و صارت فی عهد إیالة الدولة (الفرنسیس) للدوایریة ذات المحایثیة. و هی نوبة بین هذه الفرق الأربعة بالترتیب، و لو أن البحایثیة هی أکثر الفرق التی تتولی ریاسة المخزن.

و أصل الریاسة فی البرجیة نوبة بین فریقین فی إیالة الترک و هما: النقایبیة و البلاغة و الزیانیون، و فی عهد الأمیر (عبد القادر) انتقلت لغیرهما، ثم عادت لهما فی عهد الفرنسیس مدة قبل أن تتمخض للنقایبیة.

و ینتمی البحایثیة إلی أولاد المسعود من سوید، و ینحدرون من عرب بنی هلال: المحال، أو المطارف، علی خلاف فی ذلک بین

المؤرخين. و كان جدهم المسعود صاحب الرياسة على سويد خلال عهد بنى مرين و بنى زيان، و توارث أبناؤه الرياسة أبا عن جد خاصة فى عهد الأتراك العثمانيين.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱

و ينقسم البحثاويون أولاد البشير البحثاوى إلى أربع طبقات:

الطبقة الأولى: أولاد إسماعيل البحثاوى، و عددهم سبعة أخوة هم: قدور الكبير، و عثمان، و قدور الصغير، و مصطفى، و عدة، و محمد، و الحاج بلحضرى. و قدور الكبير هو والد الحاج محمد المزرى والد المؤلف بن عودة المزرى.

الطبقة الثانية: أولا عدة بلبشير، و عددهم ستة أخوة ذكورهم: على و منصور، و قدور، و أعمر، و الحاج محمد، و البرادعى الكبير.

الطبقة الثالثة: أولاد يوسف بلبشير، الذى تولى قيادة الدوايرعلى عهد الأتراك، و خلف ولدين هما: عدة، و على.

الطبقة الرابعة: أولاد الموفق بلبشير البحثاوى.

أما الكراطة: فهم أولاد الشريف الكرطى، و اسمه عبد اللّه بن عبد الرزاق التلاوى القرطى من شرفاء الراشدية بمدينة الكرط إحدى مدن غريس الغربى.

أما البناعدية: فنسبة إلى جدهم بن عدة بن خدة المنحدر من ذرية الشيخ السنوسى، و أصلهم من أجواد واد الحمام، من أجواد الحشم.

و أما الدوايدية: فأصلهم من هبرة، و كان أبوهم داوود وكيلا على آغا عثمان بن إسماعيل البحثاوى بهبرة، و منهم الكولونيل بن داود.

و أما البرجية: فإن الرياسة فيهم انحصرت فى النقابية، و البلاغة.

فالنقابية: ينحدر جدهم من قبيلة خلافة، و هم أبناء عم الأمير عبد القادر يجتمعون معه فى الجد أحمد بن عبد القادر الشهير بابن خدة، و سموا بالنقابية نسبة إلى محمد أبى نقاب.

و البلاغة: نسبة إلى جدهم أعمر البلغى الزيانى.

و فيما يخص الزمالة و الغرابة: فهم فريق صغير، و أخوة متناصرون. و قد اختصت الزمالة بتولية مناصب: الآغا، و القايد، على القسمة، و العرش، و انحصرت الرياسة فى ثمانية أعراش منها و هى:

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۲

۱- المخاليف: نسبة إلى جدهم مخلوف، و أصلهم من بنى زروال.

۲- القدادرة: نسبة إلى جدهم قدور بن على بن الحبوشى، و هم أخوة للعلايمية.

۳- القرايدية: و يقال لهم المعايزية، نسبة إلى جدهم قرادة أو إلى أحمد أبى معزة بن الحبوشى والد قرادة، و هم أخوة للقدادرة و العلايمية.

۴- الوراردية: نسبة إلى جدهم وارد الذى ينحدرون منه.

۵- المخاترة: و يقال لهم الزوابيرية، نسبة لجدهم القريب المختار، و لجدهم البعيد الزبير، و يقال لهم أيضا أولاد يحيى بالزبير.

۶- الونازرة: نسبة إلى جدهم و نزار الذى جاء على ما قيل من الساقية الحمراء.

۷- اليساسفة: نسبة إلى جدهم يوسف.

۸- الشوايلية: نسبة إلى جدهم أو جدتهم شايلة، و هم من الحشم بغريس.

و أما الغرابة: فإنهم عرش ملتقط كالزمالة و الدوايرو يطلق لفظ العبيد على الدوار، و قد انقسم عرش الغرابة إلى عرشين: غربى، و شرقى، و انحصرت الرياسة فى عرش الغرابة فى ثمانية فروع هى:

۱- الوراردة: نسبة لجدهم موسى بن وارد.

۲- العلايمية: نسبة لجدهم أبى علام بلحبوش، من منطقة تافيلالت.

۳- الخدایمیة: نسبة إلی جدهم أبی خادم.

۴- الوناونیة: نسبة لجدهم و نان ابن العبد من أهل غریس.

۵- السهایلیة: نسبة لجدهم سهلیة (أو محمد بن شاعة).

۶- المحامید: نسبة لجدهم محمود بالحشم الشراقة، و أصلهم من حمیان.

۷- الرفافسة: نسبة لجدهم الرفاس من أولاد عوف.

۸- العوایلیة: و یقال لهم أولاد بن عوالی نسبة لجدهم بن عوالی، أو جدتهم عوالی، و هم من جبال عمور بشمال الصحراء.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۳

بعض الملاحظات حول محتوی المخطوط

ذلک هو ملخص شکل و محتوی مخطوط: طلوع سعد السعود فی أخبار و هران و مخزنها الأسود، لمؤلفه الآغا بن عودة المزاری، و من خلاله نخرج بالملاحظات و النتائج التالیة:

أولا: لیس هناک توازن بین مقاصده الخمسة التی هی أقسام له. فالأربعة مقاصد من ضمن الخمسة لا تحتل سوی سدس المخطوط، و بالضبط سبعة و تسعون صفحة، بینما المقصد الباقی یحتل خمسة أسداسه، و بالتفصیل:

المقصد الأول یحتل ثمانی صفحات، و الثانی عشرین، و الثالث تسعا، و الرابع أربعمائة و ستة و ثمانین صفحة (۴۸۶) و الخامس تسعة و خمسین.

و مرد ذلک یعود إلی أن المؤلف اتبع و سلک أسلوب و طریقة الأقدمین فی التألیف، فحاول أن یتحدث عن کل شیء، و أکثر من الحشو و الاستطرادات، بشکل کبیر و واسع، و أخرجه عن الموضوع الذی حدده لنفسه، و جعله یتیه فی موضوعات بعیدة عن موضوعه، خاصة فی المقصد الرابع الذی یمتد عبر فترة زمنیة طویلة علی مدی ثلاثة عشر قرنا و الذی جعله یترک تاریخ و هران جانبا، و یؤرخ لمعظم الدول الإسلامیة بالمغرب و الأندلس و البلاد العثمانیة بالمشرق، و لبلادی فرنسا و اسبانیا.

ثانیا: لیست کل المعلومات التی جاء بها المؤلف فی المخطوط صحیحه، خاصة عندما یؤرخ لبلدان أوربیة کفرنسا، و اسبانیا، و بلدان شرقیة کالدولة العثمانیة، أو عندما یتحدث عن المعلومات الجغرافیة، للقارات و بعض البلدان الأوربیة، فرغم سعة المعلومات التی سردها فی مخطوطه الضخم الذی یقع فی ۵۸۲ صفحة، إلا أنه اعتمد علی السرد، و النقول الکثیرة من مصادر متعددة و متنوعة نثریة، و شعریة، لکل ما هب و دب، و نادرا ما یدلی برأیه أو یعارض رأی غیره.

ثالثا: لغة المخطوط سهلة، و بسیطة، و لکنها کثیرة الأخطاء و الأغلاط اللغویة، و فی قواعد النحو، و الصرف، و الرسم، و البلاغة، و یطغی علیها السجع الممل غیر البلاغی، و غیر السلیم من الأخطاء فی اللغة و القواعد، و الذی لا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۴

یهدف إلا إلی الملائمة فقط بین خواتم الجمل و الفقرات، و الکلمات، و لو علی حساب قواعد اللغة، و الرسم و البلاغة. و قد استعمل هذا السجع حتی فی اسمه فی صدر الصفحة الأولی من المخطوط حیث قال: «یقول العبد الضعیف الراجی عفو ربه و غفران سائر المساوی، أبو إسماعیل ابن عودة الساری بن الحاج محمد المزری البحثاوی، آمنه اللّه بمنه و کرمه، و لطفه، آمین، آمین، آمین، آمین».

و أشرنا إلی بعضها فقط بکلمة: کذا بین قوسین. و أهملنا الباقی لکثرته.

رابعا: اعتمد المؤلف علی مصادر عدیدة تفوق الخمسین، نثریة تاریخیة، و شعریة أدبیة، بعضها عامة، و أغلبها متخصصة، و لکنه لا یشیر إلی الصفحات، أو الفصول، أو الأبواب، ما عدا فی کتاب دلیل الحیران. و أکثر نقوله من کتب أبی رأس المعسکری، و من

كتاب دليل الحيران لشيخه محمد بن يوسف الزيانى، و اعتماده على هذه المصادر تم على ستة أشكال و طرق.

- الطريقة الأولى: يذكر فيها اسم المؤلف و اسم كتابه بالكامل مثل:

عبد الرحمن بن خلدون فى كتاب العبر.

يحيى بن خلدون فى بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد.

ابن رشيق فى ميزان العقل.

البكرى فى المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا و المغرب.

ابن أبى زرع فى روض القرطاس.

لسان الدين بن الخطيب فى رقم الحلل.

ابن رشيق فى ميزان العقل.

ابن أبى دينار فى المؤنس فى أخبار إفريقيا و تونس.

التنسى فى نظم الدر العقيان فى شرف بنى زيان.

أبو الفوز السويدى فى سبائك الذهب.

أبو محمد صالح فى الأنيس المطرب بروض القرطاس.

ابن هشام فى التيجان.

اليفرينى فى نزهة الحادى.

ابن خلكان فى وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵

محمد بن يوسف الزيانى فى دليل الحيران و أنس السهران و فى أخبار مدينة و هران.

أبو إسحاق الشاطبى فى الجمان.

القسطلانى على شرح البخارى.

ابن بطوطة فى تحفة النظار فى غرائب الأمصار و عجائب الأسفار.

أحمد بن عبد الرحمن البوشيخى الشقرانى فى القول الأوسط فى بعض من حل بالمغرب الأوسط.

أبو راس المعسكرى:

أ- عجائب الأسفار.

ب- عجائب الأخبار.

ج- الخبر المعرب.

د- الشماريخ.

ه- الحلل السندسية أو نفيسة الجمان.

و- روضة السلوان.

- الطريقة الثانية: يذكر فيها اسم الكتاب فقط دون الإشارة إلى مؤلفه مثل: صحيح الحكاية المؤذنة للنصارى بالنكاية.

در الأعيان فى أخبار مدينة و هران.

بهجة الناظرين و آية المستدلين.

أنيس الغريب و المسافر.

المجسيطى.

- الطريق الثالثة: يذكر فيها اسم المؤلف مضاف إلى تاريخه هكذا:

الغازى بن قيس فى تاريخه.

اليافعى فى تاريخه.

أبو فارس فى أرجوزته.

عبد الرزاق بن أحمادوش الجزائرى فى تاريخه.

ابن سعيد المغربى فى تاريخه.

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۳۶

أبو الفداء الحموى فى مختصره.

عبد الرحمن الجامعى فى رجز الحلفاوى.

- الطريقة الرابعة: يذكر فيها اسم الكتاب مسبوقا بكلمة صاحب هكذا:

صاحب أثمد الأبصار.

صاحب القرطاس.

صاحب الجغرافية.

صاحب الخميس.

صاحب الخريدة.

- الطريقة الخامسة: يذكر فيها اسم المؤلف فقط مثل:

الرشاطى- الصفدى- القلصادى- ابن رزقون- ابن مطروح- ابن نحيل- الشيخ المشرفى- الشبراملسى.

- و هناك طريقة سادسة: لا يذكر فيها اسم المؤلف و لا كتابه و إنما يقول:

قال بعضهم، أو قال بعض مؤرخى النصارى. و هذا كله فى القسم الأول من المخطوط لغاية صفحة ۱۷۶ تقريبا. أما بعد ذلك و لغاية نهاية التأليف فإنه أهمل كل هذه الطرق و الأشكال و أصبح يستعمل فقط الكلمات التالية: قيل، يقال، قال، يحكى.

أما عندما يستشهد بالأشعار فإنه يذكر أصحابها دائما.

خامسا: و مع كل هذا فإن المخطوط يكتسى أهمية كبيرة من كذا وجه:

أ- فى المخطوط تراجم و قوائم لعدد كبير من الشخصيات العلمية و الدينية الصوفية، اشتهرت بهم وهران سواء ممن أنجبتهم، أو عاشوا و توطنوا بها، حتى أصبحوا من أهلها، من القرن الثالث الهجرى إلى زمن المؤلف فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، و مطلع القرن الرابع عشر الهجرى، و جمع هذا الحشد من تراجم العلماء و الأولياء فى مخطوط واحد قلما توجد فى غيره ما عدا فى دليل الحيران، و ذلك طبعا بالنسبة لوهران، و ليس لغيرها، و لو أن كل المعلومات نقلها عن شيخه الزيانى فى دليل الحيران كما اعترف هو بذلك.

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۳۷

ب- و فى المخطوط تفاصيل واسعة و مهمة عن مقاومة الأمير عبد القادر من أولها إلى نهايتها، أوردها المؤلف كشاهد عيان لها تدخل فى إطار المذكرات و التقاييد الشخصية له، و هذه التفاصيل تتيح لنا قراءة جديدة لجهاد الأمير، و مواقفه السياسية، و معاركه العسكرية و سلوكه مع رفاقه، و مواقف رجال المخزن منه، و منهم: المزارى نفسه و أبوه الحاج محمد المزرى، و عمه مصطفى بن إسماعيل، و الدوايرية، و الزمالة، و الحشم، و العلماء، و التجار، و اليهود. و مواقف الفرنسيين منه و من العائلات المخزنية و القاعدة الشعبية.

إن هذا القسم سيقدم أشياء جديدة للمكتبة التاريخية الجزائرية الحديثة، و يعطى تفاصيل جديدة، و تقيما جديدا لكفاح و جهاد الأمير عبد القادر. و هذا مما يعطى الأهمية لهذا المخطوط، مع الملاحظة أنه ليس من اللازم أن تكون كل المعلومات التى يقدمها لنا المزارى صحيحة خاصة و أنه فى النهاية أصبح خصما للأمير، و صديقا للفرنسيين إن لم يكن عميلا لهم.

ج- يكتسى المقصد الخامس و الأخير أهمية خاصة لأنه أرخ فيه لفرق و قبائل المخزن بالناحية الغربية من عهد الأتراك إلى زمانه و أورد تفاصيل واسعة عن أنسابها، و أصولها، و وظائفها، و سلطاتها، و نفوذها، و أدوارها سواء مع الأتراك، أو مع الأمير عبد القادر، أو مع فرنسا، و قد تأثر فيه بأسلوب ابن خلدون فى وضع شجرات الأنساب.

إن هذا المقصد، بأحداثه و تفاصيله الواسعة، يمثل درة المخطوط و يسمح بالقيام بدراسات و استنتجات هامة للحياة الاجتماعية، و السياسية و الاقتصادية، و العسكرية، و يكشف فى الوقت نفسه على مدى سعة اطلاع المؤلف، و حسن استيعابه للأحداث و التطورات السياسية و الاجتماعية لهذه البلاد خاصة بايليك الغرب الوهرانى منه، هذا كله إن صح أن المخطوط من تأليفه هو.

د- كذلك يكتسى المخطوط أهمية خاصة بالنسبة للقسم الذى أرخ فيه لبايليك الغرب و باياته منذ أن ظهر البايليك فى مطلع القرن السادس عشر إلى سقوطه عام ۱۸۳۱ م، و للأحداث التى تخللت ذلك مثل دور رجال و قبائل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸

المخزن، و سياسة البايات، و ثورة درقاوة، و ثورة التيجانى، و أجهزة البايليك، و تنظيماته الإدارية، و الاقتصادية و مواقف السكان من الحكام.

و فوق هذا كله يعتبر هذا المخطوط موسوعة بحاله لأحداث كثيرة و متنوعة: تاريخية، و جغرافية، و اجتماعية، و اقتصادية، و سياسية و عسكرية، ليس فقط بالنسبة لوهران و الجزائر، و إنما لكل بلدان المغرب، و الأندلس، و المشرق العربى الإسلامى، و أوربا، و إفريقيا و آسيا، و أمريكا، و الجزر الأوقيانية. و هذا بقطع النظر عن صحة المعلومات وجدتها، فهذا موضوع آخر متروك للباحثين و المحققين. و مرتبط كذلك بشخصية المؤلف نفسه و مستوى ثقافته، و الفترة الزمنية التى أنجزه فيها. كل هذه الأمور و الجوانب تتدخل فى ذلك.

ه- فى المخطوط مجموعة كبيرة من القطع و القصائد الشعرية الطويلة و القصيرة، الفصيحة و الملحونة. تتخله من أوله إلى آخره. أقصرها بيتان، و أطولها ۱۱۸ بيتا. و يوردها المؤلف للاستشهاد على حادث من الأحداث، أو تدعيم. رأى أو توضيح مقولة، أو تفنيدها، طبعا نقلا من غيره خاصة دليل الحيران. و كتب أبى راس.

هل مخطوط طلوع سعد السعود من تأليف المزارى؟

هذا سؤال كبير، و تساول، كان مطروحا منذ مطلع القرن الحالى و لربما كان مطروحا فى حياة بن عودة المزارى نفسه أواخر القرن التاسع عشر. و هناك خلفيات، و حيثيات كثيرة فرضت إطلاق هذا السؤال، و ذلك التساول، يمكن بعد التعرف عليها و استعراضها، التوصل إلى جواب قد يكون صحيحا مائة فى المائة.

و سنوجز هذه الخلفيات و الحيثيات فى محورين اثنين:

المحور الأول: يتمثل فى الإشاعات التى نقلها لنا مارسيل بودان عام ۱۹۲۴، و لخصها فى الأمور التالية:

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹

أولا: شاع فى أوساط المتعلمين الأهالى بمدينة و هران بأن كتاب طلوع سعد السعود فى الحقيقة، و الواقع، هو عمل سى محمد بن يوسف الزيانى الذى أرغم على التنازل عنه مقابل «وظيفة قاضى» لأسباب خارجة هنا عن الموضوع، و استقبل من طرف عائلة المزارى، و خدم الأخير كمعلم له.

ثانيا: و من رأى هؤلاء المتعلمين أن ابن عودة المزارى، رجل السيف و البارود (أى الحرب)، و ليس رجل القلم و السجادة، و لا يقدر

بواسطة الدروس التی تلقاها عن شیخه محمد بن یوسف الزیانی، أن یؤلف کتابا تاریخیا، و لیس بإمکانه ذلک.

ثالثا: إن مخطوط طلوع سعد السعود، مقتبس، و منقول غالبا من مخطوط عن تاریخ و هران بعنوان: دلیل الحیران و أنیس السهران فی أخبار مدینة و هران.

و هذا المخطوط مؤلفه معروف بالتحدید و هو محمد بن یوسف الزیانی و لکنه لم یکن قد رؤی إطلاقا. و افترض البعض أن سی محمد بن یوسف الزیانی أعطی اسما جدیدا لمؤلفه التاریخی، و ذلک مما منح الحق للمزاری، و سمح له أن یقول بأنه هو المؤلف لمخطوط: طلوع سعد السعود.

و مما ذکره مارسیل بودان فی تقییمه لمخطوط طلوع سعد السعود قوله:

«مهما یکن مؤلف طلوع سعد السعود، فمما لا شک فیه أنه تابع لعائلة آغویة من الدوایر، أو کان یعیش فی وسطها لأنه استطاع أن یقدم لنا فیه معلومات مهمة حول أحداث تخص حکومة الدای حسین، ثم إن طلوع سعد السعود یقدم معلومات مفصلة جدیدة غیر معروفة، أو یکمل، أو یصحح، معلومات کانت معروفة من قبل.

«و علی العکس فی بعض الأحیان یسکت إطلاقا عن بعض الأحداث مثل قیام الباای حسن بقتل صهره الخاص مصطفی تشورمی:Tcheurmi و أحیانا یشرح بکیفیة سیئة سکوته عن حدث کان بإمکانه أن یوضحه و یعدله، حتی فی بلاد الإسلام، حیث حوادث عائلته حصلت بکیفیة متواترة».

«و طریقة المؤلف فی التألیف واضحة، و سریعة السرد، عن طریق السجع.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۰

یتوسع أحیانا، و یفصل أحیانا، و یستعمل أحیانا ألفاظا و جملا لا معنی لها اطلاقا سوی کونها تتلاءم مع السجع» .

المحور الثانی: یتمثل فی المقارنة بین کتاب: دلیل الحیران للزیانی، و طلوع سعد السعود للمزاری فیما یخص: المخطط، و العناوین و الأقسام، و الترتیب، و المحتوی. و هذه المقارنة هی التی ستکشف لنا الحقیقة، و أکاد أجزم أنها ستقدم لنا الجواب الصحیح.

المقارنة بین دلیل الحیران و طلوع سعد السعود

فیما یلی هذه المقارنة مع العلم بأن کتاب دلیل الحیران الذی اعتمدناه فی هذه المقارنة، هی النسخة التی حققها و نشرها الشیخ المهدی البو عبدللی البطیوی، و لیس المخطوط نفسه. و هی نسخة مبتورة فی الوسط، و فی الأخیر، و لکنها مع ذلک صالحة للمقارنة کما سنری:

- قسم محمد بن یوسف الزیانی کتابه: دلیل الحیران و أنیس السهران فی أخبار مدینة و هران إلی أربعة فصول:

الأول: فی التعریف بوهران.

الثانی: فی ذکر من اختطها و أی وقت و لماذا سمیت بوهران.

الثالث: فی ذکر بعض علمائها و أولیائها و من جلب لها الماء إلی أن صارت مورد ضمآن.

الرابع: فی ذکر من ملکها من حین اختطت إلی هذا الزمان.

- و قسم بن عودة المزاری کتابه: طلوع سعد السعود فی أخبار و هران و مخزنها الأسود إلی خمسة مقاصد:

الأول: فی من بنی وهران و أی وقت بنیت فیه و وصفها بالتعریف.

.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۱

الثانی: فی ذکر بعض أولیائها بحسب الاستطاعة و التعرض بالذکر إلی من هو منهم شریف.

الثالث: فی ذکر بعض علمائها من حیث بنیت إلی الآن.

الرابع: فی ذکر دولها علی سبیل الترتیب من حیث بنیت إلی هذا الزمان، و ما أذکر من غیرهم فذلک رغبة لإتمام الفائدة.

الخامس: فی ذکر مخزنها و هو عین المراد و التعرض إلی سیرته الجمیلة التی لا یکون فیها الانتقاد.

و یتضح من هذا التقسیم أن المزاری قلد شیخه الزیانی فی عناویه و نقلها عنه حرفیا و خالفه فقط فی إطلاقه علی الفصل اسم المقصد، ثم أن المزاری أدمج الفصلین: الأول و الثانی من دلیل الحیران، فی مقصد واحد بکتابه، و عکسهما فقدم الثانی و أخر الأول. و أهمل الفقرة التی خصها الزیانی لاستعراض الأقوال السبعة التی تخص تسمیة المدینة بوهران.

و علی العکس من ذلک قام المزاری بتقسیم الفصل الثالث من دلیل الحیران إلی مقصدین اثنین فی کتابه: واحد تحدث فیه عن أولیاء و هران، و الآخر عن علمائها. و نقل ذلک حرفیا عن الزیانی، و أهمل التفاصیل التی أوردها الزیانی عن رکن الدین ابن مجرز و هرانی.

أما الفصل الرابع: فقد اتبع فیه المزاری نفس التقسیم الذی وضعه الزیانی فی دلیل الحیران، و نقله عنه حرفیا. و قد قال الزیانی: «اعلم أنّ الذین ملکوا و هران من حین اختطت إلی هذا الزمن تسع دول و أما الأدارسة، و السلیمانیون فلم أذکرهم لأنهم لم یملکوا و هران».

ثم أخذ الزیانی یستعرض الدول التسعة علی الشکل التالی:

الدولة الأولی: مغراوة عمال الأمویین أمراء الأندلس و الکلام علیهم فی خمسة مواضیع:

الأول: فی التعریف بهم و ذکر نسبهم.

الثانی: فی بطونهم.

الثالث: فی ذکر علمائهم و أولیائهم.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۲

الرابع: فی ذکر سبب إسلامهم و صیرورتهم موالی لبنی أمیة.

الخامس: فی ذکر من ملک منهم و هران.

و قد نقل المزاری نفس عنوان الزیانی، و أغفل الموضوعات الأربعة الأولی و نقل حرفیا الموضوع الخامس بحذافیره.

الدولة الثانیة: العبیدیون، و هم الشیعة و یقال لهم الرافضة و الکلام علیهم فی خمسة مواضیع:

الأول: فی ذکر أنسابهم.

الثانیة: فی ذکر أصحاب الإمامة المعدین للمهدی منهم.

الثالث: فی سبب تسمیتهم بالشیعة.

الرابع: فی سبب مصیر الملک إلیهم.

الخامس: فی ذکر ملوکهم و من ملک منهم وهران.

و قد اختصر المزاری الموضوعات الأربعة الأولی فی نصف صفحة، و نقل الموضوع الخامس بحذافیره مع بعض التصرفات الطفیفة، تحت نفس العنوان من الزیانی.

الدولة الثالثة: المرابطون، و یقال لهم لمتونة و الملثمون و صنهاجة.

و الکلام علیهم فی خمسة مواضیع:

الأول: فی نسبهم.

الثانی: فی وقت مسیرهم للمغرب.

الثالث: فی ذکر قبائلهم و بطونهم.

الرابع: فی ذکر علمائهم.

الخامس: فی ذکر فرقهم، و من ملک منهم و هران.

و قد نقل المزاری نفس العنوان، و اختصر الموضوعات الأربعة الأولی فی نصف صفحة، و نقل الخامس علی ما یبدو بحذافره أو علی الأقل ما بقی منه.

لأن نسخة دلیل الحیران مبتورة هنا ابتداء من قوله: الفرقة الثانیة من صنهاجة لمتونة و هم الملثمون. کما ضاع منها موضوع: الدولة السادسة فی أولها و هم بنو

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۳

مرین. فأما أن یکون المزاری قد انتزع هذه الأقسام من دلیل الحیران و أدخلها و أدمجها بعینها فی کتابه، و أما أن یکون قد نقلها من نسخة أخری کاملة.

و قد اختصر المزاری موضوع تسمیة المرابطین و أصل موطنهم و بلادهم فی أربع صفحات، و توسع فی الحدیث عن ملوکهم و أمرائهم علی عادته و بنفس الأسلوب و ختم حدیثه عنهم باستعراض الفرق الثلاثة التی انحدروا منها.

الدولة السابعة: الاسبانیون نسبة لاسبانیا، و الکلام علیهم فی ستة مواضیع:

الأول: فی ذکر نسبهم.

الثانی: فی بیان أرض الاسبانیین و حدودها.

الثالث: فی بیان مساحتها، و عدد سکانها الآن، و أقسام ولایاتها، و أشهر مدنها، و جبالها، و أودیتها.

الرابع: فی بیان محلها من أوروبا.

الخامس: فی بیان من ملک تلک العدوة سابقا.

و قد نقل المزاری هذه الموضوعات نقلا یکاد یکون حرفیا بنفس الترتیب مع إهمال ذلک التقسیم.

الدولة الثامنة: الترک و یقال لهم الأتراک و الکلام علیهم فی ستة مواضیع:

الأول: فی ذکر نسبهم و بطونهم و مسکنهم.

الثانی: فی سبب انتشارهم فی الأرض.

الثالث: فی سبب مجیئهم إلی الجزائر و أی وقت جاؤوا و کم مکثوا بالجزائر.

الرابع: فی ذکر ملوکهم فی الإسلام و من ملک منهم و هران.

الخامس: فی ذکر باشاتهم بالجزائر، و منهم من یجمعهم علی باشوات، و من ملک منهم و هران.

السادس: فی ذکر معنی البای و کیفیة تصرفه و عمله بالعوائد.

و قد نقل المزاری نفس عنوان الزیانی: و تحدث عن هذه الموضوعات الستة بنفس الترتیب دون الإشارة إلی ذلک التقسیم. و یکاد یکون النقل حرفیا.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۴

الدولة التاسعة: الفرنسیس، و یقال لهم الفرنج، و الکلام علیهم فی سبعة مواضیع. الأول. ا. ه. و قد توقف الزیانی عند هذا العنوان و بهذین الحرفین ألف و هاء، دلیلا علی انتهائه، و عدم اکماله للفصل الرابع کما وعد فی بدایته.

أما المزاری فبعد أن نقل هذا العنوان کما هو فی دلیل الحیران، أرخ لهذه الدولة حسب مخطط الزیانی بالتتابع و بالترتیب، دون أن یشیر إلی ذلک التقسیم کما هی عادته فی الأقسام الماضیة، و توسع فی هذه الدولة توسعا کبیرا استغرق (۲۰۸) مائتین و ثمانی صفحات و هو ما یعادل أکثر من ثلث المخطوط. و حاول أن یؤرخ لتاریخ فرنسا، و أغرق نفسه فی مواضیع لیست فی متناوله. و ذلک

رغبة منه على ما يبدو فى التقرب من الإدارة الفرنسية التى كان يعمل تحت إمرتها، و وفق أوامرها، و تعليماتها.

إن هذه المقارنة تثبت بما لا يدع مجالا للشك، بأن مخطوط: طلوع سعد السعود، إما أن يكون للزيانى نفسه و نسبه المزارى لنفسه لظرف من الظروف التى حكى منها شيئا، مارسيل بودان، أو يكون المزارى نقله حرفيا من كتاب دليل الحيران للزيانى، و تصرف فيه قليلا- بالحذف، و الاختصار، و التقديم و التأخير، و استغل مركزه كآغا ليقنع شيخه الزيانى، أو يرغمه على السكوت، و قبول الأمر الواقع، و ليس هناك تفسيرا آخر غير هذين الافتراضين.

و للشيخ المهدى البو عبدلّى البطيوى الذى حقق و نشر مخطوط دليل الحيران للزيانى، رأى آخر فيما يخص القسم الأخير الذى عنون له المؤلف، و لم يكمله. فقد قال فى المقدمة التى وضعها للكتاب: إن التأليف الذى يحمل اسم «أقوال التأسيس عما وقع و سيقع من الفرنسيس». و نسب إلى أبى راس المعسكرى، و وضع ضمن قائمة مؤلفاته، ليس له «لأن المتأمل فيه يدرك من أول و هلة أنه كتب بعد الاحتلال الفرنسى، و أبو راس كما نعلم توفى حوالى سنة ۱۲۳۷ أى قبل الاحتلال الفرنسى بسنوات».

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۵

و من رأى الشيخ المهدى البو عبدللى أن مؤلف هذا الكتاب هو الشيخ محمد بن يوسف الزيانى أو أحد سكان قرية البرج مقر أسرة المخفى.

و مما قاله: «و فى آخر الجزء الثانى عقد المؤلف عنوانا للعهد الفرنسى فقال: «الدولة التاسعة الفرنسيس و يقال لهم الفرنج و الكلام عليهم فى سبع مواضع». لكنه أنهى تأليفه عند هذا العنوان. و لا شك أنه لم يرد أن يتورط، فاختار طريقة أخرى سجل فيها الأحداث الهامة فى العهد الأول من الاحتلال و حذر مواطنيه من عواقبها و أفرغ ذلك كله فى قالب التنبؤات التى كان أفراد الشعب خصوصا المتدين يؤمن بها، إذ لم تفارق عقيدة المهدى المنتظر «الذى يملأ الدنيا عدلا» الطبقات المؤمنة فى بلاد المغرب العربى، و مؤلفنا أمكنه أن يتخلص من الورطة فينسب تأليفه الذى هو عبارة عن صفحات للمؤرخ أبى راس المعسكرى الناصرى، كما أمكنه أن يسجل هذا التأليف أى عنوانه فى آخر رحلة أبى راس التى ذكر فيها تأليفه و قد تناقل هذا التأليف معظم المثقفين، و قد بلغ خبره للسلطات فبذلت جهودا للتحصيل عليه خصوصا فى الحرب العالمية الأولى، فقد فتشوا المنازل و سجنوا كثيرا من الطلبة الذين كانوا يشكون أنهم يملكونه، كما أمكن لمؤلفه الحقيقى أن يحتفظ بسره حيث لم يعرف نسبته إليه إلا أقلية و اسم الكتاب: «أقوال التأسيس عما وقع و سيقع من الفرنسيس». و قال أيضا «و هذا التأليف تختلف كثير من نسخه و إن كانت تتفق فى جوهر الموضوع الذى هو شبه مذكرات لرجل عاش فى الفترة الأولى من عهد الاحتلال الفرنسى و اطلع على نوايا الاستعمار و أهدافه، فسجلها بعد ما أفرغها فى قالب التكهنات أو التنبؤات» ثم قال: «و هذه الرسالة هامة تحتاج إلى دراسة خاصة، فالذى نتحققه أن نسبتها للمؤرخ أبى راس مستحيلة فقد كتبت بعد الاحتلال الفرنسى بمدة طويلة و بعد إنهاء الأمير عبد القادر المقاومة، و قد ذكره صاحب الرسالة و فى نفسه منه شىء فخصه بسطور نسب فيها لأعوانه الظلم و الفوضى، و لا شك أن-

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۶

المؤلف الذى كان من سكان البرج و كان البرج مقر أسرة المخفى، حتى لا زالت تحمل اسمه الآن، الذين كانوا من أعوان الأتراك ثم انضموا إلى الفرنسيس و حاربوا الأمير، فانتقم منهم الأمير شرّ انتقام. فقد أوقد فيها النيران و سجن جل سكانها، فلربما بقى فى نفس القاضى البرجى شىء».

و قال كذلك: «و أقل ما نستفيده من هذه الرسالة أو التأليف، بقطع النظر عن مقصد مؤلفه الحقيقى، هو الاطلاع على صفحات من تاريخ الجزائر، تصور انطباعات شاهد عيان، اطلع على أحداث أوائل الاحتلال، إذ المصادر العربية المسجلة لذلك العهد قليلة. و لنرجع إلى الحديث عن النسخة الثانية من: «قول التأسيس مما وقع و سيقع من الفرنسيس» و هى و إن كانت تتفق مع الأولى فى جوهرها. يظهر أن صاحبها اختصرها و زاد فيها و تأخرت كتابتها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى و اعترف صاحبها بأنه لا يريد أن

يطلق العنان لتنبؤه إذ أمر بذلك» .

و قد ذكر الشيخ المهدى البو عبدللى بأن مؤلف دليل الحيران الشيخ محمد ابن يوسف الزيانى البرجى، ينتمى إلى أسر علمية بنواحى مدينة برج عياش المشهور الآن ببرج ولد المخفى قرب معسكر. و أن جدّه أحمد بن يوسف الزيانى كان من العلماء المستشارين عند الباى إبراهيم المليانى (۱۱۷۰ ه). و قد تولى مؤلف دليل الحيران القضاء بمدينة البرج سنة ۱۸۶۱ حسبما وجد ذلك فى وثيقة رسمية كاتبه بها الحاكم العسكرى الفرنسى للناحية، ثم انتقل عام ۱۸۸۳ إلى مدينة تليلات ليتولى نفس الوظيفة، قبل أن ينقل إلى مدينة سيق كذلك لنفس الوظيفة: قاضيا.

و كان ما يزال حيا فى مطلع القرنين: الرابع عشر الهجرى، و العشرين ميلادى. و ذكر الشيخ المهدى أنه اطلع على كثير من فتاواه و تعاليقه على بعض الكتب، و على مراسلاته لبعض علماء البلد، و منهم العالم على بن عبد الرحمن الجزائرى مفتى و هران الشهير الذى كاتبه عام ۱۳۲۰ ه (۱۹۰۲- ۱۹۰۳ م).

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۷

و قد خلف بعد وفاته ابنا فقيها تولى إمامة مسجد بناه له صهره بمدينة سيق و بقى به حتى توفى، كما خلف بنتا ذات شهرة فى مدينة و هران و ولايتها، لأنها تمردت على عادات البلاد، و صارت تخرج سافرة، و تمارس أعمال الفلاحة لأسرتها و تشارك زوجها فى أعماله و كان غنيا و يملك أراضى شاسعة. و يعمل موظفا لدى الإدارة الفرنسية كذلك، لأن أسرته من أسر المخزن فى عهد الأتراك، و أقرها الفرنسيون على ذلك فى عهدهم.

و بما أنها كانت تركب الخيل و تشارك فى ألعاب الفروسية، و تستقبل زوار زوجها و تشارك فى الحفلات التى كان يقيمها الولاة العامون بالجزائر لأعيان البلاد، فإن الناس كانوا يدعونها: «القايدة حليمة». و عند ما حجت أصبحت تدعى: «الحاجة حليمة»، و توفيت أوائل الحرب العالمية الأولى.

إن النسخة التى حققها و نشرها الشيخ المهدى البو عبدلّى لدليل الحيران، ناقصة و مبتورة فى الوسط، ينقصها جزء من الدولة الثانية و هم المرابطون، و كل الدولة الرابعة و هم الموحدون، و كل الدولة الخامسة و هم بنو زيان.

و هذا القسم المبتور موجود كله فى مخطوط: طلوع سعد السعود.

و ينقصها فى الأخير، الدولة التاسعة و يقال لهم الفرنج و الكلام عليهم فى ستة مواضيع. الأول. ا. ه.

و هذا القسم طويل جدا فى مخطوط طلوع سعد السعود. يقع فى مائتين و ثمانية من الصفحات. ألا يكون المزارى أخذ هذه الأقسام الناقصة و المبتورة من مخطوط: دليل الحيران لأستاذه الزيانى، و ضمها إلى مخطوطه بعنوانه الجديد، طلوع سعد السعود.

سؤال مطروح. و سيبقى كذلك مطروحا إلى أن يتم العثور على النسخة الكاملة لدليل الحيران، و على بعض الوثائق التى تسمح بالمقارنة و الاستنتاج، و الخروج برأى صحيح و نهائى.

بقيت بعد هذا كلمة أخيرة حول المقصد الأخير من كتاب طلوع سعد السعود الذى خصصه المزارى للتأريخ لمخزن و هران، و هذا المقصد لم يشر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۸

إليه الزيانى و هو المقصد الوحيد الذى لربما يكون من تأليف المزارى باعتباره من رجال المخزن. أو أحد أقاربه المثقفين من رجال المخزن كذلك، إذا لم يكن الزيانى نفسه، لأنه من بلد المزارى، و من العائلات العلمية المشهورة بالمنطقة، له خبرة و دارية بتاريخ العائلات المخزنية.

و هران- حى الصادقية الأربعاء ۶ شوال ۱۴۰۷ ه ۳ جوان ۱۹۸۷ م

د. يحيى بو عزيز جامعة و هران

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۹

طلوع سعد السّعود «فی أخبار و هران و الجزائر و اسبانیا و فرنسا إلی أوأخر القرن التّاسع عشر» للآغابن عودهٔ المزاری تحقیق و دراسهٔ الدّکتور یحیی بو عزیز

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۵۱

[مقدمهٔ]

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم اللهم صلّ علی الحبیب محمد و آله و صحبه و سلم و صلی اللّه علی سیدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسلیما یقول العبد الضعیف الراجی عفو ربه و غفران سائر المساوی أبو إسماعیل بن عودهٔ الساری بن الحاج محمد المزری البحثاوی. أمنه اللّه بمنه و کرمه و لطفه آمین، آمین، آمین، آمین.

الحمد للّه الذی فضل العلماء علی الجهلاء بتفضیل العلم علی الجهل، و صیرهم أمناء علی خلقه یقومون بحفظ شریعته فی کل الفرد و الحفل و جعل بالعلم تعرف الفرائض و السنن و سائر ما یکون به التکلیف و تعرف به الملل، و کذا الماضی و الآتی و سائر الدول، و الأنساب، و ما قل منها و جل لا سیما علم التاریخ الذی تکفّل بأخبار القرون و الأمم و دولها و من مضی منها أو حل أو هو آت فی المستقبل. فحقه الاعتناء به بتدوینه کی لا یضیع فیهمل، و الصلاهٔ و السلام التامان علی سیدنا و مولانا محمد أشرف المخلوقات و منبع الکون و خاتم الأنبیاء و الرسل و علی آله و أصحابه و أزواجه و ذریاته و أمته و التابعین و من تبعهم بإحسان/ (ص ۳) إلی یوم یتبین فیه المفضول من الفاضل و الشقی من السعید و الثانی من الأول، و بعد:

فإنی لما طالعت کتب التاریخ و اجتمعت عندی منه رقائع جلیلهٔ.

تاقت نفسی إلی جمع تألیف جلیل فی أخبار و هران، و مخزنها القساور

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۵۲

(کذا) الذین بهم فاقت ما عداها من المدون (کذا) فهم أهل الخصائل الجمیلهٔ.

فجمعته بحمد اللّه تعالی فی کتاب جلیل الفرائد و رتبته بإذن اللّه تعالی علی خمسهٔ مقاصد:

- المقصد الأول: فیمن بنا (کذا) و هران و أی وقت بنیت فیه، و وصفها بالتعریف.

- المقصد الثانی: فی ذکر بعض أولیائها بحسب الاستطاعهٔ و التعرض بالذکر إلی من هو منهم شریف.

- المقصد الثالث: فی ذکر بعض علمائها من حین بنیت للآن (کذا).

المقصد الرابع: فی ذکر دولها علی سبیل الترتیب من حین بنیت إلی هذا الزمان. و ما أذکره من غیرهم (کذا) فذالک (کذا) رغبهٔ فی إتمام الفائدهٔ بزیادهٔ البیان.

- المقصد الخامس: فی ذکر مخزنها و هو عین المراد. و التعرّض إلی سیرته الجمیلهٔ التی لا یکون فیها الانتقاد.

و سمّیته:

طلوع سعد السعود فی أخبار و هران و مخزنها الأسود فأقول: بحسب ما رزقت من نصیب، و ما توفیقی إلّا باللّه علیه توکلت و إلیه أنیب.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۵۳

المقصد الأول فیمن بنی وهران

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۵۵

/ اعلم أيدنى اللّه و إياك بنوره. و رزقنى و إياك خيره و وقانى و إياك من (ص ۴) شروره. أنه لا خلاف فى أن و هران بنيت فى القرن الثالث من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و أزكى التسليم. و إنما الخلاف فيمن بناها و العام الذى بنيت فيه و الخليفة الذى بنيت بأمره بالتلزيم (كذا) .

فقال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار على السينية له، بنتها مغراوة بإذن أمراء الأندلس الأمويين و أن الذى بناها من مغراوة هو خزر بن حفص ابن صولات بن و زمار بن صقلاب بن مغراو بن يصلين بن مسروق بن زاكين ابن ورسيخ بن جانا ابن زنات. و كان صقلاب فى زمان النبى صلى اللّه عليه و سلم و أن الخليفة الأموى الذى أمر ببنائها هو عبد الرحمان بن الحاكم (كذا) بن هشام بن عبد الرحمان الداخل الخليفة بالأندلس ا ه. بعضه باللفظ و بعضه بالمعنى .

فيفهم من أنها بنيت فى وسط القرن الثالث لأن عبد الرحمان بن الحاكم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۵۶

(كذا) تول سنة ست و مائتين و توفى فى ربيع الأخير سنة ثمان و ثلاثين و مائتين كما فى المختصر لأبى الفداء صاحب حماة و هذا القول لا يوافق بوجه و لا حال.

و ذكر الحافظ أبو زيد عبد الرحمن الجامعى فى شرحه لرجز الحلفاوى أنها بنتها مغراوة فى أيامهم و أطلق . و قال الحفّاظ الخمسة و هم: محمد بن يوسف (ص ۵) القيراونى و البكرى/ و ابن خلكان، و الرشاطى، و الصفدى كل فى تاريخه أن الذى بناها محمد بن أبى عون، و محمد بن عبدون، و جماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى و هران مع نفزة و بنى «مسقن» و هم بنو مسرقين من أزديجة، و كانوا أصحاب القرشى و هو الخليفة الأموى بالأندلس و ذلك سنة تسعين و مائتين.

و قال الحافظ أبو راس فى كتابيه: عجائب الأخبار، و الخبر المعرب، على

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۵۷

السينية أن الذى بناها هو خزر بن حفص المار، و أن الذى أمره ببنائها هو الخليفة الأموى بالأندلس أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم (كذا) ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل و ذلك سنة تسعين و مائتين و قيل إحدى و تسعين و قيل اثنين و تسعين ا ه و الصحيح من هذه الأقوال التى ذكرها الحافظ فى كتابيه، الأول، لكون الخليفة المذكور تولى سنة خمس و سبعين و مائتين و توفى فى ربيع الأول سنة ثلاثمائة كما فى مختصر أبى الفداء صاحب حماة. و قد بناها قبل وفاته بعشرة أعوام كما فى دليل الحيران و أنيس السهران، فى أخبار مدينة وهران و إلى من بناها و وقت بنائها أشار الحافظ أبو راس فى سينيته التى تسمى بالحلل السندسية و يقال لها إنها نفيسة الجمان بقوله:

/ بنتها مغراوة بإذن مواليهمالأمويين أمراء أندلس

(ص ۵) ثالث قرن خزر منهم قد أسسهاو ملكهم فى غاية العز و الشمس

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۵۸

و قال فى وصفها و التعريف لها الشريف الحسنى الربانى، شيخنا العلامة الحافظ السيد محمد بن يوسف الزيانى، فى تاريخه: دليل الحيران و أنيس السهران فى أخبار مدينة و هران- فى الفصل الأول منه ما نصه بطوله: اعلم أن و هران بفتح الواو، و كما لابن خلكان فى كتابه: وفيات الأعيان، و أنباء أبناء الزمان، و الحافظ أبى راس فى كتبه: عجائب الأخبار، و عجائب الأسفار، و الخبر المعرب، و روضة السلوان، لا بكسرها و غلط من كسرها. هى مدينة من مدن المغرب الأوسط بساحل البحر الرومى عظيمة، ذات مساحة و فخامة جسيمة، و بساتين و أشجار، و مياه عذبة و أطيار، و حبوب عديدة، و فواكه و خضر جديدة، و بروج مشيّدة و قصور معددة، من طبقتين فأعلا (كذا) ببناء التحكيم، و أرحية ماء و نار و ريح و طحونات (كذا) و سور فخيم (كذا)، و فنادق و حمامات، و شوارع و رياضات، و مدافع و أبراج، و منافذ، و سبل فجاج، و أتكية، و غنى لكل محتاج، (ص ۷) متبحرة فى العمران، و سارت بأخبارها لكل

ناحية الركبان، معدودة/ من أمصار المغرب التى عن نفسها تدافع و لا تدافع، و من أحسن معاقله التى تطاع و لا تنازع، مقصودة للعلماء و التجار و سائر أرباب البضائع، لها صيت بالمغرب و المشرق و سائر الآفاق، و قد ذكرها صاحب الدرر المكنونة المازونية فى نوازل الطلاق ، و جاءت لها الملوك من أقاصى الأقطار، و تزاحمت عليها لنيل الأوطار و رحل لسكانها الأخيار و الأشرار، و العبيد و الأحرار، و المسلمون و الكفار، فكانت مفتخمة (كذا) على غيرها من المدون (كذا). بمخزنها السادات الأسود، أهل العناية و الشجاعة و العطاء الممدود و الحياء، و الرياسة، و البسالة و السياسة، مقصودة للعفات (كذا) و الوجود، و العساكر و الجيوش و الحشود. مؤسسة فى أسفل جبل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۵۹

هيدور الأشم ، الذى اختط الإسبانيون بقمته بالبناء الأحكم، برج مرجاج (كذا) الشامخ العتيد، و قطب رحا حربها الشديد، الصعب المسلك البعيد المدرك، الضيق الفجاج، المشرف على المدينة و المرسى و الأبراج، الذى غص منه الجو فى الصعود، و عاد يلمس بيده الأفلاك بالقعود، ذهب فى السماء بفروعه و كلاكله، و ملأ الجو بقرونه و هياكله، و نظّم النجوم فى مفرقه و استوى كالملك فى جلسته و ترقية و مرتفقه، و ترفع بمروط (كذا) السحاب، فضرب بينه و بين الناس بحجاب، رعده/ صوت المدافع، و برقة شعلتها التى ليس لها مدافع، كأن (ص ۸) الرياح آوت (كذا) إلى جوه بإذنه، و أصغا (كذا) لها ملاقيا إلى حيز السماء بأذنيه و أطل على البحر بشماريخه و جعله يحاكى معانى تواريخه، و استدبر البر بظهره، و أناخ سائر الجبال بمنيعه و حجره، حتى صارت جبال قيزة، و بنى مخوخ، و تاسالة، تبايعه و له تنوخ، و تسمى باسم الرجل الذى كان به من غير مناكث، و هل هو الرجل الزناتى، أو الإسبنيولى، أو الحميانى؟ أقوال، أصحها الثالث و طال ما ارتفع للسماء جبل كهر، فانخفض له و بعلوه عليه أقر، تراه و أنت أسفله كأنه فى الجو قلامة، فى قنّة غمامة أو باز أو عقاب، على ظهر سحاب، و قد قال فى وصفه بعض الفصحاء فى ملحون:

سلوا عليه مرجاج ليس أهياناو امراقب البحر و أبراج تلمسان

شيخ الجبال عالى يا فطاناكل الجبال خرّت له سجدان

و لما دخلها ابن خميس أحد العلماء الكبار، و الفقهاء السادات الأخيار، فى آخر القرن الرابع، وقعت منه كل موقع بعد ما دخل الجزائر فى الخبر الشائع، و كانت الجزائر إذ ذاك قريبة عهد بالبناء و التمدين، فقال: أعجبنى بالمغرب

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۶۰

مدينتان بثغرين: و هران خزر و جزاير بلكّين . و كيف لا- تكون من ذخائر النفائش، و هى أول مدينة ملكها عبد المؤمن بن على الكومى الموحّدى سنة تسع و ثلاثين من القرن السادس و لو رءا (كذا) بناءها صاحب تاريخ مصر (ص ۹) و القاهرة،/ لعده من أعجوبات البناء التى ذكرها فى كتابه: حسن المحاضرة ،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۶۱

و لو رءاها الغزالى صاحب الرحلة، لما اعتنا (كذا) بوصف سبتة و طيلطلة ، و لو أخبر بها صاحب كتاب اللباب الواصف لضخامة بنيان البلدان لما قال: الدار داران: إيوان، و غمدان ، و لو رءا (كذا) الغزالى مسجدها الجامع الأعظم، و ما اشتمل عليه من السعة و الأساطين و اتقانه فى الهواء بالبناء الأحكم، و التراويق المرونقة، و الاحتكامات المحققة، و خاصته الدافقة بالماء، و صومعته التى علت لجو السماء، تروم منه النزول لها بالهيكلة، لما وصف الجامع الأعظم الذى بمدينة طيلطلة . و اجتمعت العجائب بالبرج الأحمر، فإنه يفوق حصون بنى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۶۲

الأحمر، و لو رءاه المطماطى سليمان بن سابق لقال لا يقدر على مثله لاحق و لا سابق و زادت له بالابتهاج و الرونقة مقلته التى صعدت للجو مشرقة. و لو رءا (كذا) يوسف بن قريون مؤرخ اليهود، برج اليهود، لما وصف قلاع أمصيا التى هى ملك بنى يهود .

و أين مرجاج المتقدم، و برج المرسى، و برج الحمارات، و الإصبايحية، و مريئة، و الحرسى (كذا) و القصبة، و المرستانات، و المدرسة، و برجا (كذا) رأس العين و المكنسة، و أبوابها التسعة المفترقة بحسب النواحى، و المدن، و القرى، و الضواحى و لو وصفت لك مصانعها على التمام، و ما تحت أراهيها (كذا) من

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۶۳

الأبنية العظام، لقلت يعجز عنه «سور ديب» المفتخير ببناء الأهرام، و لعجز بالاشتهار، واصف قصر الجمّ و البديع و الأجدار/ و سائر بنيانها المرصوص (ص ۱۰) و مياهها العذبة المتدفقة التى تعلو للسماء ثم تنبسط على الأرض و تتفرق على الرخام الملون ثم تجتمع فى سيح تحت الأرض بالبناء المحكم فتذهب معه للبحر ففيه تنصب و تغوص. و لقد عظمت مساحتها فى النفل و الفرض. حتى صارت لا تحمى فى الطول و العرض فأحاط بها سورها الجديد ببرود شتى فصارت عظيمة العدّ، و التعديد و من أين يطيق عدّ ولبة العدس، أو غيره من الدخنة و العلس. و ما خرج عن سورها من البنيان، فلا يضبطه لسان، و قول الحافظ الشيخ عبد الرحمان الجامعى فى شرحه لرجز الحلفاوى: هى مدينة صغيرة غير ظاهر كما فى شروح الحافظ أبى راس لسينيته. و ما قيل فى مدحها من الكلام ما بين النظم و السجع و النشر فإنه مما لا يضبط بعصر فمن ذلك قول بعض علماء الراشدية الأذكياء، السادات الكرام الأصفياء و هو العلامة الأجل و القدوة الأبجل، مؤلف كتاب: فتح و هران النقاد الراوى الخالى من سائر المساوى، أحد شرفاء غريس الشريف الحسنى السيد مصطفى بن عبد اللّه الدحاوى فى مدحها و مدح

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۶۴

أميرها السيد محمد بن عثمان، صاحب العدل و الرفق و الجهاد و الإنصاف و الإحسان، باى الإيالة الغربية و تلمسان فى قصيدته القافية التى من بحر (ص ۱۱) الطويل، فريدة القصائد و نفيحة الجواهر فى غاية التكميل/ ذات الصدر فى و هران و العجوز، فى الأمير الجليل، المشتملة على ثلاث و عشرين بيتا بالجملة و التفصيل:

عرانى أحبّتى سهاد مورقو من ذاليك السّهاد قلبى يخفق

ورقّ فؤادى من حلول ضبابةو عم دواخل الميزاج تعلّق

أتانى هو نجد و طيب نسميهاو صرت كسيف البال إذ أتشوّق

و رمت انضماما نحوها برياضهابها غرف و سلسبيل مدفّق

و أزهارها تفوح منها رياحينو نور يلوح منه للعين رونق

و أشجارها ترنّ فيها بلابلبمختلف الأصوات تربى التعشّق

و أفنانها ملمّة لفواكهألا كلّ غصن منها غض مورق

فما شئت من ذوق لذيذ و منظرتنعّم فيه العين ثم موفق

و أعظم شىء فى اشتياقى لكاملياوذ بأنسه المعنّى المشوق

له فى معالى المجد أرفع همةو أوفر حظ و هو بالمدح أليق

و إثبات ذهن فى العلوم بأسرهاو زان ارتفاع القدر منه تحقّق

بطلعته و هران ثمّ نعيمهاو طاب بها النّوى و بان التأنّق

انظر تمامها فى دليل الحيران و أنيس السهران .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۶۵

المقصد الثانى فى ذكر بعض أوليائها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۶۷

اعلم/ أيدنى اللّه و إياك بأنواره، و نفعنى و إياك بأسراره أن أولياءها عددهم (ص ۱۲) كثير، و حصرهم عسير و لا كنّى أذكر منهم المشاهير، كما ذكرها (كذا) شيخنا الزيانى فى الفصل الثالث من دليل الحيران و أنيس السهران فنقول: إن من أولياء و هران: الولى المشهور، المتعبد بأسماء الشكور، القطب الواضح سيدى هيدور صاحب جبل و هران المشهور ، كثير العظامة (كذا) و الجلالة، دفين بلاد أسلافه تاسّالة، و كان من أهل متم القرن الثالث و نسب له جبل و هران لتعبّده به و كان له وارث .

و منهم ذو النور الباهر، كثير الأسرار و الجواهر، و الإحسان و العوارف (كذا) و الإكمال و المعارف، صاحب البرهان الساطع، سيدى دادّ أيوب المغراوى الذى كان من أهل القرن الرابع و هو بينها و بين المرسى الكبير، بمكان على البحر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۶۸

فى محلّ فيه متعبّدون و صالحون و حمامه مقصود للتبرك فيه نفع كبير و معنى دادّ فى لغة زناتة هو الأب الكبير. و ليس هو بهذا المحل مدفون و إنما المحل محل تعبّده فيما يعرفون.

و منهم الشريف الحسنى النقاد الراوى، المقطوع بولايته على الإطلاق سيدى محمد بن عمر الهوارى ثم المغراوى فهو قطب الأولياء، و رايس الزّهاد الأتقياء، صاحب الكرامة الظاهرة، و الأحوال الباهرة كان كثير السياحة و النجابة (ص ۱۳) و النجاحة. أخذ بفاس عن العبدوسى و القبّاب،/ و ببجاية عن الشيخ أحمد ابن إدريس ، و الوغليسى، كثير الأتباع و الأصحاب و بمصر عن العراف

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۶۹

و غيره. و جاور بالحرمين الشريفين و سافر للقدس فجال بالشام لنيل خيره و مكث بدمشق بالجامع الأموى ما شاء اللّه. و كانت تأتيه الوحوش و عادية السّباع فى سياحته لقضاء أوطارها فتقضى لها بإذن اللّه، و مكث آخر عمره بوهران بلد أسلافه بالتحرير، مثابرا فيها على العلم و العمل إلى أن انتفع به الخلق الكثير. و لما قرب أجله كثر كلامه الذى يدل على سعة عفو اللّه بالتبشير. و ألف كتاب:

«السهو و التّنبيه، للفقراء أهل الفضل النبيه». و له تآليف عديدة فى طريق القوم النجابة، و كان كثيرا الثناء على أهل بجاية. و قد نص على شرفه صاحب كتاب:

جواهر الأسرار، فى معرفة آل النبى المختار و كذا الفاسى فى أثمد الأبصار، و كانت له كرامات عديدة، و خوارق عادة مديدة منها أن بعض طغاة الأعراب أخذ مال بعض أصحابه لما أراد اللّه به النكال فبعث إليه الشيخ رسوله ليرد ذلك المال، فأخذ الظالم الرسول و قيّده و مقته، فبلغ الشيخ أمره فقام من مجلسه مغاضبا و قد اسودّ وجهه من شدة الغضب و دخل خلوته. قال تلميذه التازى فسمعته جهارا، يقول مفرطح، مفرطح، يكرره مرارا، و فى الوقت قام الظالم يلعب فى عرس و الناس ينظرون إليه تفرّسا/ فإذا برجل أبيض الثياب نزعه من (ص ۱۴) فوق فرسه و ضرب به الأرض فإذا هو مفرطح دخل رأسه فى جوفه من شدة ضربه منكّسا. فأطلقت أمه رسول الشيخ و خاطبت ولدها الميت خطاب البوم: يا ولدى حذّرتك دعوة الشيخ فأبيت فلا حيلة فيك اليوم.

و منها أن امرأة أسر ولدها فأتت إليه فقال لها إيتينى بقصعة من ثريد و لحم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۷۰

فأتته بها فدفعها لسلوقية كانت عنده ترضّع أولادها فلما فرغت قال لها اذهبى لموضع كذا من عدوة النصارى و ايتينى بابن هذه المرأة فذهبت و جازت البحر فوجدته فوجدته اشترى دوارة للنصرانية التى ملكته فخطفتها من يده و صار يتبعها خوفا من النصرانية إلى أن عرضت له ساقية فقطعها و هى البحر ثم تبعها إلى أن دخلت به على أمه فى وهران و هذا قليل فى حق الأولياء.

و منها أن السلطان أبا فارس عزوز بن السلطان أبى العباس أحمد الحفصى الملك العادل الذى قال فيه ابن عرفة إنه كعمر بن عبد العزيز بحسب الزمان قد زحف من تونس بجنود عظام لتلمسان لأمر له فيه حق فرغبه ملكها أحمد العاقل بواسطة الشيخ أبى على الحسن أبركان بن مخلوف المزيلى الراشدى دفين تلمسان فبعث خديمه للشيخ الهوارى فى كفّ أبى فارس فقال الهوارى مالى و

للملوك و لمّا اشتدت الرغبة و الإلحاح دعا عليه و قد نزل آخر رمضان من سنة سبع و ثلاثين (ص ۱۵) و ثمانمائة بفج السدر حذو جبل و نسريس فمات/ فجأة ضحوة عيد الفطر فانتظره الناس لصلاة العيد حتى خشوا خروج وقتها فذهب ابنه للسرادق و الفساطيط فوجده ميتا فجعله فى محفة و انقلب إلى تونس و أخفى أمره، إلى غير ذلك من كراماته. و هو القائل لتلميذه لا تخف من النار فإن صاحبى أدخله فى بطنى كى لا تراه النار. و لما سمع هذا القول بعده سيدى أحمد بن يوسف

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۷۱

ابن عبّاد بن مصباح الوامودى الراشدى قال إن البطن تلقى ما دخلها و تطرحه و أنا أدخل صاحبى فى قلبى كى لا تمسّه النار. ا ه. فانظر ما بينهما من البون فى المعنى. و توفى رحمه اللّه فى صبيحة يوم السبت ثانى عشر ربيع الثانى سنة ثلاث و أربعين و ثمانمائة فى وقت الملك أحمد العاقل بن أبى حمّ موسى ابن يوسف الزيانى و وقت القائم عليه و هو أخوه أبو يحيى زكرياء بن أبى حمّ موسى بن يوسف الزيانى و هذا القائم هو الذى اتخذ و هران دار ملكه و سكناه.

و قول الحافظ أبى راس فى عجائب الأسفار: أحمد العاقل الذى جعل و هران دار ملكه سبق قلم، و لما مات الشيخ الهوارى دفن بوهران و ضريحه بها مشهور مقصود للتبرك و يؤيده قول العلامة أبى عبد اللّه محمد بن عبد المؤمن قاضى المالكية بالجزائر يحرّض أمير وقته حسن باشا رحمه اللّه على غزو و هران فى قصيدته الهائية/.

نادتك و هران فلبّ نداهاو انزل بها لا تقصدن سواها

و احلل بتلك الأباطح و الرّبىو استصرخنّ دفينها- الأوّاها

إلخ. و أراد به الشيخ الهوارى نفعنا اللّه به، و لا تلتفت لمن يقول أنه مدفون بسيدى المسعود بتارقة، و بسيدى سعيد بشافع، فإن ذلك من خرافات العامة

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۷۳

و لم يدخل النصارى الإسبانيّون لوهران فى حياته و إنما دخلوها بعد وفاته باثنين و سبعين عاما لأن دخولهم إياها كان سنة أربعة أو خمسة عشر من القرن العاشر و سبب دخولهم لها و تملكهم بها دعاء الشيخ الهوارى عليها و على أهلها و ذلك أن أهل و هران بغوا على ولده سيدى أحمد الهايج و قتلوه ظلما و عدوانا بالمحل المسمى به للآن (كذا) و هو الهايج و واديه يقال له واد الهايج و ادّعوا أنه هايج عليهم بغير حق و سمع بذلك الشيخ و سكت فحرّضته زوجته أم الولد على أخذ ثأر ولده بالانتقام من أهل و هران فلم يلتفت لها فذهبت إلى دجاجة كانت عندها ذات فلاـ ليس صغار و أخذت فلّوسا منهم و الشيخ ينظر فجاءت الدجاجة و صارت تضاربها على ولدها لتخلّصه منها و لها صياح فقالت له يا هوارى انظر لهذه الدجاجة كيف أخذتها الغيرة على ولدها و كيف بك لم تأخذك الغيرة على ولدك القتيل ظلما و عدوانا فعند ذلك غضب الشيخ/ و قال لأهل و هران لأى شىء قتلتم (ص ۱۷) ولدى فإنه قرت (كذا) عينى و ثمرة فؤادى و بضعة منى فقالوا له لأنه ارتكب ذنبا و ثبت عليه و قتلته الشريعة فقال لهم من حكم بقتله من ساداتها العلماء فقالوا له لا نحتاجوا (كذا) فى ذالك إلى حكم و إنما رأينا الشريعة قتلته فقتلناه فقال لهم أنتم قلتم بزعمكم أنّ الشريعة قتلت ولدى الهوارى و أن الهوارى لا يجوز ولده لعدم تحقيق دعواكم و إن كان قولكم بزعمكم فى الظاهر مقبول. ففى باطن الأمر الذى لا اطّلاع لكم عليه ولدى ناج و كلامه محمول. فأسلمها رحمه اللّه للنصارى لأنه سلطان مصرها، و متولى أمرها، و كان من الذين لو أقسموا على اللّه لأبر قسمهم. و نص دعائه «روحى يا وهران الفاسقة، يا كثيرة الجور و البغى و الطارقة، يا ذات الأهل الباغية السارقة إنى بعتك بالبيعة الموافقة، لنصارى مالقة و الجالقة، إلى يوم البعث و التالقة، مهمى (كذا) ترجعى فأنت الطالقة». فلما

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۷۴

قال الشيخ ذلك قال له بعض تلامذته الحاضرين لدعوته: و أظنه الشيخ إبراهيم التازى «يا سيدى و الفرج لاحقة»، فقال الشيخ «و الفرج لا حقة». و حضر لدعوته على و هران الشيخ سيدى أبى الحسن على الأصفر التلمسانى و أنذر تلميذه الشيخ إبراهيم التازى أهل و

هران بقصيدة تائية (كذا) مع ما انضم لتلك الدعوة من (ص ۱۸) دعوة الشيخ/ أبى العباس سيدى أحمد بن يوسف الراشدى أحد الأولياء الكبار، و الأتقياء الأخيار الأبرار، الهوارى وطنا الوامودى أصلا نفعنا اللّه بالجميع، آمين فإنه فى وقته ذهب مرة لوهران فعظمه أهلها أشدّ التعظيم فكتب قائدها للأمير أبى عبد اللّه الزيانى، «آه رجل بأرض هوارة يخشى منه الملك فكتب الأمير، إلى القائد ابعثه إلىّ أو اقتله لما أتى الشيخ أهله برأس الماء، بعث العامل لأمير هوارة أحمد بن غانم فى الشيخ فأطلع الشيخ على ذلك و ارتحل من وطنه و قال شوّشونا شوّشهم اللّه من البحر و البر فلم يك إلا قليل حتى شوّش اللّه بنى زيان من البحر بالكفرة فأخذوا و هران و من البر الأتراك فأخذوا تلمسان فذهب الشيخ قاصدا بنى غدو فاعترضه محاربون من سويد فقبض على ثلاثة أحجار من الصمّ و حكّهم فى يده فصاروا رمادا و قال لهم إن تعرضتم لنا يسحقكم اللّه مثل هذه الأحجار فأتوه تائبين مذعنين. و ذكر الشيخ صالح القلعى أنّ له حينئذ ابنت (كذا) اسمها عائشة. و توفى رحمه اللّه سنة، إحدى و ثلاثين على ما للحافظين: طلوع سعد السعود ؛ ج ۱ ؛ ص ۷۴

ى راس و الصباغ، و أربعة و عشرين على ما للحافظ الغول فى وافيته، اللّاميّة، من القرن العاشر و قبره بمليانة من أعظم المزارات، و له كرامات لا تحصى:

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۷۵

منها أن شابا قال له أطعمنى مشماشا و ذلك فى زمان الشتاء و بإزائه شجرة فهزّها الشيخ فتساقط منها المشماش، فتاب الشابّ و حسن حاله/ و منها قضيته مع (ص ۱۹) المحاربين المتقدمين (كذا) الذكر، و منها أن أمير تلمسان أبا حمّ سجن الشيخ بتلمسان و فعل له دجاجة ميتة على الطعام و أخرى مذكاة فقال هذه حلال و هذه حرام، و بعث الأمير الذباح فدخل البيت الذى فيه الشيخ فلم يجد أحدا قال الشيخ و أنا أنظر إليه فرجع و قال لم أجد أحدا فرده ثانيا و ثالثا و لم يجد أحدا ثم أتى الأمير بنفسه فلم ير شيئا و أخذ اللّه بأبصارهم، و لما رجع الأمير لقصره بعث للشيخ بالتسريح. فقال الشيخ للرسول لا أخرج حتى نخرجا (كذا) جميعا. ثم بعد أيام قدم المسعودى حاركا على أخيه فهرب أبو حمّ لوهران و ولى المسعودى فحينئذ خرج الشيخ بلا إذن لتوكّله على مولاه. و منها أن خديمه على بن أحمد الكثيرى كان أبوه خديم الشيخ عبد الرحمن الغلامى و تفاخرا فأرى الأب لابنه الكعبة تلعب بأستارها فذهب الولد للشيخ و أخبره فقال له اذهب قد أعطاك اللّه الدنيا و الآخرة فكثر ماله. و منها أن بعض أصحابه قالوا عن الشيخ الثعالبى أنه قال من رءا (كذا) من رآنى لا تأكله النار إلى ثلاثة فقال الشيخ و أنا إلى عشرة.

و منها أنه أخبر بإمارة الأمير محمد على تلمسان قبل أن يكون فكان كما قال.

و منها أن الشيخ على الندرومى كان (كذا) له منزلة فى الولاية و تأتيه الناس فاعترض على الشيخ فسلب. قال الشيخ يحيى بن على المغراوى القاطن بمسراتة شاهدت الرجل تضحك منه العامّة. و منها/ ما حدّث به محمد (ص ۲۰) ابن الهوارى المسراتى أن الشيخ كان بكرشتل قبل أخذ النصارى و هران فإذا

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۷۶

بعروج التركى رسى سفينته بالقرب منه و كان مع عرّوج رجل مراكشى شجاع فقال لعروج سر بنا نتبرك بهذا الشيخ فقال عروج إن خرج على ما فى ضميرى فذهبا و سلما على الشيخ فقال لعروج أنت عزمت على الغدر بأصحابك فقبّل رجل الشيخ فقال المراكشى قل لعروج يطلقنى فسرحه و دعا له و قال إن أصابك هول فى البحر فقل يا أحمد بن يوسف فأغيثك ، و منها أن شيخه زروق قال له لك ثلاثة أرباع الدنيا و شاركت الناس فى الرابع إلى غير ذلك من كراماته و هو شريف حسنى نص عليه صاحب كتاب الاعتبار، و صاحب كتاب أثمد الأبصار .

و منهم الشريف الحسنى الذى علمه بمنزلة الرّازى، تلميذ الهوارى أبو إسحاق الشيخ إبراهيم بن على بن مالك التازى. نصّ على شرفه بالإجهار صاحب جواهر الأسرار، و صاحب أثمد الأبصار، و صاحب كتاب: الاعتبار. و له و لشيخه نسل مبارك. كان رضى اللّه عنه ريحان الدين و الأدب، و إكسير اللجين و الذهب فقيها بارعا علّامة، جامعا، مع حسب و فضل، و سخاء و عدل، و نزاهة و أمانة و عفة

و دیانهٔ، فهو نبیل جلیل، ذو معارف و تحصیل، محدّث لغوی، بیانی، أصولی، نحوی، صوفی، سنی، بدیعی معانی، خاشی خاشع حجهٔ لا یدافع، إمام العبّاد، و ملحق العوام، بالأفراد، و الأحفاد بالأجداد من أکابر الفقهاء (ص ۲۱) و المحدثین، و جهابذهٔ العلماء الراسخین الوارثین الموروثین،/ و کان جامعا بین العلم و العمل، و الزهد و الورع، و الفضل و الکمل (کذا). ذا تصانیف صحیحهٔ، و قصائد ظریفهٔ ملیحهٔ، و خطب بدیعهٔ. و منح صنیعهٔ، عارفا بالأولیاء و أخبارهم،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۷۷

و أیام العرب و أشعارهم، و الأدب و الأدباء و نوادرهم، و البلغاء و مواردهم و مصادرهم، صاحب اللسان، حافظا للحدیث و فصوله، بصیرا فی الفقه و أصوله، له خط رایق، و حفظ فایق، لا یعادله فی فهمه و حفظه سابق و لا لاحق معروفا بجودهٔ النظر و ثقوب (کذا) الفهم فی جمیع الحقائق، لا- نظیر له فی التمکّن و المعارف و بلوغ الدرجات العلیا، و الهمهٔ التی نیطت هامتها بالثّریّا لا یقوم بمعرفهٔ کلامه فی التصرّف و معانی العرفان إلّا من تمکّنت معرفته، و ذاق من طعم الحبّ ما توفرت به مادته. و کان له تصرف فی الولایهٔ و کرامات، و أمور باطنیهٔ و خوارق عادات. فله کرامهٔ عجیبهٔ، و أحوال غریبهٔ، و کلام موشح بالحکمهٔ فی غایهٔ الاقتباس، و قصائد جلیلهٔ مشهورهٔ عند الناس. و کان شدیدا علی الملحدین، لین الجانب علی المتقین و المرشدین. و صار یضرب به المثل، حتی إذا بالغ أحد فی وصف غیره قال کأنه التازی الأکمل. و إذا امتلأ غیظا، قال لو کنت فی منزلهٔ إبراهیم التازی ما صبرت لهذا و لو لحظا. فهو ممّن أظهره اللّه/ لهدایهٔ الخلق، (ص ۲۲) و ألحقه برود المحبّهٔ و المهابهٔ عند الخاصّهٔ و العامّهٔ بالأسبق.

و کان أحسن الناس صوتا و تجویدا، حتی إنه إذا قرأ البخاری أیّام مجاورته لمکهٔ انحاش (کذا) الناس إلیه و یسئلون (کذا) منه مزیدا. و انتشر صیته إلی مشارق الأرض و مغاربها، و مباعدها و مقاربها، حتی حدث عنه من یوثق به أنه وجد بمکهٔ المشرفهٔ تألیفا مشتملا علی قصائد تتعلق بطریق القوم من تألیف الشیخ المذکور، و مع ذلک أن بائعه عراقی مشهور و کان الوازعی یقول للطلبهٔ

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۷۸

هذا عالمکم و صالحکم فهو ذو العزّ الشامخ، لبس الخرقهٔ، عن المزاغی، و الشیخ صالح الزواوی بسنده إلی أبی مدین شعیب شیخ المشایخ. و أخذ بمکهٔ عن تقی الدین الفاسی الحدوسی، و بالمدینهٔ عن أبی بکر القرشی، و بتونس عن الحافظ العبدوسی، و بلتمسان عن ابن مرزوق الحفید الساری، و بوهران عن الشیخ محمد الهواری، فتلمّذه و لازمه فنال برکاته و مقامه و قاومه، إلی أن کان فی غالب أمره فی طریقه یذهب، و علی قالبه فی جمیع أحواله یضرب .

قال الحافظ أبو راس فی عجائب الأسفار: لما حکی ما للتازی من المآثر الکبار، و أنی رأیت فی تألیف منسوب له أنه بعث من وهران إلی أهله بالمغرب مکتوبا بلفظ موجز موضوح (کذا) یقول فیه فقد ظهر فضل الشیخ علیّ و الحمد للّه أنّی أدرّس فی مختصر الشیخ خلیل و لا أحتاج لنظر شروح.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۷۹

قال القلصادی لقیت إبراهیم التازی خلیفهٔ الهواری بوهران، و له اعتناء/ (ص ۲۳) بکلام شیخه فی السرّ و الإعلان. ا ه. و قد أخذ عنه جماعهٔ ففازوا بنیل خیرهم منهم التونسی، و الحافظ التّنسی و التالوتی و زروق ...

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸۰

و السنوسی إلی غیر ذلک من غیرهم. و لما مات شیخه الهواری رضی اللّه عنهما قام بوهران مقامه، و تقلّد حسامه، و نصب رایهٔ العلوم و شیّد بنیانها، و رفع قواعدها و دعّم أرکانها، فابتهج به المحل و الأوان، و حاز رئاسهٔ الفضل بثغر و هران، فهو المطاع و لیس بذی سلطان، و النافذ الکلمهٔ من غیر أعوان.

و هو الذی جلب الماء العظیم لوهران. قد جمعه لها من محاله بغایهٔ الصیانهٔ، فاخترعه بتدبیر عجیب و ابتدعه بتوفیق من اللّه و الإعانهٔ. و قد کان أهل و هران قبل ذلک فی غایهٔ الإهمال، بحیث تذهب المرأهٔ بکرهٔ لسقی الماء، فلا تروج لبیتها إلّا بعد الزوال لکون الماء

بيض قليلا- قليلا- و عليه نوبة و زحام. و يقال إنه لما وصله للموضع المعروف برأس العين من و هران طلسم عليه فلا يعرف من أين مجيئه (كذا) باحتكام، و بديع تدبيره لمائه، يدل على عظيم فراسته و دهائه. و كان يقترض الدراهم الكثيرة من التجار بتحقيق المسالك. و يصرفها فى إصلاح هذا الماء فلا يدرى من أين يوفى ذلك. و لما أتمّ بنيانه، و صوّب ميزانه، و أرصد مكانه، و أفخم عرفانه، أخرج الأطمعة المختلفة الألوان، فشبع كل من

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸۱

كان بثغر و هران، و كان ذلك/ اليوم مشهودا و من المواسم و الأعياد معدودا فقيل له (ص ۲۴) من أين أخرجت هذا الطعام و ما صرفت على الماء و أنت فقير بالعيان، فلست من الملوك و لا من الأغنياء الأعيان، فقال مساعدة الزمان و مساعفة الإخوان، فعل بهما كلّ ما كان. و كان جمعه له قبل موته بأمد فى الشايع. لأنه توفى رحمه اللّه فى تاسع شعبان سنة ست و ستين من القرن التاسع أيام السلطان مولانا أبى عبد اللّه المتوكل الزيانى رحمه اللّه و أسكنه دار التهانى، و دفن بالقصبة الخلانصة، كما دفن شيخه الهوارى بالبلانصة، و بقى بضريحه خمسين عاما، و لما ملكها الإسبانيون فى المرة الأولى سكن بعضهم عند قبره فرءا (كذا) ما يكرهه التزاما. فأخبره بطريقهم بتلك القضية. و قد وافق قدوم أهل القلعة عليه بالضربية، فأمرهم بأخذه فأخذوه بفرح و سرور، و دفنوه بمدينتهم فضريحه بها مزار مشهور، و عليه قبّة عجيبة، و له مناقب كثيرة غريبة، و لا زال على محل ضريحه بوهران تحويط من الحجر مقصود للتبرك به عند الخميل، و الأشهر، و فيه و فى شيخه الهوارى قال الحافظ أبو راس فى سينيته:

فى رقتهم كان قطبها و عالمهامحمد ذى المقدار العادم الحجس

خلفه من بعد موته تلميذهإبراهيم الذى كان يسموعن برجيس

و أتت لها لمّا حجّ أهل مشرقنابل أقصاذاك كأهل طوس مع قومس

جلب ماء إليها فيه منفعةلذلك الثغر بأبدع مقتبس

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸۲

(ص ۲۵)/ و منهم العلامة الشريف الذى أغنى عن التعريف به ما له من شهرة و خمرة، سيدى بختى بن عياد دفين بلاد غمرة قد جمع اللّه له بين العمل و العلم، و جودة النظر و ثقوبة بالفهم (كذا)، و النجابة و ذكاء القريحة، و الديانة و كثرة النصيحة، فانتفع به خلق كثير، فهو من الأولياء المشاهير، و كان رضى اللّه عنه من أهل القرن التاسع فهو القطب الربانى، فى زمان الملك أحمد العاقل ابن الملك أبى حمّ موسى بن يوسف الزيانى. فاجتمع بالشيخ محمد الهوارى و تلمّذه و أخذ عنه. فانتفع بعلوم دينية و لدنية منه. و نال بركاته فى القول الحفى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸۳

فكان من المفتوح لهم فى كل شىء. و كانت له صحبة جسيمة، و محبّة عظيمة، مع الولى الزاهد، القطب الغوث الماجد، شيخ الزّهّاد، و قدوة العباد، كثير المعانى، و صاحب أسرار الأسماء و الحروف، أبى على الحسن أبركان ابن مخلوف المزيلى الراشدى دفين تلمسان و أحد ساداتها الأعيان لأخذهما معا عن من اشتهر عن وصف الواصف، الشيخ محمد بن أعمر الهوارى، العلوم و أسرار المعارف فتلمّذه له و خدمه بالنية و التصديق، إلى أن نال منه سرا عظيما بالتحقيق. و كان سيدى بختى من الشرفاء الحسنيين أولاد أبى عنان الأخيار. نصّ على ذلك صاحب جواهر الأسرار.

و منهم القطب الكامل، العامل الواصل، العالم الفاضل، قامع أهل الضلالة و اللصوص/ أبو عبد اللّه سيدى محمد بن يبقى دفين جبل أبى عروص. (ص ۲۶) كان رحمه اللّه من أهل القرن التاسع و له جلالة و عظامة و سر نافع. و على

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸۴

ضريحه مشهد عظيم مزار، مقصود للتبرك به و قضاء المأرب (كذا) فى الليل (كذا) و النهار.

و منهم العلامة الأكبر، و الكبريت الأحمر، من جمع اللّه له بين العلم و العمل، و نار وقته و سعد به المكان و المحل، الشريف الحسنى الذى سرّه و علمه كالماء الجارى، يجرى، الشيخ غانم بن يوسف الملقب التركى الغمرى، دفين جبل ماخوخ من بلاد أولاد على أحد بطون بنى عامر، فظهر فضله و كثر سرّه فهو للكسير جابر. و كان من أهل القرن التاسع و مات بالعاشر و اجتمع بالشيخ أبى العباس أحمد بن يوسف الراشدى المليانى ذى السرّ الناشر، نصّ على شرفه أبو عبد اللّه محمد الفاسى فى كتابه- أثمد الأبصار- فهو من السادات الأولياء العلماء الأبرار. و كان معاصرا للذى له فى العلم و الشرف و الولاية قدم رسوخ (كذا) سيدى معاش بن أحمد الكثيرى، دفين ثنية ماخوخ و اصل مسكن

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸۵

سيدى غانم ببنى وراغ فسمع به الأحلاف فرقة منهم بأنه عنده شاة من الضان مسمّنة منذ ثلاث سنين، فقدموا إليه لطغيانهم و أمروه بذبحها لهم فسالهم غيرها فأبوا لما أراد اللّه بهم الانتقام المكين. فذبحها لهم و احتسب و بش فى وجوههم و انطرب، و لما فرغوا من الأكل و أرادوا الانصراف، أنشأ يقول: حاف حاف طاح الكاف على الأحلاف، فلا ينجى منهم إلّا الأعمى و الزحاف، فذهبوا نحو كاف الوادى و ناموا فى ظلّه/ من شدة الحرّ فسقط عليهم ذلك الكاف و ماتوا و لم ينج (ص ۲۷) منهم إلّا من كان أعمى أو زحافا كما قال.

ثم ارتحل و جاء عند أبيه بمستغانيم فسكن بغربها بحشم داروغ إلى أن توفى أبوه سيدى يوسف الشريف فدفنه بالمطمر من مدينة مستغانيم . و فى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸۶

التوسل بوالده، و سيدى عبد اللّه بن خطاب يقول الشيخ محمد بن حواء القدّارى ثم التجينى فى غوثيته التى من بحر الرجز:

و بدفين المطمر الأواهالإمام الأعظم عبد اللّه

و بالإمام الختما للشرفرفيقة بعد الممات يوسف

ثم انتقل و سكن و هران أمدا، ثم انتقل لغمرة غربى و هران و سكن بها إلى أن نسب لها. ثم انتقل منها و سكن بجبل ماخوخ إلى أن توفى به و دفن هناك و على ضريحه قبّة و مشهد عظيم مقصود للتبرك به و له نسل كثير أكثرهم بلهاء .

و منهم العلامة الكبير الدرّاكة الشهير، الفهامة الأثير، كثير المعارف و الأنوار، و الخوارق و الأسرار، أبو العباس سيدى أحمد بن أبى جمعة المغراوى النجار، مؤلف كتاب: «جواهر الاختصار و البيان، فيما يعرض بين المعلمين و آباء الصبيان». كانت له اليد الطولا (كذا) فى كل شىء، كثير التقارير. و كان من أولياء اللّه الأكابير (كذا). اجتمع بالشيخ غانم بن يوسف الغمرى و أخذ عنه فوائد جمّة، و مسائل مهمة. و توفى بالعشرة الثالثة من العاشر رحمه اللّه و نفعنا به و أمثاله. آمين .

(ص ۲۸) و منهم الولى الأشهر، و الكبريت الأحمر، المنتشر الصيت/ المراصد فى العبادة للأوقات، أبو عبد اللّه سيدى محمد بن الخير الجماعى دفين وادى تليلات

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸۷

و أصله من أولاد جماعة فرقة من العرب من بنى زروال، و كان من أهل القرن الثانى عشر فى صحيح الأقوال و يقال إنّ الدعاء عند قبره مستجاب كأبى مدين أحد الإمامين و الأقطاب. و له كرامات جليلة، و خوارق عادات جميلة خرج رحمه اللّه من وهران لما دخلها العدو فى المرّة الأولى و سكن برأس التافراوى ثم انتقل بزاويته إلى المحل الذى به ضريحه و سكنه إلى أن مات. و على ضريحه قبة و له مشهد للزيارة. و يقال إن له نسل و كانت زاويته فى أمن من العدو و سائر الآفات.

و منهم الشيخ النجيب، الآخذ من العلم و السرّ بأوفر النصيب الطائع للإله (كذا) الرقيب المجيب، أبو عبد اللّه سيدى محمد أغريب كان من أهل العطا و النفع الوافر. و هو من الأقدمين فى المتواتر. و ضريحه بصفح (كذا) جبل هيدور، غربى و هران خارج سورها مشهور

ولدی ضریحه مقبرة جلیلة، منتمیة إلیه فضیلة .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸۸

و منهم سیدی البشیر بن یحیی من ذریة الشریف الحسنی القطب الأکمل (ص ۲۹) مقر الجان علی الإطلاق. سیدی محمد بن یحیی المغراوی دفین وادی فروحة بالاتفاق، الذی نصّ علی شرفه أبو زید عبد الرحمان فی عقد الجمان النفیس، و شارحه الشیخ الجوزی المزیلی، و الحافظ أبو راس فی عجائب الأسفار. و کذا صاحب جواهر الأسرار، و أثمد الأبصار، و غیرهم من ذوی الأسرار. و کان سیدی البشیر و قبره مشهور و مقصود للزیارة. و علیه قبّة و عنده مقبرة منتمیة إلیه بالاشتهارة .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۸۹

و منهم العلامة سیدی بدر الدین و ضریحه بوهران مشهور. و کان من العلماء الأکابر فهو من أهل الثالث عشر و له مسجد بها فی المساجد مذکور .

و منهم سیدی السنوسی مقامه خارج سور و هران بطریق تلمسان .

و سیدی إبراهیم الخرّوطی الوهیبی مقامه خارج سور وهران بطریق کدیة الخیار یعان (کذا) .

و سیدی محمد بن أبی یعزی من ذریة سیدی أبی یعزی الغربی الهسکوری مقامه بمقبرة سیدی البشیر المارّ المبروری .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۹۰

و هؤلاء الثلاثة کلهم من أهل القرن الثالث عشر .

و الشریف سیدی قادة بن المختار مقامه بالمدینة الجدیدة و هو فی القرن الحادی عشر مشتهر غیر انّی فی حیرة من هذا المقام بالتعیین، لأنه إن کان المنسوب له جلس به فإن و هران بذلک الوقت مسکونة بالاسبانیین. ثم زالت حیرتی بکونه قدم مجاهدا و جلس به لیلا فجعل له المقام. و الحمد للّه علی زوال هذه الحیرة باتضاح المرام.

و منهم العلامة الکبیر، و القدوة الشهیر الجامع بین العلم و العمل الشیخ الربانی، أبو محمد عبد اللّه بن الطیب بن حواء القدّاری التجانی، شیخ الطریقة الدرقاویة کثیرة النوالی، بعد شیخه مولای العربی بن أحمد الدرقاوی البوبریحی الزروالی.

و السید فرقان الفیلیتی بالبیان.

(ص ۳۰) و هما/ الذان (کذا) أمر الباای حسن بقطع رأسیهما فقطعا فی شعبان سنة تسع و ثلاثین من القرن الثالث عشر بالتحیری و دفنا بضریح واحد بلحدین أحدهما قبلة و الآخر بحرا بمقبرة سیدی البشیر. و یحکی أن السبب فی قتلهما قاضی الحملة السید محمود ابن حواء التجینی و شی بهما عند الباقی لینال سعده، بأنهما یریدا (کذا) القیام علیه کما قام ابن الشریف علی من قبله من بایات الأتراک و هو الباای مصطفی بن عبد اللّه العجمی فمن بعده. ثم نقلا معا من و هران

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۹۱

فی عام أربعة و ثمانین من الثالث عشر و دفنا بضواحی البطحا فی المشتهر .

و منهم الضریر السید أحمد الفلالی المختاری کان یقرأ القرآن بالسبع و لقراءته قد حرر. توفی سنة خمس أو ست و ستین من القرن الثالث عشر و دفن بقبة مقام سیدی عبد القادر الجیلالی بقرب مقبرة سیدی الغریب خارج سور و هران. و قبره مقصود للتبرک به نفعنا اللّه بالجمیع فی السرّ و الإعلان .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۹۳

المقصد الثالث فی ذکر بعض علمائها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۹۵

اعلم أیدنی اللّه و إیاک بنوره. و نفعنی و إیاک بسره و وقانا من ضروره، أن علماءها عددهم کثیر. و حصرهم شدید عسیر. و لکنی أذکر منهم إن شاء تعالی المشاهیر، کما ذکرهم شیخنا الحافظ المحقق سیدی و مولای، و سمط محیای، العالم الربّانی، الشریف الحسنی أبو عبد اللّه محمد بن یوسف الزیانی/ فی (ص ۳۱) الفصل الثالث من کتاب- دلیل الحیران فنقول:

إن من علماء وهران عالمها و محدثها أبو إسحاق إبراهیم الوهرانی أحد شیوخ ابن عبد اللّه النمری الأندلوسی (کذا) کان من أهل القرن الرابع .

و منهم أبو تمیم الواعظ نفعنا اللّه به .

و منهم أبو عبد اللّه محمد الوهرانی الملقب برکن الدین صاحب الرسالة المشهورة علی لسان بغلته للأمیر بمصر عز الدّین موسک المذکورة فی دلیل الحیران و عقد الأجیاد و غیرهما، دخل مصر فی حدود السبعین من القرن السادس و اشتهر بالعلم و الأدب، و حسن الفهم و النجب و حصل بها من العلوم لبابها. و کشف الحقائق حجابها.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۹۶

و منهم أبو زید عبد الرحمان مقلاش و هو الذی أصلح فی سهو الشیخ محمد الهواری أشیاء وزنا و إعرابا و أتی به إلی الشیخ و قال له یا سیدی إنی أصلحت سهوک فلم یقبل منه و قال له هذا السهو یقال له سهو مقلاش و أما سهوی فهو سهو الفقراء یبقی علی ما هو علیه إنما ینظر فیه إلی المعنی و من أین لمحمد الهواری بالعربیة و الوزن. و أنشد سبویه فی هذا المعنی أبیاتا فقال:

لسانی فصیح معرب فی کلامهفیا لیته من وقفة العرض یسلم

أراه فصیحا فی الحیاة و إنّماأخاف علیه فی القیام یلجّم

و ما ینفع الإعراب إن لم تکن تقیو ما ضرّ ذا تقوی لسان معجّم

و کان من أهل القرن التاسع .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۹۷

و منهم المشایخ الستة المتقدمون/ الذکر و هم: سیدی محمد الهواری، (ص ۳۲) و تلمیذاه سیدی إبراهیم التازی، و سیدی بختی البوعنانی، و سیدی محمد بن یبقی، و هؤلاء الأربعة کانوا فی عصر واحد من أهل القرن التاسع. و سیدی غانم الغمری و تلمیذه سیدی أحمد بن أبی جمعة المغراوی، و کانا ممن أهل التاسع أیضا لکنهما ماتا بالعاشر کما مرّ .

و منهم الشیخ أبو عبد اللّه سیدی محمد بن أبی جمعة الوهرانی المغراوی شارح لامیة کعب بن زهیر التی اسمها: بانت سعاد. و له ید فی علم النجم و الحساب و کل علم لا سیما اللغة. و اسم الشرح المذکور: «تسهیل الصعب، علی لامیة کعب». قال شیخنا الزیانی و هو عندی فی الملکیة بخطّ مؤلفه رحمه اللّه تعالی و هو صنو السید أحمد ابن أبی جمعة المار و کلاهما من ذریة سیدی محمد الهواری ابنا ابنه توفی سنة عشر من القرن العاشر .

و منهم بالقرن الثالث عشر:

الشریف السید محمد بن حسن المعروف بالکاتب المستغانمی لکونه کان کاتبا لإنشاء الباای المجاهد السید محمد بن عثمان، فاتح مدینة و هران. و قد

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۹۸

وصفه الحافظ أبو راس فی رحلته المسمّة (کذا) بفتح الإلاه (کذا) و منته، فی التحدث بفضل ربی و نعمته، فی الباب الثالث منه بما نصّه: فانجرّ الکلام إلی أن قلت الأمر الفلانی کلا شیء بفتح الهمزة، فقال لی لسان الدولة، و فارس الجولة الذی عظّم مکانه و رفعه. و أفرد له متلو العزّ و جمعه، و أوتره و شفّعه و قرّبه فی بساط الملک تقریبا فتح له باب السعادة و شرّحه و أعطاه لواء القلم الأعلی (ص ۳۳) فوجب علی من دونه من أولی صنعته أن یتبعه./ و حسبک من ذمام لا- یحتاج إلی شیء معه، العالم الفقیه، الحبر النزیه، الأمثل

الأفضل السيد محمد بن حسن، من بيت علم و صيانة، و نزاهة و أمانة، و بركة و خير و قرى و مير، و منصب كريم، و حسب صميم. و كان رحمه اللّه ذا يد فى النحو و اللغة و سائر العلوم و لا- سيما الأدب. فينسل إليه فيه من كل حدب، حتى أنه كان لهجته و ربيع حواسيه و مهجته. قل كلا شيء بكسر الهمزة ألا ترى أنك تقول جئت بلا زاد و حرف لا، لا عمل له. فقلت له أن الكاف لا تعيق عن العمل كهمزة الاستفهام و الباى رحمه اللّه ينظر إلينا ثم ذهبت و فى قلبى من كلامه شيء فعملت على ذلك تأليفا فلما قرأه استحسنه و أراه للباى لأنه رحمه اللّه ممن طاب خيمه، و سلم من الحسد أديمه. و سميت هذا التأليف: «بغية المرتاد فى كلا شيء و جئت بلا زاد». و لما علمت أنه لم ترتضه ذهبت و ألّفت تأليفا آخرا و بعثته له فأعجبه و سميته: «عمدة الزاد فى إعراب كلا شيء، و جئت بلا زاد»- ثم انتقل رحمه اللّه من خطة الكتابة إلى خطة القضاء إلى أن مات بها.

و ابنه القاضى الشريف السيد أحمد بن الخوجة المستغانمى .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۹۹

و أهل الراشدية و هم: الشريف السيد مصطفى بن عبد اللّه الدحاوى مؤلّف:

«فتح و هران» . و الشريف السيد الحاج محمد بن البشير الحريزى الزيانى .

و الشريف السيد أحمد بن يوسف الزيانى عم شيخنا و الشريف السيد عبد اللّه ابن محمد بن عبد/ اللّه الجيلالى الفيقيقى . (ص ۳۴)

و الشرفاء الثلاثة المشارف و هم: السيد الطاهر بن الشيخ المشرفى صاحب التأليف العديدة. و ابن أخيه السيد محمد بن عبد اللّه سقاط بن مصطفى بن الشيخ المشرفى. و ابن عمهما السيد الحاج عبد القادر بن مصطفى المشرفى الذى توفى بمصر سنة تسع و ستين و مائتين و ألف .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۰۱

و الشريف السيد أحمد بن التهامى أحد أولاد سيدى أحمد بن على

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۰۲

البو عمرانى و ابنه السيد الحاج مصطفى بن التهامى خليفة الأمير السيد الحاج عبد القادر الحسنى بالمعسكر .

و شيخ الجماعة السيد محى الدين بن المصطفى بن المختار والد الأمير الحسنى .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۰۴

و الشريف السيد مصطفى بن الهاشمى. و صنواه: السيد أحمد ابن الهاشمى قاضى المعسكر و السيد الحبيب بن الهاشمى المراحيين .

و الشريف السيد أحمد بن أعمر بن الخضير المهاجى .

و الشريف السيد عبد القادر بن بروكش الورغى المفتى بوهران و ابن عمّه السيد الحبيب بن بروكش الورغى، فهؤلاء أهل المعسكر من الراشدية

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۰۵

و حافظ البخارى السيد مصطفى بن جلول الخروبى، و صنوه السيد محمد ابن جلول الخروبى. و الخوجة السيد الحاج محمد بن الخروبى، و الشبيه بالحكيم اليونانى، القاضى السيد محمد بن الجيلانى، الخروبى الذى قال فيه الخوجة السيد مسلم بن عبد القادر الحميدى فى أنيس الغريب و المسافر هذين البيتين:

و نديم لأبى محمّد عثمانمصدّر فى كل شيء فقيه

عفيف ذو نجابة مهابظريف ذو رئاسة وجيه

/ و هؤلاء أهل القلعة الراشدية . (ص ۳۵)

و السيد الحاج محمد بن قجيل ...

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۰۶

و السید أحمد بن أفغول و هذان برجیان من الراشدیة أیضا؛ و السید محمد الصادق الحمیسی ابن علی المازونی ثم المغیلی و السید عبد اللّه بن حواء.

و السید فرقان و السید بدر الدین المتقدمین (کذا) الذکر. و السید محمود بن حواء التجینی. و السید الحاج مفتاح البخاری الحنفی شیخ الجماعة بوهران. و السید

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۰۷

أحمد بن هطال التلمسانی و أبو عبد اللّه السید محمد الغزلاوی و ماتا معا یوم فرطاسة فی ربیع الأول سنة تسعة عشر من القرن الثالث عشر فی قصة ابن الشریف الدرقاوی الحارک علی البای مصطفی بن عبد اللّه العجمی بای و هران .

و الشریف الوادفلی السید الحاج محمد بن البشیر أحد شرفاء الواد المبطوح و صهره السید الغوثی، و الخوجة السید مسلم ابن عبد القادر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۰۸

الحمیدی و هو الذی سأل الحافظ الشیخ أبا راس أن یجمع تألیفا فی الأمثلة السائرة فجمعه الشیخ و سمّاه: «کشف النقاب، و رفع الحجاب، علی أمثال سائرة و حکم باهرة، و مواعظ زاجرة». علی ترتیب حروف الهجاء للسان الدولة، و فارس الجولة. ألهم لها و بادر، السید مسلم بن عبد القادر». نص علیه الحافظ فی الباب الخامس من رحلته ، و السید علی ابن أبی سیف الدائری و السید سلیمان بن النزاری الدائری أیضا و هؤلاء الثلاثة من علماء المخزن و سکنوا بوهران. و فی السید سلیمان المذکور قال السید أحمد الکلاعی بن السید (ص ۳۶) الحاج/ المکی الدحاوی فی قصیدته الملحونة التی منها:

کلا بلاد بدحّهافی وهران صبت سلیمان

و السید الحاج قارة الجزائری، و السید أحمد بن الطاهر الرزیوی، و السید محمد بن قرید، و السید عبد اللّه بن عمارة البو عمرانی، و هذان غریبان. إلی غیر ذلک مما لا أطیق حصره، و لا أحصی ذکره، و کلهم علماء أجلّة، و أیمة بدور أهلّة .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۰۹

و منهم بوقتنا الذی هو العام السابع من القرن الرابع عشر أستاذ الاخوان و الیاقوت البرهان، فائق البراعة، و جزیل الفصاحة و البراعة، مفتیها و خطیبها ذو الإنصاف و الإحسان أبو الحسن السید علی بن عبد الرحمان، الجزائری و جارا الوهرانی دارا، العبّاسی نجارا و لما حل بها أتحف جامعها الأعظم غایة الإتحاف و رونقه بالفرش المختلفة الألوان و الأنواع و أغناه حتی صار لا یسئل الإلحاف. و طهره من الأدناس و سائر المناکب، بعد أن وقع فی زوایا الإهمال و نسجت بجمیعه العناکب. فعاد بفضل اللّه مبتسما ضاحکا، و أضاء منه ما کان دیجورا حالکا، و علا بمنارته جهیر الصوت بالأذان، و نادی بقوله هلموا للطاعة و العبادة فی الأوقات الخمس و الجمعة و العیدین یا أهل الإیمان، فللّه درّه من ماهر و مربّی سنّی باهر.

و منهم شیخنا الفاضل الماجد، العالم الفاضل الزاهد، من هو بحفظ الأوقات للعبادة شدید المراصد، قدوة السالکین، و بقیة الأیمة الناسکین، المدرس المضیف/ الحافظ الضابط الموثّق المؤلف الشریف الحسنی الصمدانی (ص ۳۷) الربّانی، العلّامة السید محمد بن یوسف الزیانی. فهو معدود فی أعیان علماء المخزن و إن کان من جملة علماء و هران و بها قد سکن .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۱۰

و نخبة الأشراف و قدوة السادات الظراف، و مقصد الذاهب و العانی یاقوتة الکمال و الجوهر القانی، الشریف الحسنی السید الحسنی ابن إبراهیم العلمی الوزّانی نفعنا اللّه به و بسلفه، و متّعنا به و بخلفه.

و إمام جامعها الأعظم الفقیه الوهرانی، الشریف الحسنی السید أحمد انکروف بن الملیانی النّکروفی.

و الفقیه المدرّس بالجامع الوهرانی، الشریف الحسنی السید الحبیب ابن البخاری الحریزی الزیانی .

و الفقیه الشریف ذو التدریس بالکفراوی إمام قبّة الشیخ الهواری السید محمد بن الجیلانی الشهیر بابن العالیة بن سیدی أحمد بن عربیة المعسکری المغراوی.

و الفقیه الوجیه الرحمانی، الشریف السید الحاج عبد الرحمن بن الطیب أحد أولاد سیدی أحمد بن علی البو عمرانی .

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۱۱

و الفقیه الأجل الذی للتحقیق یحوی، السید الحاج بن آمنة بن عمر المریانی العبد الغوی.

و الفقیه النبیل الشریف البلاحی المشیشی الذی فی أموره للّه راجی السید أحمد بن محمد بن أحمد، و کذا ابن عمّه السید المولود ابن عبد الرحمان ابن أحمد البلاحی المهاجی.

و قدوة العبّاد، و بقیة الزهاد، الأبر الأکمل الفقیه الأجلّی، السید الحاج الطیب بن البشیر الشرفی الشریف الوادفلی .

فهؤلاء السادات الکرام الأفاضل، و العلماء/ الأجلة البواسل الذین بهم (ص ۳۸) طاب الوقت و نار، و اطمأنت القلوب بهم و حلّت بها الأسرار.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۱۳

المقصد الرابع فی ذکر دولها

اشارة

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۱۵

اعلم أنار اللّه قلبی و قلبک بأنواره، و أیدنی و إیّاک بأسراره. و أمننی و إیاک بحوله و قوته من مکره و سرّه. و وقانی و إیاک من بأسه و ضرّه. أن دول و هران من حین اختطّت تسعة دول کما فی دلیل الحیران، و هم: دولة الأمویین بالأندلس القائمین بأمورهم زناتة. و العبیدیین و هم الشیعة، و المرابطین و هم الملثّمون، و الموحدین، و الزیانیین و هم بنو عبد الواد، و المرینیین و هم بنو احمامة، ثم الزیانیین، و الإسبانیین، و الأتراک، و هم الترک و الفرانسیس. فهؤلاء تسعة إجمالا.

و أما تفصیلا فکانت عمالهم یتداولونها بینهم إلّا الدول الثلاثة الأخرة (کذا) فعمالهم منهم.

الدولة الأولی مغراوة عمال بنی أمیة

و أول العمال مغراوة عمال بنی أمیة الذین هم الدولة الأولی، و أول من ملکها من مغراوة خزر بن حفص المختط لها فی القرن الثالث کما مرّ. و تولی إمارة مغراوة بوهران و غیرها بعد موت أبیه حفص بن صولات بن وزمار ابن صقلاب بن مغراو. و وزمار هو الذی أسلم علی أید سیدنا عبد اللّه بن سعد ابن أبی صرح، لما غزی (کذا) إفریقیة و بعثه لأمیر المؤمنین، و خلیفة رسول رب العالمین سیدنا عثمان بن عفان رضی اللّه عنه ثالث الخلفاء بالمدینة المنورة،/ (ص ۳۹) علی صاحبها أفضل الصلاة و أزکی التسلیم فجدّد إسلامه علی یده و عقد له علی قومه و رجع لإفریقیة. و من ثم بقیت مغراوة موالی (کذا) لبنی أمیة کصنهاجة للعلویین العبیدیین بإفریقیة.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۱۶

و أقام خزر مقام أبیه فی أمر زناتة و اعتزّ قومه علی المضریة بالقیروان و استفحل ملکهم و عظم سلطانهم علی البدو و زناتة بالمغرب الأوسط عند تقلص ظل الخلافة بعض الشیء بالمغرب حیث عمت فتنة میسرة الحقیر و مدغرة و قوی اعتزاز خزر و قومه، و عتوّه و انتشر صیته و علت کلمته عند المروانیین بالأندلس و الأدارسة بالمغرب الأقصا (کذا) و السلیمانیین برشقون و تلمسان، و الشیعة

بإفريقية إلى أن هلك فى خلال ذلك. ا ه.

قال البكرى فى تاريخه المغرب فى ذكر بلاد إفريقية و المغرب:

«و فى سنة سبع و تسعين و مائتين زحف (كذا) قبائل كثيرة إلى و هران يطالبون أهلها بإسلام بنى مسقن إليهم لدماء كانت بينهم فأبى أهل و هران من إسلامهم إليهم فنصب (كذا) القبائل عليهم الحرب و حاصروهم و منعوهم من الماء فخرج عنهم بنو مسقن و هم من أزديجة و يقال لهم بنو مسرقين ليلا- هاربين و استجاروا بأزديجة فأجاروهم و تغلّب الحاركون على أهل و هران فخرج أهلها منها بأنفسهم و أسلموا ذخائرهم و أموالهم للحاركين و خربت و هران و أضرمت نارا و ذلك فى ذى الحجة من هذه السنة ثم عاد أهل و هران إليها فى السنة بعدها و هى سنة ثمان و تسعين و مائتين بأمر أبى حميد داوس بن صولات و يقال له داوود عامل تاهرت.

(ص ۴۰) و ابتدأوا بنيانها فى شعبان من هذه السنة فعادت أحسن مما/ كانت و ولى عليهم داوود بن صولات الدهيصى، محمدا بن أبى عون فلم تزل فى عمارة و كمال، و زيادة و حسن حال. ا ه.

و هو مخالف لما فى الحافظ أبى راس.

و لما هلك خزر بن صولات تولى بموضعه ابنه محمد بن خزر و سكن و هران و أجلب على ضواحيها بكل ما أراد و شنّ الغارات فى المغرب الأوسط إلى إفريقية و فى الأقطار إلى المصامدة و هابته الملوك و خشيت سطوته و أذعنت له

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۱۷

الناس و عاش كثيرا من السنين و جرب الأمور. فقد قال ابن خلدون فى تاريخه الكبير فى الجزء السابع منه أنه نيف على المائة سنة بكثير و الذى يقتضيه استقراء كلامه من أوله إلى آخره أنه بلغ المائتى سنة أو قاربها فإنه قال فى أخباره أن إدريس بن عبد اللّه لما نهض إلى المغرب الأوسط سنة أربع و سبعين و مائة تلقاه محمد بن خزر هذا و ألقى إليه المقادة و بايع له عن قومه و أمكنه من تلمسان بعد أن غلب عليها بنى يفرن أهلها و انتظم لإدريس بن إدريس الأمر و غلب على جميع أعمال أبيه و ملك تلمسان و قام بنو خزر هؤلاء بدعوته كما كانوا لأبيه إلى أن قال: ثم وفد على المعتز بعد ذلك سنة خمسين و ثلاثمائة و هلك بالقيروان و قد نيف على المائة من السنين. ه.

لكن قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار فى الكلام على مغراوة كلام ابن خلدون فيه تخليط و تناقض ا ه. و فى سنة ست و ثلاثمائة حرك ازديجة و عجيسة على محمد بن خزر المغراوى و قاتلوه شديدا، و حاصروه عتيدا، إلى أن أخذوا من يده و هران عنوة فبقيت فى ملكهم و تحت تصرفهم سبع سنين و هم عمال على المروانيين ثم صاروا عمالا/ على الشيعة. ثم قام عليهم محمد (ص ۴۱) ابن خزر بجيوش لا تحصى و حاصرهم و أثخن فيهم إلى أن غلبهم عليها سنة ثلاثة عشر و ثلاثمائة و بقوا تحت حكمه. و لما غلبهم عليها و عادت لحكمه بعد حروب كثيرة كان الظفر له فيها عليهم، أخّر نفسه، و ولى عليها ابنه الخير و بقى (كذا) ازديجة و عجيسة تحت حكمه، و فى قبضة جبره و حلمه. فقام الخير بضبط ملك و هران غاية الضبط و ظاهر المروانيين بالأندلس كعادة أسلافه و أمير الأندلس و قتئذ عبد الرحمن الناصر و شن الغارات على ضواحى و هران و المغرب الأوسط فملك بلاد الغرب كلها وسوس الأدنا (كذا) و تلمسان و الصحرا (كذا) و حارب الشيعة ملوك إفريقية و تاهرت حروبا عظاما و غزى (كذا) بسكرة و المسيلة و الزّاب

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۱۸

و دوّخ المغرب الأوسط تدويخا عظيما و والده محمد بن خزر لم يفارقه فى كل ذلك. و اتصلت يده بيد موسى بن العافية المكناسى فبثا معا دعوة المراوانيين امراء الأندلس بالمغربين و قطعا دعوة الشيعة بإفريقية ثم فسد ما بينهما و تزاحفا للحرب فبعث لهما عبد الرحمان الناصر أمير الأندلس قاضى قرطبة و هو الفقيه منذر ابن سعيد الولهاصى ثم البلوطى فأصلح بينهما و لم يزل الملك فى يده إلى أن انتقل لولده محمد بن الخير بعده.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۱۹

الدولة الثانية الشيعة الفاطميون

اشارة

ثم ملك و هران الدولة الثانية و هم الشيعة و يقال لهم الرافضية و العبيديون و العلويون و الفاطميون.

أما/ تسميتهم بالشيعة و الرافضية فلتمذهبهم بمذهب شيعة المشرق و الرافضية (ص ۴۲) من سبهم للشيخين أبى بكر و عمر رضى اللّه عنهما، و رفضهم للسنة و اتباعهم للبدعة و مدحهم لعلى بن أبى طالب كرم اللّه وجهه و رضى عنه دون غيره.

و أما تسميتهم بالعبيديين فذلك نسبة لجدهم عبيد اللّه المهدى الشيعى أول ملوكهم.

و أما تسميتهم بالعلويين و الفاطميين فذلك نسبة لجدهم على بن أبى طالب كرم اللّه وجهه و رضى عنه وجدتهم فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فهم حسينيون بضم الحاء المهملة و لا عبرة بالطعن فيهم.

و ذلك أن و هران غزاها فى سنة ثمانية عشر داوس بن صولات و يقال له داوود بن صولات الدهيصى عامل تاهرت على يد الدولة الشيعية فحاصرها حصارا عظيما و حارب ملكها الخير بن محمد بن خزر المغراوى و من معه من أزديجة و عجيسة لكونهم صاروا يدا واحدة مع الخير بن محمد بن خزر فأثخن فيهم كثيرا و أخذها من يد ملكها الخير عنوة بعد حروب شاب لها رأس الغراب و ولى عليها من قبله محمدا ابن أبى عون الشيعى فهو أول عامل للشيعة بوهران و أول من ملكها من الشيعة داوس عامل عبيد اللّه الشيعى فعمّت الرافضية المغرب

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲۰

الأوسط و انقطع حكم المروانيين منه بالكلية و خرج حكم و هران من يد الدولة الأموية و دخل فى يد الدولة الشيعية.

فأقام محمد بن أبى عون الشيعى الملك بوهران و تصرّف فى المغرب الأوسط بما شاء و صار معه ازديجة و عجيسة يدا واحدة و عنه أخذوا الرافضية (ص ۴۳) و اندرست/ السّنّة و لما مر ميسور الخصّى، سمى بذلك لكونه لا لحية له، فى عام ثلاث و عشرين و ثلاثمائة بأمر القائم العبيدى حال ذهابه لمحاربة موسى ابن أبى العافية المكناسى للمغرب لمظاهرته للمروانيين و إعراضه عن الشيعة متوجها بجيشه لفاس و لقيه محمد بن أبى عون الشيعى والى و هران فأقرّه عليها. و كذلك لما توجه مصالة بن حبوس الكتامى للمغرب فى عام إحدى و أربعين و ثلاثمائة بجيشه لتدويخ المغرب بأمر المعزّ العبيدى أقرّه على و هران كما أقر كل عامل كان للشيعة على محلّه و دوّخ المغرب غاية و أزال ما ظهر به من أمر المروانيين ملوك الأندلس و رجع بغنائم عظيمة.

ثم فى سنة ثمان و ثلاثين و ثلاثمائة اختط يعلا بن محمد بن صالح اليفرينى مدينته بايفكان أحد أراضى بنى راشد بصفح (كذا) جبل أوسلاس و هو بجوفها و استقر بها و ظاهر المروانيين بالأندلس و تجانب الشيعة بإفريقية فولّاه عبد الرحمن الناصر الأموى ملك الأندلس على المغرب الأوسط و عقد له على حروب الشيعة الرافضية. و كان مصالة بن حبوس الكتامى قد رجع من المغرب للمهدية فخلا الجوّ ليعلا بن محمد بن صالح اليفرينى و زحف لوهران فحاصر بها محمدا بن أبى عون الشيعى و ازديجة و عجيسة و طالت بينه و بينهم حروب عظام إلى أن فرّق جمعهم بجبل قيزة غربى و هران و ذلك فى يوم السبت منتصف جمادى الثانية سنة ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و دخل و هران عنوة و أضرمها نارا (ص ۴۴) و خربها و لحق أكثر أزديجة و عجيسة بالمغرب،/ و بعضهم بالأندلس لما أيّسوا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲۱

(كذا) منها و ملكوا دار بنى صالح و هى قلعة النكور سنة ست من القرن الهامس فخربوها و بقوا بها إلى أن قطع ملكهم يوسف بن تاشفين اللمتونى. و من لحق منهم بالأندلس، صار من أعيان جند المنصور ابن أبى عامر المعافرى حاجب المؤيد هشام الأموى. و لما فتح يعلا مدينة و هران و خرّبها نقل أهلها إلى مدينته المعروفة فى ذى القعدة سنة ثلاث و أربعين و ثلاثمائة و بقيت خرابا مدة ثم

تراجع النـاس لها و بنيت. و ذكر الحافظ أبو راس فى عجائب الأسـفار أن يعلا ابن محمـد بن صالـح لما خرّب و هران جـدّد بناءها فى تلك السـنة و انتقل إليها بأهله و ولـده من مـدينته بأيفكان. قال البكرى فى تاريخه و كان فى عمل و هران قرية أهلها موصوفون بعظم الأجسـاد، و شـدة الأيـاد (كـذا) حتى أن الرجل الكامل فى الخلق المعهود من غيرهم يكون إلى دون منكب الرجل منهم و كان رجل منهم يحمـل سـتة أنفـار و يخطوا بهم خطوات اثنين على عتقيه و يتأبّـط بـاثنين و على ذراعيه اثنين. و أن رجلا منهم احتاج لعمل بيت يسكنه فاقتطع ألف كلخة و حملها على ظهره و بنا بهم بيتا تاما معرسا. ه.

ثم أن محمـدا بن الخير بن محمـد بن خزر المغراوى لمـا رأى (كـذا) و هران دار ملكهم اتخـذها بنو يفرن دار ملكهم أيضـا و بثوا بها الـدعوة المروانيـة نزع إلى الشـيعة و ظهر لهم و أدّى لهم الطاعة و وفد على المعزّ العبيدى الشـيعى/ بإفريقية (ص ۴۵) فألفاه جهز قائده جوهرا لغزو المغرب سـنة سبع و أربعين و ثلاثمائة و خرج من القيروان فى جيش عرمرم فجاء معه مغربا و كان من مشاهير بنى خزر و أشـرفهم نفسا فكان عنـده بمكانـة عظيمـة و سار جوهر إلى أن نزل بتاهرت فلقيه بها يعلا ابن محمد بن صالح اليفرنى فى جيش عظيم من قبائل زناتـة على مقربـة من تاهرت بناحيـة شـلف فالتحم (كذا) الحرب بينهما و بذل جوهر الأموال لقواد كتامة و لما اشـتد الحرب صممت عصابـة من أنجاد قواد كتامة و أجنادها و قصدوا يعلا فقتلوه و اجتزوا رأسه و أتوا به إلى جوهر فأعطاهم الأموال الجليلة بشارة عليه و بعث

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲۲

برأسه إلى المعزّ فطيف به بالقيروان و هزم بنو يفرن و تفرق جمعهم. هكذا فى الأنيس المطرب، و فى ابن خلدون ما يخالفه.

و لما مات يعلا قام ابنه يـدّو مقامه لكنه لم يملك و هران. ثم ذهب جوهر مغربا و مرّ بمدينـة إيفكان التى بناها يعلا فخربها و لم تعمر للآـن و ذهب معه محمـد ابن الخير و قـد عقـد له على و هران فحضـر معه جميع و قائعه بالمغرب و لما رجع أقرّه على و هران بعـد أن قطع الدعوة المروانية من المغرب بأجمعه و ردّها للشّيعة فخطب لهم على جميع منابر المغرب.

ثم حل محمـد بن الخير بوهران و أقام ملكها غايـة و بثّ دعوة الشـيعة بالمغرب بعـد أن وقعت له معهم حروب عظام و لما تقلـدها فى سنة سبع أو ثمان و أربعين (ص ۴۶) و ثلاثمائة/ و هى السنة التى قتل فيها يعلا. و يقال إن محمدا بن الخير هو الذى أغرى جوهرا على قتله. أدّى لهم الطاعـة التامـة و ظاهرهم غاية الظهور و رفض المروانيين بالأندلس رفضا كليا. و فى سـنة خمسـين و ثلاثمائة توفى جده محمـد ابن خزر بالقيروان بعـد أن عمر كثيرا كما فى ابن خلـدون. ثم فى سـنة ستين و ثلاثمائة فسد ما بين محمد بن الخير و الشـيعة و تقلـد طاعـة المروانيين بالأنـدلس و حشّـد جميع زناتة المغرب الأوسط ما عدا تاهرت لبقائها بيد الشـيعة و أمدّه المروانى من قرطبة بما أراد من الجيش العرمرم و نهض من و هران يجرّ الأمم بحـذافرها فبلغ ذلك زيرى بن مناد الصـنهاجى عامل الشـيعة و جمع له الجموع التى لم يعهـد الزمان بمثلها و لما اجتمعت بدار ملكه أشـير، عقد لابنه بلكين و أمره بحرب محمد بن الخير فالتقى الجمعان بالبطحاء و وقعت الـدائرة على محمد بن الخير بعد أن وقعت بينهما الحروب العظام و يقال أن زيرى دسّ من يجرّ الهزيمة على محمد بن الخير. و لما رءا (كذا) ذلك مال بنفسه إلى ناحية من عسـكره و ذبح نفسه سنة ستين و ثلاثمائة و انهزم قومه سائر يومهم و بقيت عظامهم ماثلة بمحل القتل أعصرا و هلك من قومه سبعة عشر أميرا فى تلك الواقعة سوى الأتباع كذا فى ابن خلدون، و قال غيره بضعة عشر من غير تعيين،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲۳

فأخـذ بلكّين رؤسـهم و انقلب بها إلى أبيه ظافرا بالغنيمـة و بعث بها زيرى إلى إفريقية للمعزّ الشـيعى/ فامتلأ سـرورا و غمّ لها المنصور الأموى بقرطبة و بذلك (ص ۴۷) علا قدر زيرى على سائر العمال.

ثم تولى الخير بن محمـد بن الخير بن محمد بن خزر رئاسة قومه بموضع أبيه بوهران فملكها و اجتمع بأخيه يعلا بن محمد بن الخير و قومهما و طلبوا الثأر.

و لما جاءهم جعفر بن على عامل المسيلة للشيعة فارا من المعزّ الشيعى ألقوا إليه حالهم و جعلوا بيده زمام أمرهم فقام بدعوة المروانى منتقضا على الشيعى فزحف لهم زيرى بن مناد الصنهاجى من آشير و اقتتلوا قتالا شديدا فكانت الدائرة على زيرى و أكبّ (كذا) به فرسه فأخذوه و قتلوه و اجتزوا رأسه و بعثوا به إلى الحاكم المروانى بقرطبة سنة ستين أو إحدى و ستين و ثلاثمائة فأخذ مغراوة ثأرهم و شفوا غليلهم، و أبردوا (كذا) غليلهم و تهدم بموت زيرى البنيان لصنهاجة، و الدنيا تلك عادتها يوم بيوم و الدّهر قاض ما عليه لوم.

و لما أخذ الخير بن محمد بن الخير بثأر أبيه من الصنهاجيين و تمهّد له الملك نهض بلكّين ابن زيرى بن مناد الصنهاجى لقتاله آخذا بثأر أبيه زيرى المذكور و ذلك سنة سبع و ستين و ثلاثمائة فجمع الجموع التى لا تحصى و لا تعد، و غزى (كذا) المغربين حتى انتهى إلى أقاصى المغرب الأقصا (كذا) و ملك فاسا و سجلماسة و أطرد (كذا) جميع أولياء المروانيين و تقبّض على على بن نور، و محمد و الخير، ابنى محمد بن الخير فقتلهم و فرّ من بقى من ملوك زناتة مثل يدّو بن يعلا اليفرينى و بنى عطيّة المغراويين و غيرهم و لاذوا بسبتة و بعثوا بالصريخ إلى المنصور بن أبى عامر المعافرى فخرج من قرطبة للجزيرة الخضراء/ و أمدهم بعساكر جمّة ولّى عليها (ص ۴۸) ابن حمدون و عقد له على حرب بلكين و أمّده بمائة حمل من المال فأجاز (كذا) البحر و صيّر مصافّ القتال لظاهر سبتة. و كان بلكين بعساكره فى تيطاون فتحيّل و أطلّ على عسكرهم فرءا (كذا) ما أدهشه و قال هذه أفعا أفغرت إلينا فاها (كذا) و كرّ راجعا فهدم البصرة و جاهد فى بر غوّاطة و سلبهم و بعث بذلك للقيروان و أقطع (كذا) الدولة الأموية من المغرب كله. و لم تزل معه مغراوة فى تشريد إلى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲۴

الصحرا و إذعان له إلى أن هلك سنة ثلاث و سبعين و ثلاثمائة بموضع يقال له و ازركس بين سلجماسة و تلمسان بسمّ سقته له زوجته.

ثم تولى بوهران يعلا- بن محمد بن الخير الخزرى المغراوى بموضع أخيه الخير بن محمد و قام بأمر زناتة فضبط الملك و تكررت إجازته (كذا) مع ابن أخيه محمد بن الخير بن محمد إلى المنصور بن أبى عامر المعافرى بقرطبة ليمدهما بالجيش لأخذ الثأر فى الخير بن محمد و أصحابه من أعدائهم الصنهاجيين فلم تحصل لهما فائدة و سلم يعلا بن محمد بن الخير لابن أخيه محمد فى رئاسة قومه بوهران.

ثم تولى بوهران محمد بن الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوى رئاسة قومه و ذلك فى أعوام الستين و ثلاثمائة ثم تولى بعده أمر زناتة بالمغرب الأوسط بدار ملكهم و هران محمد بن يعلا بن محمد بن الخير بن محمد ابن خزر المغراوى فملك ما ملك أبوه و جده كافة و استولى على كافة المغرب حتى أضاف لعمله المسيلة و الصحرا و المغرب و بوادى زناتة. و لم يبق لبنى أمية (ص ۴۹) معه سوى الخطبة خاصة و أطرد (كذا) الصنهاجيين من/ أكثر عملهم.

ثم فى سنة ثمان و ستين و ثلاثمائة تولى زيرى بن عطية بن عبد اللّه ابن محمد بن خزر الخزرى المغراوى، فملك وهران و غيرها و ذلك بدعوة هشام المؤيد الأموى و حاجبه المنصور بن أبى عامر المعافرى بعد انقطاع أيام الأدارسة و بنى أبى العافية المكناسى من المغرب الأقصا (كذا)، فملك المغربيين و غلب على بواديهما كله (كذا) و استوطن فاسا و صيره دار ملكه فى عام سبعة و سبعين و ثلاثمائة و أورثه لبنيه من بعده. المعروف الآن بباب القيسة و علا قدره و عظم سلطانه و ارتفع شأنه على سائر العمال.

ثم قام عليه أبو البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجى بالمغرب الأوسط

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲۵

مخالفا على ابن أخيه منصور بن بلكين ظهير الشيعة فنقض أمر الشيعة و مال للمروانيين و غلب على تلمسان و وهران و مازونة و تمزغران (كذا) و مستغانيم، و البطحا، و تنس، و شلف، و شرشال، و وانسريس، و ملیانة، و كثير من بلاد الزّاب، و خطب للمؤيد و حاجبه و بعث لهما بالبيعة و الهدية و ذلك سنة سبع و سبعين و ثلاثمائة فبعث له المنصور بالعهد على ما بيده من البلاد و صارت و

هران فی حکمه و دار ملکه و بقی نحو الشهرین و رفض دعوة الأمویین و مال للشیعة فبلغ المنصور أمره فبعث فورا لزیری بن عطیة المغراوی المذکور بالعهد علی بلاد أبی البهار و أمره بقتاله فسار له بجیوش کثیرة و فرّ أبو البهار هاربا بنفسه فلحق بابن أخیه و ترک المغرب لزیری الخزری فرجعت له و هران کأول مرة فاتسع عند ذلک سلطانه و امتدّ ملکه من سوس الأقصا إلی الزاب، و کتب بالفتح للمنصور و بعث له صحبة الکتاب بهدیة عظیمة من جملتها قطط الزبد ثم اللمط، و الزرفة و غیرهم، فسرّ المنصور بذلک کثیرا و کتب له بالجواز عنده فجاز فی سنة إحدی و ثمانین و ثلاثمائة فأوسع له المنصور و لأصحابه فی الجوائز/ و أعطاه مالا (ص ۵۰) عظیما، و هدایا کثیرة و لقّبه بالوزارة فرجع لأهله کارها لذلک و مستقللا للعطایا و نهر من قال له یوما یا وزیر و قال له ما أنا إلّا أمیر و ابن أمیر، فو اللّه لو ألقی المنصور رجلا- بالأندلس ما ترکه علی حاله یراه، تسمّع بالمعید خیر من أن تراه، ثم وضع یده علی رأسه و قال له یا هذا الراس الآن علمت أنک لی، و کان فی حال جوازه للأندلس وجد یدو بن یعلا الیفرینی فرصة للمغرب فزحف بجنوده لفاس و دخله فی ذی القعدة سنة اثنین و ثمانین و ثلاثمائة و لما سمع به زیری جدّ السیر له إلی أن وصله فقاتله کثیرا و اتصلت بینهما حروب عظیمة و صار کل من غلب منهما دخل فاسا إلی أن ظهر به زیری فی سنة ثلاث و ثمانین و ثلاثمائة فقتله و بعث برأسه للمنصور فلم یبق له بالمغرب منازع و هابته الملوک. و یدّو بن یعلا هو القائل للنصور لما استدعاه للقدوم عنده: حمر الوحش لا تقاد للبیطار.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲۶

ثم فی رجب سنة ثلاث أو أربع و ثمانین و ثلاثمائة بنا (کذا) زیری مدینة وجدة و حصّنها و شید قصبتها و انتقل إلیها بأهله و ذخائره و جعلها قاعدة ملکه لتوسطها بین المغربین. قال الحافظ أبو راس فی الخبر المعرب: إن وجدة هی الفاصل بین المغرب الأقصا و الأدنا. و قال فی فتح الرحمان: إن وجدة کانت فی القدیم بها مدینة عظیمة لها ثلاثمائة باب و بضع و ستون بابا. و سمّیت وجدة لأنها مسکن أهل الوجد، أو لوجود الصالحین فیها. قاله الغزالی. و بإزائها قبر یحیی بن یونس المدفون بغرب جبل الکواکب من أرض أنقاد یقال إنه من الحواریین الصدیقیین، عبد اللّه تعالی ثمانین سنة صیاما و قیاما و لم یأکل فیها شیئا و آمن بالنبی صلی اللّه علیه و سلم قبل مبعثه بخمسمائة عام یقال إن ماء وجدة یخرج من قرب ضریحه أو منه نفعنا اللّه و ذریتنا و قرابتنا و أحبابنا و کافة المؤمنین ببرکته.

ثم فسد ما بین زیری بن عطیة الخزری المغراوی و بین المنصور بن أبی عامر المعافری فی سنة ست و ثمانین و ثلاثمائة فبعث المنصور جیوشا کثیرة لنظر واضح لمحاربته و لقیه زیری بجیوشه و حصل المصافّ بوادی ردات بأحواز (ص ۵۱) طنجة و اتصلت الحروب الکثیرة بینهما ثلاثة أشهر فکان الظفر فیها لزیری/ و هزم واضح بجیوشه و مات منه خلق کثیر و فرّ لطنجة فتحصّن بها و کتب للمنصور یستصرخه فأمده بجیوش الأندلس و قوادها و عقد علیها لابنه المظفر بن المنصور و أمره بحرب زیری فأجاز البحر و حلّ بطنجة فأهابه زیری و کتب لجیوشه فاجتمعت علیه من سجلماسة، و تلمسان، و وهران، و الزاب، و سائر بوادی زناتة، و نهض بهم للقاء المظفر فکان المصاف بوادی مینا من أحواز طنجة. و کان لزیری غلام یقال له سلام لا یحبه فألفی الغلام فی زیری الفرصة لما وجده مضطجعا ظنّا منه أنه نائم فتقدم له و ضربه بسکین کانت عنده للبّته یرید نحره و جرحه ثلاث جراحات، و ترکه کالمیت فی دمه و انطلق مسرعا للمظفر و أخبره فأمکنته الفرصة و شدّ علی زناتة و هم فی دهشة مما حلّ بأمیرهم من غلامه سلّام فهزمهم و احتوی علی المحلة بجمیع ما فیها و کثر السبی و القتل و غنم ما لا یحصی و لا یعدّ. و هرب

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲۷

زیری لمضیق الحیة و هو موضع قرب مکناسة و اجتمع علیه فلّه و هم بالرجوع فجهّز له المظفر خمسة آلاف فارس لنظر واضح فأسری بهم لیلا و ضرب محلّة زیری غفلة و ذلک فی نصف رمضان سنة سبع و ثمانین و ثلاثمائة فأوقع بهم موقعا عظیما و أسر من أعیانهم نحو ألفی رجل فمنّ علیهم المظفر و صاروا من جملة جنوده. و فرّ زیری فی شرذمة من أصحابه و قرابته لفاس فأغلقت الأبواب فی وجهه فأخذ أهله و الدواب و الزاد و ذهب للصحرا (کذا) فنزل بسجلماسة ثم زاد لبلاد صنهاجة فألفی أهلها قد اختلفوا علی ملکهم بادیس بن منصور بن بلکین بعد وفاة/ منصور فبعث لقبائل زناتة فأتاه خلق کثیر فاغتنم الفرصة و زحف (ص ۵۲) لصنهاجة فأوغل

فيهم كثيرا و هزم جيوشهم و دخل تاهرت و جملة من الزاب و ملك المسيلة، و وانسريس، و شلف، و تنس، و مازونة، و البطحاء، و مستغانم، و تمزغران، و وهران، و تلمسان، و سائر المغرب الأوسط، و غيره، و أعاد (كذا) لوجدة و أقام الدعوة للمؤيد و حاصر آشير قاعدة صنهاجة و بقى يغاديها و يراوحها إلى أن مات من جراحاته المارة سنة إحدى و تسعين و ثلاثمائة .

ثم تولى بعده بوهران يعلا بن محمد بن الخير مرة ثانية و ضبط أمرها و خضعت له الرعية و أدّت طاعته زناتة، و هابته الملوك فبقى إلى سنة عشرة و أربعمائة .

ثم بويع بموضعه ابن أخيه و هو محمد بن الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر مرة ثانية و ضبط الملك أكثر من عمّه يعلا و أطاعته سائر زناتة المغرب الأوسط مدنه و بواديه و امتدّ له فى الملك من سنة عشرة و أربعمائة إلى سنة ثلاثين و أربعمائة .

ثم قام بأمره من بعده فى و هران ابن عمه محمد بن يعلا بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر مرة أخرى و مهّد له الملك أكثر من الأولى و دخل فى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲۸

طاعته سائر المغرب الأوسط بواديه و قراه و مدنه، و حصنه، و ضايق صنهاجة بالمشرق و أبناء عمه مغراوة و بنى يفرن بالمغرب و الصحراء، و صاروا معه تارة فى حرب و أخرى فى سلم و اتصلت يده بيد ابن أخيه بختى بن تميم بن يعلا ابن محمد بن الخير بن محمد بن خزر ملك تلمسان فتمهّد لهما المغرب. و لا زالا كذلك فى الملك إلى أن هلكا معا و معهما وزير بختى بن تميم و هو أبو سعيد (ص ۵۳) الزناتى خليفة اليفرنى فى حرب الأثبج/ و زغبه، الهلاليين بالزاب فى أعوام الخمسين و أربعمائة كما فى ابن خلدون و غيره.

ثم تولى بموضع محمد بن يعلا- بوهران ابنه محمد الصغير ابن محمد ابن يعلا- بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوى. و بتلمسان العباس ابن بختى بن تميم بن يعلا بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر المغراوى.

و استبدّ كلّ منهما بموضعه و ما يليه و تحت حكمه، و ضبط الأمر بحكمه. و لا- زالا- كذلك إلى أن أزالهما يوسف بن تاشفين اللمتونى سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة فانقطع ملك الدولتين بالمغرب و هما المروانيين و الشيعة بالكلية.

قائمة حكام وهران

فتلخص من هذا أن الذين ملكوا و هران من عمّال الدولتين المذكورتين ستة عشر. فمن مغراوة عشرة و هم: خزر بن حفص، ثم ابنه محمد بن خزر، ثم ابنه الخير بن محمد، ثم ابنه محمد بن الخير، ثم ابنه الخير بن محمد ابن الخير، ثم ابنه يعلا بن محمد بن الخير، ثم محمد بن الخير بن محمد ابن الخير بن محمد بن خزر، ثم محمد بن يعلا، ثم زيرى بن عطية، ثم محمد الصغير بن محمد بن يعلا. و هؤلاء كلهم خزريون مغراويون. و من أزديجة و عجيسة اثنان: و هما: أبو ديلم بن الخطاب الزديجى من بنى مسرقين، و شجرة ابن عبد الكريم العجيسى. و من الشيعة واحد و هو محمد بن أبى عون. و من بنى يفرن واحد و هو يعلا بن محمد بن صالح اليفرنى. و من صنهاجة اثنان و هما

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۲۹

بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى، و أخوه أبو البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجى.

قائمة الخلفاء الأمويين بالأندلس و المشرق

و اعلم أن جملة المروانيين بالأندلس ستة عشر ملكا و هم: عبد الرحمن الداخل، ثم ابنه هشام الراضى، ثم/ ابنه الحاكم، ثم ابنه عبد

الرحمن، ثم ابنه (ص ۵۴) محمد بن عبد الرحمن، ثم ابنه المنذر بن محمد، ثم أخوه عبد اللّه بن محمد، ثم عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد اللّه، ثم ابنه الحاكم بن عبد الرحمن الناصر، ثم ابنه هشام المؤيد، ثم محمد المهدى بن هشام بن عبد الجبار، ثم المستعين سليمان بن الحاكم بن سليم بن عبد الرحمن الناصر، ثم عبد الرحمن ابن هشام بن عبد الجبار، ثم المستكفى محمد بن عبد الرحمن بن عبيد اللّه ابن عبد الرحمن الناصر، ثم المستعين هشام بن محمد بن عبد المالك بن عبد الرحمن الناصر، ثم أميّة الأموى و به انقطعت دولة بنى أمية من الأندلس.

و جملتهم بالمشرق أربعة عشر ملكا و هم: معاوية بن أبى سفيان، ثم ابنه يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بنى (كذا) يزيد، ثم مروان ابن عبد الحاكم، ثم ابنه عبد المالك (كذا) بن مروان، ثم ابنه الوليد ابن عبد المالك، ثم أخوه سليمن (كذا) بن عبد المالك، ثم عمر بن عبد العزيز ابن مروان، ثم يزيد بن عبد المالك بن مروان، ثم هشام بن عبد المالك، ثم الوليد بن اليزيد بن عبد المالك، ثم ابنه يزيد بن الوليد، ثم إبراهيم (كذا) ابن الوليد، ثم مروان بن محمد بن مروان، و به انقرضت دولتهم بالمشرق. قال العلا (كذا) و لما انقضت مدة دولة بنى أمية و قرب تمامها كنت نائما عند سليمان ابن هشام فإذا به قد أيقظنى و قال لى كنت نائما فرأيت فى نومى كأنى فى جامع دمشق و كأن رجلا فى يده خنجر و على رأسه تاج و هو رافع صوته بهذه الأبيات:

أبنى أمية قد دنا تشتيتكمو ذهاب ملككم و أن لا يرجع

و ينال صفوته عدو ظالمللمحسنين إليه ثمّت يفجع

/ (ص ۵۵) بعد الممات فكل ذلك صالحيا ويحه من قبح ما قد يصنع

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳۰

قال العلا فقلت لسليمان و لعل ذلك لا يكون، فأطرق سليمان ساعة و قال لى هيهات يا علا ما يأتى به الزمان قريب، فلم تتم الجمعة حتى دخل عليهم مروان الجعدى و انقرضت دولتهم فاتح ثلاث و ثلاثين و مائة انظر الجمان للشاطبى.

قائمة خلفاء الشيعة الفاطميين

و جملة ملوك الشيعة و هم العبيديون أربعة عشرة ملكا و هم: المهدى ثم القائم، ثم المنصور، ثم المعزّ، ثم العزيز، ثم الحاكم، ثم الظاهر ثم المستنصر، ثم المستعلا، ثم الآمر، ثم الحافظ، ثم الظافر، ثم الفائز، ثم العاضد و هو آخرهم. و به انقرضت دولتهم، و دأب الدنيا لم تعط إلّا استردّت و لم تحل إلّا تمرّرت و لم تصف إلا تكدرت بل صفوها لا يخلو من الكدر. و فى ذلك قال الشاعر من البسيط:

حسّنت ظنك بالأيام إذ حسنتو لم تخف سوء ما يأتى به القدر

و ساعدتك الليالى فاغتررت بهاو عند صفو الليالى يحدث الكدر

الحذر ينفع ما لم يغلب القدرفإن أتى قدر لم ينفع الحذر

لا بدّ من فرح يوما و من ترحو هكذا الدّهر فى تصريفه عبر

و ليس من قدر إلّا له سببو ليس من سبب إلّا له قدر

رمت البقا أبدا و لا بقاء بهاو الموت حقّ فلا يبقى و لا يذر

قائمة ملوك الأدارسة بالمغرب الأقصى

و جملة ملوك الأدارسة بالمغرب الأقصا (كذا) ثلاثة عشر و هم: إدريس الأكبر ابن عبد اللّه الكامل، ثم ابنه إدريس الأصغر، ثم ابنه

محمد بن إدريس، ثم ابنه على ابن محمد، ثم أخوه يحيى بن محمد، ثم ابنه يحيى بن يحيى، ثم على بن عمر ابن إدريس الأصغر، ثم يحيى المقدام بن القاسم بن إدريس الأصغر، ثم يحيى ابن إدريس بن عمر بن إدريس الأصغر. و هو أعلا الأدارسة ملكا، ثم الحسن الحجام

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳۱

ابن محمد بن القاسم بن إدريس الأصغر. ثم محمد كانون ابن القاسم بن إدريس الأصغر. ثم ابنه أبو يعيش أحمد بن محمد كانون، ثم أخوه الحسن بن محمد كانون.

و هو آخرهم، و به انقرضت دولتهم من المغرب بالكلية.

قائمة ملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط

و جملة ملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط إحدى و عشرون: فبتلمسان أربعة و هم: محمد بن سليمان بن عبد اللّه الكامل. ثم ابنه أحمد، ثم ابنه محمد، ثم ابنه القاسم. و برشقون أربعة أيضا و هم: عيسى بن محمد بن سليمان بن عبد اللّه الكامل، ثم ابنه إبراهيم، ثم ابنه يحيى، ثم أخوه إدريس بن إبراهيم. و بجرارة ثلاثة و هم: إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد اللّه الكامل، ثم ابنه أبو العيش عيسى، ثم ابنه الحسن. و بتاهرت ثلاثة أيضا و هم: الحسن بن محمد بن سليمان بن عبد اللّه الكامل، ثم ابنه حناش، ثم ابنه بطوش. و بتنس سبعة و هم:

إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد اللّه الكامل، ثم ابنه عيسى، ثم ابنه إبراهيم، ثم محمد بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن عبد اللّه الكامل، ثم ابنه يحيى، ثم ابنه على، ثم أخوه حمزة بن على، و تغلّب العبيديون على السليمانيين، لما تملّكوا المغرب الأوسط فأزالوا دولتهم و قطعوها و الملك للّه وحده.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳۲

الدولة الثالثة المرابطون

(ص ۵۷) ثم ملك و هران/ الدولة الثالثة و هم المرابطون:

و يقال لهم الملثمون و هم لمتونة فرقة من صنهاجة تلقّبوا بذلك لكونهم انقطعوا فى جزيرة ببحر النيل و ربطوا أنفسهم فيها للطاعة مع شيخهم عبد اللّه ابن ياسين إلى أن كثر عددهم فقاموا للملك إلى أن كان منهم ما كان. و من ثمّ صار هذا لقب لكل ناسك مبرور ملازم للطاعة لا- يدخل فى شؤون المخزن سيّما بالمغرب الأوسط. و سمّوا بالملثمين إمّا لكونهم لا يتركوا (كذا) اللثام حتى أنه لا يعرف أحدهم إلا إذا كان ملثما و إلّا فلا، و إما لكون رجالهم غابت عن حيّهم و بقى به النساء فجاءتهم العرب لأخذهم فلبس النساء لباس الرجال و تلثمن لئلا يعرفن و ركبن النجائب و قاتلن العدو إلى أن دفعن (كذا) عن الحى ففعل ذلك الرجال و بقيت فيهم سنّة للآن فى بلادهم و هم الذين يقال لهم التوارق بقرب السّودان.

و أول من ملك منهم و هران المجاهد يوسف بن تاسفين اللمتونى و ذلك أنه استقر بالمغرب سنة ثلاث و خمسين و أربعمائة خليفة «لابن عمه أبى بكر ابن عمر اللمتونى لما اختار الرجوع للصحراء و صار يدوّخ فيه و لما صعب عليه حرب المصامدة ذهب لمراكش و هى مفاوز و معناها بلغتهم «إمش مسرعا». فمر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳۳

معناه: إمش، و كش، معناه: مسرعا. و بنا (كذا) قصبة صغيرة و مسجدا و أدار بذلك سورا و ذلك سنة أربع أو خمس و خمسين و

أربعمائة و اتخذ الأجناد و القواد و البنود و الطبول و سائر/ آلة الملك تلك السّنة و توجه بذلك لفاس فدخله (ص ۵۸) عنوة و خرّبه و هدم أسواره و ظفر بعامله بكّار بن إبراهيم فقتله و ارتحل إلى صفرو فدخله من يومه عنوة و قتل عماله أولاد المسعود و المغراوى و رجع لفاس لكونه لما فتحه أولا و جعل عليه عاملا لمتونيا قام عليه به تميم بن معنصر المغراوى فدخله و قتل عامله و لما سمع بقدوم يوسف هرب من فاس و دخله يوسف ثانيا و هو الفتح الثانى فى يوم الخميس ثانى جمادى الثانية سنة اثنين و ستين و أربعمائة فأسرف فى قتل مغراوة إلى أن قتل منهم بالجامعين الأعظمين ما يزيد على ثلاثة آلاف، و هدم الأسوار التى فصل بها ابنا زيرى بن عطية و هما: الفتوح، و عجيسة، بين العدوتين و صيرهما (كذا) مدينة واحدة حمل أهلها على تكثير المساجد و أقام بها إلى صفر سنة ثلاث و ستين و أربعمائة فخرج لقصور بنى وطاط بملوية ففتحها و وجه إلى أمراء المغرب و أشياخه بالقدوم ليتفقد أحوالهم و أحوال رعيته و غزى (كذا) مدينة رهونة من طنجة سنة خمس و ستين و أربعمائة فدخلها عنوة و فتح جبل علودان، و فتح غياثة و بنى مكود، و زهينة، سنة سبع و ستين و أربعمائة و فتح طنجة فى سبعين و أربعمائة . ثم بعث قائده مزدلى لتلمسان فى عشرين ألفا ففتحها سنة اثنين و سبعين و أربعمائة و قتل ابن أميرها معلا بن يعلا المغراوى و كتب اسمه على السكة فى جهة و فى الأخرى كتب: «و من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه» سنة ثلاث و سبعين و أربعمائة / و فيها غزا (كذا) (ص ۵۹)

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳۴

وجدة و بنى يزناسن و تلمسان فلقيه بها ملكها العباس بن بختى المغراوى بجيشه من بنى يفرن و مغراوة فقتله و أكثر جنده و فتحها عنوة و استعمل عليها محمدا ابن تعمر المسوفى و بنا (كذا) بها تلمسان الجديدة بمحل محلّته و هى المسكونة الآن.

ثم تخط (كذا) منها لوهران تلك السنة ففتحها عنوة و نفا (كذا) عنها ملوكها بنى الخزر المغراويين و صيرها من جملة رعيته و قطع دعوة مغراوة و بنى يفرن من المغرب كله. و فى إخراجه لمغراوة من فاس، و وهران، قال الحافظ أبو راس فى سينيته ما نصّه:

ثم أزالهم يوسف أيضا فعى كما أزالهم قبل عن أرض فاس

ثم زاد إلى مازونة و تنس و وانسريس و شلف و زاد متماديا بجيوشه إلى الجزائر فطوعها و أطاعه أهلها بنو مزغّنة و كان دخوله لها فى ربيع الأول سنة خمس و سبعين و أربعمائة و صيرها حدّا بينه و بين ملوك البلكانية من صنهاجة للقرابة التى بينهم. فملك رحمه اللّه من الجزائر إلى السودان إلى البحر المحيط إلى جبل الذهب بهذه العدوة و كلها بسط فيها العدل و أبطل منها المكس (ص ۶۰) و المغارم. ثم تخط إلى عدوة الأندلس سنة تسع و سبعين و أربعمائة / فهزم الكفرة و أوقع بهم فى قضية الزلاقة المشهورة الموقع العظيم حتى أنه جمع فيها الرؤوس إلى أن صارت تلا يعنى ربوة و أذن عليها المؤذن ثم فرّقها على المدن فأعطى لكل مدينة ألوفا عديدة، و ازينت لتلك الواقعة بغداد، و الحرمان الشريفان، و مصر، و العراق، و الشام، و غيرهم من مدن المشرق و شاع خبرها إلى مدينة سرة قاعدة مدن الهند و بعث له الناصر العباسى على ذلك خلعا كثيرة يقصر عنها الوصف، و جدد له العهد و قطع رحمه اللّه ثوار الأندلس مثل ابن عبّاد و غيره.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳۵

و ملك بعدوة الأندلس من أفراغة قاصية أرض الفرنج إلى إشبونة حدها من المغرب عند البحر المحيط و ذلك مسيرة شهر و ثلاثة أيام طولا، و العرض نحو العشرين يوما و بسط فيها أيضا العدل و أبطل المكس و بايعه بها ثلاثة عشر ملكا و خطب له على ألف منبر و تسعمائة منبر و ساست ملكه زوجه زينب و ماتت سنة أربع و ستين و أربعمائة و كان رحمه اللّه زاهدا يلبس الصوف و يأكل خبز الشعير بلبن الإبل و لحومها، و غالب أكل جنده الجيّد كالدرمك و الفالوج و نحوهما، و جدد السكة من واقعة الزلاقة فنقش فى دينار فى جهة: لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه، و تحته أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين، و فى الدائرة: و من يبتغ غير الإسلام دينا إلى الخاسرين. و فى الصفحة الأخرى الأمير عبد اللّه أمير المؤمنين العباسى و فى الدائرة تاريخ الضرب و موضع السكة. ولد رحمه اللّه سنة أربعمائة و توفى سنة خمسمائة عن مائة سنة بعد ما ملك أربعين سنة و دفن بمراكش و قبره بها من أعظم المزارات و عليه مشهد

عظيم.

ثم ملك و هران بعده ابنه على، تولى/ بموضع أبيه قيل سنة خمسمائة و قيل (ص ۶۱) سنة واحد و خمسمائة و هو ابن ثلاث و عشرين سنة، فملك جميع الغرب من بجاية لسوس الأقصا و للقبلة من سجلماسة لجبل الذهب فى السودان و الأندلس شرقا و غربا و خطب له على ألفين و ثلاثمائة منبر و كان محبّا لأبى الوليد بن رشد فولاه القضاء بقرطبة سنة تسع و خمسمائة و عزله منها سنة ثلاثة عشر و خمسمائة و جعل بدله أبا القاسم ابن حميدين فشرع ابن رشد فى شرح العتيبة و سماه بالتحصيل و البيان. و فى أعوام العشرة الثانية أمر بحرق كتاب الإحياء للغزالى لما فيه من التشديد بإغراء أبى القاسم ابن حمدين و موافقة ابن رشد و القاضى عياض. و فى أيامه ظهر أمر الشريف المهدى بن تومرت القائم بدولة

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳۶

الموحدين و ذلك سنة خمسة عشر و خمسمائة فقال له قاضى المرية بمراكش اجعل على رجليه كبلا، قبل أن يسمعك طبلا، فأبى إلى أن كان ما كان و بسببه دخل الدولة المرابطية الهرم و كثر فيها الإرجاف و كمل بناء مدينة مراكش بإشارة ابن رشد عليه سنة اثنين و عشرين و خمسمائة فأنفق على سورها سبعين ألف دينار و على جامعها الأعظم و المنارة ستين ألفا دينار أخرى. و أخذ البيعة لولده (ص ۶۲) تاشفين سنة سبع و سبعين و أربعمائة / و توفى بمراكش سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة. و هو ابن سبع و خمسين سنة بعد ما ملك سبعا و ثلاثين سنة. و كان فقيها عالما فاضلا خير مالك و دولته عز للإسلام و سيرته حسنة و أحواله مستحسنة.

و فى وقته بنا (كذا) وزيره عبد الرحمن المعافرى الحمام بجوف الجامع الأعظم من غرناطة و فرّش صحن جامع قرطبة و أصلح بناء مدينة طرطوشة.

ثم تولى ابنه تاشفين بموضعه فى ثامن رجب سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة فى معظم فتنة الموحدين بمعاهدة أبيه إليه فى حياته فأطاعته العدوتان كأبيه وجده و اتصلت حروبه مع عبد المؤمن بن على من أول أمره و صار يتبع عبد المؤمن بن على حيث مرّ إلى أن توجه لتلمسان فأتبعه لها و دخلها تاشفين سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة و نزل عبد المؤمن بن على بين الصخرتين بظاهرها مما يلى الجبل و نزل تاشفين الوطا مما يلى الصفصيف و زحف المرابطون للموحدين فنهاهم تاشفين فأبوا و تعلقوا بالجبل فانحدر لهم الموحدون و هزموهم شنيعا و فرّ تاشفين لوهران فى مواعدة صاحبه ابن ميمون فى أسطوله بالبحر و نزل بظاهرها و ترك تلمسان تحت عامله محمد بن الشيّور فترك عبد المؤمن لمحاصرة تلمسان وزيره يحيى بن تومرت و لحق بوهران فى طلب تاشفين فنزل عليه و حاصره بها إلى أن مات. و اختلف فى وجه الموت على أربعة أقوال و معناها واحد. فقال أبو محمد صالح فى الأنيس المطرب بروض

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳۷

القرطاس: خرج تاشفين ليلا ليضرب فى محلة العدو فتكاثرت عليه الخيل و الرجال و كانت ليلة مظلمة ممطرة و هى ليلة تسع و عشرين من رمضان سنة/ تسع (ص ۶۳) و ثلاثين و خمسمائة ففرّ أمامهم و كان بجبل عال منيف على البحر فظن أن الأرض متصلة فأهوى بفرسه من شاهق بإزاء رباطة و هران فمات. و قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار و سائر كتبه المؤلفة فى التاريخ: إنه لما طال عليه الحصار بوهران و علم أنه لا طاقة له ودّع خواصه و خرج ليلة عيد الفطر سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة إلى جبل هيدور و هو جبل و هران على فرس عتيق و حملها (كذا) على شاهق فتردى به فى بعض الأخاديد فمات و من الغد وجد.

و قوله رضى اللّه عنه فى عجائب الأسفار أن ذلك سنة إحدى و أربعين و خمسمائة سبق قلم.

و قال أبو الفدا صاحب حماة فى المختصر، فلما كان ليلة تسع و عشرين من رمضان سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة و هى ليلة يعظمها المغاربة سار تاشفين فى جملة يسيرة مختفيا ليزور مكانا على البحر فيه متعبدون و صالحون بقصد التبرك فبلغ الخبر مقدم جيش عبد المؤمن و اسمه عمر بن يحيى الهنتانى فساروا و أحاط به فركب تاشفين فرسه و حمل ليهرب فسقط من جرف عال فمات. و قال أبو إسحاق الشاطبى فى الجمان إن تاشفين لما هرب من تلمسان اتبعوه إلى أن نزل بمرسى و هران فحاصروه بها و دخلوا عليه فلجؤه

(كذا) إلى جرف عال فرمى بنفسه و هو راكب على فرسه من أعلا (كذا) الجرف فاندق عنقه و عنق فرسه فى تلك السنة. ا ه.

قال شيخنا الزيانى فى دليل الحيران و أنيس السهران، و الموضع الذى مات فيه يعرف إلى الآن بمكبّ/ الفرس قرب حمام سيدى دادّ أيوب ما بين و هران (ص ۶۴) و المرسى (الكبير) ثم أنه لما وجد من الغد ميتا بأزاء البحر أخذ و صلب على جذع و اجتزّ رأسه و حمل لتنمليل فعلق بها على شجرة صفصاف عالية و لما صلب بوهران استأصل القتل أصحابه و تفرقوا فهرب بعضهم للنهر المنحدر من رأس العين و هو نهر و هران و كان مشعرا و به غيظ ملتف بعضه ببعض فأضرم الموحدون

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳۸

النار فى الوادى فمن بقى احترق و من خرج قتل و سار عبد المؤمن لوهران فتمكن منها بالسيف و قتل بها ما لا يحصى.

قائمة ملوك صنهاجة

اشارة

و اعلم أن ملوك صنهاجة على ثلاثة فرق:

الفرقة الأولى البلكانية:

و هم ملوك إفريقية و بجاية و المغرب الأوسط و الأندلس أيام الطوائف و جملتهم خمسة و عشرون: فبإفريقية عشرة: أولهم مناد الصنهاجى مقيم الدولة الفاسية، ثم ابنه زيرى مختط مدينة أشير بصفح (كذا) جبل تيطرى أواسط القرن الرابع ، ثم ابنه يوسف بلكين مختط مدينة الجزائر و مليانة و المدية أواسط القرن الرابع أيضا بأمر أبيه المذكور و كانت له أربعمائة حاضنة (كذا) فى قصره حتى إنه بشر فى يوم واحد بولادة سبعة عشر غلاما و هذا لم يسمع مثله. ثم ابنه منصور، ثم ابنه باديس، و مات بدعاء الشيخ محرز ابن خلف عليه. ثم ابنه المعز الذى بلغ فى خسارة عرسه ستة عشر ألف ألف (ص ۴۵) دينار و تراتيب بيته من العود الهندى بمسامير الذهب و أنه عمل لجدّته/ لما ماتت تابوتا من العود الهندى مرصعا بالجواهر و صفائح الذهب و علّق عليه عشرين سبحة من نفيس الجوهر و ذبح عليها مائة بقرة و ألف شاة و نحر خمسين ناقة و فرق على النساء عشرين ألف دينار. ثم ابنه تميم الذى قال فيه أبو على رشيق:

أصح و أعلا ما سمعناه فى الندامن الخبر المأثور منذ قديم

أحاديث ترويها الشيول عن الحمامن البحر فى كفّ الأمير تميم

ثم ابنه يحيى، ثم ابنه على، ثم ابنه الحسن و هو آخرهم بإفريقية و به تمت دولتهم بها فهؤلاء عشرة.

و ببجاية عشرة: أولهم: حماد بن بلكين بن زيرى بن مناد مختط مدينة قلعة بنى حمّاد بجبل عجيسة بإزاء بجاية الذى يقال له جبل المعاضيد فى آخر القرن الرابع ثم الناصر بن علناس بن حماد، ثم ابنه المعز، ثم ابنه القايد، ثم ابنه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۳۹

محسن، ثم بلكين بن محمد بن حماد، ثم ابنه المنصور، ثم ابنه باديس، ثم أخوه العزيز بن منصور، ثم ابنه يحيى. و به تمت دولتهم ببجاية فهؤلاء العشرة مع العشرة الأولى تلك عشرون.

و بالمغرب الأوسط واحد: و هو أبو البهار فذلك إحدى و عشرون.

و بالأندلس أربعة: أولهم صاحب غرناطة زاوى بن بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى كما فى الجمع و البيان فى تاريخ القيروان. ثم

ابن أخيه حابوس ابن ماكس بن بلكين، ثم ابنه باديس صاحب اللعب الذى يقال له السلام عليك يا باديس، ثم ابن أخيه عبد اللّه بن بلكين بن حابوس و هو الذى أخذه مع أخيه/ (ص ۶۶) تميم، يوسف بن تاشفين و عبر بهما البحر لمراكش فهؤلاء خمسة و عشرون.

الفرقة الثانية: المرابطون و يقال لهم الملثمون

، و هم لمتونة ملوك المغرب الأقصى و الأوسط و عدوة الأندلس و جملتهم فى الإسلام اثنا عشر ملكا. أربعة قبل تسميتهم بالمرابطين، و ثمانية بعد تسميتهم بها، إلّا أن المراد بالمرابطين هم الخمسة التاشفنيون: يوسف بن تاشفين و من بعده لا غير. أول الاثنا عشر:

تيلوتان بن تيكلان اللمتونى كان فى أيام عبد الرحمن الداخل ملك الصحراء بأسرها و أطاعه بها من ملوك السودان عشرون ملكا كلها تؤدى له الجزية و كان يركب فى مائة ألف نجيب و عمله مسيرة ثلاثة أشهر فى مثلها لكنه لم يملك الغرب و عاش نحو الثمانين سنة. ثم حفيده الأثير بن فطين بن تيلوتان، ثم ابنه تميم و مات قتيلا سنة ست من الرابع و بقى بعده صنهاجة همّلا من الأمير نحو المائة و عشرين سنة و إنما أمرهم جمهوريا شوريا بينهم. ثم أبو عبد اللّه تارشنا ابن تفاوت اللمتونى، ثم يحيى بن إبراهيم القدالى و هو الذى حجّ و أخذ عن الشيخ أبى عمران الفاسى بالقيروان و سأل منه أن يصحبه من تلامذته من يعلمه و قومه الديانة فأمرهم فأبوا فكتب له لتلميذه محمد بن واقاق اللمطى بنفوسه ليبعث معه من يقوم بهم فى دينهم فبعث معه الشيخ عبد اللّه بن ياسين الجزولى سنة ثلاثين من الرابع و انقطع بهم/ بجزيرة ببحر النيل إلى أن كثر عددهم (ص ۶۷)

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴۰

و تسمّوا بالمرابطين لملازمتهم لرابطة الشيخ عبد اللّه بن ياسين ببحر النيل. ثم يحيى بن عمر اللمتونى، ثم أخوه أبو بكر بن عمر و هو الذى ملك الصحراء و تخطا (كذا) للمغرب و جعل ابن عمه يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت ابن وزنقطن بن منصور بن محالة بن أمية بن و ثمار بن تلميت اللمتونى الصنهاجى الحميرى خليفة عليه. ثم استقل يوسف بالمغرب. ثم ابنه على، ثم ابنه تاشفين، ثم ابنه إبراهيم، ثم عمه إسحاق بن على بن يوسف بن تاشفين و هو آخر المرابطين و به انقطعت دولتهم لما قتله و ابن أخيه إبراهيم، عبد المؤمن ابن على بمراكش. و لكل بداية نهاية و اللّه يوتى ملكه من يشاء. و قد ألّف الحافظ الصيرافى رحمه اللّه فى المرابطين كتابا أسماه- الأنوار الجالية (كذا) فى أخبار الدولة المرابطية.

الفرقة الثالثة الغانية:

أولاد المرأة التى يقال لها غانية بنت عمّ يوسف ابن تاشفين و أبوهم مسوفى من صنهاجة يقال له على بن يحيى المسوفى كان من الشجعان و بالمكانة العظيمة عند يوسف بن تاشفين فلذلك زوّجه من ابنت عمه غانية فأتت معه بولدين و هما: يحيى، و محمد، اللذان ولّاهما على بن يوسف بالأندلس أحدهما و هو يحيى على غربى الأندلس و الآخر و هو محمد على شرقها (ص ۶۸) كميورقة و يابسة/ و غيرهما. و جملة ملوكهم ما بين الأندلس و بجاية و قابس خمسة.

أولهم يحيى المعروف بابن غانية بن على بن يحيى المسوفى بالجهة الغربية من الأندلس و هو الذى أعان شيخه القاضى بسبتة على عبد المؤمن بن على. ثم أخوه محمد بن على بن يحيى على شرقى الأندلس. ثم ابنه عبد اللّه على ذلك، ثم أخوه على بن محمد بن غانية على بجاية، ثم أخوه يحيى بن محمد بن غانية على قابس و هو الذى دوّخ المغرب الأوسط و إفريقية و خرّب تاهرت فلم تعمر من وقته إلى أن جدد عمارتها الفرنسيس فى أعوام الخمسين من القرن الثالث عشر و تقبّض بمنديل المغراوى فصلبه بالجزائر و اشتدت و طأته على الموحدين إلى أن توفى بشلف تحت مليانة سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة بعد ما ملك خمسين عاما

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴۱

فاستراحوا عند ذلک بموته و طاب لهم القرار وصفا حالهم من الأکدار. فجملة ملوک فرق صنهاجة الثلاثة: اثنان و أربعون ملکا. خمسة و عشرون من الأولی.

و اثنا عشر فی الثانیة. و خمسة فی الثالثة. و الملک و الدوام للّه الواحد القهار لا إله غیره، و لا خیر إلّا خیره.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴۲

الدولة الرابعة: الموحّدون

اشارة

ثم ملک و هران الدولة الرابعة و هم الموحدون سمّوا بذلک لأخذهم علم التوحید عن شیخهم الشریف المهدی بن تومرت فهو الذی سمّاهم بذلک تعریضا (ص ۶۹) بالمرابطین لکون أهل المغرب کانوا علی مذهب الحنابلة فی الاعتقاد و بمعزل/ عن التأویل فهم کتسمیة لمتونة بالمرابطین لملازمتهم لرابطة شیخهم عبد اللّه ابن یاسین و انقطاعهم معه و أخذهم عنه فعبد اللّه بن یاسین شیخ المرابطین و المهدی بن تومرت شیخ الموحّدین.

و أول ملوک الموحدین شیخهم المهدی بن تومرت المذکور فهو ممن مهّد الملک لغیره و لم یملک و هران. قال الغازی بن قیس فی تاریخه:- و کان جدّه لأبیه دخل المغرب مع عقبة بن نافع الفهری الصحابی و استوطنه من حینئذ- و اختلف فی نسبه علی ستة أقوال: فقال ابن رشیق و ابن مطروح: هو مرغاتی نسبة لقبیلة یقال لها مرغاتة أحد بطون المصامدة. و قال غیرهما: هو نفیسی نسبة لقبیلة یقال لها نفیسة أحد (کذا) بطون المصامدة أیضا فهو أبو عبد اللّه محمد المهدی بن تومرت الملقب أمغار أیضا ابن عبد اللّه بن وجلید المرغاتی أو النفیسی المصمودی. و قال لسان الدولة ابن الخطیب السلمانی فی شرحه لرقم الحلل: هو من الآل من بنی العباس بن الحسن بن علی کرم اللّه وجهه. و هو غیر صحیح لأن الحسن السبط لا عقب له إلّا من الحسن المثنی و زید، و علی أنه من بنی العباس فهو کما فی الجمان، و الأنیس المطرب، محمد بن عبد اللّه ابن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفیان بن جابر بن یحیی

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴۳

ابن عطاء بن رباح بن یسار بن العباس بن الحسن بن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه. و قال الشیخ علی بن أبی زرع فی القرطاس هو من بنی محمد/ بن علی (ص ۷۰) و هو غیر صحیح أیضا لأن محمد خلّف أبا هاشم فقط و لم یعقّب. و قال ابن نخیل و هو من أهل البیت من ذریة محمد بن سلیمان أخی إدریس بن عبد اللّه لأن عبد اللّه الکامل له من الأولاد إدریس و سلیمان و محمد النفس الزاکیة (کذا) و إبراهیم و یحیی، و موسی، هؤلاء باتفاق و عیسی علی خلاف فیه و جعل بعضهم بدل إبراهیم جعفر فقال فی رجزه:

خلّف ستة من الذکورعبد اللّه الکامل فی المشهور

فجعفر بجزیرة سوسو زرهون فیه مولای إدریس

و ثالثهم مولای سلیمانفقبره بثغور تلمسان

و الینبوع فیه مولای محمدو مولای موسی فی بلاد الهند

و مولای یحیی فی بلد السودانبجاههم نجّنا من نیران

فجعفر منه الجزولی محمّدابه دلیل الخیرات قد ابتدوا

من موسی کان الصالح الجیلانیو من محمد علیّ الثانی

و أبو عنان صاحب الغزالاغصنه من سليمان لا زالا

و من إدريس كان إدريس الثانىقبرهما فى زرهون الأثنانى

مزاره فاس فيه ثم أمرهو قيل بل ضعيف ذاك قبره

اجعلنا فى حماهم يا من مهدهمفى الأرض يا رب بجاه جدّهم

أعنى بذاك سيّد الإرسالمحمد الموصوف بالكمال

و زوج بنته فاطمة البتولعنه الرضاء بالبكور و الأصول

/ و قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار، و الخبر المعرب، و الصواب أنه (ص ۷۱) من أهل البيت من بنى محمد النفس الزاكية بشقيق إدريس ه. و الصحيح أن سليمان بن عبد اللّه الكامل لم يأت المغرب لأنه مات بقصة فخ و إنما الذى أتى للمغرب و استقر بتلمسان و خلّف أولاده بها هو ابنه محمد بن سليمان. ه.

ثم ملك و هران تلميذه و خليفته عبد المؤمن بن على الكومى الزناتى و اختلف فى نسبه على قولين: فقيل أصله من بنى عابد من قبيلة كومة أحد بطون ترارة أهل جبل تاجرا على ثلاثة أميال من مرسى هنين و يقال له أهناى. و قيل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴۴

أصله من بنى عبس أحد قبائل قيس بن غيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان بالحجاز. و عليه فهو أبو محمد عبد المؤمن بن على بن يعلا- بن مروان ابن نصر بن على بن عامر بن لمتى بن موسى بن عون اللّه بن يحيى بن و زجايع ابن صطفور بن نفور بن مطماط بن هودج بن مادغس بن عبس بن قيس بن غيلان ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، قاله فى الأنيس المطرب.

و الصحيح الأول، و كان أبوه طيانا فخاريا يعمل النافخ فبينما هو فى شأن طينه للنافخ إذ جاءته زوجته تبكى قائلة له إن ابنى نزل عليه جند نحل فذهب معها إلى أن رآه فى تلك الحالة فزم عنه النحل لذلك ثم انصرف و لم يؤذه فقال (ص ۷۲) لعراف ما رأى فقال له أنت طيان من أين يبلغ ابنك الملك، و تطلّب من/ صغره، و لزم المساجد لدرس القرآن و العلم فقرأ على ابن صاحب الصلاة بتلمسان، و الشيخ عبد السلام التونسى ضجيع الشيخ أبى مدين، ثم على المهدى فكان من العلماء الجماهر و الفقهاء الأكابر و كذا أولاده من بعده. و تصدّا (كذا) لشرح المقامات الحريرية و كان فى الحزم و النجدة بالغاية و تعلم الحيل من شيخه المهدى فكان منها فى الغاية من جملتها أنه علّم الطائر يقول عند زريبته العز و التمكين للخليفة عبد المؤمن أمير المؤمنين و الشبل إذا رآه يبصبص و يسكن إلى أن صار أسدا. فبويع لذلك و قال فى ذلك أبو على:

آنس الشبل ابتهاجا لذا الأسدو رأى شبه إليه لمّا قصد

و دعا الطائر بالنصر لكمفقضى حقكم لما قد وفد

و أنطق الخالق مخلوقاتهبالشهادة فكلهم قد شهد

بأنك القائم بالأمر لهبعد ما طال على الناس ذا الأمد

و كان شاعرا بالغا فمن جملة شعره ما يروى أنه خرج يوما و معه وزيره أبو جعفر بن عطية للتنزّه ببعض بساتين مراكش فنظر على طاقة دار عالية عليها شبّاك من خشب، جارية بارعة قد خرجت تنظره فأوقعت به حبّا.

فقال ارتجالا من البسيط:

قدت فؤادى من الشباك إذ نظرت فقال الوزير:

خذوا بثأرى أيا عاشق بالمقلى طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴۵

فقال عبد المؤمن:

كأنما لحظها فى قلب عاشقها فقال الوزير:

سيف المؤيّد عبد المؤمن بن على / فاستحسنه و خلع عليه. ثم قتله بعد ذلك بغرناطة لنزغة ملوكية. و كان رقيق (ص ۷۳) الطبع و الحشاشة و تربى فى البادية فاكتسب الرقة و كانت له جارية مولّدة من ولادة العرب تسمى حسناء و كان لها عاشقا و بها مغرما مع ما كان يكابده من تطويل المملكة و إخماد الفتن فقال فيها لما خرج يوما إلى بعض غزواته و ودّعها منشدا:

ألا كيف صبرى عنك يا غاية المنىألا إن روحى بعدكم سوف تذهب

لقد أورثتنى يوم ودّعت حسنهاحرارة و جدى و الهوى يتلهّب

فقلبى حيران لفرط لهيبهاو فى الخدّ عين من دموعى تسكب

انظر أنيس الغريب و المسافر، للشيخ مسلم بن عبد القادر. و كان فى عصره الشيخ أبا يعزّى الغربى الهسكورى و قد شاهد منه كرامات عند الخليفة عبد المؤمن بن على فقال لأخيه ما هذا الذى يذكر عن أخيك فى مشاركته للّه فى علم الغيب فقال يا أمير المؤمنين أنت أقدر عليه منى فبعث إليه الأمير فلقيه الرسول بالطريق قادما للأمير فلما وصل سلم عليه ثم قال له يا أمير المؤمنين فى نفسك شىء مما قال لك فلان و فلان فى يوم كذا فى ساعة كذا فهل لا أخبرك أنّ تحت ذلك البساط ألف دينار عيونا قطعتها و قلت فى نفسك هل ترجع إلى بيت المال أم لا فقال له الخليفة صدقت و قلت الآن فى نفسك أكتب له كتابا بكل ما يريد فأرح الكاتب و وفّر الكاغط. ثم قال حاجتى/ إليك أن تمشى معى (ص ۷۴) لتلك الكدية و بها زرع و أحب أن تسقى ذلك الزرع من هذا الوادى فقال و من يطيق ذلك ثم حرك الشيخ شفتيه فأمر اللّه المطر حتى شربت الكدية و جرت الأودية فى الحين و قال له عرفنا بصدق الغيوب التى تذكر عنك فقال حمارى يأكله السبع الليلة فوجّه الخليفة من جعله بين مربط خيله و بات عليه العبيد هنالك فلما أصبح تفقده العبيد فوجدوا الحمار عقيرا و السبع يأكل فيه حتى وقف عليه و ضربه بعصاه فخرّ الأسد ميتا فقيل للخليفة ذلك فقال لجلسائة اعتبروا بهذه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴۶

القصة فقد ضربها لكم مثلا فكأنه يقول أنا رب الحمار قتله لى الأسد فسلطت عليه و قتلته و أنا عبد، و ربى اللّه و إن قتلتمونى غضب علىّ سيدى فيفعل مثل ذلك أو أشد و قد توفى رحمه اللّه و نفعنا به سنة اثنين و سبعين و خمسمائة عن مائة و ثلاثين سنة.

قال ابن رزقون كنت فى العلماء الذين جمعهم عبد المؤمن بن على سنة خمسين من القرن السادس التى أمر فيها بحرق كتب الفروع و قام وزيره أبو جعفر بن عطية و قال بلغ سيدنا أن قوما تركوا الكتاب و السّنّة و صاروا يفتون بفروع لا أصل لها. فمن نظر فيها عاقبته و أنهم عندهم كتاب يقال له المدونة لا يرجعون إلّا إليه و من العجب قولها بإعادة الصلاة فى الوقت مراده بذلك أن (ص ۷۵) يحمل الناس على مذهب ابن حزم الظاهرى/ قال فحملتنى الغيرة و تكلمت بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لما صلى أعرابى أمامه قال له صلّ فإنك لم تصلّ كما فى البخارى فقال لا أحسن غير هذا فعلّمه و لم يأمره بإعادة ما خرج وقته فقام عبد المؤمن و سكن الحال و لم أر منه بعد هذا إلّا الكراهة ه.

و هو الذى أمر بتكسير الأرض بالمغرب فى سنة أربع و خمسين من السادس من برقة إلى واد نون بسوس الأقصا بالفراسخ و الأميال طولا و عرضا فأسقط بعد التحقيق الثلث للجبال و الأودية و الشّعاب و الغيّب و السّباخ و الطرقات و الخراب و قسّط على الثلثين الباقيين الخراج و ألزم كلّ قبيلة بقسطها من الزرع و الورق و الذهب. ثم بنا (كذا) فى التى تليها جبل الفتح و حصّنه و نقل من عرب إفريقية للمغرب ألفا من كل قبيلة بأهلهم و هم الذين بالمغربين يقال لهم الحشم سمّوا بذلك لأنهم حشم عبد المؤمن بن على أى أتباعه الخادمين له الممتزجين الأجناس. و بنا (كذا) مدينة البطحاء بأرض هوارة تلك السنة و دفن بها شيخه و بنا على ضريحه قبّة و بإزائها جامعا و ترك بها عشرة من كلّ قبيلة من قبائل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴۷

العرب و بعث خفية لقبيلته و هو بمراكش فأتوه فى أربعين ألف فارس كلهم شبّان فى أثناء سنة سبع و خمسين من السادس فصيّرهم

جندا له فى الدرجة الثانية.

لأن الدرجة الأولى هى أهل تنمليل، و الثانية كومة، و الثالثة الأتباع، و أدناهم منه بطانة يركبون وراءه و يقفون على رأسه و يمشون بين يديه و قد تمهدت/ له العدوتان (ص ۷۶) و بسط فيهما العدل حتى صارت المرأة تمشى وحدها حاملة معها ما تحبه من سوس الأقصا (كذا) إلى برقة فلا يتعرض لها أحد و لا يكلمها بسوء. و كذا حفيده المنصور فى أيامه مثله و قد ابتدأه المرض الذى مات منه فى سنة ثمان و خمسين و خمسمائة بمدينة سلا حال تجهيزه الجيوش للغزو فنزل برباط الفتح و قد اجتمع عليه من القبائل ما يزيد على ثلاثمائة ألف و من المطاوعة ثمانون ألف فارس و مائة فارس راجل و انتشرت محلته بسلا من موضع يقال له غيولة إلى موضع يقال له عين خميس. فتوفى ليلة الثلاثاء وقت الفجر ثامن جمادى الثانية تلك السنة عن ثلاث أو أربع و ستين سنة بعد ما ملك ثلاثا و ثلاثين سنة و خمسة أشهر و عشرين يوما فحمل لتنمليل و دفن بجانب قبر شيخه المهدى. و إلى كون الموحدين ملكوا و هران فى وسط السادس أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

موحدون أتوا من بعد ذا و علواستحوذوا عليها فى وسط السادس

ثم ملكها بعده ابنه يوسف بن عبد المؤمن بن على الكومى. و كان عالما صالحا منزّها عن سفك الدماء و هو أول من جاز بنفسه من ملوك الموحدين لغزو الأندلس و قيل أبوه قبله ملك بالمغرب من سويقة مطكوك قاصية إفريقية إلى وراء نون بأقصا سوس إلى آخر بلاد القبلة و بالأندلس من تطليت قاصية شرقى الأندلس إلى آخر غربى الأندلس. و هو الذى بنا (كذا) قنطرة تانسيفت سنة ست/ (ص ۷۷) و ستين منه و كذا القصبة و غيرها و أتى بالماء لإشبيلية من قلعة جابر. كل ذلك

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴۸

تلك السنة. و قام عليه مزدرع الغمارى المفتاحى سنة تسع و خمسين من السادس و كتب فى سكته مزدرع الغريب، نصره اللّه قريب، فبعث له جيشا فقتلوه و أتوا له برأسه لمراكش. ثم قام عليه بغمارة يوسف بن منفقيد سنة إحدى و ستين منه فتحرك له بجيشه فى سنة اثنين و ستين منه فقتله و حمل رأسه لمراكش. ثم قام عليه بقفصة بإفريقية ابن زيرى سنة أربع و سبعين فتحرك له من مراكش فى السنة التى بعدها و وصل لإفريقية سنة ست و سبعين منه و ضايق ابن زيرى ثم ظفر به و قتله و عاد لمراكش فدخلها فى السنة السابعة و سبعين منه و بنا (كذا) المعدن الذى ظهر ببليان سنة ثمان و سبعين منه . ثم جهز الجيوش للجواز الثانى بالأندلس سنة تسع و سبعين منه و لما حل بسلا أخبر بتمهيد إفريقية ثم رحل لمكناسة ثم لفاس و خرج منه سنة ثمانين من السادس فحل بسبتة و أمر الناس بالجواز فجاز العرب أولا، ثم زناتة من غير مغراوة، ثم المصامدة، ثم مغراوة، ثم صنهاجة، ثم أوروبة و سائر البربر، ثم الموحدون و الأغزاز و الرمات (كذا) ثم هو فى عبيده و دائرته. فنزل بمرسى جبل الفتح. ثم للجزيرة الخضراء، ثم لقلعة خولان، ثم لاوكس، ثم لشريش، ثم لبنريشة، ثم (ص ۷۸) لإشبيلية،/ ثم لواد بصر ثم لشنترين فنزل عليها و أدار بها الجيوش و ضايقها ثم انتقل لغربها لأمر أراده اللّه تعالى (كذا) فأنكر المسلمون ذلك و بعد العشاء أمر ابنه أبا إسحاق بالرحيل نهارا لأشبونة و يشن الغارات بجيش الأندلس خاصة فأساء الفهم و رحل ليلا فاتبعه الناس بلا علم من الأمير و بقى فى شرذمة قليلة فسمع العدوّ فصك محلته إلى خبائه فمزقوه و قاتلهم بسيفه إلى أن قتل منهم ستة فطعنوه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۴۹

طعنات نافذة و قتل من جواريه ثلاثة و حلّ بالأرض فاجتمعت عليه عبيده و باقى جيشه و تراجع المسلمون فدفعوا عنه العدو و هزموه و فتحوا البلد عنوة و قتل من العدو ما يزيد على العشرة آلاف و من المسلمين جماعة و لاح الأمن للأمير فركب و رحل و ضل الناس فاهتدوا بالطبول و ساروا لإشبيلية. قال ابن مطروح القيسى فى تاريخه فاشتدّ بالأمير ألمه و مات بالطريق قرب الجزيرة قاصدا مراكش يوم السبت ثانى عشر ربيع الثانى سنة ثمانين و خمسمائة عن نحو الست و خمسين سنة بعد ما ملك اثنين و عشرين سنة و شهرا و ستة أيام فحمل لتنمليل و دفن بجانب قبر أبيه، و قيل مات بمراكش. قال اليافعى فى تاريخه: و كان يحفظ أحد الصحيحين، و ذكر الحافظ

اللواتى الشهير بابن بطوطة الطبخى فى رحلته التى اسمها: تحفة النظار، و غرائب الأمصار، و عجائب الأسفار، أنه يحكى أن يوسف بن عبد المؤمن دخل دمشق فمرض بها شديدا مطروحا بالأسواق و بعد برءه، (كذا) خرج لظاهر دمشق/ ليلتمس بستانا يحرسه فاستؤجر لحراسة بستان (ص ۷۹) الملك نور الدين و أقام ستة أشهر و فى أوان الفاكهة جاء السلطان لبستانه و أمر أن يؤتى له برمان يأكله فأوتى به فوجده حامضا و تكرر ذلك فقال له الوكيل أنت فى حراسة منذ ستة أشهر و لا تعرف حلوه من حامضه فقال استأجرتنى على الحراسة لا- على الأكل فأعلم الوكيل الملك بذلك فبعث له و كان الملك رأى فى المنام أنه يجتمع به و تحصل له منه فائدة فتفرّس أنه هو و قال له أنت يوسف قال نعم فقام له و عانقه و أجلسه بجانبه و احتمله لمجلسه و أضافه (كذا) بحلال مكتسب من كدّ يمينه لأنه من الصالحين كان ينسج الحصر و يقتات بثمنها فبقى عنده أياما ثم خرج من دمشق فارّا من أوان البرد الشديد فأتى قرية من قراها و بها رجل من الضعفاء فعرضه للنزول ففعل و أتاه بمرقة و دجاجة مطبوخة و خبز شعير فأكل و دعا له. و له جملة أولاد منهم بنت، آن بناء زوجها بها و عادتهم أن يجهّزها أبوها و معظم الجهاز أوانى النحاس به يتفاخرون و يتبايعون فقال له أعندك النحاس قال بلى إنى اشتريته كثيرا لتجهيز البنت فأمره أن يأتيه به فأتاه و قال له استعر من الجيران ما أمكنك ففعل و أحضره و أوقد عليه النار و أخرج صرة فيها الأكسير

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵۰

فطرح منه عليه فعاد ذهبا. و تركه فى بيت مقفل. و كتب لنور الدين ملك دمشق يعلمه به و ينبّهه على بناء مارستان للمرضى الغرباء و يوقف عليه الأوقاف و يبنى (ص ۸۰) الزوايا بالطرق و يرضى أرباب النحاس و يعطى لصاحب البيت الكفاية./ و قال فى آخر الكتاب إن كان إبراهيم بن أدهم خرج عن ملك خراسان فأنا خرجت عن ملك المغرب و عن هذه الصنعة. و قبره بكرك نوح من بقاع العزيز ببيروت و عليه زاوية يطعم بها الوارد و الصادر و وقّف عليه صلاح الدين و قيل نور الدين الأوقاف.

و قال اليافعى فى تاريخه أن القضية وقعت لابنه المنصور كما ستراه إن شاء اللّه تعالى (كذا).

ثم ملكها بعده ابنه يعقوب المنصور، و كان شهما شجاعا محبا للعلماء معظّما لهم مشاركا فى كثير من الفنون. و أول ما فعله أخرج مائة ألف دينار ذهبا من بيت المال و فرقها على الضعفاء، و كتب بتسريح المساجين ورد المظالم و إكرام العلماء و الصلحاء و رجوع الأحكام للقضاة و إجراء الإنفاق على أهل الفضل و الصلحاء و العلماء و تفريق الأموال على الأجناد و تشحيم الثغور بالخيل و الأبطال و غزى إفريقية سنة اثنين و ثمانين من السادس فدوّخ و سبا إلى أن أذعنوا له و نقل عربها لمراكش و جاز جوازه الأول لغزو الأندلس سنة ثلاث و ثمانين منه فقتل و خرّب لأشبونة و انصرف للعدوة بسبى كثير ما بين النساء و الصبيان.

ثم ارتحل للأندلس لغزوة الأراك المشهورة سنة إحدى و تسعين منه فأجاز العرب أولا ثم زناتة ثم المصامدة ثم غمارة ثم الموحدين ثم المطاوعة ثم الرماة ثم العبيد ثم هو فى أثرهم و معه العلماء و الصلحاء و أهل النجدة و الزعامة. فحل بالخضراء و زاد (ص ۸۱) إلى أن بقى بينه و بين الأرك مرحلتان/ قدّم على جيشه أبا عبد اللّه بن صناديد و حصل المصافّ بالأرك فقسم جيشه على نصفين: نصفه فى مقابلة العدو، و نصفه كمينا. و اشتدّ القتال و دارت نار الحرب فوقع النصر له و أثخن فى العدو

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵۱

قتلا و سبيا و انهزم الفنش و فتح الحصن عنوة تلك السنة و كان جملة القتلى ثلاثين ألفا و الأسارى (كذا) خمسة آلاف. و جال بالقتل و السبى و التخريب إلى إشبيلية فدخلها و بنا (كذا) جامعها الأعظم و منارته فكان بين غزوة الزلاقة و الأرك مائة و اثنا عشر سنة و فتح كثيرا من مدن الأندلس و حصنيه و بنا (كذا) مراكش و رباط الفتح و جامع حسان و منارته حال جوازه للأندلس ثم رجع لمراكش سنة أربع و تسعين منه و أخذ البيعة لابنه الناصر فبدأه مرض موته و لما اشتدّ به قال ندمت على ثلاث مسائل و هى إدخالى عرب إفريقية للمغرب و هم أهل فساد، و بنائى رباط الفتح و هو بعيد لا يعمر، و إطلاقى أسارى الأرك و لا بد لهم من طلب الثأر، و توفى رحمه اللّه بعد صلاة العشاء من ليلة الجمعة ثانى عشرين من ربيع الأول سنة خمس و تسعين و خمسمائة بقصبة مراكش و حمل

لتنمليل فدفن بها و هو ابن أربعين سنة بعد ما ملك أربعة عشر سنة و إحدى عشر شهرا و أربعة أيام. قال أبو الفدا صاحب حماة و كان يتظاهر بمذهب الظاهرية و أعرض عن مذهب مالك. قال اليافعي في تاريخه و يحكى أنه زهد في الملك و ساح إلى أن مات بالشام لأني سمعت ممن لا أشك فيه أن جمعا من شيوخ/ المغاربة تذاكروا (ص ۸۲) رسالة القشيري و ما فيها من مشايخ المشارقة و مناقبهم فرأوا معارضته برسالة فيها مناقب شيوخ المغاربة ثم تذاكروا أن في القشيرية من زهد في الملك من المشارقة و هو ابن أدهم فلم يجدوا ذلك في شيوخ المغرب و قالوا لا يتم إلّا بذكر ملك زهد في الملك فجاء الشيخ الكبير أبو إبراهيم إلى يعقوب المنصور فسرّ به و أعطاه جوهرا نفيسا فالتفت الشيخ أبو إبراهيم إلى شجرة هناك و نظرها فإذا هي حاملة جوهرا يدهش منه العقول فعلم السلطان ما أكرم اللّه به أولياءه غنى صارت ملوك الدنيا بين أيديهم كالخدم، و ملكهم حقير كالعدم، فعندها أحقر يعقوب الملك و زهد فيه و صار من أكابر الأولياء. قال الحافظ أبو راس في عجائب الأخبار، و ما يقال أنه ساح في الأرض و ترك الملك زهدا و وصل إلى الشام و قبره

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵۲

به كما هو الشائع عند العوام لا أصل له. زاد اليفريني في نزعته أنه لم يسح و لا حمام له و أنه لم يزهد، و ليس بمولاي و إنما ذلك كله خرافات ه.

ثم قال الحافظ أبو راس في الخبر المعرب، كان ابن زهر الطبيب الماهر بمراكش عند يعقوب المنصور فتشوّق و أهله بإشبيلية فسمعه يقول هذه الأبيات الثلاثة:

ولي واحد مثل فرخ القطاتصغير تخلّفت قلبي لديه

و أفردتّ عنه فيا وحشتيلذاك الشخيص و ذاك الوجيه

تشوّقني و تشوّقتهفيبكي عليّ و أبكي عليه

(ص ۸۳)/ قال فأرسل المنصور المهندسين لإشبيلية و أمرهم أن يحيطوا علما ببيوت ابن زهر و حارته ثم يبنوا مثلها بمراكش فذهبوا و انقلبوا لمراكش و فعلوا ما رأوا في أقرب مدة ثم أمر بنقل عيال ابن زهر و كل ما يتعلّق به بعد ما فرش المهندسون البيوت بمثل فرشه و وضعوا فيها آلة مثل آلته ثم جاء ابن زهر فرأى دارا أشبه بداره فتحير و ظن أنه نام، و تلك أضغاث أحلام ثم رأى ولده الذي تشوق له يلعب في البيت و رأى أهله جالسين فسرّ سرورا عظيما و هو القائل لما شاب رحمه اللّه تعالى (كذا):

كانت سليمى تنادي يا أخيّ و قدصارت سليمى تنادي اليوم يا أبانا

و هو مثل قول الأخطل في المعنى حيث قال:

و إذا دعونك عمّهنّ فإنهنسب يزيدك عندهنّ خبالا

و إذا دعونك يا أخيّ فإنهأدنى و أقرب خلّة و وصالا

و لما أراد المنصور أن يحمل الناس على مذهب ابن حزم الظاهري و سمع المواق ذلك جمع من كتب ابن حزم مسائل كثيرة انتقدت عليه و أراها للمنصور فلما قرأها قال أعوذ باللّه أن أحمل أمة محمد على هذا و ثنا (كذا) عليه و ليس هو المواق شارح مختصر الشيخ خليل لأن الشارح متأخر عن هذا بنحو ثلاثمائة سنة ه.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵۳

قائمة ملوك الموحدين

و اعلم أن ملوك الموحدين ما بين المغرب و إفريقية و بجاية و المهدية مع طرابلس سبعة و أربعون ملكا:

فبالمغرب أربعة عشر ملكا: أولهم شيخهم المهدي بن تومرت، ثم عبد المؤمن بن علي الكومي العابدي، ثم ابنه يوسف العسري، ثم

ابنه المجاهد يعقوب المنصور صاحب قصة الأرك، ثم ابنه محمد الناصر و هو صاحب/ غزوة العقاب التى حصد فيها شوكة المسلمين سنة تسع من السابع (ص ۸۴) فكانت مشومة على المسلمين عامة و على أهل الأندلس خاصة و هو أنه غزاها فى جيش كالجراد المنتشر فأدركه الإعجاب من ذلك و حل به الانتقام فكانت الدائرة عليه. ثم ابنه يوسف المستنصر و فى وقته سنة ثلاثة عشر من السابع ظهر أمر عبد الحق المرينى و بظهوره دخل دولتهم الهرم، ثم عمه عبد الواحد المخلوع بإجماع الدولة على توليته و خلع بعد تسعة أشهر و قتل خنقا و انتهبت أمواله و سبى حريمه و هتك ستره فهو أول من خلع و قتل من الموحدين و صار الموحدون كالأتراك لبنى العباس. ثم ابن أخيه عبد اللّه العادل بن يعقوب المنصور و قد بويع أولا- بمرسيّة من الأندلس فى نصف صفر سنة إحدى و عشرين و ستمائة و بويع ثانيا بمراكش يوم الأحد ثانى عشرين شعبان تلك السنة و توقف عن بيعته بلنسية و شاطبة و دانية و الحفصيون عمال إفريقية. و فى أيامه كانت الواقعة الشنيعة بين المسلمين و الفرنج على طليطلة بالأندلس انهزم فيها المسلمون هزيمة قبيحة و هى التى هدمت دعائم الإسلام بالأندلس فسأل منه الموحدون أن يخلع نفسه فأبى و قال لا أموت إلّا أميرا فخلعوه ثم جعلوا عمامته فى عنقه و شنقوه بها و رأسه فى الخاصّة إلى أن مات يوم الثلاثاء حادى عشرين شوال سنة أربع و عشرين من

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵۴

السابع و نهب المصموديون قصره و استباحوا حريمه، ثم يحيى بن محمد (ص ۸۵) الناصر باتفاق الموحدين على بيعته و خالفهم عرب/ الخلط و هسكورة و قام عليه بإشبيلية إدريس المأمون بن يعقوب المنصور و ثارت عليه جماعة من أهل مراكش و انضم إليهم العرب و وثبوا عليه بمراكش فهرب للجبل ثم زاد العرب المعقل بفج عبد اللّه من رباط تازة فغدروا به و قتلوه و كانت مدته بأسرها مزاحمة للمأمون و ولده الرشيد. ثم إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بإشبيلية و كان فصيح اللسان فقيها حافظا للحديث ضابطا للراوية عارفا بالقراءة حسن الصوت و التلاوة إماما فى اللغة و العربية و الأدب و أيام العرب كاتبا مداوما على البخارى و سنن أبى داوود عالما بأمور الدين و الدنيا شهما حازما شجاعا مهابا سفاكا للدماء لا يتقيها طرفة عين شاعرا، فمن شعره متمثلا:

تكاثرت الظبا على خدّاش‌فلم يدر خدّاش ما يصيد

و أطاعته العدوتان و خرج عليه المتوكل بن هود شرقى الأندلس و استولى على الأندلس ففارقها المأمون و جاز لمراكش فاستقرّ بها و تتبع الخارجين على من قبله من الخلفاء فقتلهم عن آخرهم و هم أربعة آلاف و ستمائة و جزّ رؤوسهم و علّقها بمراكش و كان زمان الصيف فنتنت المدينة و تضرر الناس بالرائحة فرفعوا أمرهم إليه فقال تلك رائحة طيبة للمحبّين و كريهة للمبغضين و أنشد يقول:

أهل الحرابة و الفساد من الورىيعزون فى التشبيه للذكّار

ففساده فيه الصلاح لغيرهبالقطع و التعليق بالأشجار

(ص ۸۶)/ من رآهم ذكرى إذا ما أبصروافوق الجذوع و فى ذروى الأسوار

و كذا القصاص حياة أرباب النّهىو العدل مألوف بكل الجوار

لو عمّ حلم اللّه سائر خلقهما كان أكثرهم من أهل النّار

و لكثرة سفكه للدماء سموه حجاج المغرب و أمر بإسقاط اسم مهديهم من الخطبة و إزالته من السكة المربعة و قال لا مهدى إلّا عيسى و عمل فيه رسالة و كان خطيبا فأفصح بتكذيبه و ضلاله فيها. و ثار عليه أخوه بسبتة فسار إليه و حاصره بها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵۵

ثم لحقه الخبر بأن البعض من أولاد الناصر دخل مراكش فرجع إليه من سبتة و مات بالطريق مفقوعا بوادى العبيد. و فى أيامه سنة سبع و عشرين من السابع كان ابتداء أمر بنى عبد الوادى.

ثم ابنه عبد الواحد بن إدريس المأمون الملقب بالرشيد و تقاتل مع يحيى و هو ابن أربعة عشر سنة فهزم يحيى بجيشه و استقر بملكه و هرب يحيى لرباط تازة فغدر به عرب المعقل و قتلوه و أتوا برأسه و بقى بملكه بمراكش إلى أن قتل غريقا فى سهريج (كذا) بستان له

و كان حسن السياسة و أعاد اسم مهديهم فى السكة و الخطبة و قمع العرب لكنه لما استقر أمره تخلى للذّات فلم يخطب له بالمغرب الأوسط و إفريقية.

ثم أخوه أبو الحسن على المعتضد و يقال له السعيد بن إدريس المأمون و كان بطلا (كذا) شجاعا مهابا له إقدام فى الحروب و النجدة فاق بها سلفه و هو الذى حرك/ على يغمراسن بن زيان بتلمسان و حاصره بقلعة تمزريغت الغربية ببنى (ص ۸۷) و رنيد قرب تلمسان و قبلة وجدة إلى أن قتله يغمراسن بها بالجبل و عمل له جنازة الملوك و دفنه بالعبّاد.

ثم أبو حفص عمر بن أبى إبراهيم إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن ابن على، قال بعضهم، بويع له بمراكش يوم الأربعاء غرّة ربيع الأول سنة ست و أربعين من السابع قال ابن رشيق فى تاريخه المسمى بميزان العقل، هذا و هم فإن السعيد توفى يوم الثلاثاء منسلخ صفر و لا يمكن أن يصل الخبر بموته من تلمسان إلى مراكش فى ليلة واحدة و الصحيح أن بين موت السعيد و بيعة أبى حفص المرتضى مهلة نحو العشرة أيام ه. و فى أبى الفدا أن بيعة المرتضى فى ربيع الأخير و به ظهر الوهم الذى قال عليه ابن رشيق لما ردّ على غيره فاستقام له الأمر من سلا لسوس الأقصا و غزا (كذا) فاسا سنة ثلاث و خمسين و ستمائة فانهزم و أخذ أبو يحيى المرينى محلته و دخل مرّاكش فى فلّه إلى سنة

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵۶

خمسة و خمسين و ستمائة حادى أو ثانى عشرين المحرم دخل عليه القائم أبو دابوس الموحدى مراكش فهرب المرتضى إلى أزمّور فقبض عليه عامله و بعثه لأبى دابوس فقتله بكتامة على ثلاثة أيام من مراكش.

ثم أبو العلا الواثق أبو دابوس بن أبى حفص بن عبد المؤمن بن على، و كان بطلا شجاعا داهية مقداما فى الحروب دخل مراكش غدرا على المرتضى و بايعه بها كافة الموحدين و غيرهم ثم وقعت بينه و بين المرينى أبى يوسف حروب (ص ۸۸) قتل ببعضها/ و به انقطع ملك بنى عبد المؤمن و انقرضت دولة الموحدين من المغرب الأقصا و استقامت دولة المرينيين به و من المغرب الأوسط و استقامت دولة الزيانيين به.

و بإفريقية تسعة و عشرون ملكا، أولهم أبو حفص عمر بن يحيى صاحب المهدى بن محمد بن واندين بن علية بن أحمد بن والّال بن إدريس بن خالد ابن اليسع بن إلياس بن عمر بن وافتن بن محمد بن لجبة بن كعب بن محمد ابن سالم بن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه. قاله الشيخ أحمد بن الشمّاع فى تاريخه و دولتهم تسمى بالحفصية. ثم ابنه أبو محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص صاحب المهدى. ثم أبو العلا بن عبد المؤمن بن على، ثم عبد اللّه بن عبد الواحد الحفصى و اتسع ملكه إلى أن ملك إفريقية و بجاية و سائر المغرب الأوسط و تلمسان و وهران و بلد الجريد و الزاب، و توفى ببونة سنة سبع و ستين من السابع . و قد أنشأ بتونس بنيانا شاهقا. ثم ابنه أبو عبد اللّه محمد بن أبى زكرياء و سعى عمه أبو إبراهيم فى خلعه و بايع لأخيه محمد اللحيانى الزاهد على كره منه فجمع له أبو عبد اللّه محمد بن أبى زكرياء المخلوع أصحابه و شدّ على عمّيه فقهرهما و قتلهما و استقل بملكه و تلقب بالمنتصر و فى أيامه سنة ثمان و ستين من السابع وصل الفرنسيس لإفريقية بجموعه و أشرفت إفريقية على الذهاب لو لا أن اللّه منّ عليهم بموت أمير

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵۷

الفرنسيس الحارك و تفرقت الجموع. ثم ابنه يحيى بن محمد و تلقب/ بالواثق. ثم خلعه عمه أبو إسحاق إبراهيم و خطب لنفسه و تلقب بالمجاهد و ترك (ص ۸۹) زىّ الحفصيين و تزىّ بزّى زناتة و اشتغل بالشرب و فرّق الملك على أولاده و ذبح الواثق المخلوع و ولديه الفضل و الطيب و سلم له ابن صغير يقال له أبو عصيدة ثم قام عليه شخص من بجاية يقال له أحمد بن مرزوق بن أبى عمارة و ادعى أنه الفضل المذبوح ابن الواثق لشبهه به فقيل له الداعى و اجتمعت عليه أناس و قصد أبا إسحاق إبراهيم فهرب به لبجاية عند ابنه أبى فارس عبد العزيز بن إبراهيم و هو أمير بها فتركه ابنه أبو فارس بها و ذب بإخوته و جمعه للداعى بتونس فانهزم جيشه بعد

الالتقاء و قتل هو و إخوته ثلاثة و نجا الرّابع و هو أخوه الصغير يحيى ابن إبراهيم و عمه أبو حفص عمر بن زكرياء، ثم أرسل الداعى لبجاية من قتل أبا إسحاق و أتى له برأسه و تحدّث الناس بالداعى. ثم اجتمعت العرب على عمر بن أبى زكرياء بعد هروبه من المعركة و قوى أمره و قصد الداعى ثانيا فأثخن فيه و استتر فى بعض دور التجار ثم أحضر و اعترف بنفسه و ضربت عنقه. و لما قتل أبو حفص الداعىّ استقرّ فى ملكه و تلقب بالمستنصر فسار ابن أخيه يحيى السالم من المعركة لبجاية و ملكها و تلقب بالمنتخب و لما اشتدّ مرض المستنصر بايع لابنه الصغير فأتته الفقهاء و قالوا له أنت صائر لعفو اللّه و تولية مثل هذا لا يحلّ فأبطله.

ثم أبو عصيدة ولد الواثق المخلوع/ و تلقب بالمستنصر أيضا و كنّى بأبى (ص ۹۰) عصيدة لعمل أمه فى نفاسها به العصيدة و إهدائها للجيران. و فى أيامه توفى صاحب بجاية المنتخب و ملك بجاية ابنه خالد. ثم أبو بكر عبد الرحمن بن أبى زكرياء عبد الواحد بن الشيخ أبى حفص. ثم خالد بن المنتخب صاحب بجاية بعد قتله لأبى بكر المذكور. ثم زكرياء اللحيانى جاء من مصر مع عساكر الناصر لطرابلس فبايعته العرب و زاد لتونس فخلع خالدا و حبسه و قتله قصاصا بأبى بكر بن عبد الرحمن و استقرّ بإفريقية و هو أبو يحيى زكرياء بن أحمد ابن محمد الزاهد اللحيانى بن عبد الواحد بن أبى حفص. ثم أبو بكر بن يحيى المنتخب أخو خالد قتيل زكرياء اللحيانى فهرب منه اللحيانى لمصر و أقام

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵۸

بالإسكندرية و ملك أبو بكر ما عدا المهدية و طرابلس فقام عليه محمد بن اللحيانى بعد هروب أبيه لمصر و قتل معه فهزمه أبو بكر و استقل ابن اللحيانى بما بيده من المهدية و طرابلس. ثم اجتمعت الناس على طاعة محمد بن أبى بكر الحفصى صهر زكرياء اللحيانى و بايعوه لما ضعف أبو بكر و هرب باستيلاء العرب و لكون ابن أبى بكر كان نائبا على اللحيانى فلذلك بويع له و كاتبوا اللحيانى على القدوم فأبى. هذا مفاد ما فى تاريخ أبى الفداء.

و قال ابن أبى دينار فى المؤنس فى أخبار إفريقية و تونس:

ثم أبو ضربة بن محمد اللحيانى، ثم ابنه أبو حفص و بقى إلى أن مات فملك أبو الحسن المرينى، ثم الفضل الحفصى، ثم إبراهيم، ثم خالد، ثم أبو العباس أحمد، ثم ابنه أبو فارس عبد العزيز الذى قال فيه ابن عرفة أنه فى (ص ۹۱) العدالة مثل عمر بن عبد العزيز الأموى بحسب الزمان و مات/ بوانسريس بسبب دعاء الشيخ محمد الهوارى عليه كما مرّ، ثم ابنه عبد اللّه المنتصر، ثم ابنه أبو عمر عثمان، ثم حفيده أبو زكرياء يحيى بن عبد اللّه محمد المسعود، ثم أبو عبد اللّه محمد بن أبى محمد الحسن ابن أبى عبد اللّه محمد المسعود، ثم أبو محمد الحسن بن محمد الحسن بن المسعود و به ختام بنى أبى حفص و من أتى بعده فهو اسم لا رسم. ثم أحمد ابن أبى محمد بن الحسن بن أبى عبد اللّه محمد بن أبى محمد الحسن ابن أبى عبد اللّه محمد المسعود، ثم محمد ابن الحسن و هو خاتمة بنى أبى حفص و بانقراضه انقرضت أيامهم.

و ببجاية ثلاثة: أولهم أبو فارس عبد العزيز بن إبراهيم، ثم يحيى المنتخب، ثم ابنه خالد. و بالمهدية مع طرابلس واحد: و هو محمد بن اللحيانى فهؤلاء السبعة و الأربعون الموحدين.

قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار: و لا زالت إفريقية بيد الحفصيين واحدا بعد واحد إلى أن أخذها منهم الأتراك سنة إحدى و ثمانين و تسعمائة فمدّتهم بإفريقية ثلاثمائة و ثمانون سنة إلّا ما تخلل ذلك من الداعى بن أبى عمارة و نحوه من الذين لا حكم له. و الملك للّه وحده يورثه من يشاء من عباده.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۵۹

الدولة الخامسة الزيانيون

ثم ملك و هران، الدولة الخامسة، و هم الزيانيون و يقال لهم بنو زيان و العبد الواديون يوم و بنو عبد الوادى.

فتسميتهم بالزيانيين نسبة لجدهم لأبيهم زيان بن ثابت بن محمد بن زيدان ابن يندوكس/ بن طاع اللّه بن على بن يمل بن يزوجن بن القاسم بن محمد (ص ۹۲) ابن عبد اللّه بن إدريس بن إدريس بن عبد اللّه الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرّم اللّه وجهه. و تسميتهم ببنى عبد الواد نسبة لجدهم لأمهم عبد الوادى ابن يادين بن محمد بن رزجيك ابن واسين كما فى ابن خلدون و غيره. قال صاحب بغية الرواد: و عبد الواد أصله عابد الوادى رهبانية عرف بها جدهم من ولد سجيع بن واسين بن يصليتن ابن مسرى بن زاكيا بن رسيح بن مادغس الأبتر بن قيس بن غيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. قال التّنسى فى نظم الدرر و العقيان فى شرف بنى زيان، و القاسم جد أمير المؤمنين المتوكل، اتفق النّسابون على أنه من ولد عبد اللّه الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى اللّه عنه. و لكن اختلف فى طريق اتصاله به. فقيل إنه القاسم بن محمد بن عبد اللّه بن إدريس بن إدريس بن عبد اللّه الكامل. قال صاحب بغية الرواد: و هذا القول من أشهرهم. و قيل إنه القاسم بن محمد ابن أحمد بن محمد بن سليمان بن عبد اللّه الكامل، و هو الذى صحّحه صاحب ترجمان العبر حيث قال: إنه القاسم بن محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن عبد اللّه الكامل، و احتجّ على ذلك بأن القاسم هو الذى كان بتلمسان فلمّا غلب

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶۰

عليه العبيديون دخل لبنى عبد الوادى القاطنين بصحراء تلمسان فأصهر فيهم و عقب عقبا مباركا فشا فيهم حتى زاد عليهم بخلاف أعقاب الأدارسة فإنهم كانوا (ص ۹۳) يلتقون بغمارة الريف./ و خالفه فى ذلك بغية الرواد بقوله إنه لما قتل المنصور بن أبى عامر المعافرى الحسن بن أبى كانون آخر ملوك الأدارسة بالمغرب افترقت الأدارسة فى البلاد. فكان القاسم بن محمد بن عبد اللّه بن إدريس ممّن توجه إلى الصحراء فانضاف إلى بنى عبد الوادى فأكرموا نزوله و عظموا قدره و حكّموه بينهم فتزوّج فيهم و أنسل نسلا كثيرا و اللّه أعلم بحقيقة الأمر. فبان لك بهذا أن القاسم من ولد عبد اللّه الكامل بلا خلاف و إنما الخلاف هل هو من ولد إدريس ابن عبد اللّه أو من ولد أخيه سليمان بن عبد اللّه. و سليمان هو الذى ملك المغرب الأوسط، و إدريس هو الذى ملك المغرب الأقصا (كذا) ه. قال الحافظ أبو راس فى تواريخه: و القول بأن سليمان بن عبد اللّه الكامل هو الذى جاء للمغرب غير صحيح و الصحيح أن الذى جاء له هو ابنه محمد بن سليمان و هو الذى ملك المغرب الأوسط، و وهم التنسى فى قوله دخلها سليمان و ملكه أهل تلمسان عليهم لأن سليمان استشهد بوقعة فخ التى قتل فيها جعفر بن يحيى البرموكى (كذا) بأمر الرشيد. الأشراف و قبورهم مشهورة بين التنعيم و مكة المشرّفة مع ضريح ابن عمر رضى اللّه عنهم. و من أولاد سيدى محمد هذا بنو العيش ملوك رشقون، و بنو إبراهيم ملوك أتنس. و إلى إبراهيم هذا ينسب السوق الذى هو غربى العروسى حيث مكب واد أسلى فى شلف. و منهم حمزة و أخوه على ملوك الأبيرة بإزاء جرجرة جبل زواوة و بحمزة سميت تلك الأراضى إلى الآن ه.

(ص ۹۴) قال صاحب بغية الرواد: فبنو القاسم هذا هم/ الذين حازوا الشرف و كرم الأبوة و فخر الملك القديم و الحادث (كذا). و لا يسمح للطّعن فى هذا النسب الكريم لأنه من الشهرة بالآفاق و الفشو فى القبائل و الأجداد فى الغاية بحيث لا يحجبه بعد دار و لا يجحده عدو و لا بار، و فى المشهور من مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضى اللّه عنه ثبوت النسب بمجرد الشهادة من غير معرفة أحوالها. و حكى الباجى فى منتقاه و غيره من المتأخرين أن شهادة السماع طلوع سعد السعود ؛ ج۱ ؛ ص۱۶۱

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶۱

الفاشى المتواتر تفيد العلم إجماعا. و قال ابن القاسم يقطع بالنسب و إن لم يعلم الأصل، و قال بعض قضاة المتكلمين خبر الواحد إذا اختفت به القرائن أفاد العلم. فإن روعى فى إثبات هذا النسب الشريف الشهادة، فلا شهادة أعدل من قبل الأصل المشتمل على مشيب و شبان رؤساء و مرؤسين رجال و نساء من بنى عبد الوادى كرام القوم و عيانهم يعرفون أصلهم و يدينون بصحبة منتماهم الهاشمى. و إن اكتفى فيه بالسماع الفاشى فأمره فى المشارق و المغارب مشهور فى لسان الوالى و الصدوق و العدو شأنهم معترف به. و أخبرت بحضرة تلمسان دار أولهم و آخرهم عرفان الشمس المعروفة، فهو إذا أظهر من أن يخفى و أوضح من أن يجحد.

و هل يبقى على الأذهان شيءإذا احتاج النهار إلى دليل

و قال ابن خلدون: كان يغمراسن بن زيان يرفع نسبه إلى إدريس ثم يقول إن كان هذا صحيحا نفعنا فى الآخرة و أما الدنيا فنلناها بأسيافنا ه.

و قد ألّف/ الحافظ التنسى فى شرفهم كتابا سماه: نظم الدرر و العقيان، فى (ص ۹۵) شرف بنى زيان. و كذا الحافظ أبو راس كتابا سماه: العجالة. و ذكر شرفهم صاحب بغية الرواد، و أثمد الأبصار، و جواهر الأسرار، و غيرهم من الأئمة.

و سبب مصير الملك إليهم أن بنى عبد المؤمن لما ضعف أمرهم بما بينهم من الفرقة تطاول بنو عبد الوادى إلى الاستيلاء على قطر تلمسان لقربهم منها فجاسوا خلالها و أوجفوا عليها بالخيل و الركاب و احتاز كل منهم جانبا من القطر و أمّن أهله على خراج يؤديه إليه كل سنة، و أمرهم إلى كبيرهم جابر بن يوسف بن عم زيان والد يغمراسن بن زيان و كان و إلى تلمسان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المنصور لأخيه المأمون إدريس بن المنصور فاحتال على جماعة من رؤسائهم بإغراء الحسن بن حيون فأخذهم و اعتقلهم بدار الريح من القصر القديم و بعد مدة شفع فيهم إبراهيم بن إسماعيل بن غيلان اللمتونى فردّت شفاعته فأنف و جمع قومه و هجم عليهم و سرحهم و قتل الحسن بن حيّون و اعتقل الأمير أبا سعيد موضعهم و خلع طاعة المومنية و تطاول لإحياء اللمتونية و سولت له نفسه أنه لا يتأتى له إلّا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶۲

إذا قطع كبار عبد الوادى فبعث إلى جابر و كبراء قومه لحضور و ليمة فأتوه فخرج إليهم فى ثمانية من أصحابه و قد بلغهم الخبر فقبضوا عليه و أصحابه و أوثقوهم و دخلوا البلد بدعوة المأمون فجاء جابر دار الإمارة و ضبط أمرها و بعث إلى (ص ۹۶) المأمون بالخطبة و السكة فقنع منه لقعود/ الشيخوخة به عن النهوض.

فأول من ملك منهم جابر بن يوسف و نزع الملك من بنى عبد المؤمن و استخلص تلمسان من يد عمّال إفريقيا فملك تلمسان و وهران و استولى عليهما و على أحوازهما و على كافة بنى راشد و بنى عبد الواد و حواضر ذلك القطر سوى ندرومة فزحف لحصارها فهلك هناك بسهم أصابه من داخلها من يد يوسف الغفارى التلمسانى. ثم ملكها ابنه الحسن بن جابر و خلع نفسه لما كبر سنّه لعمّه عثمان ثم ملكها عثمان بن يوسف و كان فظا غليظا فأساء السيرة و ضيّع الملك فأخرج من تلمسان. ثم اتفق بنو عبد الوادى على تقديم أبى يعزّ زيدان بن زيان فاستولى عليها و أعمالها فنكث عنه بنو مطهر بمظاهرة بنى راشد فكانت بينه و بينهم حروب سجال قتل فى بعضها و بموته انقطعت دولة بنى عبد المؤمن من تلمسان و قطرها و علا صيت بنى زيان فهؤلاء الأربعة تولوا لا استقلالا. ثم ملك استقلالا أبو يحيى يغمراسن بن زيان و هو فى الحقيقة أول ملوكهم و الذين قبله كانت لهم المشيخة، و اسمه يحيى و لقبه يغمراسن و معناه بلغتهم كثير المرق لقب بذلك لكثرة جوده، نصّ عليه الحافظ أبو راس فى كتاب الحاوى. و كان ابتداء ملكه يوم الأحد رابع عشرين ذى القعدة الحرام سنة سبع و عشرين من (ص ۹۷) السابع / فى أيام الرشيد عبد الواحد بن إدريس المأمون و نازعه بنو مظهر و بنو راشد فأظهره اللّه عليهم و بعث له الرشيد المؤمنى هدية عظيمة راجيا منه الخطبة و السكة فأبى و ظهرت العداوة بينهما و همّ الرشيد بالنهوض له فعاجلته المنية و هو أول من خلط البادية زى الملوك و أظهر قبيلة لباس الشريعة و تعرض لهدية أبى زكرياء الحفصى الهنتاتى التى بعثها من إفريقية للسعيد المؤمنى و أخذها فنظر للسعيد فلم يظهر منه شيء فاستقلّ بنفسه و جهّز الجيوش لتلمسان فنازلها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶۳

سنة خمس و أربعين من السابع بجيوش فيها ثلاثون ألف رام من المشاة فضلا عن غيرهم و أحاط بها فكان الهرّ مع صغر جرمه تأتيه العشرون سهما فأكثر فخرج منها يغمراسن بجيشه و قد أفرج له لشدة بأسه و صعد لبنى ورنيد و دخلها الحفصى و عرضها على ولاته فأبوا خشية من يغمراسن فاصطلح معه و رجع كل لموضعه و اتفقا معا على عداوة بنى عبد المؤمن فسمع السعيد بذلك فأقسم لا بد يملك مملكتهما معا و نهض من مراكش يجرّ الأمم العظيمة و البحور الزاخرات من الجيوش و ساعدته على ذلك بنو مرين فانجاز

يغمراسن لحصن تمزريدت الغربية جنوب وجدة بجبل بنى ورنيد و حاصره فيها السعيد بعد أن نزل بوادى سلى و سأل منه الدخول فى طاعته فأبى فزحف له و تعلق بالجبل محرّضا على الهجوم فتعرض له يغمراسن للقتال و نصره اللّه عليه فقتل السعيد على يد يوسف ابن خزرون و أوتى له برأسه فأدخله على أمه لكونها أمرته بطاعته فأبى و أقسم لها أن يأتيها برأسه فأبر اللّه/ قسمه و قال فى ذلك الظفر الوزير أبو على الحسن صاحب (ص ۹۸) سبتة القصيدة السينية الطويلة التى مطلعها:

بشرى بعاجل أوجب لنا العرساو أصفر الدهر عنه بعد ما عبسا

و استولى يغمراسن على المحلة بما فيها فكان منه العقد اليتيم و غدار زمرّد و المصحف العثمانى الذى بخطّه رضى اللّه عنه. و كان يغمراسن دينا فاضلا محبا للأولياء و العلماء فأتى بأبى إسحاق الشيخ إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسى و أخيه أبى الحسن على بن يخلف بن عبد السلام من تنس لتلمسان إلى أن ماتا بها و قبرهما بالعبّاد. و وفد عليه خاتمة أهل الأدب أبو بكر محمد بن عبد اللّه بن داوود بن خطاب فأحسن إليه و صيّره صاحب القلم الأعلا- (كذا) و ارتحل لزيارة أبى اليمان القطب الشيخ واضح بن عاصم المكناسى بجبل و افرشان من وادى رهيو لنيل الفضل منه. قال الحافظ أبو راس فى الحاوى: و لما جاء يحيى الملقب يغمراسن لزيارة سيدى واضح المكناسى فكوشف له عن ذلك و سد باب المغارة بالحجر فوقف السلطان بباب الخلوة فاستأذن على الشيخ فلم يأذن له فمكث حينا طويلا و كان يوما حارا فصار يتشفع إليه بخدّامه و قرابته

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶۴

و هو ممتنع فقال بعض وزارئه قد حصل المقصود فانصرف لعل اللّه ييسر رؤيته فى غير هذا الوقت فقال يغمراسن و اللّه لا أنصرف حتى يرضى عنا فلما رأى منهم أنهم يئسوا من لقائه برز لهم و قال يا يغمراسن، أما تعلم وقوف ذى الحاجات (ص ۹۹) ببابك و ما يجدونه من الانكسار و مدافعة الحرس لطول/ احتجابك عنهم و إنما جعلت لك ذلك للتيقظ من غفلتك فصار يغمراسن يتملّق بين يديه و يتعذّر له و الشيخ فى كل ذلك منقبض عنه و قد ألقى اللّه فى قلب يغمراسن و جنده من هيبة الشيخ ما لا يوصف. ثم أنه خلا به و قال له أما كفاك ما ترتكب من الأعمال الخبيثة جمعت بين علجتين و هما أختان فتبّا للذّة تصيّر صاحبها إلى النار فقبّل عند ذلك السلطان أقدام الشيخ و قال أنا تائب لا أعود هذا. ثم التفت الشيخ لأخيه يحيى و قال له ءاتيهم بطعام فبعد ساعة قرب لهم طعاما جيّدا و لحما سمينا فرمى الشيخ ذلك و قال تطعم الزيار (كذا) خبز الشعير و تطعم الأمير ما أرى، فقال يغمراسن إن لم يطب خاطرك لم نأكله فقال لا بل كولوا على بركة اللّه. ثم قال لأخيه أنت معذور تحتاج لما بيد يغمراسن لأنك لك ذريئة بكلامه الزناتى فلما أكلوا انبسط الشيخ و قال من تولى عهدك فقال هذا و أشار لولده محمد فقال له الشيخ الرعية لا تحتاج للفقيه الحاذق الكيس لأن الفقيه مجبول على جمع المال يقول للدرهم درهمان فقال له السلطان و من ترى فقال هذا و أشار لولده عثمان فسرّ يغمراسن ببقاء الملك فى عقبه فلما هم بالانصراف قال الشيخ لأحد ولدى يغمراسن ألم توصك أمك أن تأتيها بحجاب أكتبه لك فقال نسيت و قبّل يده فقال الشيخ يا سيدى عزّوز ناوله إياه فناوله فحينئذ أوصى الشيخ يغمراسن بالرفق بالرعية و قال له يغمراسن كل راع مسؤول عن رعيته. و سيدى واضح هذا هو (ص ۱۰۰) الذى تسمى عليه جد سيدى أبى عبد اللّه محمد المغوفل/ بن محمد بن واضح بن عثمان بن محمد بن عيسى بن فكرون المغراوى سمّاه عليه والده لكونه تلميذه و توفى سيدى واضح بن عثمان المغراوى سنة ست و خمسين و ثمانمائة كما فى ذيل الديباج للشيخ أحمد بابا. و يغمراسن هو الذى بنا (كذا) الصومعتين بالجامعين الأعظمين من أقادير، و تلمسان. و لم يكتب اسمه عليهما

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶۵

و قال علمهما عند ربى. قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار: و يقال أن الجامع الذى بتلمسان القديمة بناه مولانا إدريس الأكبر و عمل له المنبر.

و بالقديمة ضريح الشيخ داوود بن نصر أول من شرح البخارى توفى فى آخر القرن الرابع . و حروبه مع زناتة و العرب أمر لا يحصى و

لا يصدر من أحد لشرف همته، فقد قال صاحب بغية الرواد: له فى العرب و حدهم اثنان و سبعون غزوة و مثلها مع تجين (كذا) و مغراوة. و لما حل الأمير أبو إسحاق الحفصى بتلمسان لطلب ملكه بتونس سنة ثمان و سبعين من السابع زوّج إحدى بناته المقصورات فى خيام الخلافة لولد يغمراسن عثمان ثم بعد تمهد الملك له بعث يغمراسن ابنه إبراهيم المكنى بأبى عامر ليأت (كذا) بها فلما رجع بها لقيه يغمراسن بمليانة للتنويه ببنت سلطان تونس و لما نزلوا برهيو مات سنة إحدى و ثمانين من السابع و حمل لتلمسان فدفن بها.

ثم ابنه أبو سعيد عثمان باتفاق الملأ- من بنى عبد الوادى فشمّر فى غزو الأعادى ذيله حتى أقام من كل ذى زيغ ميله، فقتل ابن عبد القوى ملك تجين و انتزع لهم و انسريس و المدية و أخذ مازونة و تنس و فرشك من يد مغراوة/ و هرب (ص ۱۰۱) مالكهم راشد بن منديل فى البحر، و قطع ملكهم. غير أن الحافظ أبو راس قال فى عجائب الأسفار: قد رأيت راشدا بن منديل مذكورا فى نحو السّبع من الثامن و زاد عثمان لبجاية فخربها و غزى (كذا) العرب فأجلاهم للصحراء و حرك عليه يوسف بن عبد الحق المرينى خمس مرات كان الحصار صادر منه فى الخامسة لتلمسان ثمان سنين و ثلاثة أشهر، و بنا (كذا) المنصورة و توفى أبو سعيد فى الحصار. ثم ابنه أبو زيان محمد بن أبى سعيد و نهض لحرب عدوه غير أنه عاجلته المنية فى أثناء الحصار لمرض اعتراه.

ثم أخوه أبو حمّ موسى بن عثمان و فى وقته حصل الفرج و زال الحصار

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶۶

بسبب الولى أبى زيد عبد الرحمن الهزميرى جاء من أغمات ليوسف بن يعقوب المرينى شفيعا فأبى فذهب الشيخ مغاضبا و قال يأتى سعاذا (؟) يقضى هذاء و انصرف للمغرب فدخل عليه سعادة غلام العلامة أبى على الملیانى الذى قتله يوسف ابن يعقوب فألفاه (كذا) نائما و قد ألقى اللّه فى قلبه طلب الثأر فوجأه بسكين فى بطنه فبلغ الخبر الهزميرى و هو بفاس فقال له خديمه نرجع لبلدنا فقال الشيخ و عبد الرحمن يموت فمات لأيام قلائل و دفن بفاس بروضة الأنوار. و أول ما بدأ به أبو حمّ هدم المنصورة و أصلح ما ثلم من تلمسان و بنى الأسوار و حفر الخناديس و الأهرية و ملأها طعاما و إيداما و حطبا و فحما و ملحا و جميع ما يحتاج إليه بما لا حدّ له (ص ۱۰۲) ثم استقبل بالتمهيد و تتبع الحركات بنفسه/ على تجين و مغراوة و سائر المخالفين أيام الحصار و حرك عليه أبو سعيد المرينى إلى أن بلغ وجدة ففرّ عنه أخوه يعيش لتلمسان فرجع و ثار عليه راشد بن راشد المغراوى بشلف فنهض له وفر راشد لزواوة و استعصم بها فنازله أبو حمّ بوادى تمهل و بنى به قصره المعروف به ففرّ راشد لبنى أبى سعيد و انحاز للموحدين فبعث له جيشين عظيمين أحدهما لنظر مسعود بن أبى عامر الزيانى و الآخر لنظر موسى بن على الغزّى فاستباحوا أبل قسنطينة و حصل التنافس بين الرؤساء كادت تبين الفتنة و عزل عامل مليانة و بعث به لتلمسان فاستقبح ابنه أبو تاشفين سجن خاله و أمره بالمسير للأمير فغضّ بصره ففر للمدية و ثار بها و تبعه الغوغاء فرجع أبو حمّ مغاضبا على ابنه و صار يؤثر عليه مسعود بن أبى عامر بن عمه فأغرا (كذا) أبا تاشفين خواصّه بقتل المسعود و أبيه فقتلهما. و كان أبو حمّ محبا للعلماء و العلم و هو الذى بنى المدرسة المعروفة لابنى الإمام و أعطى بلاد تجين للحشم فصلا بينه و بينهم.

ثم ابنه أبو تاشفين، فاستولى على البدو و الحضر، و استخدم ربيعة و مضر و تولّع بتبييض الدور، و بنى (كذا) القصور، و نهض لخاله محمد بن يوسف الثائر على أبيه و الموجب لقتله فحاصره، بوانسريس إلى أن أخذه عنوة و قتله و عفا عن غيره، ثم زاد لبجاية فأخذ رياحا أخذة رابية و أمر قائده موسى بن على ببناء مدينة

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶۷

على وادى بجاية فبنيت فى أربعين يوما و سمّاها تمزريدت الشرقية و أما الغربية فهى التى/ بجبل بنى و رنيد كما مرّ. و جهز عامله يحيى الجمى جيوشا لغزو (ص ۱۰۳) تونس تحت نظر ابن أبى عمران الحفصى فلقيهم مالكها أبو يحيى بجيوشه فهزموه و استولوا على حريمه و ذخائره و محلاته و أفلت جريحا لقسنطينة و زادوا فدخلوها و استراحوا بها أربعين يوما و أسلموها لابن أبى عمران فبعث له أبو سعيد المرينى على الإقلاع عن بجاية فأبى و همّ أبو سعيد بقتاله فعاجلته منيته (كذا).

و كـان له بالعلم و أهله احتفال عظيم فقـد ورد عليه أبو موسـى المشـذالى فأكرمه و ولّاه التـدريس بمدرسـته الجديـدة و ورد عليه أبو العباس البجائى تاجرا و دخل المدرسـة القديمة فألفاهم يتكلمون بمجلس أبى زيد بن الإمام فى قول ابن الحاجب فى الأصول فى حدّ العلم أنه صفة توجب تمييزا لا يحتمل التنقيض فقال يا سيدى هذا الحد غير مانع لانتقاضه بالفصل و الخاصة فقال أبو زيد من المتكلم فقال أحمـد البجائى فقال يقع الجواب بعد الضـيافة و أنزله و أكرمه و سأله عن مقدمه فقال تاجرا فعرّف به الأمير فرفع عنه مغرمه و من معه قدره مائة دينار و زاده صـلة مائة دينار ذهبا، و وقع بمجلسه السؤال عن ابن القاسم هل هو مقلدا أو مجتهد فقال أبو زيد مقلد النظر بأصول مالك و قال المشذالى مجتهد مطلق الاجتهاد و احتجّ بمخالفته لمالك فى بعض المسائل و استظهر أبو زيد نصّ ابن التلمسانى الـذى مثـل به للاجتهـاد المخصوص/ بـابن القـاسم لمالك و المازنى (ص ۱۰۴) للشافعى فقال المشـذالى هـذا مثال لا تلزم صـحته. و حرك عليه أبو الحسن المرينى فنزل بتاسالـة و أطال بها إلى أن ثار عليه أخوه بسـجلماسة فرجع له إلى أن قتله و مهّد المغرب ثم رجع لتلمسان و حاصـرها و بنى عليها مدينته التى هى الآن محراث و لم يزل أبو تاشفين و أولاده و وزيره فى المقاتلة معه إلى أن استشهدوا جميعـا فى يوم الأربعـاء ثامن عشـرين رمضان سـنة سبع و ثلاثين من الثامن فـدخلها المرينى و بموته جرّ الحادث، و الخطب الكارث، على الدولة الزيانية القفا، و كدر بنيها الحنسى ما كان صفا.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶۸

الدولة السادسة: المرينيون

اشارة

ثم ملك و هران الدولة السادسة، و هم المرينيون، و يقال لهم بنوا حمامة.

أمـا تسـميتهم بـالمرينيين فـذلك نسـبة لجـدهم مرين بن أمير النـاس على قول، و ابن ورتـاجن على الآخر، و أما تسـميتهم ببنى حمامة فـذلك نسـبة لجـدهم حمامـة ابن محمـد بن ورزين. و اختلف فى نسـبهم على ثلاثـة أقوال، فقـال صاحب أثمـد الأبصار و غيره إنهم أدارسـة من ذريـة يحيى بن إدريس، و قال صاحب القرطاس إنهم زناتة من ذرية ماخوخ الزناتى، و قال أيضا فى موضع آخر إنهم من نسل قيس بن غيلان بن مضر. و من زنات تفرقت قبائل زناتة فهم عرب صريحون و سبب تغيّر لسانهم عن العربية إلى البربرية أن بر بن نزار كان له ولدان: قيس، (ص ۱۰۵) و دهمان، ابنا/ غيلان. فدهمان ولده قليل و هم أهل بيت من قيس يعرفون ببنى امامة. و قيس ولد أربعـة رجال و جاريـة و هم: سـعيد و عمر و حفصـة أمهم مريم بنت أسـد بن ربيعـة بن نزار، و برّ و نماض أمهما بريع بنت محمـد بن مجدل بن عمر ابن مضـر المجدولى. و كان البربر يسكنون بالشام و يجاورون العرب فى الأسواق و المساكن و المراعى، و يشاركونهم فى المياه و المساعى و يصاهرون بعضهم بعضا. و كانت البها بنت دهمان بن غيلان بن مضر من أجمل النساء و أكملهنّ ظرفا و طربا و حسنا فكثر طلابها للتّزويج من كل قبيلة فقال أبناء عمها قيس و هم:

عمر و سـعيد و برّ و حفصة لا يتزوج بنت عمنا غيرنا فخيّروها فاختارت برّا لكمال شـرفه و صـغره و تزوجته فحسده اخوته عليها و هموا بقتله. و كـانت أمه بريع من دهـات (كـذا) النسـاء فبعثت إلى ولـدها بر و زوجته البها و أمرتهما بالـذهاب معها لقومها فوافقاها و ذهبوا فنزلوا عند أخواله و أعرس بها و امتنع من قومه فولدت له البها علوان و مادغس: فعلوان مات صغيرا و لم يعقّب، و مادغس لقّب بالأبتر فهو

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۶۹

جدّ البتر و من ولده جميع زناتة فبمكث برّ بالبربر تغير لسانه و أورث فى ذريته فهذا هو السبب و قالت فى ذلك أخته ترثيه:

و شاطت ببرّ داره عن بلادهو اطرح برّ نفسه حيث يمّما

و أورث برّ لكنهٔ أعجميّهٔو ما كان برّ بالحجاز بأعجما

/ و قال أبو فارس فی أرجوزته نظم السلوک:

فجاورت زناتهٔ البرابرافصيرت كلامهم كما ترا

و ما بدّل الدهر سوی أقوالهمو لم يبدّل منتهی أحوالهم

بل فعلهم أربی علی فعل العربفی الحال و الآثار ثم فی الأدب

فانظر كلام العرب قد تبدّلاو حالهم عن حاله تحوّلا

لا يعرفون اليوم ما الكلامو ما لهم نطق و لا إفهام

و إن تمادت بهم الأحوالم يبق فی الدهر لهم أقوال

كذاک كانت قبلهم مرين كلامهم كالدّرّ إذ يبين

فاتخذوا سواهم خليلاو بدّلوا كلامهم تبديلا

و أصل مواطنهم كاخوتهم بنی لومی و مديونهٔ، قبلهٔ زاب إفريقيهٔ ثم دخلوا المغرب سنهٔ تسع و ستمائهٔ فنزلوا من فقيق إلی تفلالت إلی ملويهٔ. و كانت بين بنی لومی هؤلاء و بين بنی مانّوا حروب عظيمهٔ هلک فيها ماخوخ الزناتی صاحب الخيمهٔ المشهورهٔ التی آثارها للآن ببلاد أولاد علی من بنی عامر فی أواخر المائهٔ الخامسهٔ و كان بنوا لومی يمدون بنی مرين بالجيوش و سبب مصير الملک إليهم أنهم كانوا ببلادهم المذكورهٔ رائسهم (كذا) محمد بن ورزين. ثم قام ابنه حمامهٔ مقامه ثم أخوه عسكر ثم ابنه المخضّب و لما سمعوا بعبد المؤمن بن علی الموحّدی غزی (كذا) و هران و استولی علی أموال لمتونهٔ و بعث بها لتنمليل تعرّضوا له من الزّاب مغلغلين إلی وادی تلاغ فاستولوا/ عليها به ثم لحقهم (ص ۱۰۷) الموحدون و معهم بنوا عبد الوادی فكان المصاف بفحص حسّون و انكشف المرينيون و قتل شيخهم المخضب و اكتسح العبد الواديّون حللهم سنهٔ أربعين من

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷۰

السادس فلحقوا بالصحراء و ركد ريحهم إلی سنهٔ عشرهٔ من السابع فی وقت المنتصر الموحدی و كان صبيّا صغيرا لا يعرف شيئا أتوا علی عادتهم للكيل فوجدوا الغرب لا حياهٔ فيه لمن تنادی فأقاموا بمكانهم و بعثوا لإخوانهم علی القدوم فأسرعوا علی الخيل و النجائب، يقطعون المهامهٔ و السّباسب يريدون الدنو و البلاغ، إلی أن وصلوا لوادی تلاغ، فدخلوا المغرب بجيش كالجراد يقمع الحاضر و الباد، فظهر ما كان فی الغيب مجهولا ليقضی اللّه أمرا كان مفعولا. قال أبو فارس فی أرجوزته:

فی عام عشرهٔ و ستمائهٔأتوا إلی الغرب من البريّهٔ

جاؤوا من الصحراء و السباسبعلی ظهور الخيل و النجايب

كمثل ما قد دّخل اللّمتونيّونمن قبل ذا و هم لهم ميمّمون

فهذا سبب مصير الملک إليهم. قال ابن خلدون: و هم قوم مرهوب جانبهم شديد بأسهم من أقوی القبائل و أنجدها و أفرسها كثير جمعهم، مضاهون للعرب و الفرس و اليونان و الروم. و فيهم قال ابن الخطيب فی رقم الحلل:

و أورث اللّه بلاد الغربللسّادات الغرّ الكرام النجب

أهل الخيول و الرماح و الهممأقوی بنی الدنيا و أوفی بالذّمم

و أدرب الخلق بركض الخيلو خوض أحشاء الفلا و الليل

(ص ۱۰۸)/ قاموا و قد بان اختلال الطاعهٔبمذهب السّنّهٔ و الجماعهٔ

و لما دخلوا المغرب تفرقوا فيه و شنّوا الغارات فمن أذعن لهم سالموه و من أبی قتلوه. ففرت الناس منهم و بلغ خبرهم إلی أمير الموحدين المستنصر فقال لقومه: ما ترون من هؤلاء فاتفق رأيهم علی محاربتهم فبعثوا لهم جيشا فيه عشرون ألفا تحت رئاسهٔ أبی علی

بن واندين فسمعت مرين فلقيتهم بأكمل حالة و جعلوا أموالهم و حريمهم بقلعتى: تازة وزا فلما تراء الجمعان كانت الدائرة لمرين على الموحدين فقتلوهم ذريعا و هزموهم شنيعا و احتووا على ما فى المحلة

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷۱

بأجمعه و دخل فلّ رباط تازة و فاسا منهزمين، و بالمشعلة مستترين و منحرمين.

و هى نبت يشبه الحلفا له أوراق طويلة عريضة تمسيها عامة المغرب بلحية الشيخ و يقال لها بالشلحة الأثموج و أكثر نبتها قبلة تازة سيما بلاد مكناسة و قلوبهم بالحزن مشتعلة، فسمّى العام عام المشعلة و هو عام ثلاثة عشر و ستمائة .

و أول ملوكهم بالمغرب عبد الحق بن محيوا و كان فاضلا صالحا متبركا به و هو الذى استخلص الملك من غيره لكنه لم يستول على كرسى الخلافة بمراكش. ثم ابنه أبو سعيد عثمان، ثم أخوه أبو معرّف محمد بن عبد الحق و بايعته كافة مرين و سار فيهم سيرة حميدة و كان بطلا شجاعا، شهما مهابا مطاعا، كثير الغارات لا يفتر عن القتال و المحاولات. و فيه قال صاحب الأرجوزة:

/ ثم ولّى من بعده محمدو كان فى أموره مسدّد

فكان لا يفتر عن قتالمواضبا للحرب و النّزال

كم عسكر له و كم حشودو من جميع جمّة الجنود

و كم من جيش جاء من مراكشأفناه بالحروب و التناوش

نهاره و ليله طعانلكنه مؤيّد معان

و لم يزل فى قتال الموحدين إلى أن قتل بصخرة أبى بياس من أحواز مدينة فاس، يوم الخميس تاسع جمادى الثانية سنة اثنين و أربعين من السابع تحاملا- مع زعيم الروم. ثم أخوه أبو يحيى زكرياء بن عبد الحق و هو أول من عمل من ملوكهم مراسم الملك من بنود و طبول و غيرها. و أوّل ما ابتدأ به تقسيم البلاد على قومه و إنزال كل قبيلة فى ناحية و أمرهم بتكثير الجيش و ركوب الرجال و ما غلبت عليه كل قبيلة فهو لها و توفى بفاس و دفن بإزاء قبر الفشتالى تبرّكا به.

ثم أخوه سلطان الجهاد أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى و لقبه المنصور. و قد استوفى أبو فارس فى أرجوزته سيرته حيث قال:

سيرة يوسف بن عبد الحققد حاز فيها قصبات السّبق

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷۲ سيرته أن يقرأ الكتاباو يذكر العلوم و الآدابا

يقوم للصلاة ثلث الليلو ما له عن ورده بميل

(ص ۱۱۰) إلى آخر الأبيات السبعة و العشرين و شرع فى تمهيد المغرب ففتح/ بلاده من أقصى سوس إلى وجدة و فتح مراكش و قطع ملك الموحدين و محا أثرهم و جاز للأندلس فدوّخها و ملك بها ما يزيد على خمسين قصرا ما بين مدن و حصن كمالقة و رندة و الخضراء، و طريف و مربات و أشبونة و ما بين ذلك من الحصن و القرى و البروج و خطب له على جميع منابر الغرب فهو أول ملك حما (كذا) الإسلام من بنى مرين و نزل فى سنة ثمان و خمسين من السابع بتازة يستنشق ريح يغمراسن فبلغه الخبر بأن النصارى دخلوا مدينة سلا غدرا و وضعوا السيف فى رقاب أهلها فجدّ السير لها يومه و ليلته إلى أن أدرك المسلمين و خلّصهم من العدوّ و أطرد العدو منها و بنا عليها (كذا) السّور و غزى (كذا) مراكش سنة ستين من السابع فحاصرها شديدا و غلق أميرها المرتضى على نفسه ثم خرج منها و وقعت بينهما حروب عظيمة قتل فيها عبد اللّه ولد المرينى فارتحل عنها. و فى ذلك قال أبو فارس عبد العزيز فى أرجوزته:

فى عام ستّمائة و ستينسار المراكش سلطان مرين

فوقف المنصور بجليزمبرزا بأحسن التبريز

و عاد فيها المرتضى محصوراذا أرق فى قصره مقصورا

و دارت الأعراب بالأسوارو اعتمدوا فيها على الإحصار

(ص ۱۱۱) و ضيّق على أبى دابوس بمراكش شديدا و لما أيقن بعدم النجدة/ استصرخ بيغمراسن فشن الغارات على أطراف الغرب فرجع إليه المرينى و وقع المصاف بوادى تلاغ الغربى و حصلت الحرب العظيمة بينهما من الضحى للظهر فرجعت الدائرة على يغمراسن فهزم و قتل أكبر أولاده عمر. ثم غزا (كذا) تلمسان فى سنة تسع و ستين من السابع فلقيه يغمراسن بواد سلى قرب وجدة فوقع بينهما حرب

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷۳

عظيم مات فيه من جيش يغمراسن خلق كثير و لو لا ما حال الظلام بينهما لم تقم قائمة لبنى عبد الوادى و فرّ يغمراسن لتلمسان و أضرمت محلته نارا و تبعه يعقوب المرينى فمرّ بوجدة و جعل عاليها سافلها و سبا (كذا) أموالها و زاد لتلمسان فحاصرها شديدا و أدار محلاته بها و جاءه بها محمد بن عبد القوى إعانة ثم سرحه لأهله و لم ترتحل عنها حتى وصل التجينى بلده خشية عليه من يغمراسن ثم أقلع عنها و رجع للمغرب فقال بعض كتابه، الملزمين لخدمة بابه:

فإنك إذا الخيل جالت حبستهمقضاء من الرحمان ما منه عاصم

فذاك على اليمنى يبيد حمامتهاو هذا على اليسرى فأين المقاوم

و والدهم فى جاحم الحرب بينهميبيد حماة الجيش و السّقر قائم

فويحك يا يغمور هل لك حاجزأيقظان حقا أنت أم أنت نائم

أفى كل عام تترك ابناك للفنىو تسبى لك المغيد الحسان المكارم

و جهّز جيشا قدره خمسة آلاف لنظر ولده أبى زيان سنة ثلاث/ و سبعين من (ص ۱۱۲) السابع فغزى (كذا) الأندلس به و نزل بطريف و استراح ثلاثا و منه للحيرة فغنمها و بعث بالغنائم للجزيرة و والى السير فى الأرض يفتح و يسبى إلى شريش و رجع بالغنائم للجزيرة و لحقه والده فى سنة أربع و سبعين من السابع ففتح فتوحا كثيرة و غنم غنائم عظيمة و جال بالقتل و السبى و التخريب و قتل زعيم النصارى دنونة و هزمت عساكره و أوتى له بالرؤوس فكانت نيفا و ثمانية عشر ألفا على ما لصاحب الأنيس، و تسعة آلاف على ما لصاحب رقم الحلل، فجعلت تلا و أذّن عليها للصلاة و صلى المسلمون بالمعركة الظهر و العصر و أوتى له برأس دنونة فبعثه لابن الأحمر فكوفره و مسّكه ابن الأحمر و بعثه للفنش (الفونسو) تقرّبا منه و تجنبا من أبى يوسف. قال ابن الخطيب فى رقم الحلل:

تسعة آلاف من الكفّاردعا بهم داع إلى البوار

و عدد الأسارى سبعة آلاف و ثمانمائة و ثلاثون أسيرا و الكراع أربعة عشر ألفا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷۴

و ستمائة و البقر مائة ألف و أربعة و عشرون ألفا، و أما الغنم فضاقت بها الأرض و بيعت الشاة بدرهم و المرأة بدينار و نصف. و لما قسم الغنائم ارتحل و نزل قصر الصخرة فأتاه هرنادة ملك قشتالة لعقد الجزية و قبّل يد السلطان فدعا بماء بمرأى بطارقته و غسلها من قبلته فكانت له فخرا و فى ذلك قال لسان الدين ابن الخطيب فى رقم الحلل:

(ص ۱۱۳)

/ و اجتمع القوم بقصر الصخرةو شاهد النّاس جميعا فخره

و حين حل بالخضراء بعث له أبو محمد بن أشقيلولة كتابا يهنّيه بالفتح مشتملا على قصيدة عينية فيها تسعة عشر بيتا مطلعها:

هبّت بنصركم الرياح الأربعو جرت بسعدكم النجوم الطوالع

و اصطلح فى سنة أربع و سبعين من السابع مع شانجة طاغية الروم فبعث له الطاغية بثلاثة عشر حملا من كتب المسلمين التى أخذوها

ما بين الكتاب العزيز و تفاسيره و كتب الحديث و شراحاته و كتب الفروع و الأصول و اللغة و العربية و الآداب و غيرها و أتاه العلامة الأديب أبو فارس عبد العزيز المكناسى ناظم الأرجوزة التى يقال لها نظم السلوك بقصيدة بائية مشتملة على مائتين و ثلاثين بيتا يذكر فيها سيرته و جهاده و غزواته و جميع أموره كلها مطلعها:

بحمد اللّه أفتح الخطاباو أبدأ فى النظام؟ و الكتابا

لعل اللّه يبلغنى أمالىو يفتح بالسّرور علىّ بابا

فأنشدها بين يديه قارئه أبو زيد عبد الرحمن الفاسى الغرابلى و حضور أشياخ بنى مرين و العرب لقراءتها فاعطا (كذا) لقارئها مائتى دينار و للنّاظم ألف دينار و خلعا و مركوبا و من أرادها بتمامها فعليه بالأنيس، أو دليل الحيران. و توفى ضحى يوم الثلاثاء ثانى عشرين من المحرم كما فى الأنيس، و صفر كما فى (ص ۱۱۴) عجائب الأخبار، سنة خمس و ثمانين من السابع / بالجزيرة الخضراء بعد موت

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷۵

يغمراسن بخمس سنين كما فى الخبر المعرب. و حمل إلى رباط الفتح من بلاد العدوة و دفن بمسجد شالة منها كما فى الأنيس و بموته انصدع الإسلام. قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار: و لو لا يغمراسن ألهاه بشن الغارات لا ستردّ كثيرا من الأندلس فكان له مانعا من الموانع.

ثم ابنه يوسف الناصر فصالح ابن الأحمر و جدد الصلح لابن الفنش (الفونسو) و أكثر من غزو الأندلس فأثخن فى النصارى ثم صرف عزمه لغزو تلمسان بسبب ابن عطوا فحاصرها و بها ملكها عثمان بن يغمراسن و دام حصاره عليها أعواما و شهرا و مات ملكها عثمان أيام الحصار و انتهت عساكر المرينى إلى إفريقية و اشتدّ البلاء على أهل تلمسان إلى أن قتله غلامه و هو نائم مع إحدى جواريه فافرجت عساكر مرين عنها و حمل إلى شالة برباط الفتح و دفن بها. و لما مات جلس ابنه أبو سالم على الكرسى فغلبه ابن أخيه أبو ثابت و خلعه بإعانة أبى حمّ الزيانى.

ثم أبو ثابت عامر بن عبد اللّه فارتحل عن تلمسان و رجع للمغرب فدوخه كثيرا و جال فى نواحيه إلى أن توفى بقصبة طنجة فجلس على كرسى الملك عمّه على بن يوسف فخلع فورا و رضوا بسليمان أخى (كذا) أبى ثابت. ثم أبو الربيع سليمان بن عبد اللّه أخو أبى ثابت فجدّد الصلح مع آل زيان و توفى مريضا بتازة و دفن من ليلته بصحن جامع تازة و قد ترفّهت الناس فى أيامه/ باتخاذ الدّواب (ص ۱۱۵) و الملابس الجيدة و تشييد الدور و ترويقها بالزّليج و الرخام و النّقوش. ثم أبو سعيد عثمان السعيد بن يعقوب فمهّر الملك و دوّخ المغرب و أوقع بملوية و وجدة و بنى يزناسن كثيرا و حاصر تلمسان شديدا و بها سلطانها أبو حمّ موسى بن عثمان ثم أفرج عنها و رجع للمغرب و غزى (كذا) الأندلس و طالت مدته فى التدويخ و وقع الخلل بينه و بين ولده عمر فاجتمع العسكر على عمر و خاف السعيد من العسكر فانتصر عليه ولده و هرب السعيد لتازة و لحقه بها ولده و حصره إلى أن سلّم له الأمر بالأشهاد و بقى بتازة ثم سار ولده بالجيوش لفاس و حلّ به المرض الشديد فحاصره أبوه بها إلى أن سلّم له الأمر على أموال عظيمة أعطاها له السعيد مع سجلماسة و ترك الملك لأبيه فاستقلّ به إلى أن مات. و هؤلاء الملوك التسعة من بنى مرين لم يملك واحد منهم و هران.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷۶

ثم ملكها أبو الحسن المرينى و هو علىّ بن عثمان السعيد بن يعقوب ابن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة بن محمد بن ورزين بن فلوس ابن كرماط بن مرين فدوّخ المغرب بأجمعه و حاصر تلمسان مدة حصرا شديدا و بنى المنصورة غربى تلمسان مدة الحصار و فيها يقول ابن الخطيب السلمانى فى رقم الحلل:

ثم بنا المنصورة الشهيرةالبلدة الجامعة الكبيرة

(ص ۱۱۶)/ و قيل بناها يوسف بن يعقوب كما مرّ وفتك بأهل تلمسان فتكا عظيما و قاتله مالكها أبو تاشفين إلى أن استشهد هو و

أولاده و وزيره فدخلها عنوة و لما حلّ بها طلب الإعانة منهم بالأموال للجهاد فقال له أبو زيد بن الإمام لا يصح لك حتى تكنس بيت المال و تصلى فيها ركعتين كما فعل عمر رضى اللّه عنه. و فتح ندرومة و وجدة و رجع للمغرب. ثم غزى (كذا) طريف بالأندلس فهزم هزيمة كبيرة حصدت فيها شوكة المسلمين. ثم غزى (كذا) و هران و المغرب الأوسط إلى أن وصل لإفريقية بسبب أن السلطان أبا بكر الأصغر الحفصى لما توفى سنة سبع و أربعين من الثامن و كثر القتال بين بقيّة بنى حفص و بين ولديه أبى العباس و أبى فارس و أضرمت إفريقية نار الفتنة هرب حاجب السلطان محمد بن تافركين للمغرب لسعاية بلغت به فلحق بأبى الحسن المرينى و صار يرغبه فى ملك تونس و يسهل عليه أمرها و يهوّنها عليه و كانت نفسه تحدثه لما فتح تلمسان بإفريقية و يتربّص بالسلطان أبى بكر فقويت عزائمه عليها ثم أخبر بمهلك ولدى أبى بكر أبى العباس و أبى فارس فارتحل من مراكش و جدّ السّير إلى تلمسان فوافته بها الحشود من كل جهة و ارتحل فى صفر سنة ثمان و أربعين من الثامن يجرّ الدنيا بما حملت فنزل بوهران و فتحها و أمر ببناء البرج الأحمر بها فبنى و جعل فى وسطه دائرة لا تراكين لها بناء محكما و اتقنه إلى أن كاد الجوّ يغصّ به و قلّما يوجد مثله فى السّعة و اتقان البناء فهو إيوان الحكم لكل من ملك (ص ۱۱۷) و هران ثم بنا (كذا) ثانيا برج/ المرسى كلاهما تلك السنة فبينما هو بوهران إذ و فدت عليه بها أولاد حمزة، و الكعوب و سائر أمراء إفريقية و بعث ابن مكى أمير

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷۷

قابس وفده بالطاعة و ابن جلول صاحب توزر و ابن عابد صاحب قفصة و صاحب الحامة و صاحب نفطة كلهم بايعوه بوهران رغبة و رهبة و أدّوا بيعة ابن ثابت صاحب طرابلس لبعد داره ثم قدم فى أثرهم يوسف بن منصور صاحب الزّاب و معه كبير الذواودة يعقوب بن على فأوسع الكل كرمه و جوائزه و عين القهارمة لإتمام البرجين المذكورين و العمالة و الولاة و فى ذلك قال الحافظ أبو راس فى سينيته:

ثامن قرن قدمها المرينى أبوحسن ثمت بيعة طرابلس

بنا بها الأحمر ففاق كل بناثم بنا الثانى حذو سفن المرس

ثم ارتحل يجرّ الأمم قاصدا إفريقية فمرّ على كل بلدة و مكان فى أمن و أمان إلى أن دخل تونس فى يوم مشهود يقلّ مثله بعده فى الوجود، و معه شيخ الموحدين بتونس أبو محمد بن تافركين بجنود عظام فبايعه بها خمسون ملكا و وافق ذلك موت الحاجب لتعلقات العلم و جامع أشتات النثر و النظم و إمام المصنفين بحكم أقرانه الراشدة العلامة ابن هارون أحد شارحى ابن الحاجب و شيخ ابن عرفة و زوجته فى ليلة واحدة، فقدم السلطان لما حضر جنازتهما للصلاة عليهما أبا عبد اللّه السبطى صاحب الفتوى بالمجلس الذى أولاده مشهورون بأولاد السّبطى للآن بفاس. و لما حلّ بتونس اندفع إليه الشعراء بها يهنونه بالفتح و كان سابقهم فى تلك النوبة أبو القاسم الرحوى من ناشئة أهل الأدب فرفع/ إليه قصيدة بائية محتوية على ثمان و ستين بيتا مطلعها: (ص ۱۱۸)

أجابك شرق إذ دعوت و مغربفمكّة هشّت للقاء و يثرب

و نادتك مصر و العراق و شامهبدارا فصدع الدين عندك يشعب

و حيّتك أو كادت تحيّى منابرعليها دعاة الحق باسمك تخطب

و انظر تمامها إن شئت فى ترجمان العبر أو دليل الحيران.

ثم غزى (كذا) من تونس العرب بالقيروان بعد صلاة عيد الأضحى فوافاهم فى الفرح بين بسيط تونس و بسيط القيروان المسمى بالثنية فأجفلوا أمامه و قاتلوه منهزمين و هو فى اتباعهم إلى أن حلّ بالقيروان و رأوا أن لا ملجأ منه فاتفقوا على الاستماية (كذا) و دسّ إليهم من عسكر السلطان بنوا عبد الواد و مغراوة و تجين

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷۸

فغلبوا بنى مرين و واعدوهم بالمناجزة صبيحة يومهم ليتحيزوا إليهم برايتهم و صبحوا معسكر السلطان فركب إليهم التعبئة فاختلّ

مصافه و تحيّز إليهم الكثير من جيشه فكانت الدائرة عليه و نكب نكبة عظيمة و نجا إلى القيروان فدخلها فى الفلّ من عساكره و تدافعت ساقات العرب فى إثره و تسابقوا إلى محلّته فنهبوها و دخلوا فساطيطه و استولوا على ذخائره و الكثير من حريمه و أحاطوا بالقيروان و دارت حللهم بها و تعاوت ذيابهم بأطراف البقاع و أجلب ناعق الفتنة من كل مكان و لم ينج إلّا فى أرذل حالة و ذهب ليلا إلى سوسة على تعبئة فركب منها فى الأسطل (كذا) إلى تونس و حل بها فشرع فى إصلاح ما ثلم منها.

عودة وهران لدولة بنى زيان

(ص ۱۱۹) ثم/ رجع ملك و هران للدولة الخامسة و هى دولة بنى زيان فملكها بعد أن استولى على تلمسان أبو سعيد بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن الزيانى فأحيا (كذا) الدولة الزيانية بعد العفاء و أظهرها بعد طول الخفاء و هو سادس الملوك الزيانية، و عاشر القاسمية، بويع له فى ربيع الأول سنة تسع و أربعين من الثامن بأرض إفريقية و جاء مغربا و معه تجين و مغراوة و بنوا عبد الواد و لما حلّ بشلف فارقته تجين و مغراوة بعد التحالف على المناصرة عند الحاجة و تمادى بنوا عبد الوادى بسلطانهم لتلمسان. و كان أبو عنان المرينى أقام بها عثمان بن جرار أحد بنى طاع اللّه فبعث لهم ابن جرار أخاه فى جيش للمحاربة فكان مصاف القتال بسكّاك فقتل ابن جرار و أخذ ما معه إلّا اليسير و جاء أبو سعيد لتلمسان فسأل عاملها ابن جرّار الأمان فأمن و دخلها أبو سعيد فى جمادى الثانية تلك السنة ، فبرز فى سماء الخلافة و شارك أخاه أبا ثابت فى المملكة فكانت السكة و الخطبة لأبى سعيد، و أمر الحرب و استتباع الجيوش لأبى ثابت، و اختار أخوهما الأكبر أبو يعقوب سكنى ندرومة منقطعا للعبادة، و تركا أبا الحسن المرينى بالمشرق فمهدا البلاد و دوّخا العباد. فبينما هما كذلك إذ أتاهما الخبر أن أبا الحسن نزل بالجزائر و معه و زمار بن عريف السويدى الهلالى على ما

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۷۹

لابن خلدون، و المخزومى،/ على ما للحفاظ الثلاثة: أبى راس المعسكرى، (ص ۱۲۰) و موسى بن عيسى المازونى المغيلى، و ابن الخطيب التلمسانى القرشى، و تجين و عرب تلك النواحى، و أنه رايم تلمسان فخرج أبو ثابت بجيش عظيم و بعث لعلى بن راشد المغراوى فالتقيا بالتاغية و اتفقا على أن أبا ثابت يلقى أبا الحسن، و عليا بن راشد يلقى الناصر، فكان مصاف القتال بتيغرين و حصلت الحروب الشديدة التى يشيب لها رأس الوليد انهزم فيها المغراوى و ثبت أبو ثابت إلى أن هزم أبا الحسن و قتل ولده الناصر و أعيانه، و لو لا ظلام الليل (كذا) ما نجا أبو الحسن و دخل و زمار بن عريف بأبى الحسن للصحراء إلى أن وصل لسجلماسة و ذهب مغرّبا و رجع أبو ثابت بالظفر و الغنيمة.

ثم قتل مغراوة بعض بنى عبد الوادى غيلة فتوجه لهم أبو ثابت و هم بالجبل المطل على تنس و هجم عليهم ففرّ على بن راشد لتنس و اقتحمها عليه فذبح عليّ نفسه و به انقرض ملك بنى ثابت بن منديل و استولى أبو ثابت على بركش و المدية و مليانة و الجزائر و رجع لتلمسان و كتب له أبو عنان المرينى على الإقلاع عليهم فأبى و سمع بموت على بن راشد فأنف و تحرك لتلمسان و لقيه أبو سعد و أبو ثابت بجيش بلغ منه الإعجاب بأنقاد و نزلوا بسلى فكان مصاف القتال بوادى القصب و لما حمى الوطيس خدعت بنو عامر على عادتهم الذميمة و جرّت الهزيمة عل أبى سعيد و كبّ به فرسه فأخذ و قتل يوم السبت حادى عشرين جمادى الأولى سنة ثلاث و خمسين و سبعمائة و استمرّ/ أبو ثابت لتلمسان فأقام بها يوما و لحق (ص ۱۲۱) بالجزائر فاجتمع عنده جيش عظيم و رجع به مغربا لعدوه فكان مصاف القتال بوادى شلف فوقعت حروب يشيب لها الرضيع و نكص بنو مرين الأعقاب فحمل و زمار ابن عريف السويدى على أبى ثابت فردّهم على أعقابهم و حصلت الهزيمة ففرّ أبو ثابت و أبو حمّ موسى و الوزير يحيى بن داوود مشرقين فى ثياب التنكّر فأرصدهم صاحب بجاية و أخذهم حولها فقال لهم الآخذون من هو أبو ثابت منكم فتقدم أبو حمّ و قال أنا فأطلقوا غيرى فورد عليهم من يعرف أبا ثابت و هو و زمار بن عريف السويدى فحملهم إلى أبى عنان المرينى فقال أبو عنان

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۸۰

لأبى ثابت كيف رأيتم أبطال بنى مرين فقال أبو ثابت أعانكم السعد و أما الرجلة غلبناكم فيها فدفعه لبنى جرار فقتلوه قصاصا ثالث عشر رمضان تلك السنة و ذهب أبو حمّ لتونس فاستقرّ بها عند أبى إسحاق إبراهيم بن أبى يحيى زكرياء الحفصى فى نعمة شاملة إلى أن كان ما يأتى ذكره.

عودة وهران للدولة المرينية

ثم رجع ملك و هران للدولة السادسة و هى المرينية فملكها أبو عنان و ذلك أن أبا الحسن لما رجع للمغرب حصل الخلل بينه و بين ابنه أبى عنان على الخلافة و غلبه ابنه على ذلك إلى أن عهد له بها فرجع له ابنه و توفى سنة اثنين و خمسين من الثامن و دفن بسلا. و سبب موته أنه لما رجع من مقاتلة ابنه ابن عنان تمرّض. ففصد لإزالة الدم و اغتسل بالماء قصد الطهارة فتورّم و مات بعد أيام قليلة و هو الذى شيّد بناء جامع سيدى أبى مدين، و بنا (كذا) جامع سيدى الحلوى. و لما مات تولّى أبو عنان فارس بن أبى الحسن بموضع أبيه و شرع فى تدويخ المغرب و تمهيده ثم غزى (كذا) تلمسان سنة أربع و خمسين من الثامن فحاصرها شديدا إلى أن دخلها عنوة و أطرد (كذا) عنها سلطانها صاحب الحرب أبا ثابت للمشرق ثم قتله بعد الظفر به و ذبح سلطانها صاحب الأمر أبا سعيد بإفتاء الفقهاء له بذلك و خرّب تلمسان فحرثها غلام أسود على ثورين أسودين تلك السّنة. ثم تخطّا لوهران فملكها أيضا. و قد قال موسى بن صالح (ص ۱۲۲)/ الكاهن المعروف عند الناس بموسى، و صالح المشهور بالكهانة، إن تلمسان تحرث فكان كما قال و كان هذا الكاهن يسكن ببرابرة غمرة و أرضهم من المشتل إلى الزّاب. قال ابن خلدون: «و اختلف الناس فى أمره فبعضهم يقول بكهانته و بعضهم يقول بولايته و لا صحة لخبره ه» و قول الحافظ أبى راس فى عجائب الأسفار: إن تلمسان حرثت سنة ستين من الثامن سبق قلم لأن أبا عنان كان ميتا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۸۱

فى الستين و كانت تلمسان معمورة و هى حرثت فى حياته وقت تخريبه لها. و كان أبو عنان عالما كبيرا يقرأ القرآن بالسبع . و قال الحافظ أبو راس فى الشماريخ:

أنه كان يقرأه (كذا) بالعشر، و أن أباه كان يقرأه (كذا) بالسبع و كان أديبا كثير الاعتناء بشعر ابن خميس التلمسانى فهو علم الأعلام، و مستخدم السيف و الأقلام، و له بطش و بغض شديد فى الأمور حتى أنه حبس الإمام ابن مرزوق الخطيب لاتهامه فى تقصيره خطبة حفصة بنت سلطان تونس حتى قدم عليه شيوخ إفريقية بالخراج فقالوا له سمعنا فى بلادنا أنك حبست عالما كبيرا فأمر بإطلاقه و قيل أطلق بعد موته و هو أول من اعتنا (كذا) بتعظيم المولد النبوى فى البلاد الغربية فاقتدا (كذا) به أبو حمّ موسى بن يوسف الزيانى أحد الأعياص و بنوا حفص بتونس لا سيما أبو فارس عبد العزيز الحفصى و توفى يوم الأربعاء رابع عشرين ذى الحجة الحرام سنة تسع و خمسين من الثامن و قد عاهد (كذا) بالملك لابنه أبى زيان فأبى أهل المجلس ذلك و عقدوا البيعة لأخيه السعيد ابن أبى عنان و كان صغيرا ابن خمس سنين و جزموا على الفتك بأبى زيان فأجبروه على البيعة لأخيه فبايع له و تلفت مهجته. و استقل بالأمر الحسن بن عمر كافل الخليفة السعيد بن أبى عنان فصارت الخلافة للسعيد و بقى تسعة أشعر ثم خلعه منها عمه أبو سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى فى منتصف شعبان سنة ستين من الثامن .

عودة وهران للدولة الخامسة الزيانية

ثم رجع ملك و هران للدولة الخامسة الزيانية فملكها أبو حمّ موسى ابن يوسف الزيانى و ذلك أنه لما خلص من واقعة أبى عنان و ذهب لتونس/ فاستقر (ص ۱۲۳) بها عند الملك الحفصى أبى إسحاق إبراهيم بن أبى يحيى زكرياء فى نعمة شاملة إلى أن جاءه من

المغرب سقير بن عامر الهلالى رئيس بنى عامر بقبيله

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۸۲

و معه مغراوة فجاؤوا مغرّبين به لجبل عياض و منه للزاب و ريغة و وارقلا و جبل مزاب و واد زرقون و غزوا أولاد عريف ساروا إليهم عشرة أيام بلياليها (كذا) فصبحوهم بواد ملّال فاستباحوا مالهم و قتلوا كثيرا من رجالهم من جملتهم عثمان ابن و زمار بن عريف السويدى فهذه الواقعة هى باكورة السّعد. ثم جاءهم البشير بموت أبى عنان فاستبشروا بنيل المراد. ثم بايعوه فى خامس محرم سنة ستين من الثامن و جاؤوا مغربين إلى أن وصلوا إلى مكرّة فسمع أهل وطن تلمسان فأتوه من كل حدب ينسلون (كذا) ثم زادوا لتلمسان و بها محمد بن أبى عنان فنزلها و حاصرها ثم دخل أقادير بعد حروب فسأل منه بنوا مرين الأمان فأمّنوا و أسلموا البلد. و بايعوا أبا حمّ فدخلها بعد صلاة ظهر يوم الخميس غرة ربيع الأول تلك السنة و لما جلس على كرسى المملكة أنشأ يقول قصيدته الميمية التى من الطويل الذاكر فيها أحواله من حين مجيئه من تونس إلى حال دخوله تلمسان مطلعها:

جرت أدمعى بين الرّسوم الطّواسملما شطحتها من هبوب الرّواكم

وقفت بها مستفهما لخطابهاو أى خطاب للصعاب الصلادم

و انظر تمامها فى الدر و العقيان، أو بغية الرواد، أو زهر البستان، أو دليل الحيران، أو لباب اللباب، و كان أهم ما بدأ به الإحسان إلى أنصار الدولة ثم لوفود التهنئة ثم التفت إلى قبيله فاستركب منهم فى يوم واحد ألفى فارس و ضبط ملكه و أسّسه و اجتمع بأبيه أبى يعقوب و ابنه أبى تاشفين فى عام الستين من الثامن فجهّز لأبيه جيشا دوّخ به المشرق و أخذ يحيى البطيوى بوانسريس أخذا وبيلا و فتح المدية و مليانة عنوة و أسر ما فيها من شيعة بنى مرين و اصطلح مع أبى سالم المرينى لما أفضت الخلافة إليه فى عام الستين المار و جهز لابنه أبى تاشفين فى (ص ۱۲۴) عام إحدى و ستين من الثامن/ جيشا لحرب أبى زيان بن أبى يحيى الراشدى ففرّ أبو زيان و استولى أبو تاشفين على المال و الذرارى، و لوزيره أبى محمد

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۸۳

عبد اللّه بن مسلم جيشا لحرب محمد بن عثمان فهزمه الوزير هزيمة بليغة و جاءته البشارتان بالهزيمتين و فيها بايعته أهل البطحاء، و مستغانيم و مزغران و جهز جيشا بعثه مع وزيره موسى بن برغوث لفتح و هران فكانت الدائرة على وزيره و هر جيشه و كبّ به فرسه فأخذ أسيرا و بعث به للمغرب و حرك عليه فيها أبو سالم المرينى بجنود كالجراد المنتشر فدخل تلمسان و خرج أبو حمّ و توجه للمغرب فدوّخه و بعد أربعين يوما فتح تلمسان من يد أبى سالم و دوّخ بنى وطاط كثيرا و مات فى تلك الواقعة سقير بن عامر فحمله بجنازة الملوك و دفنه بالعبّاد و كان فى موته راحة له لأنه خادعه غفلة و أراد غدره لميله لبنى مرين فأراحه اللّه منه و تلك عادة بنى عامر بكبيرهم و صغيرهم. ثم نهض للجبهة الشرقية فدوّخها و فى سنة اثنين و ستين من الثامن فتح و هران عنوة على يد أبى موسى عمران فارس الولادى و سلّم له أبو سالم المرينى الجزائر فاجتمعت له الجهة الشرقية و جاءه محمد بن موسى اليزناسى طريدا فآواه و أحسن إليه و للّه درّ القائل:

تطاول دائى فاستفزّ منامىو طال سهادى و استطال سقامى

و حرمت سبعا ليس للنفس بعدهامقام بطيب و جدّ حزامى

منامى و عقلى و الفؤادى و عبرتىو قلبى و لبّى و التذاذ طعامى

و اصطلح مع أبى سالم المرينى أمير المغرب فردّ كلّ واحد الأسارى لصاحبه و ذهب وزيره أبو محمد عبد اللّه بن مسلم للجهة الشرقية فمهدها و مات والده أبو يعقوب بالجزائر فى شعبان تلك السنة فحمله و دفنه بباب أيلان و بنا (كذا) عليه المدرسة اليعقوبية و نقله لجوار أخويه أبى سعيد و أبى ثابت و لما كملت المدرسة نقل الثلاثة لها و جعل أطعمة و رتب أوقافا، و أتاه خالد بن عامر صحبة محمد بن عمر للاختلاس فبعث لهما ابنه أبا تاشفين و عمران بن موسى فهزمهما ببنى و رنيد و رجع أبو تاشفين منصورا، و فى أربع و

ستین من الثامن/ جهز جیشا کثیفا لوزیره و أمره بطرد أبی زیان الراشدی أو الفتک به و بخالد (ص ۱۲۵) ابن عامر القاتل لأخیه شعیب بن عامر غدرا ففرّا و أطردا عن الوطن. و فی خمس

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۸۴

و ستین منه جهز لوزیره جیشا لإطراد المنافقین فأزعجهم إلی المسیلة و مات و ولّی بموضعه أخاه عثمان بن مسلم فاجتمعت علیه الحشود فأرسل ابنه أبا تاشفین ثم لحقه فی جیشه و لما حل بالبطحاء نزل العدوّ بغلیزان و وقع الحرب بینهما یوما کاملا و أبو حمّ بمحلته ینظر ففرّ عنه الناس و لم یشعر إلی أن وجد نفسه منفردا بخاصته فارتحل لحضرته و تکالب علیه العدو و زاد معه إلی سیق کأنه جراد منتشر و اشتدّ القتال فی الثنیة فقطع رأس بعض أعیانهم فرجعوا منهزمین و ذهب لحضرته. و لقد انتکب ثلاث نکبات: واحدة بناحیة بجایة، و الأخری بتسکاله، و أخری بوانسریس، و الأمر للّه وحده. و فی سنة ست و ستین منه اجتمعت علیه العرب لأمر لم یرده اللّه فذهبوا خائبین و أذعنوا بالطاعة، و أتی سوید لبابه الکریم یتلمسون الرضی فأصفح (کذا) عنهم و عفا، و حضرت لیلة المیلاد النبوی علی صاحبه أفضل الصلاة و السلام فاحتفل لها کعادته و أنشد قصیدته الجیمیة المسمّة (کذا) بالمنفرجة المحتویة علی أربعین بیتا من بحر البسیط مطلعها بتمامها للفائدة فیها بالتوسل:

یا من یجیب دعا المضطر فی الدّیجو یکشف الکرب عند الضیق و الهرج

و لطف رحمته یأتی علی قنطإذا القنوط دعا یا أزمة الفرج

و من إذا حلّ خطب و اعتری توبأبدا (کذا) من اللطف ما لم یجر فی المهج

إنی دعوتک جنح اللیل یا املیدعاء مبتهل بالعفو مبتهج

یا کاشف الضر عن أیوب حین دعاقد مسّنی الضر فاکشف ضرّ کل شجّ

أنت المنجی لنوح فی سفینتهو مخرج یونس من ضیقة اللّجج

یا من وقی یوسف الصّدیق کلّ أذیلما رموه بجبّ ضیّق حرج

أجاب یعقوب لمّا أن بکا و شکاو جاءه منه لطف لم یخله یج

و عاد بعد بصیرا حین هبّ لهنسیم نشر القمیص الطّیب الأرج

(ص ۱۲۶)/ نجّا من النّار إبراهیم حین رمیفیها و عادت سلاما دون ما وهج

یا من تکفّل موسی و هو منتبذباللیمّ فی جوف تابوت علی لجج

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۸۵ یا من أعاد للّام بعد ما یئستموسی و قرّبه فی المرسلین نج

یا من کفی المصطفی کید الذی کفرواإذ جاءهم بکتاب غیر ذی عوج

یا من وقاه الرّدا فی الغار إذ نسجتببابه عنکبوت خیر منتسج

و کلّ ما حاولوا مکرا به انقلبوابالرعب ما بین مکبوت و مرتعج

من قد أتی رحمة للعالمین و قدأحیا القلوب بوحی واضح الحجج

من عطّر الکون طیبا عند مولدهو أشرق الأفق من نور له بهج

من أنزلت فیه آیات مطهّرةأنوارها کمصباح لاح منبلج

یبلی الجدیدین أخلاقا وجدناهمامع الجدیدین فی نور و فی بهج

فی طیها کل علم ظلّ مندرجاو أی علم لدیها غیر مندرج

و کم له معجزات ما لها عددجلّت عن الحصر من فرد و مزدوج

عمّت شفاعته للخلق أجمعهمفبالوسیلة ترقی أرفع الدّرج

محمد خير خلق اللّه قاطبةنور الهدى و إمام الرسل ذى السّرج

يا حادى العيس عرّج نحو أربعةباللّه عج بى على ذاك المحلّ عج

للّه قوم إلى معناه قد وصلوابالعزم إذ وصلوا الروحة بالدّلج

ساروا فزاروا و فرط الذنب أقعدنىو قد مزجت بدمعى دمى ممتزج

فالجسم منتحل و الدمع منهملو القلب مشتعل من حرّه الوهج

و قد تقلّدت ما لا نستطيع لهمن الخلافة أوهنت قوّى حجج

يا ربّ عبدك موسى قد دعاك عسىتنيله نفحة من نصرك الأرج

فكن نصيرى فقد أصبحت مكتئبافالقلب من نكد الأوزار فى السيرج

قد ضقت ذرعا بزلتى و كثرتهافما اعتذارى إذ ذاك نبت بالحجج

فكم قطعت من الأيام فى لعبو فى ضلال و كم ضيعت من حجج

/ و فى البطالة لهوا قد مضى عمرىآه لتضييعه فى اللهو و المرج

(ص ۱۲۷) و كم عصيتك جهلا ثم تسترنىو باب فضلك عنى غير مرتتج

منّى الإساءة و الإحسان منك بدامنّى الذنوب و كل العفو منك زج

كم جدت بالفضل و الإحسان منك و كمسترت بالفضل عن أفاعلى السمج

إنى سألتك بالسرّ الذى ارتفعتبه السموات و الأراضى لم تمج

أصلح بفضلك ما قد كان من خللو اجبر بحلمك ما قد بان من عوج

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۸۶ و اجعل لنا مخرجا فى أثره فرجافكم تعامل بعد الضيق بالفرج

و صل صلاة على المختار من مضرما لاحت الشّهب فى الأفق كالسرج

و تحرك لتدويخ المغرب بجميع عساكره شرقا و غربا فنزل جبل دبدوجاس خلال دياره ثم لثنية تيزى، ثم فرط، ثم لثنية بلزوز، و قرية تابريد، و غارت خيله لتازة ثم كرّ قافلا لتاوريرت فهدم أسوارها و خربها و عاد لحضرته العالية فدخلها سنة سبع و ستين منه و صرف إلى كوّر قطره جميع قواده فبعث إلى تجين راشد ابن أبى يحيى، و إلى منداس و نزمار، و إلى و انسريس إبراهيم بن محمد، و إلى شلف عطية بن موسى، و إلى المدية و ادفل بن عبّ، و إلى تدلس ابن راشد، و إلى وجدة موسى بن خالد. و حرك عليه فى سنة إحدى و سبعين من الثامن أبو فارس عبد العزيز أبى الحسن المرينى بجيوش عظيمة فأفرج له عن تلمسان و قصد نحو المشرق بجنوده فدخل لتلمسان أبو بكر بن غازى وزير أبى فارس ثم دخلها أبو فارس المرينى فى أثره فى عاشوراء سنة اثنين و سبعين من الثامن و لما حل بقصر الإمارة ألفى مكتوبا بحائطه هذه الأبيات من شعر أبى حمّ موسى بن يوسف الزيانى و نصّها:

ساكناها ليالى آمنيناو أياما تسرّ الناظرينا

(ص ۱۲۸)/ بناها جدّنا الملك المعلّاو كنا نحن بعض الوارثينا

فلما أن جلانا الدّهر منهاتركناها لقوم آخرينا

فأمر عبد العزيز بتبديلها فقالوا فى تغييرها:

سكنّاها ليالى خائفيناو أياما تسوء الناظرينا

بناها جدّنا شيخ المعاصىو كنّا نحن شرّ الوارثينا

فلمّا أن جلانا السيف عنهاتركناها لقوم غالبينا

و نظير هذا ما وقع للعلامة الشيخ أبى على الحسن بن مسعود اليوسى رضى اللّه عنه فإنه لما رأى البيت التى (كذا) قيلت فى مدح

مسيلمة الكذاب و هى:

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۱۸۷ علوت بالمجد يا ابن الأكرمين أباو أنت غيث الورى لا زلت رحمانا

أبدلها بقوله:

سفلت بالكفر يا ابن الأرذلين أباو أنت شرّ الورى لا زلت شيطانا

قال التنسى فى نظم الدر و العقيان: و ما قاله المولى أبو حمّ و قيل فيه من الشعر فكثير. و أما حروبه و وقائعه فى العرب و زناتة و سوق عمال بنى مرين إليه فى السلاسل و حركته إلى بلادهم و تحركه عليهم و ما كان بينه و بينهم من الوقائع، فأمر لا يحاط به. و قد تولى ذلك صاحب بغية الرواد و صاحب زهر البستان ه.

و كان رحمه اللّه له اعتناء بالعلم و أهله فى الغاية. و فى وقته كان شريف العلماء و عالم الشرفاء أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن على بن يحيى بن محمد بن القاسم ابن حمّو فكان له محبا و معظما و درّس التفسير بالمدرسة اليعقوبية و حضر الخليفة أبو حمّ للختم و أطعم الناس فكان موسما عظيما. و قول الحافظ أبى راس فى عجائب الأسفار أن أبا عبد اللّه الشريف و ابنى الإمام أبا زيد و أبا موسى وفدوا على أبى حمّ موسى بن يوسف فإنه صحيح بالنسبة لشريف العلماء، و سبق قلم بالنسبة لابنى الإمام لأنهما كانا فى وقت أبى حم الأول فى الوفود، لا الثانى فكلامه فيه تلفيف رحمه اللّه و صنف رضى اللّه عنه كتابا أدبيا لولده خليفة عهده أبى تاشفين سمّاه: نظم السلوك فى سياسة الملوك، أتى فيه بالعجب العجاب و أودعه من رائق نظمه ما يزرى بأولى الألباب. ثم حصلت السعاية الخبيثة بينه و بين ولده أبى تاشفين الخليفة من بعده فعمد أبو تاشفين لأبيه أبى حمّ و خلعه من الملك و أسكنه بعض حجر القصر و وكّل به من لا يدعه يخرج ثم استلبه من الأموال و الذخائر و بعثه لقصبة و هران فاعتقله بها و اعتقل سائر إخوته بتلمسان ثم/ قتلهم (ص ۱۲۹) سنة ثمان و ثمانين من الثامن و بعث لأبيه بوهران من يقتله فأغلق الباب فى وجوههم و صعد لجدران القصبة و استصرخ أهل البلد فأتوه من كل جهة و تدلّى لهم بعمامته و الرهط واقف بباب القصبة فسألوا الأمان و طلبوا النجاة و اجتمع أهل البلد عليه

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۱۸۸

و جدّدوا له البيعة و ارتحل من حينه لتلمسان فدخلها أوائل سنة تسع و ثمانين منه و أقام بملكه فسمع ابنه أبو تاشفين و هو بتيطرى فجاءه مغلغلا- قبل تمام الأمر فدخل عليه و أحيط به ففرّ للصومعة و استعصم فسأل عنه فأخبر به فأخرجه منها و أدركه الندم و بكا (كذا) ثم عاد به للقصر و ربطه مع حجرة أعوذ باللّه من هذا العقوق فخلع أبوه نفسه و سلم له فى الملك و سأل منه التوجه للمشرق فى البحر بقصد الحج فجاء به لوهران و ركبه من مرساها مع نصارى القطلان مكبّلا للإسكندرية فلما وصل بجاية سأل من رايس السفينة إخراجه لها فأخرجه و لما حلّ بها جددت له البيعة و جاء متوجها لتلمسان مستجيشا كل من ببلدة الشرقية من عرب و زناتة ثم ذهب مع الصحراء إلى ناحية المغرب فنزل بوادى زا ثم جاء لتلمسان و فرّ أبو تاشفين أمامه لفاس خائفا عاديته لأمور وقعت منه فى إخوته فاستجاش بنى مرين فبعث معه السلطان أبو العباس أحمد المرينى زيان بن محمد الوطاسى بجيوش عظيمة و جاءوا لتلمسان فلقيهم أبو حمّ بجيشه بجبل بنى ورنيد فاقتتلوا شديدا و كبّ به فرسه فاستشهد رحمه اللّه بموضع يقال له الغيران من بنى ورنيد غرة ذى الحجة الحرام سنة إحدى و تسعين و سبعمائة عن ثمان و ستين سنة بعد ما ملك إحدى و ثلاثين سنة. و هذا العجب الكبير فى ملوك بنى زيان كل خليفة اسمه أبى (كذا) حمّ يقتله ولده اسمه أبى (كذا) تاشفين على الرئاسة. ثم ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حم موسى بن يوسف الزيانى أحد الأعياص فهو تاسع الزيانيين و ثالث عشر القاسميين. فاستقرّ فى الملك و دوخ البربر و العربان و ملك من ملوية إلى جبل الزبان. و كان عين الجود و الكرم و معدن النزاهة و علو (ص ۱۳۰) الهمم، فهو ليث النزال، و غيث النوال،/ فشمل الرعية عدله و أمانه، و عمهم فضله و امتنانه و توفى على سرير ملك سابع عشر ربيع الثانى و قيل رمضان سنة خمس و تسعين من الثامن .

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۱۸۹

عودة وهران للدولة السادسة

ثم رجع ملك و هران للدولة السادسة المرينية فملكها أبو العباس أحمد ابن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى سلطان المغرب و ذلك أنه لما سمع بموت السلطان أبى تاشفين الزيانى خرج من فاس لتازة و بعث ابنه أبا فارس لتلمسان فاستولى عليها و أقام بها دعوة أبيه ثم زاد لوهران و مليانة و ما وراءها من الجزائر و دلس إلى حدود بجاية فملكها تلك السنة و انقرضت دولة بنى عبد الواد من المغرب الأوسط أمدا و اللّه غالب على أمره. و لا ـ زال السلطان أبو العباس بتازة إلى أن اعتراه مرض كان فيه حتفه فتوفى فى المحرم سنة ست و تسعين من الثامن .

ثم استدعى المرينيون ابنه أبا فارس من تلمسان فلما جاءهم بايعوه بتازة و رجعوا به إلى فاس فاستقل بالملك و تمهد له المغرب و منه ذهب ما تعلّق بحفظى من ملوك المرينيين إلى أبى سعيد ثم منه إلى محمد بن أبى ظريف بن أبى عنان ثم منه إلى آخر ملوكهم عبد الحق بن أبى سعيد الذى خلعه السيد محمد بن على بن عمران الإدريسى الجوطى و تولى مكانه سنة خمس و سبعين من التاسع فلذلك لم أذكرهم و لكون و هران خرجت عن ملكهم بالكلية بل لم يملكها إلّا من تقدّم ذكره منهم.

عودة وهران للدولة الخامسة

ثم رجع ملك و هران للدولة الخامسة الزيانية فملكها أبو زيان محمد ابن أبى حمّ موسى بن يوسف الزيانى و به انقطع ملك بنى مرين بالمغرب الأوسط فلم يملكه أحد منهم. و ذلك أن أبا تاشفين بن أبى حمّ موسى بن يوسف الزيانى لما توفى على سرير الملك كما مرّ، تولى بموضعه ابنه أبو ثابت فبقى فى الملك أربعين يوما و دخل عليه عمّه أبو الحجاج فاغتاله. ثم تولى عمه أبو الحجاج

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹۰

المذكور يوسف بن أبى حم موسى بن يوسف الزيانى منسلخ جمادى الأولى سنة خمس و تسعين من الثامن فجنّد الجنود و عقد الألوية و البنود. فلم تسامحه (ص ۱۳۱)/ الأيام فى ملكه بامتداد الأوان بل أوغرت عليه صدور بنى مرين ففوّقوا له سهم أخيه أبى زيان، فخلعه لعشرة أشهر مضت من أيامه، و تركته مخاصما مع أحلامه، و ذهب لبنى عامر و استقرّ فى أمان فوجه له من جرّعه كأس الحمام و كما تدين تدان.

ثم تولى أبو زيان المار غرة ربيع الثانى سنة ست و تسعين من الثامن و تولّع بالعلم فلم تخل حضرته من مناظرة، و لا ـ عمرت إلّا بمذاكرة و محاضرة، فلاحت للعلم فى أيامه شموس، و ارتاحت للاستغراق فيه نفوس بعد نفوس، و صنّف كتابا نحا فيه منحا التصوف سمّاه: كتاب الإشارة فى حكم العقل بين النفسين المطمئنة و الأمارة، و نسخ بيده نسخا من القرآن و نسخا من الشفا لأبى الفضل القاضى عياض و نسخة من صحيح البخارى و حبّسها كلّها بخزانته التى بمقدّم الجامع الأعظم بتلمسان و أتته هدية من ملك مصر أبى سعيد برقوق فوجّه له هدية جليلة و معها قصيدة لامية من نظمه عدد أبياتها خمس و ستون بيتا مطلعها:

لمن الركاب سيرهنّ خميل‌فالصّبر إلىّ بعدهنّ جميل

و انظر تمامها فى نظم الدرر و العقيان للتنسى، و لم يزل فى دار ملكه مطاعا مديد الاطناب، مهابا مرهوب الجناب، إلى سنة واحد من التاسع تحرك عليه لتلافته، أخوه أبو محمد عبد اللّه مستجيشا ببنى مرين و كثيرا من أهل الوطن ففرّ منه و انخلع من خلافته، و توجه للمشرق يلتمس معينا أو منجدا و يطلب ناصرا و مؤيدا، و الدهر يمنيه بالآمال المكذوب و يعده مواعد عرقوب. و هو فى العرب و البرابر يتقلب من فئة لفئة، و دام إلى سنة خمس و ثمانمائة سنة، فاغتاله محمد

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹۱

ابن مسعود الوعزانى بعد أن أظهر له الخدمة، و قتله فى بيته منتهكا منه أعظم الحرمة فعاجله اللّه بانتهاكها بأعظم النعمة و الشدّة، و

كانت مدته خمس سنين بالعدة.

ثم أخوه أبو محمد عبد اللّه بن أبى حمّ موسى بن يوسف الزيانى فخافه أرباب دولته، و شرفت به بنوا مرين بعد أن كانوا من شيعته، فدبّر/ الجميع فى (ص ۱۳۲) خلعه أمرا أبرموه بالليل فلم يشعر إلى أن دهمته فى مملكته من مرين الرجال و الخيل فأسلمته أحبابه الذين ركن إليهم، و كان يعوّل فى المهمات عليهم فاعتقل و أخرج فى هيئة توجب النحيس و الغولة (كذا) و عوض مكانه محمد بن خولة، و حمل من حينه للمغرب وحيدا، مستوحشا فقيدا. ثم أبو عبد اللّه محمد بن خولة ابن أبى حمّ بن يوسف البارع سنة أربعة من التاسع فكانت أيامه خير أيام، و دولته خير دولة و عزّ و إحكام فهو عقدهم الثمين و مغناهم التام المكين. و لما توفى فى ثالث عشر من التاس بإثبات كتب على قبره هذه الثلاثة الأبيات (كذا):

يا زائرين لقبرى فيقوايسكن فى القبر زائرا و مزورا

تركنا ما قد كسبنا تراثاو سكنّا بعد القصور قبورا

يا إله الخلق فالطف بعبدعاد بعد الغنا إليك فقيرا

ثم ابنه أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أبى حمّ موسى و هو ممّن لم تمد له الأزمان. و لا كان له عليها معوان، و لا ساعده على ما تقلّده إخوان، فانقض عليه عمه السعيد ليث العرين المفلت من أشراك بنى مرين، و هجم عليه فى قصر إمارته و خلعه لشهرين و أيام من ولايته، فصح فيه قول الشاعر من البسيط، المقتضى لكل معنى مركب و بسيط:

لا تطمئن إلى حظّ حظيت بهو لا تقل باغترار صحّ لى و ثبت

فما الليالى و إن أعطت مقادتهاإلّا عدا المرء مهما استمكنت و ثبت

ثم عمه السعيد بن أبى حمّ موسى بن يوسف الزيانى فوجد حضرة الملك

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹۲

مملوءة معمّمة، من بدرات نقود متمّمة و سلع مرزّمة، و عتاق خيل مسوّمة، و جالت فيها يد الجود إلى أن صيرته للعدم بعد الوجود، و بقى فى أثوابه رافلا و عن عواقب أموره غافلا إذا بأهل فاس من كل معاند وجّهوا له غفلة أخاه عبد الواحد، بعد ما مكث خمسة أشهر و نصفا فأسرع به أخوه تلفا و خرج السعيد (ص ۱۳۳) للقائه. و كان ذلك سببا لشقائه و لما استقر فى بسيط/ واحد أدلج ليلا عبد الواحد بعد إبرامه الأمر مع الرؤساء و الرعية فأدخلته البلد ليلا جماعة الرحويّة، و أقام لهم النذيرة على الأسوار مشاعيل النيران علامة لمن هو بالمحلة على الإقامة، و لما سمعوا أصحاب السعيد انصرفوا عنه و بقى كالوحيد و لم يتأمل فى السابق قول الشاعر القائل بتحذيره لكل عارف ماهر:

إنّ الليالى لم تحسن إلى أحدإلّا أساءت إليه بعد إحسان

ثم أخوه الهمام الماجد أبو مالك عبد الواحد بن أبى حمّ، موسى الشائع، سادس عشر رجب سنة أربعة عشر من القرن التاسع فنفق فى أيامه سوق الأدب، و جاء بنوه إليه ينسلون من كل حدب، فينقلبون بخير الحقائب ظافرين بجزيل الرغائب. و لما قصده من الأندلس محمد بن أبى طريق بن أبى عنان المرينى قال له وقت التسليم و الاقتباس أنا فى حسب يغمراسن بن زيان حتى تعيننى على فاس، فقال له وصلت و جهز له الجيوش و أعطاه الأموال و آلة الملك و أرسل معه العمال حتى استولى على فاس و ملكه فى قصّته المشهورة، و دوّخ مملكة المغرب الأقصى، فكانت من مناقبه المأثورة، و استمرّ عبد الواحد فى الملك إلى سنة سبع و عشرين و ثمانمائة فخلعه ابن أخيه محمد بن أبى تاشفين المعروف بابن الحمرا على يد أبى فارس الحفصى صاحب تونس فخرج من تلمسان متوجها للغرب. ثم ابن أخيه أبو عبد اللّه محمد بن أبى تاشفين بن أبى حمّ موسى بن يوسف فقابل الدّهر أيامه بالإسعاد، حتى صارت كالمواسم و الأعياد. ثم فسد ما بينه و بين أبى فارس فأبدل سعيده بالناحس. و سببه أن

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹۳

عبد الواحد لما توجه للمغرب حاول الحركة لتلمسان، فلم يتمّ له الأمر و لم يكن المعان، و وجه ابنه لتونس عند أبى فارس فأكرمه و كتب معه لأبيه بالقدوم فأرصده أبو عبد اللّه و أوتى به إليه فقتله و نظر مكاتب التونسى فهذا سبب الأمر مع ما تقدم بينهما من الكلام.

ثم توجه عبد الواحد لتونس و واعده الحفصى بالانتصار و هو ذاهب للجريد فاستعمل ابن أبى حامد/ وزير عبد الواحد مكاتب على ألسنة رؤساء (ص ۱۳۴) الوطن يسئلونه القدوم نحوهم و ذهب بها لأبى فارس و قال له أنّ أهل بلدنا يحبوننا و إذا كانت رائحتك معنا و لو فارسا نلنا المراد و هذه مكاتبتهم فأراها له فقال له نحن متحركون و إذا وصلنا لقسنطينة بعثنا معكم قائدها جاء الخير فرجع الوزير لعبد الواحد و أخبره فقال له هلكتنا فقال له أن الحفصى قد أفسد فى المرة الأولى أموالا و لم يدرك شيئا منها و إذا ذهب معنا صاحبه فإن ربح فذلك و إن خسر فيأتى لثأر ما ضاع له فبعث معهم العلج و أخذ أخذا شنيعا فتحرك أبو فارس مع عبد الواحد و حصر تلمسان شديدا فخرج أبو عبد اللّه لجهة الغرب و دخلها عبد الواحد و رجع التونسى لبلده و بقى أبو عبد اللّه فى الجهة الغربية ثم توجه للشرقية فدخل بركش و تنس ثم توجّه لتلمسان فى جيش عظيم فدخلها و فرّ عبد الواحد صبيحة تلك الليلة فطلع عليه النهار و نزل على جواده و دخل شيشة بقرب باب كشوط بالمطمر فنظرته عجوز من أكابر عبد الوادى فدخلت عليه و جرّدته من ثيابه و صاحت بعبد الواد فدخلوا عليه و ذبحوه و جرّوه إلى حمام الطبول و رموه هنالك. و لما استقرّ أبو عبد اللّه بحضرة ملكه وجّه عماله للنواحى فطار الخبر لأبى فارس فحرك له من فوره و لما قرب تلمسان خرج أبو عبد اللّه و ذهب لبنى يزناسن فأقام أبو فارس بعض قواده الأعلاج بتلمسان و لحقه لبنى يزناسن و حاصره فزيّن له بعض أصحابه الرجوع لأبى فارس فرجع و أظهر له أبو فارس السرور و البشرى و الترحب (كذا) ثم قبض عليه و على أصحابه فكان آخر العهد بهم ثم رجع أبو فارس لتلمسان و أخذ مشرقا فقيل له من يقوم بها فقال ما لها إلّا أحمد العاقل فأخرج منها عامله و انصرف للشرق.

ثم الماجد الفاضل الحليم الكامل النحرير الباسل، أبو العباس أحمد العاقل بن أبى حمّ موسى بن يوسف الزيانى فأظهر العدل فى الرعيّة، و سار فيما تملكه بالسيرة المحمودة المرضيّة و بانت شهامته و نجدته، و قوّته و شدّته، ثم عجز

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹۴

عن النهوض و كلّ، و تلاشا (كذا) ماله و اضمحلّ و استولى المتغلبون على (ص ۱۳۵) الأوطان، و عثوا الثّرى زناتة و العربان، و دامت/ دولته على هذه الحالة اثنين و ثلاثين سنة حتى استوفت أيامه المكتوبة بأتمّ سنة. فقام عليه أخوه أبو يحيى زكرياء ابن أبى حمّ موسى بن يوسف سنة ثمان و ثلاثين من التاسع فبايعه موسى ابن حمزة و سليمان بن موسى و عبد اللّه بن عثمان و توجه لتلمسان فلم يتم له المراد، و انعطف بوهران، فاستولى عليها و كانت بينه و بين أخيه أحمد العاقل حروب استمرت بيده إلى سنة اثنين و خمسين من التاسع فاقتحمها عمّ ال أخيه أحمد و دخلوها فهرب أبو يحيى فى البحر بما خفّ و نزل ببجاية ثم زاد لتونس إلى أن مات بها. و قام عليه أيضا حفيد أخيه و هو أبو زيان محمد المستعين بن أبى ثابت بن أبى تاشفين بن أبى حم فى أواخر إحدى و أربعين من التاسع من تونس و توجه للمغرب و بايعه بوطن حمزة أولاد بالليل ثم مليكش ثم ابن عمر موسى أهل أيليلى، ثم الثعالبة و بعض حصين، ثم زاد للجزائر فحاصرها إلى أن أقرّ بعضها و أذعن البعض فدخلها أولا- ابنه المتوكل سنة اثنين و أربعين منه ثم دخلها أبوه المستعين عشية ذلك اليوم و ذهب ابنه المتوكل فمهّد متيجة و فتح المدية و مليانة و تنس و خطب له بجميعها استقلالا و قصدته الناس حتى من تلمسان و عظم أمره على أحمد العاقل حتى نسى أمر أخيه أبى يحيى ثم ثقلت و طأته على أهل الجزائر و العرب فقاموا عليه فى ثلاث و أربعين منه و حاربوه فاستشهد مع جماعة من أصحابه و نجا ابنه المتوكل لكونه بتنس لأمر أراده اللّه.

و قام عليه أيضا ابن أخيه أحمد بن الناصر بن أبى حمّ موسى سنة خمسين من التاسع مع جماعة فلم ينجح له الأمر و أوتى به لأحمد العاقل فقتله و كان ذلك سبب بناء السور العظيم المدير على القصر الزائد لتلمسان حسنا. و حرك عليه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹۵

أبو فارس الحفصى من تونس بالبحر الزاخر من الجيوش و مات قبل أن يصله بوانسريس كما مرّ.

ثم نهض أبو عبد اللّه محمد المتوكل على اللّه بن محمد المستعين بن أبى ثابت بن أبى تاشفين بن أبى حمّ موسى بن يوسف الزيانى سنة ست و ستين من التاسع من مليانة ثائرا عليه و توجه للمغرب و النصر يلوح أمامه فاستولى/ على بنى راشد ثم هوارة ثم مستغانيم و مزغران ثم فتح و هران ثم زاد لتلمسان (ص ۱۳۶) فأقام عليها يومين و دخلها فى الثالث و هرب أحمد العاقل لسيدى أبى مدين فأوتى له به فمنّ عليه و صرفه للأندلس و استقلّ بالملك. ثم حرك عليه أحمد العاقل لما رجع لهذه العدوة فى جمع من الناس و حاصره بتلمسان فانتصر عليه المتوكل و عاجله بأمنيته سنة سبع و ستين من التاسع و دفنه بالعبّاد و نجا صاحبه محمد ابن غالية بن عبد الرحمن بن أبى عثمان بن أبى تاشفين فبقى فى الغوغاء عليه محاصرا للبلد إلى أن قام عليه أهل البلد فقتلوا البعض من جمعه و فرّ الباقى و ذهب محمد بن غالية لوجدة و استقرّ بها لقصد الضرر و صار يأتى مرة بعد أخرى للضواحى إلى أن جاء به حتفه مرة مع الأوباش بجبل بنى ورنيد فسمع به المتوكل و بعث له جندا و حصل مصاف القتال بالجبل المذكور و وقع القتال الذريع فتفرق الجمع و أوقع الجند فيهم فكان ابن غالية من جملة الصرعى فقتل سنة ثمان و ستين من التاسع و جىء برأسه للمتوكل فوضعه فى طست أصفر و دعا بمن يعرفه فميزوه و عرفوا عينه ثم جىء من الغد بجسده فدفن مع العاقل بالعبّاد. و نظم الحافظ التنسى فى هذه القضية و مدح المتوكل و أولاده قصيدة طائية مشتملة على مائة بيت و أربعة أبيات عدد الكتب المنزلة انتخبها من بحر الطويل مطلعها:

أرقت لدمع من جفونى ينحطّكنثر نفيس الدّرّ أن خانه السّمط

و انظر تمامها فى الدر و العقيان للتنسى. و توفى يوم الأحد ثالث عشر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹۶

ربيع الثانى سنة إحدى عشر من العاشر بعد ما ملك خمسا و أربعين سنة و اثنين و عشرين يوما.

ثم أخوه أبو حمّ و يقال له أبو قلموس عبد اللّه بن محمد فقام عليه (ص ۱۳۷) الإسبانيون و أخذوا من يده و هران ثم الأتراك و أخذوا من يده الجزائر/ و غيرها فهو ممن لم يهن له فى الملك قرار، و لا استقرت فى المملكة عمارة و لا دار، آخر ملوك بنى زيان الذين يشار إليهم بالملك جسما، و لمن تغلب عليهم رسما، و عجز عجزا كليا عن الدفاع، و صار غير نافذ الكلمة و لا مطاع.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹۷

الدولة السابعة: الإسبان

اشارة

ثم ملك و هران الدولة السابعة، و هم الإسبانيون و يقال لهم السبنيول سموا بذلك نسبة لمدينة إسبانيا بقطع الهمزة المكسورة و سكون السّين المهملة و فتح الباء الموحدة من أسفل بعدها ألف ساكن ثم نون موحّدة من أعلا مكسورة ثم ياء مثنات من تحت بعدها ألف مقصورة. و خالف أبو الفداء فى ضبط غير الهمزة و السين المهملة فقال و إسبينيا بقطع الهمزة المكسورة من تحت و سكون السين المهملة و كسر الباء الموحدة من أسفل و بعدها ياء مثنات من تحت ساكنة و كسر النون الموحدة من فوق و فتح الياء المثنات من تحت و فى آخرها ألف مقصورة و هى قاعدتهم القديمة و دار ملكهم القويمة، و قد تلاشت و بقى الاسم لها كما فى عجائب الأسفار لأبى راس الحافظ، و بهجة الناظر للشيخ المشرفى شيخ الحافظ أبى راس. و أما الآن فقاعدة ملكهم مدينة مادريد باللام و هى مدينة الطاغية و يقال لها مادريد بالدال. و كان يقال لها سابقا ما تريج بالتاء و الجيم و هى حذاء طليطلة. و مسكنهم كما فى كتب الحافظ أبى راس و كتاب شيخه الشيخ المشرفى، بأرض الأندلس من قطلان و برشلونة من جهة الشرق إلى إسبونة فى جهة الغرب، و يجاورونهم (كذا) الدبرقيز و هم البرتغير ببعض الغرب، و الفرانسيس من جهة الشرق، و جبل الطار داخل فى تخومهم إلّا أنه بيد الإنكليز. و قال صاحب الجغرافيا جاءت إسبانيا بين إفرانسا و البحر الأوسط و البرتقال و الأوقيانوسيا فتحدها إفرانسا فى شمالها الشرقى

و يحدّها البحر الأوسط فى شرقها و جنوبها و يحدّها البرتقال فى غربها و يحدّها الأقيانوسيا فى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹۸

(ص ۱۳۸) غربى شمالها و جنوبها، فهى جزيرة/ غير كاملة لكونها لا تتصل بالبر إلّا بجبل البرينى الفاصل بينها و بين إفرانسا فهى فى أقصا جنوب أوروبا الغربى و ليس بينها و بين عدوة الغرب إلا بوغاز جبل طارق القليل العرض. و مساحتها خمسمائة ألف كيل متر و هى خمسمائة ألف ميل يزيد أو ينقص شيئا لأن الكيل متر عند النصارى يشابه الميل عندنا تقريبا. و ملكهم منذ مدة مديدة و هو يلقب بالملك الكثوليكى و معناه المتبع للبطرك و هو الباب و ابتداء ملكهم فى القرن الخامس من الميلاد المسيحى على صاحبه و على نبينا و كافة الأنبياء الصلاة و السلام و كانوا على عدة ملوك.

و اختلف فى أول من ملك أرض الاسبانيين و هى الأندلس للآن على أربعة أقوال. فقال بعض مؤرخى النصارى أن أول من ملك أرض الإسبانيين هم الإبريّون نسبة إلى جدهم الابر مجهول الأصل، ثم الفنيسيان، قيل أنهم الفرس و ملوكها مدة ثم اليونانيون نسبة لجدّهم يونان بن يافث، ثم القرطاجيون، و بنوا بها مدينة يقال لها قرطاجنة، ثم الرومان و منهم الروم، ثم الفندال و هم أمة من الجهة الجوفية من بر الافرنج خرجوا من بلدهم الكائنة بقرب بحر البلطيك و مرّوا ببلد الجرمانية و هى بلد النامسة و بلد الغول و هى إفرانسا و توجهوا فى أوائل القرن الخامس المسيحى إلى اسبانيا و هى بلد الأندلس فاستقروا بها و تدينوا بدين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. غير أنهم كانوا يعدون من الروافض المتبعين لشيخ يقال له أريوس، ثم الإفرنج، ثم القبريقوا ، ثم العرب فى آخر القرن الأول من الهجرة، ثم الإسبانيون استقلالا للآن بعد أن حاربوا المسلمين عليها نحو الثمانمائة سنة. و قال آخر منهم أن المملكة الإسبانية كانت تحت حكم الرومان، فيما مضى من قديم الزمان، و فى آخر القرن الأول من الهجرة فتحها الإسلام و بقيت ملوك النصارى مع الإسلام فى حروب متتابعة مدة ثمانمائة سنة إلى أن غلبت النصارى المسلمين عليها سنة سبع و تسعين و سبعمائة من

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۱۹۹

الهجرة فبقيت فى ملك/ الإسبانيين للآن .. و كانت إسبانيا فى السابق من دول (ص ۱۳۹) أوربا الكبار لكونها كانت لها أملاك كبيرة فى أمريكا الجنوبية و قد تملكوا عليها سنة سبع و تسعين و سبعمائة من الهجرة بسبب ظهور ذى معرفة منهم من العلماء البحريين المنجمين يقال له كريستوف قلومب (كولومب) فكشف على أمريكا التى لا معرفة لهم بها قبله فتملكوا على أعظم جزء منها و على عدة أجزاء بجوانبها و استمرت بأيديهم إلى أن نزعت منهم سنة سبعة عشر و مائتين و ألف من الهجرة لاجتماع أهلها على الحكومة الجمهورية التى هم عليها للآن و خرجوا عن حكمهم فلم يبق لهم بأمريكا إلا جزيرة كوبا و لذا لا تعدّ مملكة إسبانيا من كبار دول أوربا الآن لانحطاطها عن مقامها الأول ه.

و قال ابن خلدون أول من سكن الأندلس بعد الطوفان الأوربيون نسبة لجدهم أوروب من ولد طوبال بن يافث و دخلوا فى طاعة الروم. ثم ملكها القوط نسبة لجدهم قوط من ولد ماغوغ بن يافث ثم لحق بهم القلنش من الروم الإغريقيين و باسم القلنش سمّيت الأندلس لما عرّبت. و قال ابن سعيد المغربى و الحافظ أبو راس فى الشماريخ أول من عمّر الأندلس أندس بن يافث بن نوح و أخوه سبت بن يافت بن نوح بالعدوة المقابلة لها و إليه تنسب مدينة سبتة فبقى أولاد أندس به ملوكا دهرا. ثم ملكها إشبيلان بن طيطش الرومى و به سمّيت إشبيلية لما عرّبت. و طيطش هذا هو الذى فتك ببنى إسرائيل و جلاهم الجلوة العظيمة التى سلّط اللّه عليهم بها الذلّ حتى انقطع ملكهم انقطاعا كليا للآن.

و نقل من آثار الهيكل المبارك بالقدس إلى طليطلة حتى وجد ذلك موسى بن نصير بها فبعثه إلى الوليد بن عبد المالك الأموى بدمشق. ثم أنّ الأندلس تغلب عليهم الاغريق و هم الاغريقيون من الروم فبقوا دهرا ثم أخذها منهم القوط ملك

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰۰

منهم بطليطلة أحد قواعد الأندلس ستة و عشرون ملكا. و آخرهم لذريق الذى قتله طارق بن زياد غلام موسى بن نصير فى خلافة

الوليد بن عبد الملك سنة اثنين و تسعين من الهجرة و تزّوج امرأته، و من بقايا ذرية ملوكهم صارة بنت المنذر والدة اللغوى النحوى العلامة أبى عبد اللّه محمد بن عبد اللّه المعروف (ص ۱۴۰) بابن القوطية/ بضم الواو المتوفى سنة سبع و ستين و ثلاثمائة بقرطبة و أصله من مرسية مدينة بالأندلس. قال الشبراملسى و قوط هذا هو أبو السّودان و السّند و الهند. و قال شيخنا الزيانى فى دليل الحيران ثم أن إسبانيا لما تملكها الرومان انقسمت مملكتها على خمسة أقسام. فقسم يقال له الأقاسط لتملّكهم عليه و قسم يقال له الألى، و قسم يقال له الأراق، و القسم القبلىّ يقال له النفار، و قسم يقال له القطلان، و جملة الأقسام الخمسة يقال لها إبيرى. ثم قال لها ها إسبانيا ثم قيل لها إسبانيا بترك الهاء، و كانت تسميتها بإسبانيا وقت اجتماعهم على ملك واحد و ذلك سنة ثمان و ثمانين و ثمانمائة من الهجرة و قيل غير ذلك. و سكّانها و قتئذ ستة عشر مليونا و نصفا، و المليون ألف ألف. و أرضهم جيّدة للغراسة لا للفلاحة، و ما يستنبت. و لذلك عظمت فاكهتها. و يوجد بها من الخيل المسومة و البغال المقوّمة، و الحمر الفارهة ما يرتضى. كما يوجد بها معادن الحديد و النحاس و الرصاص و الزواق إلّا أن الغالب على أهلها الفقر لقلة الصناعة عندهم كما غلب عليهم القساوة و الفظاظة، و شدة البغض، و الحقد، و الضل، و العداوة، و كثرة سفك الدماء و الجهل. و تنقسم مملكتهم إلى ثلاثة عشر ولاية، منها ثمانية ساحلية بشاطىء البحر و هى: غليسيا و إستوريا و قسطيلية القديمة و الأقاليم البسكية و كتسالونيا، و بلنسية و مرسية و أندلسية مع غرناطة القديمة و منها خمسة داخلية و هى: أرغون و نافرا و ليونى و استرمارودة و قسطيلية الجديدة.

و أشهر مدنها مادريد التى هى الآن قاعدة ملكهم و قد استولى عليها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰۱

الفرانسيس سنة ست و عشرين من القرن الثالث عشر ثم برشلونة و هى ذات مرسى كبيرة على البحر الأوسط من أكبر مراسى إسبانيا و أخص مراسى البحر الأوسط. ثم بلنسية ثم إشبيلية ثم مالقة ثم سرقسطة ثم قادس و يقال لها قالس باللّام بدل الدال و هى على البحر المحيط المغربى و لها مرسى عظيمة حصينة.

و قد استولى عليها الفرانسيس سنة أربعين من القرن الثانى عشر/ ثم غرناطة، (ص ۱۴۱) و كانت قاعدة أحد ملوك الإسلام، ثم السهلة، و شاطبة، و شريش، و طليطلة، و روندة، و طرطوشة، و قرطبة، و طريف، و ميورقة، و منورقة، و يابسة ، و بطليوس، و قطلان، و صقلية، و هى سلسلة و غيرهم. و بها جبال كثيرة أكبرها جبل برينى ثم سيارنقادا، ثم سيارىونيل، ثم سيارکوادلوب، ثم جبال الأستورية، ثم جبال طليطلة.

و بها أودية كثيرة أكبرها نهر إبرة، ثم دوروا، ثم ناغوا، ثم مينوا، ثم الواد الكبر، ثم كراديانا.

أنهار الشمال الإفريقى و العالم

و أما هذه العدوة و غيرها فقال الحافظ أبو راس فى الشماريخ، و نهر المغرب الأقصى وادى الربيع و يمتنع عبوره أيام الأمطار فتنظره داخلا فى البحر المغربى نحو السبعين ميلا عند أزمّور و منبعه من جبال درن. و ينبع منها نهر آخر ببلاد درعة إلى أن يغوص فى الرمال قبلة سوس الأقصى. و نهر ملوية منبعه من جبال قبلة تازة و يصبّ فى البحر الرومى عند غسّاسة. و نهر المغرب الأوسط شلف و هو لبنى واتيل و يقال لهم بنوا و اطيل منبعه من جبال راشد و هو جبل العمور و يدخل إلى التل من بلاد حصين ثم يمر إلى أن يصبّ فى البحر الرومى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰۲

ما بين كلميتوا و جبل عياشة أحد بطون مغراوة. و نهر المغرب الأدنا مجردة يصب فى البحر الرومى عند بنزرت على مرحلة من تونس. ثم قال صاحب بهجة الناظرين و آية المستدلين، أن عدد أنهار الدنيا الكبار مائتان و سبعون نهرا. و عدد العيون الكبار مائتان و ثلاثون عينا و هى فى الأرض كالعرق فى البدن. و قال صاحب الخريدة أنّ بهذا الرّبع المسكون مائتى نهر كل نهر منها طوله خمسون فرسخا

إلى ألف فرسخ. فمنها ما يجرى من المشرق إلى المغرب و عكسه و منها ما يجرى من الشمال إلى الجنوب و عكسه و كلها تنبع من الجبال و تصب فى البحر. فمن الأنهار العظيمة بالمشرق النيل، و الفرات، و الدجلة، و سيحون، و جيحون، و أن النيل المبارك ليس فى الدنيا أطول منه لأنه مسيرة شهرين فى الإسلام، و شهرين فى الكفر، و شهرين فى البرية، و أربعة أشهر فى الخراب، (ص ۱۴۲)/ و مخرجه من جبل القمر خط الاستواء. و سمى بذلك لأن القمر لا يطلع على ذلك الجبل أصلا لخروجه عن الخطّ، و ميله عن نوره و ضوئه، فيخرج من بحر الظلمات من تحت جبل القمر و أنه ينبع من اثنتا عشرة عينا، و قيل مبدؤه من خلف خط الاستواء بإحدى عشر درجة. و ذهب بعضهم إلى أن مجراه من جبال الثلج و هى بجبل قاف. و أنه يخترق البحر الأخضر بقدرة اللّه تعالى و يمرّ على معادن الذهب و الياقوت فيسير ما شاء اللّه إلى أن يأتى لبحيرة الزنج. قال حاكيه و لو لا دخوله فى البحر المالح و اختلاطه به لما كان يستطاع أن يشرب منه لشدة حلاوته و أنّ اللّه تعالى سخر للنيل كل نهر على وجه الأرض فى المشرق و المغرب و ذلّله له فإذا أراد اللّه تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فإذا انتهى جريه إلى ما قدّره اللّه تعالى أمر كل نهر أن يجرى إلى عنصره. و مصداق هذا أنك ترى النيل مخالفا لكل نهر على وجه الأرض لأنه يزيد إذا نقصت و ينقص إذا زادت لأنها تمدّه بما بها و اللّه أعلم. قال صاحب الخريدة و قد حملت الشياطين مقرس الأول و هو عبقام إلى هذا الجبل فرأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود و من تحت جبل القصر فبنا (كذا) فى صفح (كذا) ذلك الجبل قصرا فيه خمس و ثمانون تمثالا من نحاس جعلها جامعة لما يخرج من هذا الماء من هذا الجبل بقدر مصاب فى أحكام مديدة يجرى الماء منه إلى تلك التماثيل فيخرج من حلوقها على قياس معلوم و أذرع قدرها ثمانية عشر ذرعا فى كل ذراع

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰۳

اثنان و ثلاثون أصبعا و الزائد يغيض إلى الرمال ثم يصب إلى أنهار فيصل لبطحتين و يخرج منهما للبطحة المجمعة فيشق جبالها المعترضة و يخرج نحو الشمال مغربا فيخرج منه نهر واحد و يفترق فى أرض النوبة فتصب منه فرقة إلى أقصى المغرب و الأخرى إلى مصر منحدرا منها إلى أسوان ثم ينقسم فى صحارى البلاد على أربعة فرق كل فرقة إلى ناحية ثم يصب فى بحر الإسكندرية. و أن رجلا من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام يسمى حايد لما دخل مصر و رأى عجائبها ءالا (كذا) على نفسه أن لا يفارق النيل إلى منتهاه أو يموت فسار ثلاثين/ سنة فى العمران و مثلها فى الخراب حتى انتهى إلى بحر أخضر فرأى النيل يشقّه (ص ۱۴۳) فركب به دابة سخرها اللّه له وعدت زمانا فوقع فى أرض حديد جبالها و أشجارها حديدا ثم أخرى نحاسا جبالها و أشجارها كذلك، ثم على ثالثة فضة جبالها و أشجارها فضّة، ثم رابعة ذهبا جبالها و أشجارها كذلك، ثم انتهى إلى سور متّسع من ذهب و فيه قبّة عالية من ذهب لها أربعة أبواب: ثلاثة تغيض فى الأرض و هى سيحون، و جيحون، و الفرات، و الرابع يجرى على الأرض و هو النّيل و أنه أتاه ملك حسن الهيئة فسلم عليه و قال له هذه الجنة سيأتيك رزقك منها فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا فبينما هو فى ذلك إذ أتاه عنقود عنب له ثلاثة ألوان أحدها كاللؤلؤ، و الثانى كالزبرجد الأخضر، و الثالث كالياقوت الأحمر، فقال له الملك يا حايد هذا من حصرم الجنة فأخذه و رجع فوجد شيخا تحت شجرة تفاح فحدّثه و أنّسه و قال له يا حايد خذا هذا التفاح و كله فقال إن معى طعاما أغنانى عن تفاحك فقال صدقت إنى أعلم به و بمن أتاك به و هو أخى و هذا من الجنة أيضا و لم يزل به الشيخ إلى أن أكل منه و حين عضّ على التفاحة رأى الملك يعضّ على أصبعه و يقول له أتعرف هذا هو الذى أخرج أباك من الجنة و لو قنعت بالعنقود لأكل منه أهل الدنيا و لم ينفذ و هو الآن مجهودك إلى مكانك فبكى حايد و ندم و سار حتى دخل مصر و صار يحدّث بما رأى فى سفره من العجائب. ه.

جبال العالم

و جملة جبال الأرض سبعمائة و تسعون جبلا و كلها طويلة عظيمة و ارتفع عليها جبل بالشام باثنا عشر ميلا. و إلى عدد هذه الجبال و

ارتفاعها و ارتفاع جبل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰۴

الشام عليها أشار الشيخ: أبو زكرياء يحيى بن سعيد السوسى، ثم السملالى، فى رجزه: خبر الزمان بقوله:

و عن مقاتل فلما دوّرتالأرض بالجبال حيث ثبتت

كانت على الماء تميد دائرةإلى اليمين و الشمال سائره

فسلّط الريح على الماء يضربهحتى أعاد زبده و لعبه

فأمر عزّ و جلّ رجعتجميع موجه جبالا جمدت

(ص ۱۴۴)/ عدّتها خاء كذا يقالقاف و ظاء بعدها مشال

إلى أن قال:

جبال الأرض كلها طول عظامو جبل بالشام من فوقها قام

زاد عليها يا أخى للأعلاو طوله عنها بيبا ميلا

موقع إسبانيا و الأقاليم الأرضية

و محل إسبانيا من مماليك أوربا هو الجزء الثامن عشر و ذلك أن الأقدمين من أهل الجغرافية كالإدريسى قسموا معمور الأرض إلى سبعة أقسام و سموها أقاليم جمع إقليم، كل إقليم بكسر الهمزة كقنديل فيه سبعمائة فرسخ فى سبعمائة فرسخ من غير أن يدخل ذلك جبل و لا واد. و البحر الأعظم محيط بذلك كله و يحيط به جبل قاف. نصّ عليه ابن الجوزى، و نقله عنه الشيخ إبراهيم الشبرخيتى فى شرحه المختصر الشيخ خليل المالكى فى باب الجهاد منه لدى قوله كتأمين غيره إقليما فجعلوا السند و الهند إقليما واحدا، و الحجاز إقليما، و مصر بشامه و غربه إقليما واحدا، لاتحاد دينه و ميقاته، و بابل إقليما، و الروم إقليما، و أضاف له بعضهم الشام و الترك و ياجوج و ماجوج إقليما واحدا و الصين إقليم، و أضاف له بعضهم ما ولاها من ياجوج و ماجوج. و أن المتأخرين منهم، و منهم النصارى، قسموه إلى خمسة أقسام أصلية و هى: أوربا، و آسيا، و إفريقيا، و أمريكا؛ و جزائر أوقيانوسيا، فأما أوربا فجزؤها على ثمانية عشر مملكة، فمنها ثلاثة فى شمالها و هى جزائر الإنكليز، و مملكة سويد، مع نرفيج، و مملكة دينرمك، و منها واحدة فى شرقها و هى الموسك. و منها ستة فى وسطها و هى:

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰۵

افرانسا، و البلجيك، و هلاند، و الممالك المعاهدة و يقال لهم الألمان، و لتريش و هم النامسة، و سويس . و منها ثمانية فى جنوبها و هى: إسبانيا، و برتقال، و طليان، و مملكة القريق، و هم اليونان، و نصف مملكة الترك، و الرملى، و السّرب، و الجبل الأسود. و هذا القسم هو الصغير بالنسبة للأربعة الباقية. و أما إيسيّا فجزؤها على تسعة مماليك و هى: بلاد سبرى، و نصف مملكة الترك أيضا، و بلاد/ التتار، و مملكة العجم، و أرض الصين، و أرض يافون، و بلاد (ص ۱۴۵) الهند، و بلاد السند، و جزير العرب. و أما إفريقيا فجزؤها على ستة مماليك و هى: مملكة مراكش، و بر الجزائر، و مملكة تونس، و مملكة طرابلس، و مملكة مصر، و بلاد الصحراء. و أما أمريكا فإنها شمالية و جنوبية فالشمالية جزؤها إلى أربعة مماليك و هى: أمريكا المسكوبية و بيرثانيا الجديدة، و بلاد الليتانوزى، و بلاد المكسيك. و الجنوبية جزؤها إلى ثلاثة مماليك و هى: بلاد قلوسبيا، و بلاد بير، و مملكة بريزيل. و أما جزائر أوقيانوسيا فإنها لا تضبط كغيرها لكثرة جزائرها، و فى كل من هذه الأقسام عدّة حصن، و قرى، و مدن، و شعاب و أودية ممتدين بين أوربا و إفريقيا و أمريكا. و البحر المحيط الأكبر و هو ممتد بين آسيا و أمريكا و البحر المحيط الهندى و هو ممتد بين إفريقيا و آسيا و أوقيانوسيا.

محيط الدائرة الأرضية

و حاصله أن دور الأرض فى كتب الأوائل أربعة و عشرون و ألف ميل و لما بلغ المأمون العباسى ذلك أراد تحقيقه أمر بنى موسى الذين ينسب إليهم جبل بنى موسى المشهورين و هم محمد بن موسى ابن شاكر و أخواه أحمد و الحسين و كان لهم همم عالية فى تحصيل العلوم القديمة و كان الغالب عليهم الهندسة، و الحيل، و الموسيقى بتحرير ذلك فسألوا عن الأراضى المتساوية فأخبروا بصحراء سنجار و وطأة الكوفة فأرسل معهم المأمون جماعة يثق إلى أقوالهم فساروا إلى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰۶

صحراء سنجار و حققوا ارتفاع القطب الشمالى و ضربوا هناك و تدا و ربطوا فيه حبلا طويلا و مشوا إلى الجهة الشمالية على الاستواء من غير انحراف حسب الإمكان و بقى كلما فرغ حبل نصبوا فى الأرض و تدا آخر و ربطوا فيه حبلا آخر كفعلهم الأول حتى انتهوا كذلك إلى موضع قد زاد فيه ارتفاع القطب الشمالى المذكور درجة محققة و مسحوا ذلك القدر فكان ستة و ستين ميلا و ثلثى ميل ثم وقفوا عند موقفهم الأول و ربطوا فى الوتد حبلا- و مشوا إلى جهة الجنوب من غير (ص ۱۴۶) انحراف و فعلوا ما شرحناه/ حتى انتهوا إلى موضع قد انحطّ فيه ارتفاع القطب الشمالى درجة و مسحوا ذلك القدر فكان ستة و ستين ميلا و ثلثى ميل ثم عادوا إلى المأمون و أخبروه بذلك فأراد المأمون تحقيق ذلك فى موضع آخر فسيّرهم إلى أرض الكوفة فساروا إليها و فعلوا كما فعلوا فى أرض سنجار فوافق الحسابات و عادوا إلى المأمون فتحقق صحة ذلك و صحة ما نقل من كتب الأوائل لمطابقة ما اعتبره ثم ضربوا الأميال المذكورة فى ثلاثمائة و ستين و هى درج الفلك فكان الحاصل أربعة و عشرين ألف ميل و هو دور الأرض. قال أبو الفدا أقول كذا نقله ابن خلكان و نقل غيره من المؤرخين أن الذى وجد فى أيام المأمون لحصة الدرجة الستة و ستون ميلا و ثلثا ميل و هو غير صحيح فإن ذلك هو حصة الدرجة على رأى المتقدمين و أما فى أيام المأمون فإنه وجد حصة الدرجة ستة و خمسين ميلا و قد تحقق ذلك فى علم الهيئة ه. ثم اقتدى النصارى بذلك فى جعلهم لمعرفة مساحة الأرض علامتين أحدهما (كذا) للتحقيق و هى سلسلة الحديد و الأخرى للتقريب و هى البوصلة و الجبر.

أصل الإسبان

و أعلم أنه لا خلاف فى أن الإسبانيين من ولد يافث بن نوح عليه السلام.

و إنما الخلاف فى كونهم من ولد يافث لصلبه أو من ولد حفيده و هل هم إخوة الفرنج أو من الروم. فقال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار، و الإسبانيون هؤلاء من الليطنيين و هم الكتيم و كانوا من أعظم ملوك العالم. و قال أيضا فى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰۷

الشماريخ و الليطنيون من ولد ليطن بن يونان. و قال فى موضع آخر منه أن الليطنّيين و هم الكتيم المعروفون بالروم من بنى يونان. و قال فى موضع آخر أيضا منه و المحققون ينسبون الروم جميعا إلى يونان الإغريقيين، و الليطنيين. و يونان معدود فى التورية من ولد يافث لصلبه و اسمه فيها ياقمان. و عن البيهقى أن يونان ابن علجان بن يافث و لذا يقال لهم العلوج و أن الشعوب الثلاثة و هم الإغريقيون و الليطنيون و العلوج من يونان، و الليطنيون من ولد ليطن بن يونان كما مرّ و أن الإسكندرى الرومى منهم ه. و فى الإصحاح العاشر من التورية/ أن الليطنيين (ص ۱۴۷) و هم الكتّيم من ولد كتّيم بن يونان بن يافث بن نوح. قال شيخنا الزيانى فى دليل الحيران فأنت ترى أنهم من ولد يافث بلا خلاف و إنما الخلاف فى وجه اتصالهم به على ثلاثة أقوال و مرجعها إلى قولين و هما كون يونان ولد يافث لصلبه أو حفيده. و الصحيح أنه حفيده، لأن يافث له اثنا عشر ولدا على الصحيح و هم:

كومر، و ياوان، و ماغوغ، و طوبال، و ماسخ و طيراش، و ماذاى، و شئويل، و علجان، و أندس، و ست، و سوس، و أن الإسبانيين أخوة

الفرنج و هم الفرنسيس، و الطليان، و البرتقال، لاشتراكهم فى اللتانة و الكتوليكية و هى اتباعهم للبطرك و هو الباب و ضربهم للناقوس و اعتكافهم على الأصنام فى البيع.

و قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار، لا شك أنهم فرقة من الروم لا من الفرنج بدليل ما ذكره شهاب الدين الخفاجى على الشفا من أن كتاب النبى صلى اللّه عليه و سلم الذى كتبه إلى هرقل عظيم الروم يقال له بالرومية أراقليوش يدعوه للإسلام هو الآن عند ملك طليطلة. و قد أراه لابن الصائغ النحوى لما أوفده عليه سلطان مصر قلاوون، ثم قال أيضا و قد سمعت أنه عند النامسة المجاورين للموسك ه. و معلوم أن الإسبانيين هم الذين أخذوا منا طليطلة. و فى الأنيس المطرب أن الناصر بن المنصور لما غزى (كذا) الأندلس بجيش يضيق عنه الفضاء و سمع الفنش (الفونسو) و ملوك النصارى بذلك و اهتزمت منه ملوك الروم جاءه منهم بيونة لإشبيلية مستسلما خاضعا بهدية عظيمة مقدما بين يديه كتاب النبى صلى اللّه عليه و سلم الذى كتبه لهرقل عظيم الروم يستشفع به و يعلمه أن الملك عنده

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰۸

موروث لأكابر عن أكابر و أن هذا الكتاب عندهم يتوارثونه محفوظا مطيبا فى حلة خضراء فى وسط صندوق من ذهب مملوء مسكا و طيبا تعظيما و إجلالا لحقه، فقضى له أمير المؤمنين مآربه و ذلك سنة سبع و ستمائة ه . و الروم هم بنوا الأصفر و سمّوا بذلك إما لكون جدهم اسمه الأصفر أو لأنه كان أصفر اللون أو لأنه كان بخديه خاصة صفورة، أقوال ثلاثة. و كان اجتماع الإسبانيين على ملك واحد سنة ثمان و ثمانين و ثمانمائة من الهجرة .

قائمة ملوك الإسبان

و أول ملوكهم المجتمعة عليه تلك السنة فردنند و زوجته إيزابيلة مشتركين (ص ۱۴۸) فى المملكة/ و بقى فى الملك خمسا و ثلاثين سنة و خلع. و لما استقر فى الملك غزى (كذا) غراطة فى رجب سنة خمس و تسعين من التاسع و بها سلطانها أبو عبد اللّه محمد حسن فنزل بمرجها و أفسد زرعها و رجع ثم جهز لها جيشا عظيما فى ثانى عشر جمادى الثانية ست و تسعين منه فنزل بمرجها أيضا و حاصرها و ضيق عليها إلى أن أخذها صلحا على سبعة و ستين شرطا وقعت بينه و بين أهلها منها: أن يكون التأمين بجملة الناس، و أن يكون بقاؤهم فى أماكنهم، و أن يقيموا (كذا) شريعتهم كما كانت، و أن لا يتعرضوا لها بتغيير و لا استثناء أمور، و أن تبقى المساجد على حالها، و أن تبقى الأوقاف على حالها، و أن تكون الحرية لجميع المسلمين مؤبدة، و أن لا يدخل نصرانى دار مسلم، و أن لا يغصبوا أحدا، و أن لا يتولى على المسلمين يهودى و لا نصرانى، و أن يطلقوا جميع أسارى غرناطة، و أن من هرب من أسارى غيرها لها لا يرد لمالكه بل يأخذ ثمنه من عند السلطان، و أن من أراد الانتقال لا يمنع، و أن الذهاب يكون فى مدة معينة فى مراكب السلطان بلا كراء، و من زاول الأجل فيلزمه الكراء مع تعشير ماله، و أن لا يؤخذ أحد بذنب غيره، و أنّ من أسلم من النصارى لا يلزم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۰۹

بالرجوع لذلك الدين، و أنّ من تنصّر من المسلمين يوقف حتى يظهر حاله، و أنه لا عقاب على من قتل نصرانيا أيام الحرب، و أن لا يؤخذ منه ما سلبه منهم أيام العداوة، و أن لا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى، و أنهم لا يزيدون فى المقام على العتاد، و أن ترفع عن المسلمين جميع المظالم، و أن ترفع عنهم جميع المغارم، و أن لا يطلع النصرانى للسور، و أن لا يتطلع على دور المسلمين، و أن لا يستطلع على عوراتهم، و أن لا يدخل لمساجدهم، و أن يسير المسلم فى بلاد النصارى آمنا من كل شىء، و أن لا يجعل المسلم علامة كما يجعلها اليهودى، و أن لا يمنع المؤذن من الأذان، و أن لا يمنع المصلى من الصلاة، و أن لا يمنع الصائم من الصيام، و أن لا يمنع الحاج من الحج، و أن لا يمنعوا المسلمين من إقامة المواسم، و أن لا يتعرضوا لهم فى النكاح و غيره، و أنّ من ضحك من النصارى على المسلمين يعاقب، و أن لا يحجروا عليهم فى مقابرهم، و أن يوافق على كل شرط من الشروط صاحب رومة، و أن تكون موافقته

بخط يده، و خاتمه معا، إلى غير ذلك من بقية الشروط. و دخل أهل البشرات فى ذلك و كان/ دخوله لها فى ربيع الأول سنة سبع و تسعين منه و ذهب سلطان (ص ۱۴۹) غرناطة لفاس بأن خرج على مليلية فاستقر به إلى أن مات و ذهب عمه أبو عبد اللّه محمد الزغلى صاحب إش (كذا) للمغرب الأوسط فخرج على و هران و نزل بتلمسان و استقر بها إلى أن مات و كان خروجها فى آخر شوال تلك السنة و صفت الأندلس بأجمعها للنصارى و لا حول و لا قوة إلّا باللّه. فكان أول ما أخذوا لنا مدينة طليطلة سنة ثمان و تسعين من الخامس أخذها اذفونش بن فراند بن هراند صلحا من يد الأمير الظاهر من ولد إسماعيل بن عبد الرحمن ناصر الدولة الهوارى. و آخر ما أخذوا لنا مدينة غرناطة سنة سبع و تسعين من التاسع و إنا للّه و إنّا إليه راجعون. و إلى ذلك أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

طليطلة هى باكورة فتحهممن الهوارى رجعت لأذفنس

ءاخر ذلك غرناطة حلّ بهاما لقت شقرة من الويل و الركس

من بعد عزّ بنى نصر و مواقهاطاغية ينظرهم نظر الشوس

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۱۱

غزو المرسى الكبير و وهران

ثم جهز جيشا لوهران و غزاها فملك برج مرساها فى أول ربيع الثانى سنة إحدى عشر من العاشر قاله الحافظ أبو محمد عبد اللّه قاضى نهر بنى راشد.

و لما ملكوها استقروا بها إلى أن تقدموا لوهران فدخلوها فى آخر المحرم سنة أربع عشر من العاشر و هو العام الذى مات فيه صاحب المعيار، قاله التغريرى، و الشيخ أحمد بابا، و المديونى، و اليفرينى، و قال الحافظان: الصباغ، و أبو راس، و غيرهما كان ذلك فى صفر سنة خمسة عشر من العاشر، بمداخلة يهودى غدار للمسلمين و ذلك أن اليهود الذين بوهران تحت ذمة المسلمين أتى واحد منهم يقال له زاوى بن كبيسة المعروف بابن زهو بجيش النصارى للمدينة غفلة و أدخلهم لها سرا بالحيلة فقام الجيش لباب المدينة الموالى للمرسى ففتحه ليلا و أخذ العساسين و هما: عيسى بن غريب العريبى، و الغناس بن طاهر العبدلّاوى، و صار الجيش يدخل و يخرج و نكبوا المسلمين قتلا- و سبيا و كان ذلك وقت أبى قلموس الزيانى./ و قد عجز عن دفاعهم عجزا كليا و إلى ذلك أشار الحافظ (ص ۱۵۰) أبو راس فى سينيته بقوله:

خامس عشر من عاشر أناخ بهاالإسبانيون أهل الشرك و الرجس

جحافل الكفر قد حموا جوانبهاو عن دفاعهم عجز أبو قلمس

و لما مكنوهم من المدينة شرطوا عليهم برج المرسى فأنزلوهم به وفاء بالعهد و إليهم ينسب برج اليهودى الذى بهيدور و جعلوا لهم الصولة العظيمة التى لا توصف على المسلمين فكانوا يخرجون لبنى عامر لقبض الضريبة كالملوك ثم تخيّل منهم النصارى بعد ثمانين سنة ما يكرهونه فأخبروا سلطانهم بذلك فأمرهم بطردهم مخافة أن يفعلوا بهم ما فعلوا بالمسلمين من الخديعة.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۱۲

غارات الإسبان على أحواز وهران

و كان طاغية النصارى بوهران اسمه دك، و لما استقل قدمه بها صار يشن الغارات على المسلمين إلى أن دخل فى طاعته كرشتل، و بنو زيّان، و الونازرة، و قيزة، و غمرة، و حميان، و شافع، و أولاد عبد اللّه، و أولاد على، و غيرهم من بنى عامر و لم يخرج عن طاعتهم من المجاورين لهم بوهران إلّا مخيس و الرّفافة المستقرين بين البحر و جبل هيدور مع جبل قيزة. و صار الداخلون فى طاعته شيعته

الـذين ينصـرونه و يعتمـد عليهم فى جلب الأخبار و المسير بهم فى الطرق فى الليل و النهار. و اتخذ منهم الجواسيس الذين يقال لهم المغـاطيس، فقويت شوكته، و اشـتدت قوته و تعـددت غزواته على الأقربين و الأبعـدين و الأنزلين و الأصـعدين و خلا له الجوّ إلى أن صارت ملاتـة و سيرات من جملـة بلاده التى تحت يـده و شـداده، يتردد بها فى ليله و نهاره. و لا منازع له فيها باضـطراره و اختياره و تكرّرت غزواته على هـبرة و الحرب بينه و بينهم سـجال، إلى أن تلاـشوا و حـل بهم الاضـمحلال و لاـ حـول و لاـ قوة إلاـ بـاللّه العلى العظيم، و ما النصر إلا من عند اللّه العزيز الحكيم، و إلى هذا أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

و عاث دكـ ببطحتيها مجتلباعلى الإيمان فلم يبل بمفترس

و رجّ أرجاءها لما أحاط بهافأبدلت شمّ أعلامها بالفطس

(ص ۱۵۱)/ و شحنت بخنزيرهم و صلبانهممواضع الإيمان بها ذو توس

كم توليت بها من آيهٔ محكمهٔفبعد طهرها قد ملئت بالنجس

كأنها ما حوت شمسا و لا قمرالم يدر فى الناس و العالى من النّدس

خلا له الجوّ فامتدت يداه إلىإدراك ما لم تنل رجلاه مختلس

عمّرها بعدنا بخبث مالقهٔشناضيض كاليعافرهٔ و التيس

و سار سيرته فينا من أعقبهو كلهم مقتف آرغون و إفرانس

فغزوا هبرة بموضع يقال له يعلوا من جبال سيرات و ذلك أن هبرة كانوا نازلين بيعلوا فغزاهم دكـ بها و تقاتلوا شديـدا قتل من الطلابة (كـذا) ثلاـثون و مقبرتهم بهـا تسـمّى للآـن بمقبرة الطلبـة بـالطريق لأنهـا انـدرست و من هبرة تسـعون شـجاعا و انجرح أربعون. و من إسبنيول ثلاثمائة و انجرح ثلاثون و تركوا ثقالهم و فرّوا هاربين و ارتكب هبرة ظهورهم إلى حجار الروم بالجانب البحرى من وادى

سيق فرجعوا عنهم. ثم غزوهم بسـيدى الأخضـر من بلاـد حميـان فكـان القتـال بين الفريقين شديـدا و صبر لهم هبرة صبر الكرام انجلا الأمر فيه على موت مائتى شـجاع من هبرة و انجراح ثلاثين و موت ما يزيد على الستين من السبنيول و انجراح ما يزيد على السبعين. ثم غزوهم بيعلوا ثانيا و كان المصاف أسـفل العقبة و نشبت نار الحرب بينهما وقت الضحى فلا ترى إلا رجال هبرة كأنها أسود هائجة فى القتـال يكرّون عليهم الكرّة الهلاليـة مرة بعـد أخرى و حصـلت الـدائرة على الإسـبنيول و أعان هبرة رجال شـداد من بنى شـقران و مع السـبنيول خيول أولاد على، و حصـلت الهزيمة فى الإسبانيين بسبب أولاد على بعد ما مات من الإسبانيين عدد كثير و من أولاد على ما يزيد على الخمسـين و ركبت هبرة و بنوا شـقران أكتافهم إلى وادى سـيق و غنم هبرة و بنوا شقران جميع الأثقال و ذاع الخبر فى ذلك اليوم بفعـل هبرة بالسـبنيول. ثم غزوهم بعوينت الزيتون من بلـد العبيـد، الشـراقة خرج لهم من مزغران غفلـة/ فـأثخن فيهم كثيرا و مات منهم مـا بين الرجال (ص ۱۵۲) و النساء و الـذرارى ما يزيـد على السـبعمائة فضـلا عمن انجرح، و أخذ لهم النصارى جميع ما وجدوه عنـدهم من الـدواب و غيرها و كان ذلك بإعانة أولاد حمدان من مجاهر فصار عدد هبرة يقل. ثم غزوهم بسـيدى مبارك و ذلك أن هبرة كانت مفترقـة فى النزول ما بين سـيرات الشـرقية و الغربيـة و الساحل و الجبال و لم يكن منهم إلا البعض من أولاد هدّاج بن هبرة بسـيدى مبـارك بن بخبـاخ فصـكّهم السـبنيول و معه جيشه من قيزة، و الونازرة، و غمرة، و شافع، و حميان، و كرشـتل، و بنى زيان، و أولاد عبد اللّه، و أولاد على، و أحاط بهم إلى أن أسـرهم عن آخرهم فبلغ الخبر لأخوتهم فأتوهم مسرعين و حصل القتال بينهم و بين العـدو ففكوا جميع الأسـارى من يـده بعـد أن مـات من رجالهم فى ذلك اليوم ما لا يعـدّ و ضـعف بـذلك حالهم و دخلهم التلاشـى فذهب السبنيول بغنيمة الأموال و رجع هبرة بأسارى أخوتهم من الصبيان و النساء و الرجال. ثم غزوهم بسيدى عبد المؤمن من مزغران و كان خنـدقا عظيما بالطرفا و غيره فكانت الدائرة لهبرة عليهم و منحهم اللّه النصـر فقتلوهم مقتلا شـنيعا و ظفروا بهم و بأموالهم بحيث ناب للواحد من هبرة من النّاضّ ما يزيد على الثلاثين ريالا كبيرا و فضلا عن غيره. ثم غزوهم به ثانيا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۱۴

من وهران بأن أتوهم مع الساحل و خرجوا لسيدى عبد الرحمن الصّماش و هبرة فى غفلة إلى أن كادوا يصلونهم و هم مفترقون فى النزول و لما بلغهم الخبر بغتة فزعوا لسيدى عبد المؤمن بن عبد الرحمن و أعلموه بذلك فقال لهم لا خوف عليكم هم غنيمة لكم. و كان هبرة بشرق وادى هبرة العدوّ بغربه و هو حاجز بينهم و لم يخرج السيد من خلوته فبينما هم فى الرجاء و الخوف و إذا بوادى الحمام أتى حاملا حملة منكرة و كذلك وادى سيق و صار العدوّ بين الوادين فى الغرق فركبت هبرة ظهورهم أخذا و قتلا و لم ينج منهم إلا القليل و قد غرق أكثر الإسبانيين بالماء و أخذت هبرة دوابهم و أثقالهم و من ثم سمى سيدى عبد المؤمن بحمّال الويدان (ص ۱۵۳) للآن. و وقائع هبرة مع الإسبانيين كثيرة و من أراد استقصاءها فليراجع الكتاب/ الذى اسمه: القول اليقين فى وقائع هبرة مع الإسبانيين للحافظ أبى العباس أحمد ابن محمد الشقرانى. و كان هبرة فى القتال مع الإسبانيين و سويد غير عامرة و لذلك ضعف حالهم و تلاشا (كذا) أمرهم. و سبب مقاتلتهم مع سويد أن هبرة كانوا يتعرضون للمسلمين الفارين من الأندلس لهذه العدوة لما تغلب عليهم الإسبانيون بها و حيث ينزلون بمرسى رزيو يذهبون لهم هبرة فيأخذون ما بأيدهم حتى أنهم يشقون بطون المهاجرين ظنّا منهم أنهم يبتلعون الناض أو غيره، فسمع بذلك ولى اللّه الأكبر سيدى محمد أقدار التجينى الذى ضريحه بسدّار مينا المتوفى سنة خمس و ستين و ألف فامتلأ غيضا و حرّض أحميد العبد كبير سويد و قيل حرض ابنه أحمد بن أحمد العبد على غزو هبرة المنتهكين لحرمة المهاجرين فأتاه من السّرسو بجنود سويد و وافق ذلك ختم صحيح البخارى فى يوم الجمعة فزحف إلى هبرة و كافة بطونهم بتلك الجنود الكثيرة العدد و وقع المصاف بسدار العامرى المسمى الآن بالغمرى و وقعت بين الفريقين حروب عظام فانهزمت جموع هبرة و ركبت سويد أكتافهم فقتلوا منهم كيف شاؤا و كان جملة من قتل من هبرة مائتان و عشرون من الأبطال فمن ثم انكسرت شوكتهم و قلّ عددهم و اضمحلّ جمعهم و افترقوا فى الأعراش فلم يبق بمحلهم إلا دوار واحد يسمى بهبرة للآن مع تسلط الإسبانيين عليهم أيضا. و لما تراكمت عليهم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۱۵

المحن من الإسبانيين و سويد صارت نساؤهم تجتمعن ليلا فى وسط الحلل و تقلن برفع الصوت تداولا كلام فصيحهم (كذا) و يسمون ذلك بالتبواش و من جملة كلام فصيحهم (كذا):

فينا بين النار يا رب و الناربين انصارت دك و انصارت قدّار

أنت المعين بالعزيز القهّاريا رب علينا دبّر

ميتين و عشرين قعدت فى مشواردوار من الملاح ما عزّه دوّار

الموت من الإله و السّبّ قدّارلا بد الحى يفتكر

و هبرة هؤلاء هم على الصحيح أولاد المقداد بن مهاجر بن سويد بن عمارة ابن مالك بن زغبة بن أبى ربيعة بن هلال بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازين بن منصور بن عكرمة بن زيد بن حفصة بن قيس ابن/ غيلان بن إلياس (ص ۱۵۴) ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فهم عرب هلاليون مضريون من بطون زغبة كما فى الجزء السادس من ابن خلدون فى ترجمة مالك بن زغبة فى شجرته. فهم سويد خلافا لابن الخطيب الحكيم التلمسانى القرشى القائل بإنهم ملتقطون. و بطونهم تسعة و هم الدّعامشة أولاد دعماش بن هبرة، و الهدادجة أولاد هداج بن هبرة، و الملايلة أولاد ملّال بن هبرة، و المكاثرية أولاد مكثر ابن هبرة، و الفطانسة و يقال لهم فطناسة أولاد فطناس بن هبرة، و الدعاعنة أولاد دعنان بن هبرة، و الصواوقة أولاد صواق بن هبرة، و العزايزة أولاد العزيز و يقال له عبد العزيز بن هبرة، و الدواودية أولاد داوود بن هبرة و منهم السيد محمد ابن داود ءاغة الدواير و أخوه السيد عبد القادر بن داوود ءاغة سعيدة و أبناؤهما فهم من أعيان المخزن وقتئذ بوهران. ثم غزا الإسبانيون بنى شقران برمال عين أبوس الشرقية على يد جبور بن حسنة من أولاد سيدى محمد بن حسنة بحيث صعد لهم مع وادى فرقوق و الحمام و وادى تخوارت إلى أن وصلهم فأثخن فيهم بالقتل و

السبى إثخانا عظيما إلى أن أذعنوا له بالطاعة.

ثم فردينة فيليب الأول تولى سنة ثلاث و عشرين و تسعمائة بعد خلع الذى قبله و بقى فى الحكم عشر سنين و خلع و لما تولى أقرّ دكّ بوهران على حاله

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۱۶

و أمره بالغزو على المسلمين الذين بهذه العدوة فاشتدت شوكته عليهم و أبلاهم بلاء عظيما و اقتدى به من أتى بعده من عمال النصارى بوهران مثل إفراسيسك و ابن يالبة و أجوانJUAN و غيرهم من الإسبانيين الذين لم يحضروا حفظى و قتئذ. فغزى سنة خمس و عشرين من العاشر قلعة بنى راشد لما سأل منه الإعانة عليها أبو قلموس و قصدها فى جيش عرمرم (كذا) ما بين جيشه و جيش أبى قلموس فنزل ببراقها و هو الجبل المطل عليها من ناحية البحر و نصب به مدافعه و رمى الكور على القلعة فخرج أهلها و معهم أميرها إسحاق الإسكندر شقيق خير الدين باشة الجزائر فسألوا الأمان فأمنوا و لما تمكن النصارى منهم قتلوهم عن آخرهم و الأمر للّه وحده. قال الحافظ أبو راس فى الحاوى و كان (ص ۱۵۵) الشيخ/ سيدى محمد الشريف الزهار دفين الجزائر أحد تلامذة القطب سيدى أحمد بن يوسف الراشدى بالقلعة قبل مجيء الإسكندر و الأتراك إليها يدخل المسجد حافيا و يقول أنا أنجسه قبل أن ينجسه الكفّار فلم يكن إلا قليل حتى قدم عروج و الإسكندر و الأتراك فذهبوا لتلمسان فبقى فيها عروج و رجع الإسكندر للقلعة فحصر بها و دخل النصارى للجامع الأعظم و نجّسوه كما قال. ثم كارلوص و هو شارل الأول تولى سنة ثلاث و ثلاثين من العاشر و بقى فى الملك أربعين سنة و استمرت و هران فى حكمه. فجهّز جيشا عظيما لغزو مزغران ففتحها عنوة فى أواسط الستين من القرن العاشر تحت رئاسة الطاغية الفرطاس و لما سمع بذلك خير الدين باشة الجزائر تألم كثيرا و جمع جيوشا من كل جهة و قصد مزغران فنزل عليها و قاتلها شديدا و أمنحه اللّه النصر فأثخن فيهم قتلا و أسرا و سبيا إلى أن فتحها عنوة زوال يوم الجمعة خامس عشر ذى القعدة الحرام سنة خمس

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۱۷

و ستين من العاشر و لما فرغ من القتال أمر بجمع الرؤوس فجعلت تلا إلى أن رءاها (كذا) نصارى مرجاجو بوهران. و فى هذا الفتح قال بعضهم من بحر الرّجز:

فتح خير الدين مزغرانمرتجيا لفتحه و هران

فى يهّ قعدة زوال الجمعةسنة هرّ قصخ فاستمعه

و هذه القصة عند الناسمشهورة بقصة الفرطاس

غارات الإسبان على تلمسان و معسكر

و غزوا سابقا تلمسان سنة تسع و أربعين من العاشر فدخلوها عنوة و ربطوا دوابهم بجامعها الأعظم حتى خرجوا مختارين بعد إقامة نحو الثلاثة عشر يوما و يقال أن قراب الخالفى جد القراريب الذين منهم الحاج بالضيف آغة مستغانيم و محمد ولد على الشريف بن يوسف التحلايتى وكيل محكمة سيق هو الذى أتى بهم فى الفترة الكائنة بين بنى عبد الوادى و الأتراك و قصته متواترة على ألسنة الناس. و غزوها أيضا سنة خمسين و إحدى و خمسين من العاشر مع أميرها أبى عبد اللّه محمد بن المسعودى حفيد رضوان العلج فى أربعة عشر ألفا فدخلوها عنوة و مكثوا بها نحو الشهرين و خرجوا مختارين. قال الحافظ أبو راس فى الحاوى أن/ السيد محمد الشريف الزهار المار الذكر قال للمرابط عبد اللّه الملقب (ص ۱۵۶) إخلّال، النصارى يأخذون تلمسان فقال له كيف و أبو مدين فيها فقال يطوّق على بطنه و نحو هذا الكلام فكان كما قال أخذوها الكفار و أسروا حرمها و أفسدوها و خربوها وقت قدوم أبى عبد اللّه بهم من وهران سنة خمسين و تسعمائة ه. و قد حرك لها أبو عبد اللّه بالنصارى على أحمد أبى زيان مرارا. ففى الأولى أتاها سنة سبع و أربعين

من العاشر و لم يحصل على طايل، و فى الثانية أتاها سنة ثمان و أربعين من العاشر و لما سمع به أخوه أحمد جهز لقتاله جيشا لنظر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۱۸

المزوار بن غانم كبير بنى راشد فنزل أبو عبد اللّه بمحلته بمشرع الزواش ثم بواد سنان ثم بحمام سيدى العبدلى فلقيه المزوار بجيشه و حصر محلتهم فى خربة هناك و دارت بهم العرب فانهزم النصارى بعد ما مات منهم خلق كثير و رجعوا لوهران. ثم سألهم فى الثالثة الحركة فأبوا فذهب لمالكهم كارلوس بإسبانيا و سأله الإعانة فأمرهم بالخروج معه فخرج بالجيوش النصرانية فى سنة خمسين من العاشر و ذهب لتلمسان فدخلها كما مرّ و تزوّج ببنات أكابرها و خرج أحمد منها ثم رجع له حاركا، و لما خرج أبو عبد اللّه لقتاله و رام الرجوع منعه أهل البلد من الدخول و قالوا له يا خذيم الروم اذهب عندهم فدخلها أحمد و فرّ هو إلى أن قتله العرب غدرا و بقى أحمد فى الملك إلى أن مات فتولى أخوه حسن و كان بينه و بين صالح باشة بالجزائر محبة عظيمة ثم بعد أربعة أعوام فسد ما بينهما و سأل الإعانة من النصارى و هرب لوهران فمات بها فى دار الملك بالوباء و تنصّر ولده بعده و الأمر للّه وحده.

و تكرر غزو النصارى لتلمسان بسبب اختلاف كلمة أمرائها حتى صار كل منهم يستعين على الآخر بالنصارى. فمن ذلك أن المزوار منصور بن غانم الحشمى. كبير بنى راشد سأل من النصارى فى سنة ثلاث و خمسين من العاشر الإعانة و غزى بهم تلمسان بعد أن أعطاهم ولده عليا رهنا و شرط معهم شروطا فخرجت محلتهم بجيش و هران و كرشتلة و نزلوا بغبال فأتتهم العرب بالخيول المسوّمة و الهدايا المقوّمة و رأى رجل أعرابى منهم اسمه برقون جيش الترك ذاهبا لتلمسان فطلب منهم الإغارة عليهم فأبوا فذهب وحده ثم اتبعوه و نشأ القتال (ص ۱۵۷) فكانت الدائرة/ على الأتراك و لم ينج إلّا القليل و ذهب محلة النصارى بمن معها على رابطة الزواش و خيمت به ستة عشر يوما و زادت لواد سنان و لما عبرته جاءها الخبر بأن الترك خرجوا من الجزائر فى الجيش العظيم لطلب الثأر فرجع النصارى و أخذوا على عرب دمليون و هم أولاد عبد اللّه سمّوا بذلك لأنهم كانوا يطلبون منهم العدد الكثير فيقول أحدهم للنصارى دمليون بمعنى أيها الروم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۱۹

أعطونا عشرة ملايين (كذا) أى عددا كثيرا فيه عشرة ألف ألف ثم لإغبال و وادى تليلات و به جاء الرسول للمزوال منصور بن عالم من عند كبير ترك تلمسان يسئله (كذا) أن يدع جيش الترك يذهب من تلمسان للجزائر و لا يتعرض له أحد و له ما شاء من المال فوافقه على ذلك و رجع لأهله بجيشه و ذهبت المحلة النصرانية لمستغانم فمرت بالشيخ الزناقى و وادى هبرة و فرنكة و حلت بمزغران فى ثالث عشرين جمادى الثانية تلك السنة و خاب رأى كبيرها و فسد أمره و رجع لوهران ثم غزوا الرابطة و الكرط على يد كبير الجيوش العربية و هو رابح بن صولة أحد أولاد على بطن من بنى عامر و أولاده يقال لهم الصوالة و هم الآن دوّار فخرجوا من وهران و مرّوا بالكرمة و بتنازات فنزلوا بأبيارها ثم صعد بهم مع وادى التفراوى إلى جبل غدالة ببلد ماخوخ و مشى على القطّارة إلى أن وصلوا لأزبوجة الكبيرة المطلة على واد للحمام المنفردة وحدها فاستراحوا بها ثم صعد بهم مع شعاب تيفرورة إلى الرابطة بأعلاها فترك بها بعض الجيش و ذهب بالبعض للكرط ففعل بهاتين القريتين ما أراد اللّه فعله. و تكرّر غزوهم على الكرط إلى أن استاصلوا (كذا) أهله فهرب من بقى به و هم سبب خرابه إلى أن عمر بظهور الإسلام للآن و لما كبر رابح بن صولة و عمى تقعّد عن الغزو فأغار الحشم على أولاد على فألفوه بالمراح فقتلوه. ثم غزوا فروحة بغريس أرض الشيخ سيدى محمد ابن يحيى مقرى الجن فلقوا خيولا من أولاد عباد أحد بطون الحشم هنالك فاقتتلوا معهم إلى أن استشهد من أعيانهم العروسى أحد الأجواد بغريس قبلة كدية عظيمة فأخذوا رأسه و فرسه و انقلبوا لوهران. و غزوا غريسا أيضا و تخطوا فيه إلى أسفل/ نسمط أرض لواتة بأراضى بنى راشد. ثم فى وسط الستين من (ص ۱۵۸) العاشرة غزوا زاوية الشيخ أبى مهدى سيدى عيسى بن موسى التجينى ثم الزنداوى و هو نازل شرقى واد التاغية فأتته قنبرة و هى القوبع و جلست أمامه و صارت تذرى التراب على رأسها و تصوّت شديدا و كان الشيخ عارفا بزجر الطير فأمر زاويته و أهله بالرحيل فورا فارتحلوا و عبروا النهر و دخلوا فى غيظة كبيرة يقال

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲۰

لها دار الهناء فلم يكن إلا يسير و إذا بجند النصارى واقف فى حافة الواد الشرقية و معهم بنى عامر و لما لم يروا أحدا رجعوا من غير عبور للنّهر ثم أولاد سيدى العبدلى المرة بعد الأخرى و لم ينتج لهم شىء من ذلك. قال الحافظ أبو زيد عبد الرحمان الجامعى فى شرحه لرجز الحلفاوى و حدثنى المرابط أبو الحسن على بن حسّون العبدلى إنهم كانوا لا يهنأ لهم نوم إلّا إذا جعلوا حارسا و مهمى (كذا) ينم أحدهم نجده يهذوا (كذا) بإغارة النصارى و يصرخ فى نومه من شدة خوفهم.

غارات الإسبان على مدينة الجزائر

و قد غزوا الجزائر مرات. ففى الأولى غزوها قبل دخول الترك لها و تملكهم بها فملكوا برج مرساها الذى بوسط البحر فى الجزيرة حيث برج الفنار الآن و صار لهم جباية حجيجة، و ضرائب على أهل متيجة، و بقوا على تلك الحالة إلى أن دخلها الأتراك فنشأ معهم السيد حسن خير الدين بن المدلية أول باشة بالجزائر الحرب و أدامه معهم إلى أن فتح البرج عنوة سنة ست و أربعين من العاشر و جعل فى البحر طريقا تصل للبرج. و فى الثانية غزوها سنة ثمان و أربعين من العاشرة .

حملة شاركان الكبرى على الجزائر عام ۱۵۴۱ م

و سبب قدوم البلادور لها أنه كان عمّر مركبا من مراكبه و أوسقه بالمال و السعة و بعثه لوهران فأخذه رايس من رؤساء الجزائر يقال له كجك على و دخل به للجزائر بعد ما وقع الحرب بينهما فوجد فيه رايسا (كذا) عظيما مع جملة الرؤساء و دخل فى شهرة عظيمة ثم أن كجك أحضر هذا الرايس إلى حسن آغة

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲۱

خليفة خير الدين باشا و قبل يده و كشف عن رأسه و بقى داهشا من الهيبة فسأله حسن آغة عن أخبار بلاد النصارى فقال له الرايس أن سفينة تركتها تريد القدوم إلى بجاية لكونها كانت عامرة/ بالسبنيول فعند ذلك أمر حسن آغة أن تجهز له (ص ۱۵۹) أغربة فتجهزوا فى أسرع وقت و ساروا إلى طلبها بنواحى بجاية و كمنوا بموضع يقال له العش و المنقار و كان من جملة رؤساء الجزائر كجك على المتقدم الذكر فطلعت لهم تلك السفينة ذاهبة لبجاية فقربوا منها و شرعوا فى قتالها و كانت مستعدة للقتال فى غاية الاستعداد فلم تزل مع أجفان المسلمين فى أخذ ورد إلى أن وقعت فيها النار فالتهبت فى أطراف السفينة و عجز الكفار عن إطفائها فألقوا أنفسهم فى الماء فالتقطهم المسلمون من البحر و أطفوا النار و رجع الرؤساء للجزائر و هم فارحون (كذا) بالسفينة و دخل الجزائر فى شهرة كبيرة و فرح به حسن آغة غاية الفرح و أمر بإنزال ما فيها من الغنيمة فأنزلوا الكفار و أحضروا بين يديه و معهم رئيسهم و كانوا فى حال طلوعهم إلى دار الإمارة تصفق لهم النساء و الصبيان و أهل البلد ليتفرجوا فلما وصلوا بهم إلى حسن آغة أمر بهم إلى السجن المعد لذلك فلما سمع بهم صاحب إسبانيا تأسّف عليهم و كان أهل طاعته قد ضجوا إليه بالشكاية مما يفعله بهم أهل الجزائر خصوصا أهل السواحل منهم بأن قالوا للطاغية إما أن تكفينا أمر الجزائر و إلا نعطوا (كذا) الطاعة لصاحبها فشرع فى الحركة للجزائر و أطلق النداء فى سائر أقطاره بذلك فانحاشت إليه جيوشه أفواجا أفواجا و زخرت إليه جيوشه و عساكره أمواجا أمواجا، فوصل خبر عمارته إلى حسن آغة خليفة خير الدين فصدّق بذلك و لم يكذّب ثم أخذ فى حركة عرس ولده و عمل مفرجات عظيمات يقال إنه خرج من يده مال عظيم بسبب هذا العرس فى كل ناحية يقال إن من جملة ما جعل فيه من المفرجات نصب صاريا فى باب الوادى و طلاه بالشحم بحيث صار لا يقدر أحد يصعد إليه و جعل فى جاموره شقة نفيسة من الملف و معها صارة من الذهب و أباحما لمن صعد إليهما فجاء فتى من الأتراك صغير السن و بدأ فى الطلوع معه و لم يزل يتلاصق الصارى شيئا فشيئا حتى وصل إليهما و نزل بهما

فتعجب الناس مما شهدوا منه فلما تم هذا العرس و صار مثلا- سائرا و نزاهة من نزاهة الدنيا أدار وجهه إلى تحصين المدينة/ و الاستعداد لمقابلة العدوّ فبنا (كذا) أسوار المدينة و أصلح ما (ص ۱۶۰)

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲۲

انهدم منها و نصب عليها المدافع و على سائر الأبراج و عين أربعمائة أسير من الكفار لهذا البناء ثم أنه بعث إلى شيخ المدينة و أمره أن يرفع إليه حساب الرجال فى كل حكومة من الجزائر ففعل ذلك شيخ المدينة و مع ذلك فأخبار العمارة تتوارد عليه فى كل وقت و كذا على أهل الجزائر فأمر حسن آغا بقطع أشجار البساتين كلها خوفا من النصارى أن يستتروا بها حال القتال و أول ما بدأ بقطع بستانه فلم يترك فيه شجرة واحدة فبينما هو فى بعض الأيام جالس فى دار الإمارة إذ دخل عليه حارس البحر الذى يقال له صاحب الناظور و أخبره بأن عمارة النصارى قد أتت و هى عمارة كبيرة أخذت وجه الماء كله و سترته و شرعت فى عددها فلم أقدر و تشوّش نظرى من ذلك لكثرتها فعند هذا عيّن حسن آغا حملة من الخيل فصعدوا إلى جبل أبى زريعة ليأتوه بتحقيق العمارة فرجعوا إليه و كل واحد يقول لم أقدر على إحصاء ما رأيت لأن العدد كثير لا يصل إليه الإدراك فعند ذلك أمر حسن آغا سيدى سعيد الشريف و كان هو شيخ المدينة، أن يوجّه رجالا من أهل البلد إلى الأبراج و الأسوار برسم حراستها فى مقاتلة العدو منها فنهض شيخ المدينة المذكور و عيّن الرجال للأبراج و الأسوار و نصبوا رايات الإسلام عليها و وزّع حسن آغا رجاله على أبواب المدينة بطوائف من العسكر فعيّن لباب عزون رجلا من أعيان العسكر يقال له الحاج مامى و كان مشهورا بالشجاعة فقام بما عين له، و أما حسن آغا فإنه أقام بحصن من حصون الجزائر تصل مدافعه إلى العدو برا و بحرا و معه جماعة من العسكر و طبوله تصعد أصواتها إلى الجو و ألويته المنصورة تخفّق على رأسه و جعل على باب الوادى أى حصنها مدفعا عظيما يدهش الإنسان عند صيحته و تزهق النفس من دفعته، و جعل من هذا الحصن إلى القصبة قائدا اسمه حسنا و معه طائفة من العسكر و عيّن لحراسة باب الوادى رجلا يقال له القائد يوسف و معه جماعة من العسكر و عيّن معه ثلاثة من (ص ۱۶۱) القياد أحدهم يقال له سافر و جعله فى برج من الأبراج/ و ثانيهم يقال له أصلان عيّنه لقاع السور و ثالثهم يقال له رضمان فإنه أقامه قريبا منه فى بعض النواحى ثم أقام كجك على و حيدر و معهما قبطان السفن أخضر و جملة من رؤساء البحر بباب الجزيرة و جعل أهل الجزائر من العسكر و الأندلس و البلدية دائرين بأسوار المدينة متسلحين بالمكاحل و السيوف و الرماح و النشاب كما جعل العرب ركابا و مشاتا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲۳

بخارج البلد فى غاية من الحزم و الضبط فبينما الناس فى غاية الاستعداد للقتال سائلين من المولى جل جلاله أن يعينهم على النزال، إذ بعمارة النصارى ظهرت لهم فى يوم الأربعاء آخر جمادى الثانية بأن بقت له ثلاثة أيام سنة ثمان و أربعين و تسعمائة ، و رست وقت العصر من يوم الخميس فى جون تمانتفوس ، الموالى للجزائر و لما رسّوا سقط لهم بعض الرايات فى البحر فتفاول (كذا) المسلمون لما رأوا ذلك و علموا أنهم منصورون (كذا) عليهم بإذن اللّه تعالى، و كان نزولهم للبر فى يوم الأحد قبل الزوال بشىء قليل و لما نزل سلطان إسبانيا دارت به عساكره. فيقال إن عدتهم تسعين ألفا و كان المسلمون أرادوا أن يمنعوهم من النزول إلى البر فرمت عليهم السفن بالمدافع من البحر فأوسعوا لهم فى المجال حتى تمكنوا من النزول و بات العدو ليلة الاثنين قرب البلد بموضع يقال له الحامة و كان زعيم من زعماء الترك يقال له الحاج باشا عزم أن يضرب العدوّ ليلا ففتحت له أبواب المدينة و أخذ الراية فى يده و خرج فى جماعة وافرة من المسلمين و كان خروجه لما بقى الربع الآخر من الليل (كذا) فلم يشعر العدو لشدّة الشتاء لكونهم وصلوا فى شهر اكتوبر فى أيام قاسم كون إلّا و المسلمون قد خالطوهم و رموا عليهم بالمكاحل دفعة واحدة و رشقوهم بالسهام فحصلت بهم ضجة عظيمة فانتبه مالكهم مرعوبا من نومه و صاح برجاله و خواص و زرائه و قال هؤلاء الذين أخبرتمونى عنهم أنهم لا يقومون بحربنا انظروا ما عملوا فينا هذه الليلة. ثم أن المسلمين رجعوا سالمين إلى البلد بعد ما قتلوا منهم خلقا كثيرا فلما كان يوم الإثنين تحركت النصارى إلى المدينة و معهم الطاغية حتى قرّبوا الأسوار و هم يزعقون فى انفرتهم و ألويتهم منصوبة عليهم فخيل لأهل

الجزائر/ أنهم نمل أسود قد ملأ الفضاء و كان فيهم من الفرسان أربعة آلاف (ص ۱۶۲) فارس فشرع فى قتالهم من الأسوار، بالمدافع و بنادق الرصاص و السهام و تقدم فى ذلك اليوم إلى القتال رجال من الأتراك فظهرت شجاعتهم العظيمة منهم الحاج باشا و الحاج مامى و الحاج بكير و أخضر و غيرهم فقاتلوا قتالا شديدا إلى الليل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲۴

(كذا) ثم رجع النصارى إلى رأس تفورة و نزلوا بأمحالهم و أخذت تلك الوعور كلها و شرعوا فى قتال المدينة و صبت عليهم مدافع المسلمين من كل جهة و خاب رجاؤهم من المدينة فصعدوا بألوية منشورة إلى الكدية المعروفة بكدية الصابون و صاروا يقاتلون المدينة منها فصار أهل الجزائر يرمون عليهم بالمدافع من كل ناحية بأصوات الصواعق و ربما وصلوا الرمى على أجفانهم التى فى البحر و لما كان يوم الثلاثاء أرسل اللّه تبارك و تعالى فى آخر الليل (كذا) ريحا عاصفا فقطعت حبال أجفانهم و نشروا صواريهم خوفا من الهلاك و تزايد هذا الريح فتشوّش جنرالهم أندرية من ذلك و كذلك من معه فى الأجفان و ساقت هذه الريح التى أرسلها اللّه عليهم جملة من أجفانهم إلى البرّ فعطبت على المطاحن و خرج منهم أسارى المسلمين و مالت عرب الجزائر على أهل تلك الأجفان و استاصلوهم قتلا إلى آخرهم و حين رأى الطاغية ما حصل بأجفانه من الغرق و العطب انكسرت شوكته و ضعفت قوته و أخمدت ناره، و برد شراره و ظهرت عليه مخايل الذل فخرج أهل المدينة صبيحة يوم الثلاثاء لقتالهم باجتهاد و قوة و عزم شديد و علموا أن اللّه تعالى نصرهم على الأعداء فخالطوهم و قاتلوهم فى تلك الأوعار فأتى وجوه العساكر إلى الطاغية و قالوا له أيها الملك قم بنفسك إلى الحرب فإن المحلة أشرفت على الأخذ فعند ذلك خرج الطاغية و التفّت عليه عساكره و أخذوا فى القتال فتقهقر المسلمون عنهم نازلين رأس تفورة و جدّ الكفار فى قتالهم و تكالبوا عليهم فتقهقروا أيضا إلى ملعب الكورة (كذا) ثم إلى قنطرة الأفران فلما رأى النصارى ذلك منهم تراكمت جيوشهم عليهم كالبحر الزاخر و صاحوا عليهم من كل ناحية و طالبوهم من كل دانية فتقهقر المسلمون إلى ناحية سيدى أبى التقى ثم صرخ المسلمون فى وجوه الكفار صرخة واحدة و حملوا عليهم و ضربوهم (ص ۱۶۳) حتى بالحجارة و النشاب و كان ذلك اليوم يسيل فيه المطر كأفواه القرب،/ فتراجع المسلمون لحماية بعضهم بعضا و حملوا على الكفار من كل ناحية فردوهم على أعقابهم إلى المحلة و رجع المسلمون للمدينة و لما كان صباح يوم الأربعاء ظهر للكفار أنهم لا مطمع لهم بالجزائر و أن الغنيمة أن ينجوا بأنفسهم فقربت أجفانه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲۵

إلى البر و نزل الجنرال أندريه منها حزين فوصل إلى الطاغية فى محلته و أعطاه حق المبايعة و قال له أيها الملك ألم أحذّرك عن السفر إلى الجزائر فانظر عاقبة الأمر الذى حذرتك عنه الآن قم اطلب النجاة لنفسك فإن جلّ أجفاننا عطب على السواحل فكيف يكون رجوع هذا المعسكر إلى بلادنا فها أنا أيها الملك أذهب إلى تمانتفوس و انتظرك فيها فبادر أنت و من معك من العسكر بالرحيل لتركب فى الأجفان الباقية و تخلص إلى بلادك فعند ذلك رحل الطاغية عن الجزائر و نزل على واد الحراش و كان قد أجهدهم الجوع فأكلوا أربعمائة من الخيل و باتوا تلك الليلة و المطر يتراكم عليهم و الأعراب و القبائل يضربوهم بالمكاحل و الأحجار و غيرها و يلتقطون فى السّعى. و لما كان يوم الخميس نظر الطاغية إلى الوادى فرآه فهالته رؤيته فاستشار رجاله كيف يتحيلون على القطع إلى الناحية فعقدوا صوارى سفنهم المنعطفة على الساحل و قطعوا عليهم فلما قطعوا إلى الناحية الأخرى هجمت عليهم فرسان العرب أيضا و صاحوا عليهم و حملوا نحوهم بعنان واحد و قتلوا منهم خلقا كثيرا و لم يزل الطاغية ذاهبا و فراسان العرب تطاعنوهم (كذا) إلى أن وصلوا إلى تمانتفوس و أقام بها أياما و الحرب لا ينقطع عليه من المسلمين إلى أن خمد هيجان البحر فركب فيما بقى من الأجفان و سافر إلى بلاده و هو لا يصدق النجاة بنفسه و خلّف كثيرا من الأغربة و الأجفان الرقاق و كثيرا من الأجفان العظام و العشريات و الفرقطات و مدافع عظام و خلّف كثيرا من الرجال و النساء و الصبيان التى أتى بها لأنه لم يذهب واحد منهم و عددهم ألفان و ثلاثمائة و أما خيله لم يذهب منها واحد سوى الذى مات منها فى الحرب أو أكلوه و حاصل ما خلفه لأهل الجزائر

مال لا يحصى.

و فى الثالثة غزوها سنة سبع و ستين من العاشر و لم تحصل لهم فائدة و رجعوا خائبين.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲۶

حملة الإسبان على تونس

(ص ۱۶۴)/ ثم غزوا تونس سنة سبع و ستين من العاشر فأخذوها عنوة من يد سلطانها أبى العباس أحمد بن حسن الحفصى و نبشوا ضريح سيدى محرز بن خلف البكرى الصديقى فألفوه مملوءا رملا و بقيت بأيديهم إلى أن استخلصها منهم سليمان باشا التركى سنة إحدى و ثمانين من العاشر . و استولوا بطاعة المغرب الأقصا (كذا) على حجر باديس بالريف سنة أربع و ستين من العاشر و هى بأيديهم للآن أعطاها لهم سلطان المغرب عبد اللّه الغالب السعدى لما تملّك المغرب تلك السنة و رأى مراكب الأتراك تتكرر بمرساها تخوّف منهم على ملكه و اتفق مع الطاغية على قطع المدد و لما حلّوا بها نبشوا قبور أمواتها و أحرقوا عظامها بالنار و أهانوا من بها من المسلمين شديدا. و فى ولايته سنة سبعين من العاشر غزى الباشا حسين بن خير الدين و هران فهو أول من غزاها من الأتراك و ألحّ عليها حتى هدم حصن النصارى الأعلا (كذا) من برج المرسى و هربوا للأسفل فدخله المسلمون ليلة السبت خامس عشر رمضان تلك السنة ثم أقلع عنها. و نظم أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن موسى التلمسانى فى ذلك قصائد انظرها فى البستان. و أهدى الشيخ أبو مهدى عيسى بن موسى العارف بزجر الطير التجينى للباشا حسين حينئذ ثوبا جيدا. و إلى هذا أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

و قيّض اللّه الأتراك بمزغنةلحرب و هران دار الشرك و الألس

غزاها الباشا بن خير الدين أولهمو برج مرساها قد رماه بالنّقس

و حسين هذا كما فى الحافظ أبى راس فى الخبر المعرب هو الذى غزى المغرب و بعث له ولى اللّه الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد اللّه اليعقوبى من أولاد يعقوب بن طلحة النقادى الذى تنسب له الزاوية التى بإزاء ندرومة ابنه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲۷

عبد اللّه ليرجع عن الغزو و هو بملوية فأبى و تمادى على غزوه فرجع خائبا، و هذا اليعقوبى هو الذى كلم الشيخ أبا مدين فى قبره على عز التّرك فقال له أبو مدين ما كان باش نبدلهم إذا أرادت أن تكون فى موضعهم فذلك فقال لا. قال أبو العبّاس أحمد نزيل العبّاد و لما سمعت الكلام من الطاق الفوقى الذى عن يمين الداخل دنوت فجذبنى/ من خلفى شىء فالتفت فلم أر شيئا ثم أردت الدنوّ (ص ۱۶۵) ثانيا و ثالثا فمنعت من ذلك. انظر البستان. ثم فيليب الثانى تولّى سنة ثلاثا و سبعين و تسعمائة و بقى فى الملك اثنين و أربعين سنة و وهران تحت حكمه. ثم فيليب الثالث تولى سنة خمسة عشر و ألف و بقى فى الملك ثلاثا و ثلاثين سنة و دخلت مدينة العرايش بالمغرب الأقصا فى حكمه سنة تسعة عشر و ألف بإعطاء سلطان المغرب محمد الشيخ السعدى إيّاهم فبقيت تحت حكمهم إلى أن نزعها منهم مولاى إسماعيل بن على العلاوى سلطان المغرب سنة واحد و مائة و ألف بعد محاصرته لها ثلاثة أشهر بالحرب المتصل و لم يفتحها حتى جعل لها لغما هدّ به سورها و اقتحمها حينئذ و قتل منهم ألفين و أسّر نحو الإثنا عشر مائة و ذلك مبلغ عمارتها فلم يفلت منهم أحد و ألفى بها خزائن البارود و نحو المائة و ثمانين نفضا منها اثنان و عشرون نحاسا واحد يسمى الغضّاب فى طوله خمسة و ثلاثون قدما وزنة كورته خمسة و ثلاثون رطلا يحلّق عليه بقرب خزنته أربعة رجال و قد بقيت بأيديهم اثنين و ثمانين سنة. ثم فيليب الرابع تولى سنة ثمان و ثلاثين و ألف و بقى فى الملك أربعا و أربعين سنة. و فى ولايته غزى إبراهيم باشا الجزائر و هران فى وسط القرن الحادى عشر و نصب عليها المدافع و البونبة (كذا) من المائدة و هى سطح جبل هيدور المطل على و هران فهو أول من فعل ذلك من الأتراك فامتنعت عليه و رجع مؤيسا (كذا) منها إلى مملكته بالجزائر و إلى ذلك أشار الحافظ أبو

راس فی سینیته بقوله:

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲۸ أتاها باشا إبراهيم وسط حادی‌من القرون من بعد الألف للوطس

قام بالمایدهٔ حینا یزاولهاثم قفا درجه من فتحها ءایس

و یوجد فی بعض النسخ بدل هذا البیت:

قام بهیدور أیاما یزاولهاثم قفا درجهٔ من عسرهٔ الرطس

(ص ۱۶۶)/ و من حینئذ وقع للإسبانیین الاعتناء بقلعهٔ مرجاجو و دبّروا الحیلهٔ فی إقامته فصعب علیهم الماء فأتاهم شیخ حمیان بقرب الماء لإقامته من عند قبیله. و لما أقلع إبراهیم باشا عن و هران مأیسا منها امتدت ید النصاری أیضا إلی الإسلام و صاروا معهم ما بین نفرهٔ و استقامهٔ و رأی الطاغیهٔ شوکهٔ نفسه بأتباعه قویت کتب للممدود و هو عدهٔ ولد الصحراوی رایس (کذا) الحشم بقوله إن کانت أمک عربیهٔ حرهٔ حقیقهٔ و تزعم أنک لا تخشی سطوتی، و لا تلتفت لشوکتی فانزل بعربک سیرات أو ملاته ذات الوطی تری ما یفعله بک ابن النصرانیهٔ و کان الدّال علیه بذلک و نزار العبدلاوی جد الونازرهٔ لکونه کان جنرالا علی العرب عند الإسبانیین فأنف الممدود من ذلک و ارتحل بجمیع الجشم الشراقهٔ و الغرابهٔ و أهل الوادی و من انخرط فی سلکهم و نزل بوطاء سیرات من سیق إلی الغمری و تفرّغ بسیرات الشرقیهٔ و الغربیهٔ و جعل عیونا و حراسا بینه و بین و هران من زبوج مولای إسماعیل إلی المقطع و استعدّ للحرب استعدادا قویا و وافقه علی ذلک هبرهٔ و البرجیهٔ و بنو شقران و لمّا سمع الطاغیهٔ بنزوله بسیرات جمع جیشه من النصاری و العرب المتنصرهٔ و هم کرشتل و حمیان و غمرهٔ و بنو زیان و الونازرهٔ و قیزهٔ و شافع و أولاد عبد اللّه و أولاد سلیمان و أولاد علی و الحجز و غیرهم من بنی عامر و خرج من و هران لیلا- و مشی علی طریق مسرقین إلی أولاد عبد اللّه ثم مشوا به إلی تاسّالهٔ ثم إلی ماخوخ و مشوا به لمکرهٔ و رجعوا به لأولاد سلیمان إلی أن وصل لخشاب النصاری فکمنوا به و سمی من ذلک الوقت بخشاب النصاری و منه طار الخبر للممدود ثم هبطوا بالطاغیهٔ مع الوادی المبطوح و لما وصل لسیق ترکه الممدود إلی أن اشتغل بأخذ الأموال و قد ذهبت الناس بأنفسها (کذا) قصدا لاشتغاله بذلک و قد سدّ علیه طرق المجاز من کل جههٔ فقصده بجیوشه و صار یقتل و یسبی و استخلص منه جمیع ما أخذه و أثخن فیه بالقتل الذریع اثخانا عظیما فلم ینج منه إلا القلیل و حصلت الهزیمهٔ فیهم و رکب الممدود بجیشه أکتافهم إلی و هران

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۲۹

فدخلها الطاغیهٔ فی فله فی أرذل حالهٔ و کتب له الممدود و هو بضواحی و هران و أرباضها کتابا یقول له فیه أخبرنی أیها الطاغیهٔ لمن علو الکلمهٔ الآن هل للعرب/ أو للنصاری کلا- لئن لم تنته عن فعلک الذمیم و محاربتک للمسلمین و الغارات (ص ۱۶۷) علیهم لأرجمنک شدیدا.

ثم کارلوص الثانی و هو شارل الثانی تولی سنهٔ اثنین و ثمانین و ألف و بقی فی الملک خمسا و ثلاثین سنهٔ فبقیت و هران تحت حکمه و فی أیامه تولی الغطریف الهمام، و الأسد الهصور الضرغام، معزّ الدین و أهل الإیمان الزناقی السید البای شعبان، أحد الأتراک الأنجاد، و أعیانهم الأمجاد، أیالهٔ مازونهٔ و غیرها من شرقی المغرب الوسط، فی حدود التسعین و ألف بلا شطط.

معرکهٔ کدیهٔ الأخیار و استشهاد الدای شعبان

فغزی رحمه اللّه و هران و طالت به معهم الحروب و اتصلت علیهم بدولته أعظم الکروب، و منعهم من الخروج، و ضیّق علیهم إلی أن صاروا فی أحوج المحوج، و لازموا بیوتهم و الحصون، و صاروا لا یفارقون الجواسیس و العیون، إلی الیوم الذی استشهد فیه حصل لهم فرج و تنویهٔ و تنزیه. و من خبره أنه زحف لهم فی نحو أربعهٔ آلاف فیهم نحو الثلاثهٔ آلاف فارس و زحف النصاری مع مردهٔ العرب و شیاطینهم من بنی عامر و قیزهٔ و غمرهٔ و کریشتل و غیرهم فی أزید من ثلاثهٔ آلاف فیهم ألف خیل و الباقی راجلهٔ. و فی

غريب الأخبار للحافظ أبى راس أن النصارى زحفوا إليه فى زهاء أربعة آلاف أكثرهم راحلة و هو فى أكثر من ألف كلهم خيل. قال الحافظ فى عجائب الأسفار فكان المصاف فى كدية الخيار و صبر الفريقان ثم انقضت جموع النصارى و اختل مصافهم و قد ربط بعضهم نفسه بالأحبال و ربط الآخر نفسه بالأكبال فكانوا غنيمة للمسلمين. و فيئا للموحدين، فقتل فى تلك الهزيمة أكثر من إحدى عشر مائة و دامت عليهم الهزيمة إلى أن حلّ المسلمون بقبّة برج العين فاقتتلوا به قتالا شديدا و هزمهم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۳۰

المسلمون ثانيا و هو أمام جيشه المنصور كالأسد الهصور إلى باب و هران فجىء عنده الوطيس و تسابقت للتقدم الفرسان. و فى تلك المعركة قتل البای شعبان، رحمه برحمته الرحمان، و أمدّه رضوانه، و أسكنه بالفردوس ميطانه. و ذلك سنة ثمانى و تسعين و ألف من هجرة من له كل العز و الشرف و الوصف، فلقد كان من أسد الإسلام، الناصر لأهله على اللئام (كذا) حتى جرى للغاية المحمودة (ص ۱۶۸) فأدركها و أزعج السواكن للأجر/ و حركها و كل من عمل فى هذا السبيل مطيته رسميا و رملا فله الأجر لأن اللّه لا يضيع أجر من أحسن عملا، و لا يخيّب لراجيه أملا. و لما قتل بقيت جثته بأيديهم على وجه التّراب فجزّوا رأسه و علّقوه بالباب.

و قد أخذ المسلمون الجثّة و تركوا الرأس لما لم يقدروا على الرجوع إليه، فرأى بعض النصارى باليل (كذا) النور يسطع عليه فأخبر بطريقهم و حينئذ بعثوه للمسلمين فجعلوه مع جسده فى الحين، و دفنوه خارج و هران، و قبره للآن يعرف بقبر سيدى شعبان. و كان على ضريحه قبّة عالية، و لما سكن بجواره بعض النصارى الآن و ملك تلك الأرض هدمها لما صارت بالية. و قال الحافظ أبو زيد عبد الرحمن الجامعى على الحلفاوى فى قوله النایر، أنه حمل و دفن بالجزائر و اللّه أعلم بالمراد، و إليه الرجعا (كذا) و المعاد. و يقال أن الذى قتله هو أحد المغطسين أبو نصابية من النصاصيب الذين منهم كل ظالم و فاجر أحد بطون أولاد عبد اللّه من بطون بنى عامر. و قيل غير ذلك و اللّه أعلم بحقيقة ذلك. و قال الجامعى أيضا و حدثنى بعض من حضر أنه تكسّر فى يده يوم الاستشهاد سيفان و أنه لبس أفخر ثيابه و تحلى بأشرف حليته و ركب أجود مراكبه ملأ جيوبه دنانير الذهب افتخارا على العدوّ أن بقى بأيديهم فوجدوه على تلك الحالة ه. و موته سبب لغزو إسماعيل سلطان المغرب لوهران إلى هذا أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

ءاخره شعبان الزناقى حاصرهافامتنعت و شمشت أيما شمس

أوطى الفليق الجرار لأراضيهمبه هامت دمعهم من زكا و خس

دارت حروب عظام بينهم قد أتىءاخر أمرها باستشهاده النفس

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۳۱

و لما مات البای شعبان فرح النصارى و اشتدت شوكتهم على الإسلام.

و رجعوا يغزونهم فى البيوت و الخيام، فغزوا وليّ اللّه الأكبر، و قطبه الأشهر سيدى بلاحة المهاجىء و أسروه هو و بناته الثلاثة، و خمسين رجلا من زاويته و رجعوا لوهران و بقى بها مع بناته سنة كاملة/ ثم فدى و فدى إحدى بناته أبو عزة بن حميدة (ص ۱۶۹) شيخ أولاد سليمان و فدى الأخرى الشحط والد دموش شيخ أولاد على فزوجها له أبوها لما رامت تزويجه و لم ينتج منها شىء لدعائه عليها و بقيت الثالثة بلا فداء فكثر بكاء أمها و أقلقته فخرج يوما لساحة بيته و توضّى (كذا) و دعا اللّه و إذا بها مقبلة فقال لها اخرجى لابنتك فسئلت فقالت إنى أمشط رأسى و إذا بطائر أبيض نقرنى و صدّ أمامى فتبعته إلى وطنى قاله الحافظ أبو راس فى الخبر المعرب.

و يقال أن سيدى بلاحة قال لمعلم ولده الزين قبل الواقعة بيوم إذا كان فى صبيحة غد خذ الزين و أمه و أصعد بهما رأس الجبل و اجلس هناك للغروب و دعنى و بناتى الثلاثة ليقضى اللّه أمرا كان مفعولا ففعل المعلم ما أمره به الشيخ فنجّاهم اللّه من العدو و عدّ ذلك من كراماته كإتيانه ببينة من الأسر. و ولده سيدى الزين هو الذى تنسّل منه جميع أولاد سيدى بلاحة حيث كانوا.

حملة السلطان إسماعيل على وهران

و لما سمع الشريف سلطان المغرب مولاى إسماعيل بن على العلاوى بقتل العرب المتنصرة للباى شعبان استغاظ غيظا شديدا و جمع جيشا عظيما لا يكاد يسمع بمثله من أقاصى سوس إلى بنى يزناسن و جاء حاركا به على وهران سنة اثنا عشر من الثانى عشر و قيل فى أربعة منه و قيل فى أوله فنزل بجبل هيدور و نظر إليها و حطّ كلكله عليها. و وجد حولها القبيل المديم لقتالها، نجع مخيس أخوة سويد فاستعان بهم أيضا على نزالها، فقاتلها مدة و أطال ذلك و بان شرره و لم يجد لها محلا يلحقها منه ضرره. لمنعها ببرج مرجاجو، و النصارى بها هاجوا و ماجوا، فعندها صعد على المائدة و نظرها نظر ليث العريسة، إذا دفع على الفريسة و عاين أحكامها و منعها. و إتقانها و صنعها، فقال هذه أفعى تحت

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۳۲

حجر تضرّ و لا تضر، و ارتحل عنها مشرقا يروم المعط، إلى أن وصل لزبوجة الوسط، فقامت عليه الأعراب مع الأتراك إقامة الغضب، و رجع مفلولا إلى أن وصل فى فلّه إلى المغرب و إلى هذا أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

و بعد ألف و مائة فى نقط يبّجهز إسماعيل لها أقاصى سوس

و أهل تامسنا إلى أهل ملويةو وجدة و معقل و بنى زنس

(ص ۱۷۰)/ فحطّ كلكله عليها معتزماعلى النزال فلم يجد محلّ بوس

قام بهيدور أياما يحتال لهاقد استعان بما حولها من مخيس

أعيته حيلتها حزما و منعتهاعقاب جوّ قد ارتقى من الحرس

فقال هذه أفعى تحت صخرتهاتضرّ لا الضرّ يأتى لها من أنس

قد حلقت بحرس غير غافلةبل يسمعون حسيس الآتى كالحسس

قائمة الملوك الوطاسيين و السعديين و العلويين

و اعلم أن العلويين الذين منهم مولاى إسماعيل هذا أخذوا المغرب من يد الملوك السعدية و هم من يد بنى وطاس و هم من يد الجوطى و هو من يد بنى مرين، و قد ذكرت المرينيين تفصيلا إلا ما ذهب عن حفظى منهم. و كون الجوطى خلع آخرهم و تولى بموضعه سنة كاملة. و خلعه بنوا وطاس فبقى المغرب بأيديهم ثمانين سنة.

و أولهم أبو عبد اللّه محمد الشيخ ثم ابنه محمد الغالب، ثم أخوه المنصور، ثم آخرهم أبو حسّون. و تولى ملك المغرب السعدية و أولهم الشريف عبد اللّه القائم، ثم ابنه أحمد الأعرج، ثم محمد الشيخ، ثم عبد اللّه الغالب، ثم أخوه المنصور أبو العباس أحمد الذهبى، ثم ابنه زيدان و حصل بينه و بين أخوته كالشيخ و غيره الخصام و رام كل واحد منهم الخلافة حسبما ذلك مبيّن فى نزهة الحادى، و المهرة الوردية، و قام عليه أبو العباس أحمد بن أبى محلى المساورى. ثم ابنه أحمد بن زيدان، ثم أخوه عبد الملك بن زيدان، ثم أخوه الوليد، ثم أخوه محمد الشيخ الأصغر، ثم ابنه أحمد العباس. ثم انتقل ملك المغرب لأهل الزاوية الدلائية السوسية و هم السيد أبو بكر بن محمد، ثم ابنه السيد محمد. و قام عليهم أبو الحسن على بن محمد السوسى بسوس. و صنوه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۳۳

أبو حسّون، ثم قام عبد الكريم بن أبى بكر الشيبانى بمراكش. ثم انتقل ملك المغرب للعلويين. و أولهم الشيخ الشريف، ثم ابنه محمد، ثم أخوه رشيد، ثم أخوه مولاى إسماعيل، ثم ابنه أحمد الذهبى، ثم أخوه عبد المالك، ثم رجع الذهبى، ثم أخوه عبد اللّه، ثم أخوه على و خلع و رجع عبد اللّه مرة ثانية، ثم أخوه المستضىء و رجع عبد اللّه ثالثة، ثم/ أخوه زين العابدين و خلع و رجع عبد

اللّه رابعة (ص ۱۷۱) و خامسة، ثم ابنه سيدى محمد بن عبد اللّه صاحب التئاليف (كذا) العديدة، ثم ابنه اليزيد، ثم أخوه مولاى سليمان، ثم مولاى عبد الرحمن، ثم ابنه مولاى محمد، ثم ابنه مولاى الحسن و هو الموجود الآن. و أتيت بهذا لإتمام دول المغرب الأقصا (كذا).

منشآت الإسبان بوهران

و لما دام الملك للإسبانيين بوهران بنوا بها البناء المحكم الضخم فبنوا سورها و زادوا فى بناء البرج الأحمر و برج المرسى و بنوا مرجاج و برجى رأس العين و برج المرسى الثانى و برج الحمارات و البرج الجديد و برج الدهان و برج الويز و برج فرانـد و برج كارلوص. و ذكروا أن البرج الجديد أقامته امرأة نصرانية بتسعين ألف ريال كبيرة من خالص مالها صدقة عليها ليتقبل اللّه منها عملها و إنما يتقبل اللّه من المتقين. و أما برج اليهودى فبناه يهودى فنسب إليه و البرج الأحمر و برج المرسى بناهما أبو الحسن المرينى لكن النصارى زادوا فيهما فاتسعت دائرتهما و برج الإصبايحية بناه الأتراك و القبة التى بالبرج الأحمر بناهما الباى محمد الكبير بن عصمان، فاتح و هران، و ما عدا ذلك مما فيه عظمة البنيان، فإنما بناه ملوك بنى زيان.

ثم غزوا العبيد الشراقة حذو المقطع فى جيش ضخم خرجوا به من و هران و مرّوا على قديل ثم رزيو ثم الصنهاجى و يقال له الزناقى أيضا إلى أن وصلوا إلى المقطع و انحدروا للشراقة و كان الخبر تقدم لهم فاجتمع معهم الغرابة و هبرة و البرجية و مجاهر فاختل المصاف على النصارى و دارت الدائرة عليهم فكان أكثرهم غنيمة للمسلمين و رجع فلّهم لوهران و من ثم أتوا بحميان من ملاتة لهذه الأرض التى عم بها الآن ترسا بينهم و بين هؤلاء الأعراش فكان حميان تارة مذعنين و أخرى ممتنعين.

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۲۳۵

التحرير الأول لوهران عام ۱۷۰۸ م

ثم فيليب الخامس و ولده ألوى الرابع عشر و هو ببطن أمه و تولى سنة سبعة عشر و مائة و ألف و بقى فى الملك أربعة و عشرين سنة و بقيت و هران كسائر مملكة إسبانيا تحت حكمه و اشتدت شوكة النصارى على المسلمين إلى أن تولى بوقته شريف النسب، و كثير اللجين و الذهب، إمام جامع المجادة الأزهر، و بدر مطالع السعادة الأزهر أبو الفتوحات الربانية القائم فى أيالة/ محروسة الجزائر (ص ۱۷۲) بتصرفات الدولة العثمانية، أبو عبد اللّه محمد خوجة بن على داى الجزائرى الدار، النكدلى المنشأ القرشى النجار المعروف ببكداش، المنصور باللّه على النصارى الأوباش، قدس اللّه روحه و برد ضريحه، باشة بالجزائر، التى هى مأوى لكل قاطن و زائر، يوم الجمعة منسلخ ذى القعدة الحرام، سنة ثمانية عشر من القرن الثانى عشر بلا انصرام، بعد عزل الباشة الذى قبله الشريف السيد حسين خوجة، الصائر للأمور المحوجة، جهّز الجيوش لباى الجهة الغريبة المجتمعة الخالية الفواتى الموافق لها فى سائر الأحوال المواتى أبى الشلاغم مصطفى بن يوسف المسراتى إعانة له لما هو فيه من الحصار لوهران فى جيشه المخصوص به من الترك و العربان لنظر صهره و رديفه السالم من جميع المحن، وزيره أوزن حسن فجاء بالجيوش برا و بحرا، و خيموا على أرجائها سهلا و وعرا، فى جنة المأوى و رهبة من نار السعير، و صارت الجنود البحرية تنزل بمرسى رزيو ثم تذهب لوهران، فرارا من المانع بالبحر من المراكب المشحونة بالعديان (كذا) فحاصروا وهران و ضايقوها من كل وجه متفق و متخالف و اشتد القتال و كثر النزال بها مدة و الحرب مترادف، و شوهد للمسراتى فى حال الحروب أمور عجيبة، و حملات على الأعداء غريبة، بانت فيهما شجاعته و كفايته و فراسته و عنايته و لا زالت جيوش الإسلام تحاربها و تنال منها الغنائم و المثوبة و الاجراء (كذا) و تراوحها و تصابحها و تعالجها بالقتال الذريع إلى أن فتحوها عنوة و قهرا، و ذلك

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۳۶

صبیحة یوم الجمعة سادس عشرین شوال سنة تسعة عشر من الثانی عشر بعد إقامة النصاری بها مائتی سنة و خمس سنین فی ما اشتهر، و إلی ذلک أشار الحافظ أبو راس فی سینیته بقوله:

لما أراد اللّه عود الإیمان بهاأقام بالجزایر مذهب الدّمس

محمدا بکداش أضحی باشتهاقد فاق الأکفاء فی الدّهاء و الرعس

جهز أجفنا بالأتراک مشحنةفی شرقها نزلوا فی برّها الیبس

مدافعا و عرادات أتانا بهاأضحی لذلک حزب الکفر منبئس

(ص ۱۷۳)/ فی کل حین أوزن حسن یزاولهاوقائف مصطفی ذو البأس و الفرس

ففتحت عنوة فی تسع عاشرةمن بعد سکنی به والدین فی وکس

عاقبة الغدر للبوار قد قررتسنّة ربنا قد سنّها فی جرس

أضحت مراتع أمن للأنام و قدکانت لها طیبات الأنس فی دنس

قدمه بعد عشر استقل بهابغایة وجدت کالعدو للفرس

حکم الالآه (کذا) کما قد تری قدّرهلو شاء ما ملکوها عشر النّفس

و قال الشیخ الحافظ أبو عبد اللّه سیدی محمد التغریری فی رجزه ما نصّه:

الحمد للّه الذی فتحاو هران عن أیدی الرجال الصلحا

و قهر القوم اللیام الفجرةو رفع الإسلام فوق الکفرة

فی مدة السلطان فخر الناسأحمد خاقان أبی العباس

من ملک البرین و البحرینو مصر و الشام بدون مین

و خادم الحرمین فی طول المدادام انتصاره علی جمع العدا

یا سائلا عمّا بوهران ظهرمن أخذها و فتحها کما انتشر

أخذها الکفار الثباتفیما رویناه عن الثقات

سنة أربع و عشرة مضتمن بعد تسعمائة قد کملت

فمائتان مع خمسة سنینعدة مکثها بأیدی المشرکین

ثم بدا العز من الالآه (کذا)و جاءنا الفتح و نصر اللّه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۳۷ ففتحت سنة تسعة عشرو مائة من بعد ألف تعتبر

فی سادس العشرین من شوالصبیحة الجمعة خذ مقال

عن ید من قصد صیّر الجزایرجنة کل قاطن و زایر

محمد بکداش فخر الدولةو حسن صهره عالی الصولة

زاد الإلاه لهما فی النصرو الظفر و افتتاح أرض الکفر

لا زال من عادهما فی الانتقامبالقهر و النهب علی طول الدوام

ثم الصلاة عن محمد الأمینو ءاله و صحبه و التابعین

/ ما جاهد الإسلام فی الکفاربالقتل و الأسر و أخذ الثار

(ص ۱۷۴) و قال الحافظ المحقق أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الحلفاوی التلمسانی فی رجزه:

إذا جمع الرأى بأمر حازمعلى الجهاد لم يعقبه جازم

مجهزا جيشا حمى الدين فسادإذ ظهرت به بقاع من فساد

فنهضوا للّه حزما و أعدمعهم ألة حرب لا تعد

من نحو بارود و كم من مدفعو منجنيق ما له من مدفع

مؤمرا صهره أوزن حسناقرما رضى فسار سيرا حسنا

و الحازم العارف باى مصطفىو هو من الأقيال قايف مصطفى

ثمّت نادى بالجهاد فى الورىمقدّما ما كان عندهم ورى

فسارع الناس له إذ طلبهلا سيما جماعة من طلبه

فنزلوا الأول من ربيعالنبوى منسلخ الربيع

فى عسكر بيوته عد مقرو تركوا الأثقال فيه فى مقر

و قصدوا حصونها بكل شقبزمان تاريخه يهدّ شق

فاجتمع الجيش بذلك الثغرجمعا كبنيان رسا أو ثغر

و نصبت من حولها مدافعللرّمى كل أسد مدافع

و مرعدات كورها فى الجوكنجم رمى من سماه يهو

تلمع من خلالها البوارقو وقعها أمضى من الصّواعق

فأجّجوا نار الحرب سرمداو تابعوها باعتناء طول المدا

فنشروا ما نظموا من عقدهاو نقضوا ما أبرموا من عقدها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۳۸ فكان باكورة ذاك الفتحبرج العيون ضامنا للنّجح

عاشر يوم من جماد الأخرايوم الثلاثاء مساء قسرا

ثمّت حصنها الذى تقنعابالسّحب و اغتال الأسود و نعا

قلعة مرجاجو التى لو قلعتشوامخ الأطواد ما تقلّعت

و إذ دعاها اللّه للإسلامألقت له القياد باستسلام

(ص ۱۷۵)/ فأصبحت ترمى العدا بالكورسابع عشرين من المذكور

و انحدروا البرج بن زهو و قدحلّ به من نار حرب قد و قد

ضنا به و ظنّهم مانعهمفكان من حياتهم مانعهم

سقوا به مرارة و كم حلتعيشتهم به دهرا قد خلت

فأصبحوا خامس شعبان بهكقتلى شعبان نصيح ربّه

من بعده لغم هدّ جل جرفهو حصرهم به ينقط حرفه

ثم أتى الجيش لوهران و لميك مقاتل بها إلّا ألم

و بالجديد برجها الحام لهالم تغنّ ءالة بها حاملها

ففتحا يوم العروبة معافتحا أرى فى الأندلس مطمعا

بسادس العشرين من شوالأكرم بذاك العيد فى التوال

و افتتح الأحمر فى الغد و قدرأوا لظى موت شبيه انتقد

و ذى حصون عنهم لم تغنوعد ما سور بها لم يغن

و انقلبوا من بعد ذا للمرسىفأصبح الجيش عليها مرسى

و اشتدت الحرب عليها و احتموابالبحر و الطود الذى فيه رسوا

فلم يكن لهم من اللّه وزربل مكّن الإسلام منهم و نصر

ففتحت من بعد حرب و عناو رمى مرعدات علج ذى اعتنا

و لغم ببرجها قد شقّهو كان ذاك عام هدّوا شقّه

ثالث عاشر من المحرملا جعل اللّه بها من محرم

و انكسرت شوكة من بالكفريلوذ أوله اعتنا بأمر

و مزّقوا تمزيق آلاء سباءو أصبحوا ما بين قتل و سبا

و أخرجوا بالذل للأسارفى عدد كفر صغار سار

و انقرضت دولة ذى الفسّاقو الحمد للّه الكريم الباق

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۳۹ و انتصف الإسلام منهم و غدابين قتيل ذى حياة أبدا

و ذى حياة لا يزال للعداسهما بكل مرصد مسدّدا

/ للّه من قد صار منهم فى الثرىو من أباح النفس منهم و الثرى

و قد تعرض بعض الأدباء البلغاء لوصف المدينة و أبراجها و فتحها و من فتحها فى قصيدة عروبية ملحونية فى غاية الإتقان و من أرادها فليطالعها فى شرح الجامعى لرجز الحلفاوى.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴۰

الدولة الثامنة: الترک

اشارة

ثم ملك وهران الدولة الثامنة و هم الترک و يقال لهم الأتراک. و اختلف فى سبب تسميتهم بذلک على قولين: فقال بعضهم إنما سمّوا بذلک لأنه نسبة لجدهم ترک بن کومر بن يافث بن نوح عليه السلام. قال و فى قلبى منه شىء، و قال ابن هشام فى التيجان: إن أمة من ياجوج و ماجوج آمنوا باللّه فترکهم ذو القرنين لما بنا (کذا) السدّ بأرمينية فسموا لذلک بالترک. انظر القسطلانى فى السفر الآخر من شرحه للبخارى. و فى کتاب بدء الخلق عنه أيضا عن قاتدة أن ياجوج و ماجوج اثنان و عشرون قبيلة بنا ذو القرنين السد على إحدى و عشرين و ترک واحدة منهم (کذا) فسمّوا بذلک الترک. و اعلم أنه لا خلاف فى أنهم من ذية ترک و إليه ينتهى نسبهم و إنما الخلاف فى کون ترک ولد ليافث من صلبه أو حفيده.

فقال صاحب الخميس: لترک من ولد ترک بن يافث لصلبه من نوح عليه السلام فهم إخوة الخزر و الصقالبة و التاريس و المنسک و کار و الصين. و قال أبو الفوز السويدى فى سبائک الذهب، و الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار: الترک من ولد ترک بن کومر بن يافث بن نوح عليه السلام فهم إخوة الفرنج. و قال ابن سعيد المغربى فى تاريخه: هو ترک بن عابر بن شئويل (کذا) بن يافث بن نوح عليه السلام، فإخوتهم فى يافث: ياجوج و ماجوج، و الفرنج، و الخزر، و الصقالبة، و التاريس، و الصين، و الکار، و المنسک، و غيرهم. و إلى ذلک أشار صاحب تحفة الطلاب بقوله:

أولاد نوح عليه السلامسام و يافث کذاک حام

عرب فارس و روم و يهودلا غيرهم مّن نسل سام المقصود

(ص ۱۷۷)/ سودان هند نوبة زنج حبش‌قبط و بربر من حام انتقش

صقالبة ترک و أوس خزرج‌یاجوج من یافث زد و ماجوج

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴۱

نسل الأتراک و سلاطینهم

قال و فی القلب من کون الأوس و الخزرج من ولد یافث شیء، و یقال للترک لیوث بنی آدم فی الحروب، و ملکهم یلقب بالخاقان من أول دولتهم إلی الآن. و هم أمة قدیمة عظیمة تضاهی أمة فارس و الروم و غیرهما. و ملکهم قدیم من عهد الملوک الکینیة و لهم بطون کثیرة. فمنهم الترکمان أی ترک الإیمان أسلم منهم فی شهر مائة ألف، و الخزر أسلموا علی ید حذیفة بن الیمانی صاحب سر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و الزط بضم الزای، و التتار، و الغور، و هم الغزو و الفنجاق و هم الفخشاخ، و القرج علی قول و الجرکس، و العبلات و یضاف إلیهم اللات و الشرکس و الأزکش و الروس و البلغار و البرجان و الهیاطلة و هم الصغد و الصقالبة و الأکراد و رهیل و العثامنة ملوک سلامبول و هو اسطنبول. و ذکر السخاوی فی الضوء اللامع: أنهم من آل عثمان ابن عفان و استغربه الحافظ أبو راس و السیوطی، الصحیح أنهم من ولد عثمان الغازی من الترک و الصول إلی غیر ذلک.

و مسکنهم فی أقصا (کذا) المعمور و ماوراء النهر إلی الصین و السد الذی بناه ذو القرنین فهم ممتدون من بلخ إلی الصین و متوغلون فی المشرق و شمال القسطنطینیة و بحر نیطش حتی أن منهم أهل جرجان و خزرجان و دستان و قالی قالا و بردعة و غیرهم و من تخومهم بخاری و سمرقند. قال القسطلانی علی البخاری:

و هم أجناس مدن و حصون و قری و أهل جبال و برای. و لما فشا فیهم الإسلام صار إمامهم فی الاعتقاد أبو منصور الماتریدی کالأشعری عندنا و کلهم علی هدی من ربهم. و لم یکن اختلاف بین الأشعریة و الماتریدیة إلّا فی ثلاثة عشر مسئلة (کذا) لا تؤدی للتبدیع فضلا عن التکفیر، منها مسئلة (کذا) و لا یرضی لعباده الکفر هل لعموم الناس أو للخصوص، و مسئلة (کذا) التکوین التی أخلّ بها الشیخ السنوسی فی کتبه الخمسة غایة الإخلال و ما ینبغی له ذلک. و سبب انتشارهم فی الأرض/ أنّ جدّ سلاطینهم المنتمین له و هو عثمان خاقان بین (ص ۱۷۸) أرطغول بن سلیمان شاه بن قبا ألب بن قزل بوعا بن ینندر خان بن أبقوة تلوغ ابن باینسنقر خان بن باقی، أو ابن سوغا و جاق بن توقمتمون خان بن باسوف ابن کوکب ألب خان بن أرغون خان بن قراخان بن أیقوتلو خان بن توراق خان

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴۲

ابن قراخان بن بای سرب خان بن یلواج خان بن بای بک خان بن طغرل خان ابن أی طوغش خان بن کوج بک خان بن أرتوق خان بن قماری خان بن یکتمور خان بن طورج خان بن قمری خان بن قزل بوغا بن یماق خان بن باش بوغا خان ابن قای خان بن حمور میر خان بن یلی سرب خان بن قراجاد خان بن بالجق خان ابن قرماش خان بن قرة أو غلان خان بن سلیمان شاه خان بن قرة خول خان ابن قوزلوغان خان بن یلی تمورخان بن تورمش خان بن قوی خان بن جین ابن ماجین بن بولجاس بن ترک بن کومر بن یافث بن نوح علیه السلام بن لامک ابن متوشلخ بن أخنوح بن یرد بن مهلایل بن قینان بن أنوش بن شیث بن آدم علیه السلام. قاله فی السبایک کان جده ملکا ببلد ماهان قرب بلخ و لما غزاهم جنکز خان التتاری و خرب بلخ و أخرج منها سلطانها علای الدین خوارزم شاه خرج سلیمان شاه من ماهان بخمسین ألف بیت من الترک إلی أرض الروم و مرّ بحلب و عبر الفرات فغرق بفرسه فیه و أخرج و دفن أمام قلعة سیدنا جعفر بن أبی طالب رضی اللّه عنه و تفرق من معه و کانت أولاده (کذا) أربعة عاد منهما (کذا) اثنان للعجم و هما سنقرود و یقدار و توجه اثنان لبلاد الروم و هما أرطغول و کون دوغذک و قدما علی علای الدین السلجوقی سلطان قرمان و

قونيـة فأكرمهما و أذن لهما فى الإقامة فاجتمع عليهما طائفة من الغزاة و أذن لهما علاى الدين المذكور فى الجهاد سـنة ست و سـبعين من السابع فاسـتقرّا ما بين قرة (كذا) حصار و بلجيك و صار (ص ۱۷۹) الجهاد شأنهما إلى أن مات أرطغول سنة ثمانين/ و قيل تسع و ثمـانين من السابع و خلّف أولادا أمجادا أنجادا أشـدهم و أقواهم السـلطان عثمان فلازم الجهاد كأبيه فلقب بالغازى إلى أن تولى على بلاـد الروم و انضـاف عليه جنـد السـلجوقى لمـا ضـعف و دخل فى طاعته إلى أن تولى موضـعه و بقى على الجهاد إلى أن توفى سـنة خمس أو ست و عشـرين من الثامن فهـذا سـبب انتشارهم. و لما توفى السـلطان عثمان الغازى الذى هو أول العثامنة تولى ابنه أورخان يوم موت أبيه و بقى فى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴۳

الملك خمسا و ثلاثين سـنة و هو الـذى فتح بروسـيا و جعلها مقر سـلطنته و فتح قلاعا و بلادا كثيرة حتى فاق والده فى الجهاد و عاش ثلاثا و ثمانين سـنة. ثم ابنه مراد بك خان تولى يوم موت أبيه و هو سـنة إحدى و ستين و سـبعمائة و بقى فى الملك إحدى و ثلاثين سنة و افتتح بلادا كثيرة منها أدرنة و عاش خمسا و ستين سنة و هو أول من اتخذ المماليك و سمّاهم ينكجرى و معناه العسكر الجديد و ألبسـهم اللباد المثنى إلى خلف و سماه بركا بضم الباء و سكون الراء آخره كاف و كانت له صولة عظيمة على الكفار. ثم ابنه يلدرم با يزيـد خان و معنى يلـدرم الصاعقة تولى يوم موت أبيه و هو سـنة اثنين و تسـعين و سـبعمائة و بقى فى الملك سـتة عشـر سـنة و قد استولى على قلاع كثيرة للنصارى و بلادهم و أراضيهم. ثم ابنه محمد خان جلى تولى سنة ستة عشر و ثمانمائة و بقى فى الملك تسعة أعوام و بـذل نفسه فى الغزو إلى أن فتـح بلاـدا و قلاعـا كثيرة و بنـا (كـذا) مـدارس و عمـاير. ثم مراد خان الثانى تولى سـنة خمس و عشـرين و ثمانمائة و بقى فى الملك إحدى و ثلاثين سـنة و قد فتح فتوحات و مهد الممالك و أقام الشـرع و الدين. ثم أبو الفتوحات محمد خان بن مراد تولى سـنة ست و خمسـين و ثمانمائة و بقى فى الملك إحدى و ثلاثين سـنة و هو أعظم سلاطين آل عثمان و هو الذى فتح القسطنطينية العظمى و جعلها دار ملكه. ثم با يزيد خان الثانى تولى سنة ست و ثمانين و ثمانمائة و عاش اثنين و ستين سنة و افتتح قلاعا كثيرة و حصونا شـهيرة. و أصابه مرض النقرس فاسـتولى عليه و هو أكثر مرض آل عثمان إلى أن مات سـنة ثمانى عشرة و تسعمائة بعد ما ملك ثلاثا و ثلاثين سنة. ثم/ ياوز سليم خان الأول تولى سنة (ص ۱۸۰)

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴۴

ثمانى عشـرة و تسـعمائة و بقى فى الملك تسـعة أعوام و لم تطل سلطنته لكثرة سفكه للدماء و هذه عادة اللّه فى السلاطين و الأمراء و الحكام إذا أكثروا سـفك الدماء لا يطيل لهم مدة و هو الذى فتح مصر و أزال الدولة الجركسية و فتح حلب و الشام و غيرها من البلاد و جهّز الجيوش لخير الـدين بن المدليـة ففتح الجزائر ثم جهّز الجيوش لدرغوث ففتح طرابلس الغرب. ثم سـليمان شاه خان تولى سـنة ست و عشـرين و تسـعمائة و ذلك يوم موت والده المذكور و بقى فى الملك تسـعا و أربعين سـنة و عاش أربعا و سـبعين سنة و كان سعيدا ذا خيرات حسان و هو الذى فتح بغداد دار السلام و عراق العرب و جهز الجيوش لإخراج النصارى من إفريقية و بجاية فأخرجوا و ألطف تاريخ وضع فيه تاريخ العراق. ثم سـليم خان الثانى تولى سـنة أربع و سـبعين و تسـعمائة و بقى فى الملك تسعة أعوام و كان كريما رؤوفا بالرعيـة حليما عفوا عن الجرائم محبا للعلماء و الصـلحاء محسـنا للعلماء و المشايخ و الفقراء و فتح بلادا كثيرة منها جزيرة قبرس و غيرها من البلاد الكبار المشهورة.

ثم مراد خان الثالث تولى سـنة اثنين و ثمانين و تسـعمائة و بقى فى الملك عشـرين سـنة و كان مهابا هماما، و أسـدا ضـرغاما، و هزبرا مقداما. ثم محمد خان الثالث تولى يوم موت والده و هو سـنة ثلاث و ألف و هو ابن خمسة عشر سنة و بقى فى الملك تسعة أعوام و كانت سـلطنته خاليـة من الأكـدار و هو الـذى فتـح أكرى التى تجيشت عليه النصارى فيها لقتاله بما يزيـد على أربعمائة ألف مقاتل و منحه اللّه النصر عليهم فهزمهم إلى أن صار يقتل بعضهم بعضا من الزحام. ثم ابنه أحمد خان الأول تولى يوم موت والده و هو سنة اثنا عشر و ألف و بقى فى الملك أربعة عشر سنة قهر جميع الأعداء و له مئاثر (كذا) حسان فى مكة و المدينة لم يسبقه أحد إلى مثلها من

آل عثمان و هو الذی أرسل إلی الروضة المطهرة علی صاحبها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴۵

أفضل الصلاة و أزکی التسلیم، الکوکب الدری الذی لا قیمة له و استولی علی بلاد متعددة قیل إلی حد بروسیا./ ثم مصطفی خان بن محمد خان تولی یوم موت (ص ۱۸۱) أخیه و هو سنة ستة و عشرین و ألف و بقی فی الملک ثلاثة أشهر و خلع نفسه فی ربیع الأول سنة سبع و عشرین و ألف و کان من أهل الفضل و العبادة، و الصلاح و الإجادة، لا یلتفت إلی الدنیا و زهرتها، و لا یمیل إلی زینتها و نضرتها، متجنبا لها و عنها، و هاربا و مستوحشا منها و أجدره بقول الشاعر الأدیب الخریر الحاذق البارع الماهر:

لاحت له الدنیا ترید خداعهلاکنّه (کذا) بغرورها لم یخدع

و تزینت لتروقه بجمالهافأبی و طلّقها طلاق مودع

ثم عثمان خان تولی یوم خلع عمه مصطفی نفسه و هو سنة سبع و عشرین و ألف و بقی فی الملک خمسة أعوام و استولی علی بغداد و ما وراءه و غزی الفرنج و انتصر علیه ثم أراد السفر للحج فقام علیه العسکر و قتله بخامس رمضان سنة اثنین و ثلاثین من الحادی عشر و قال فیه بعض الشعراء:

قضی عثمان سلطان البرایابأسیاف العساکر و الجنود

و وافته المنایا فی السّرایامؤرخة کعثمان الشهید

ثم رجع للمملکة عمه مصطفی خان بن محمد خان المخلوع مرة ثانیة یوم موت ابن أخیه عثمان و بقی علی عادته من رفضه للدنیا کالمرة الأولی و عدم مبالاته بها إلی أن خلع نفسه ثانیا لشهرین من تولیته. ثم مراد خان الرابع تولی بموضع عمّه مصطفی یوم خلع نفسه و هو عام اثنین و ثلاثین من القرن الحادی عشر و بقی فی الملک سبعة عشر سنة و عاش ثمانا و عشرین سنة و کانت له مناقب کثیرة. ثم إبراهیم خان تولّی سنة تسع و أربعین و ألف و بقی فی الملک

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴۶

ثمانیة أعوام و ثمانیة أشهر و عاش ثلاثا و أربعین سنة و هو الذی فتح جزیرة کرید سوی قلعة منها لم یفتحها لحصانتها. ثم محمد خان الرابع تولی سنة ثمانیة و خمسین و ألف و بقی فی الملک إحدی و أربعین سنة و خلعه الجنة سنة تسع و تسعین و ألف و توفی سنة أربع و مائة و ألف عن ثلاث و خمسین سنة و له فتوحات (ص ۱۸۲) کثیرة. ثم سلیمان خان الثانی تولی یوم خلع أخیه/ محمد و هو سنة تسع و تسعین و ألف و بقی فی الملک ثلاثة أعوام و نصف و توفی سنة اثنین و مائة و ألف و هو ابن خمسین سنة و بمجرد جلوسه علی کرسی المملکة التفت لقتال النصاری فسألوا منه المهادنة أربعة أعوام فوافقهم علی ذلک لاقتضاء نظره الواسع فی مصالح المسلمین ذلک. ثم أحمد خان تولی سنة اثنین و مائة و ألف و بقی فی الملک أربعة أعوام و نصفا. ثم مصطفی خان الثانی تولی سنة ستة و مائة و ألف و بقی فی الملک تسعة أعوام. ثم أحمد خان الثالث تولی سنة خمسة و عشرین و مائة و ألف و بقی فی الملک ثمانیة و عشرین سنة و توفی سنة ثلاث و أربعین من الثانی عشر و هو ابن ستین سنة. و فی وقته فتحت و هران من الإسبانیین الفتح الأول و ذلک سنة تسعة عشر من الثانی عشر علی ید باشة الجزائر الشریف السید محمد بکداش و وزیره أوزن حسن و بای الإیالة الغربیة الجامع بین مازونة و تلمسان مصطفی أبی الشلاغم بن یوسف المسراتی کما مرّ و إلی ذلک أشار الحافظ أبو زید عبد الرحمن الجامعی فی شرحه لرجز الحلفاوی بقوله:

و کان ذا فی دولة الإمامفخرا الملوک ضابط الإسلام

ملک مصر و العراق و الیمنو الشام و البرّین خیر مؤتمن

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴۷ أبی الفتوحات التی لم تحصرکادت تقضی ملک آل قیصر

أحمد خاقان الهمام المرتضیسیف الإله فی الأعادی منتضی

لا زال تحت راية الإقبالو النصر و الفتح قرير البال

و راجع ما مرّ للتغريرى فى رجزه فى فتح و هران فهو أول من ملك و هران من سلاطين آل عثمان. ثم محمود خان الأول تولى سنة ثلاث و أربعين و مائة و ألف و بقى فى الملك أربعة أو خمسة و عشرين سنة توفى سنة سبع و ستين.

و مائة و ألف و هو ابن ستين سنة. ثم عثمان خان الثالث تولى سنة سبعة و ستين و مائة و ألف و بقى فى الملك أربعة أعوام. ثم مصطفى خان بن أحمد خان تولى سنة إحدى و سبعين و مائة و ألف ، و بقى فى الملك سبع سنين. ثم عبد الحميد الأول خان تولى سنة ثمانية/ و سبعين و مائة و ألف و بقى فى الملك (ص ۱۸۳) ستة عشر سنة كاملة. ثم سليم خان الثالث بن مصطفى خان تولى سنة ثلاثة و مائتين و ألف و بقى فى الملك سنة واحدة و عاش ثلاثين سنة. ثم محمود خان الثانى تولى سنة ثلاث و عشرين و مائتين و ألف و بقى فى الملك اثنين و ثلاثين سنة و عاش خمسا و خمسين سنة و نصفا، و فى وقته انعقدت البيعة للحسنى السيد الحاج عبد القادر ابن محى الدين المختارى المخلص على المغرب الأوسط فى يوم الإثنين أو الأحد ثانى عشر رمضان سنة ثمان و أربعين من الثالث عشر بموضع يقال له الدردارة من أراضى الحشم بغريس التى هى محل موسم رجال غريس المعبر عنها بالوعدة و خرجت الجزاير عن الأتراك يوم الإثنين أو السبت

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴۸

ثالث أو رابع عشر من المحرم فاتح سنة ستّ و أربعين من الثالث عشر و دخلت بيد الفرانسيس. ثم عبد الحميد خان بن محمود خان بن عبد الحميد خان تولى سنة خمس و خمسين و مائتين و ألف و بقى فى الملك اثنين و عشرين سنة و نصف و عاش تسعا و ثلاثين سنة و كانت بينه و بين الموسكوا حروب كثيرة سجال فى سنة إحدى و سبعين من الثالث عشر و أعانه فيها الفرانسيس و ذلك شأن الملوك الضخام و ءال الأمر فيها إلى الصلح بين الفريقين انعقد بباريز ثم عبد العزيز خان تولى سنة سبع و سبعين و مائتين و ألف و بقى فى الملك خمسة عشر سنة و خمسة أشهر و عاش ثمانا و أربعين سنة، و فى وقته كان الإمام أبو الفوز السويدى مؤلف كتاب سبايك الذهب. ثم مراد خان الخامس تولى سنة ثلاث و تسعين و مائتين و ألف ثم خولع (كذا) لما خولط فى عقله سنة توليته، و سببه أنه رأى عمه السلطان عبد العزيز قد فصد و قهره الدم و غلبه فمات فجأة (كذا) فاختلط بذلك فى عقله و سلّم فى الملك للسلطان عبد الحميد بعد ما ملك ثلاثة أو ثمانية أشهر. و كان لعمّه عبد العزيز وقائع كثيرة و حروب جليلة لكنه خدعته الوزراء فى ذلك و لو لا أن اللّه أيقظه لذلك لتلاشا الملك العثمانى و اضمحل (ص ۱۸۴) بالكلية فبادر/ للصلح بغاية الإعزام و انتقم من الوزراء غاية الانتقام. ثم عبد الحميد خان الثانى و هو الموجود الآن تولى سنة ثلاث و تسعين و مائتين و ألف قال شيخنا الزيانى فى دليل الحيران و مدحه العلامة الأفاندى أبو الهدى الصيادى فى كتابه: قلادة الجواهر فى ذكر الغوث الرفاعى و أتباعه الأكابر بقصيدة رائية من بحر البسيط مشحونة بجوهر كل معنى وسيط، فقال:

طاب الزمان و طاب الوقت و العمربظلّ ركن لديه الزهر تنحدر

ركن الخليفة سلطان البرية منبباب علياه لاذ البدو و الحضر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۴۹ عبد الحميد إمام الدين سيدناو من به أمة الإسلام تفتخر

رئيس جحفل حزب المسلمين أميرالمؤمنين حماهم إن دامت غير

مؤدّ حفّه المولى بواقيةمن العناية يمضى وفقها القدر

كالليث لكن له عقل مزيتهعظيمة دونها الأسد تحتقر

أحيا مراسم حين جاء لهكالميت كان تولّى نهبه الضرر

فكفّ عنا يد الأعداء و شيّدهكأنه لا انقضت أيامه الخضر

من آل عثمان قادات مآثرهمعلى وجوه الليالى كلّها غرر

رشيد رأى أمين الطبع معتصمباللّه مأمون خلق واثق بصر

كنز السياسة ممدوح الرياسة مصباح‌الفراسة بحر و لم ينهمر

خليفة المصطفى المختار من شرفت‌بمجد طينته بين الملا و مصر

إذا سال سحاب الفضل ملتفتالجبر كسر عديم يخجل المطر

و إن أمال عنانا يوم معركةتخاله قدرا فى الخصم ينتشر

راياته بحروف النصر بردتهامنسوجه و عليها للرضى طرر

و طبله سالم من كل ناقصةما شأنه عن معالى أهله قصر

أخلاقه ذكرتنا الراشدين كمادلّت على بعضها الآثار و السّير

رشيق عزم رقيق الفكر قطعتهلحسن حكمتها يستسلى الخطر

كأنّها سبغت بالفضل طينتهو رأيه صاغه فى فكره عمر

لا زال مرتفع الأقدار مبتهجابعزّة و به الإسلام ينتصر

/ و سمى النصارى الآن ملكهم بالميت لخروج جل الرعية عن حكمه حتى (ص ۱۸۵) لم يبق له إلا طرابلس الغرب و ما قارب الآستانة كما سموا ملك المغرب بالمريض المشرف على الهلاك و الأمر للّه وحده. فهذا ما كان من الكلام على ملوكهم و عليهم بالمشرق.

أسباب قدوم الأتراك إلى الجزائر

و أما الكلام عليهم ببر الجزائر الذى نحن بصدده فاعلم أنه اختلف فى سبب مجيء التركللتملك ببر الجزائر على قولين: فقال العلامة الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن عسكر الشريف فى دوحة الناشر، و الحافظ الشيخ أحمد

بابا فى الذيل، و الحافظ أبو راس فى عجائب الأخبار أنّ سبب ذلك هو تغلب النصارى على السواحل و لما رأى العلامة أبو العباس أحمد بن القاضى الزواوى ذلك كتب لسليم سلطان التركبذلك و سأله النجدة و الإقدام فبعث للجزائر الباشا خير الدين بن المدلية و شقيقيه عروجا و الإسكندر إسحاق بالجيوش و لما قتل إسحاق بالقلعة و عروج ببنى يزناسن تخوّف خير الدين من الشيخ أحمد ابن القاضى و قتله فمات شهيدا و ذلك أول سفكهم للدماء ظلما ببر الجزائر و القصة شهيرة فلا نأتى بها. و قال الحافظ أبو راس فى عجائب الأسفار أن خير الدين و شقيقيه لما شبّوا فى أكمل حالة الرجولية و غاية الشجاعة و العجولية اشتغلوا بالتجارة، و تدربوا بالذكاءة و السياسة و الجسارة، ثم عملوا أجفنا للجهاد فى البحر فأذاقوا النصارى شرا، و قهروهم قهرا، حتى أن عروجا قطعت يده فى بعض الحروب بقرب بجاية، لكونها كانت عامرة بالنصارى و لهم بها للمسلمين نكاية فكان هؤلاء الثلاثة يأتون بالغنائم و يرسّون على مدن الإسلام الساحلية لبيع ما عندهم و يقضوا حوائجهم الخافية و الجالية، فرسى خير الدين مرّة أسطوله بمرسى الجزائر و قضى مأربه (كذا) على عادته بالمزايز، فسأله أهل الجزائر فى المبايعة و التملك عليهم، فأجابهم لذلك و مال إليهم، ثم حصل بينهم و بينه كلام فغضب عليهم بالفعل و القول، و ذهب عنهم و لم يرجع لهم إلا بعد الحول، فرغبوه ثانيا فى المكث و المبايعة لإصلاح الدين، فقبل بشرط قتل المفسدين، فعينوا له جماعة منهم و سألهم التحقيق لإتمام كل خير، و لم يزالوا فى التعيين بالنقص إلى انحصار الأمر فى ثلاثة لا غير، فصلبهم على السور، فهم أول من حكم فيه بالقتل المصطور، و اختلف فى وقت مجيئهم على ستة أقوال: فقال:

بعض المؤرخين أنهم جاؤوا سنة تسع و تسعين من القرن التاسع و استولوا على (ص ۱۸۶) تلمسان استلاء تاما سنة إحدى/ و أربعين من العاشر و لا يخفاك ضعفه. و قال الحافظ أبو راس فى زهر الشماريخ، و ابن عسكر فى الدوحة، إنهم ملكوا الجزائر فى أول العاشر يعنى فى العام الأول منه . و قال الحافظ عبد الرزاق

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۵۱

الجزائری أن ذاک فی خمسهٔ عشر من العاشر و به قال العلامهٔ السید الحاج أحمد بن عبد الرحمان الشقرانی فی تاریخه: القول الأوسط فی وقایع المغرب الأوسط. و قال بعضهم فی اثنین و عشرین من العاشر و قال الیفرینی فی نزههٔ الحادی أنهم ملکوا الجزائر فی ثلاث و عشرین من العاشر و به قال الحافظ أبو راس أیضا فی عجائب الأخبار، و أما الحافظ أبو زید عبد الرحمان الجامعی فی شرحه لرجز الحلفاوی فإنه قال فی بضع و عشرین من العاشر فقد أجمل لأن البضع من الثلاثهٔ إلی التسعهٔ. و قال الحافظ أبو راس أیضا فی موضع آخر من الشماریخ أنهم ملکوها فی الخامس و العشرین من العاشر و به قال الخوجهٔ السید مسلم بن عبد القادر الحمیری فی رجزه حیث قال:

فی عام که من القرن العاشرکان ابتداء الترک بالجزائر

و امتدّ ملکهم بها کافاوسین‌حتی إذا کمل الوعد کان البین

قائمهٔ الحکام الأتراک بالجزائر

فأول بشاواتهم بالجزائر حسن خیر الدین بن المدلیهٔ و سمی بذلک لکون أمه من مدینهٔ یقال لها المدلیهٔ و وجه ذلک أن السلطان محمد فاتح القسطنطینیهٔ ابن السلطان مراد أحد ملوک بنی عثمان افتتح مدینهٔ فی بعض جزر البحر یقال لها المدلیهٔ و أنزل فیها حامیهٔ من الترک فبعثوا له أن یأذن لهم فی تزویج بنات أهل الذمهٔ من نصاری جزیرهٔ المدلیهٔ فأذن له فتزوج والد السید حسن خیر الدین بامرأهٔ منهم فولدت له عروجا و هو الأکبر و خیر الدین و إسحاق. فخیر الدین هو سبب سعادهٔ الترک و انتشار صیتهم بالمغرب فکان وجهه للصباحهٔ و لسانه للفصاحهٔ، و یده للسماحهٔ، و عقله للرجاجهٔ. و کان بالغایهٔ القصوی فی الزهد و الورع و الإنابهٔ

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۵۲

و التقوی، و لم یقبل الملک حتی قیل له أنه واجب علیک. و کان یری النبی صلی اللّه علیه و سلم فی المنام کثیرا و کانت له مکاشفهٔ کثیرهٔ حتی أن البعض من الناس أراد اغتیاله بمداخلهٔ غلام له فکوشف له عن ذلک و انتقم منه فی الحین. و حاصل الأمر أن المؤرخین لهم اضطراب کثیر فی بشاوات الجزائر ما بین مقلل و مکثر و مقدّم و مؤخر. فقال الحافظ عبد الرزاق بن محمد بن أحمادوش الجزائری فی تاریخه:

(ص ۱۸۷) أولهم إسحاق تولی سنهٔ خمسهٔ عشر من العاشر،/ ثم أخوه عروج سنهٔ ستهٔ عشر و تسعمائهٔ. ثم أخوهما خیر الدین سنهٔ اثنین و عشرین و تسعمائهٔ. و لا یخفاک ضعفه لکون الصحیح أولهم خیر الدین کما مر المتولی علی الصحیح سنهٔ خمس و عشرین و تسعمائهٔ المتوفی سنهٔ ست و ستین من العاشر بعد ما ملک إحدی و أربعین سنهٔ ثم حسن سنهٔ إحدی و أربعین و تسعمائهٔ. ثم حسن أیضا سنهٔ اثنین و خمسین من العاشر. ثم صالح سنهٔ تسع و خمسین منه. ثم محمد سنهٔ ثلاث و ستین منه. ثم حسن بن خیر الدین سنهٔ أربع و ستین منه. ثم أحمد بسطانجی سنهٔ تسع و ستین منه ثم رمضان سنهٔ أربعهٔ و ثمانین منه. ثم حسن بن قبطان سنهٔ خمس و ثمانین منه. ثم جعفر أیضا سنهٔ تسع و ثمانین منه. ثم رمضان أیضا سنهٔ تسعین منه. ثم حسن أیضا سنهٔ تسعین منه. ثم مامی سنهٔ ثلاث و تسعین منه. ثم محمد أیضا سنهٔ ثلاث و تسعین منه، ثم أحمد سنهٔ خمس و تسعین منه. ثم أخضر سنهٔ سبع و تسعین منه. ثم شعبان سنهٔ تسع و تسعین منه. ثم مصطفی سنهٔ ثلاث و ألف. ثم أخضر أیضا سنهٔ ثلاث منه. ثم مصطفی أیضا سنهٔ سبع منه. ثم حسن أیضا سنهٔ سبع منه. ثم سلیمان سنهٔ تسع منه. ثم أخضر أیضا سنهٔ ثلاث عشر منه. ثم مصطفی أیضا سنهٔ خمسهٔ عشر منه. ثم رضوان سنهٔ ستهٔ عشر منه.

ثم مصطفی أیضا سنهٔ تسعهٔ عشر منه. ثم حسن سنهٔ اثنین و عشرین منه. ثم مصطفی سنهٔ خمس و عشرین منه. ثم حسین سنهٔ سبع و عشرین منه. ثم حسن سنهٔ ثمان و عشرین منه. ثم حسن سنهٔ ثلاثین منه، ثم حسین سنهٔ اثنین و ثلاثین منه. ثم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۵۳

مراد سنهٔ اثنین و ثلاثین منه، ثم أسراف سنهٔ أربع و ثلاثین منه. ثم حسن سنهٔ ثلاث و خمسین منه. ثم حسن أیضا سنهٔ ست و ثلاثین منه. ثم أسراف سنهٔ سبع و ثلاثین منه. ثم یونس سنهٔ تسع و ثلاثین منه. ثم حسن سنهٔ إحدی و أربعین منه.

ثم یوسف سنهٔ أربعهٔ و أربعین منه ثم علی سنهٔ خمسین منه. ثم محمد سنهٔ اثنین و خمسین منه. ثم أحمد سنهٔ أربع و خمسین منه. ثم محمد سنهٔ إحدی و ستین منه.

ثم محمد سنهٔ ثلاث/ و ستین من القرن الحادی عشر. ثم عبد اللّه بلکباش (ص ۱۸۸) سنهٔ خمس و ستین منه. ثم إبراهیم سنهٔ ست و ستین منه. ثم أحمد سنهٔ سبع و ستین منه. ثم إبراهیم سنهٔ تسع و ستین منه. ثم خلیل بلکباش سنهٔ سبعین منه.

ثم رمضان بلکباش سنهٔ إحدی و سبعین منه. ثم إسماعیل سنهٔ اثنین و سبعین منه.

ثم شعبان آغا سنهٔ اثنین و سبعین منه. ثم علی آغا سنهٔ ثلاث و سبعین منه. ثم موسی آغا سنهٔ أربع و سبعین منه. ثم الحاج حسین موزمورط سنهٔ أربع و تسعین منه. و فی نسخهٔ ست و تسعین منه. ثم مصطفی باشا سنهٔ مائهٔ و ألف. ثم شعبان خوجهٔ سنهٔ واحد من القرن الثانی عشر. ثم عمر سنهٔ اثنین منه. ثم مصطفی سنهٔ ثلاث منه. ثم موسی سنهٔ خمس منه. ثم أحمد أهجی سنهٔ سبعهٔ منه. ثم حسین شاوش قارهٔ باغلی سنهٔ عشرهٔ منه. ثم علی سنهٔ اثنا عشر منه. ثم مصطفی أهجی سنهٔ ستهٔ عشر منه. ثم حسین خوجهٔ شریف سنهٔ سبعهٔ عشر منه. ثم محمد خوجهٔ بکداش سنهٔ ثمانیهٔ عشر منه. ثم کوسهٔ سنهٔ عشرین منه. ثم دالی إبراهیم سنهٔ اثنین و عشرین منه. ثم أوزن علی شاوش سنهٔ اثنین و عشرین منه و فی نسخهٔ سنهٔ أربع و عشرین منه. ثم محمد خزناجی أوزن علی سنهٔ ثلاثین منه. ثم عبدی آغا الصبایحیهٔ سنهٔ ست و ثلاثین منه. ثم إبراهیم خزناجی عبدی سنهٔ خمس و أربعین منه ثم إبراهیم خزناجی سنهٔ ثمان و خمسین منه و هنا انتهی کلام عبد الرزاق. و قال صاحب الزهرهٔ النیرهٔ أولهم عروج تولی فی خمس و عشرین من العاشر. ثم أخوه خیر الدین سنهٔ سبع و عشرین منه و لا یخفاک بطلانه مما مرّ. ثم حسن آغا سنهٔ إحدی و أربعین منه. ثم حسن بن خیر الدین سنهٔ اثنین و خمسین منه ثم حسن آغا أیضا سنهٔ ثمان و خمسین منه. ثم حسن بن خیر الدین أیضا سنهٔ تسع و خمسین منه. ثم صالح سنهٔ تسع و خمسین منه و هو غیر صحیح و الصحیح أنه تولّی سنهٔ ست و ستین منه و فتح بجایهٔ من الإسبانیین عنوهٔ یوم الأربعاء سابع

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۵۴

عشرین شوال سنهٔ ثمان و ستین و تسعمائهٔ کما أن الصحیح أن حسین بن خیر الدین تولی سنهٔ سبعین من العاشر و غزی و هران فی سنته و غزی المغرب و رجع من ملویهٔ خائبا کما مرّ. ثم محمد قرطالجی سنهٔ ثلاث و ستین منه. ثم (ص ۱۸۹) حسین بن خیر الدین أیضا سنهٔ ثمان و ستین منه. ثم أحمد/ بسطانجی سنهٔ تسع و ستین من العاشر. ثم حسن بن خیر الدین أیضا سنهٔ أربع و سبعین منه و تقدم الصحیح ثم محمد بن صالح سنهٔ أربع و سبعین منه و هو غیر صحیح و الصحیح أنه تولی سنهٔ إحدی و سبعین من العاشر و غزی المغرب تلک السنهٔ فدخل فاسا عنوهٔ یوم الأحد ثانی صفر من سنته. ثم علی العلج الملقب الفرطاس سنهٔ سبع و سبعین منه. ثم أحمد أعراب سنهٔ تسع و سبعین منه. ثم رمضان سنهٔ اثنین و ثمانین منه. ثم حسین قبطان علی سنهٔ خمس و ثمانین منه. ثم جعفر سنهٔ ثمان و ثمانین منه. ثم حسین قبطان علی أیضا سنهٔ تسع و ثمانین منه. ثم یونس سنهٔ تسعین منه. ثم رمضان سنهٔ تسعین منه. ثم حسین بن خیر الدین سنهٔ إحدی و تسعین منه ثم مامی سنهٔ ثلاث و تسعین منه. ثم محرم سنهٔ ثلاث و تسعین منه. ثم مامی سنهٔ أربع و تسعین منه. ثم دالی أحمد سنهٔ خمس و تسعین منه. ثم أخضر سنهٔ سبع و تسعین منه. ثم الحاج شعبان سنهٔ تسع و تسعین منه. ثم مصطفی سنهٔ اثنین و ألف. ثم أخضر سنهٔ ثلاث من القرن الحادی عشر، ثم مصطفی سنهٔ ثلاث منه. ثم دالی حسن سنهٔ سبع منه. ثم سلیمان سنهٔ تسع منه. ثم أخضر سنهٔ ثلاثهٔ عشر منه. ثم مصطفی سنهٔ خمسهٔ عشر منه. ثم رضوان سنهٔ ستهٔ عشر منه. ثم مصطفی کوسهٔ سنهٔ تسعهٔ عشر منه. ثم حسین سنهٔ ثلاث و عشرین منه. ثم مصطفی خزناجی حسین سنهٔ خمس و عشرین منه. ثم سلیمان سنهٔ ست و عشرین منه. ثم حسین الشیخ سنهٔ سبع و عشرین منه. ثم سلیمان سنهٔ ثمان و عشرین منه. ثم مصطفی حفید کوسهٔ سنهٔ ثلاثین منه. ثم حسین سنهٔ إحدی و

ثلاثين منه ثم إبراهيم سنهٔ اثنين و ثلاثين منه. ثم حسين بن إلياس باى سنهٔ اثنين و ثلاثين

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۵۵

منه. ثم مراد سنهٔ أربع و ثلاثين منه. ثم إبراهيم سنهٔ أربع و ثلاثين منه. ثم حسين سنهٔ أربع و ثلاثين منه. ثم أسراف سنهٔ خمس و ثلاثين منه. ثم حسن خوجهٔ سنهٔ ثمان و ثلاثين منه. ثم يونس سنهٔ تسع و ثلاثين منه. ثم حسين الشيخ/ سنهٔ إحدى (ص ۱۹۰) و أربعين من القرن الحادى عشر. ثم يوسف سنهٔ أربع و أربعين منه. ثم على سنهٔ سبع و أربعين منه، ثم حسين الشيخ سنهٔ خمسين منه. ثم يوسف قرطالجى سنهٔ خمسين منه. ثم مراد سنهٔ اثنين و خمسين منه. ثم محمد برسالى سنهٔ اثنين و خمسين منه. ثم أحمد سنهٔ أربع و خمسين منه. ثم عمر سنهٔ أربع و خمسين منه. ثم مراد سنهٔ ست و خمسين منه. ثم يوسف سنهٔ سبع و خمسين منه. ثم على أبو صبع سنهٔ إحدى و ستين منه و كانت توليته يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس بنحو الساعتين سادس عشرين صفر ثم عزل و توفى سنهٔ ثمان و ستين منه بعد مدهٔ من عزله. ثم محمد سنهٔ ثلاث و ستين منه. ثم محمد أبو شناق سنهٔ خمس و ستين منه. ثم أحمد سنهٔ خمس و ستين منه ثم إبراهيم سنهٔ ست و ستين منه. ثم الحاج أحمد سنهٔ ست و قيل سبع و ستين منه. ثم إبراهيم سنهٔ سبع و قيل ثمان و ستين منه. ثم على سنهٔ تسع و ستين منه. ثم مصطفى سنهٔ إحدى و سبعين منه.

ثم إسماعيل سنهٔ اثنين و قيل ثلاث و سبعين منه. ثم خليل سنهٔ ثلاث و سبعين منه. ثم رمضان سنهٔ أربع و سبعين منه. ثم إسماعيل سنهٔ خمس و سبعين منه ثم رمضان سنهٔ أربع و سبعين منه. ثم إسماعيل سنهٔ خمس و سبعين منه. ثم الحاج على آغا سنهٔ ست و قيل سبع و سبعين منه. ثم محمد سنهٔ تسع و سبعين منه. ثم التريكى سنهٔ ثلاث و ثمانين منه. ثم بابا حساين سنهٔ ثلاث و ثمانين منه. ثم حسين موزمورط سنهٔ أربع و تسعين منه. ثم إبراهيم خوجهٔ موزمورط سنهٔ سبع و تسعين منه. ثم الحاج شعبان خوجهٔ سنهٔ مائهٔ و ألف ثم عمر سنهٔ واحد من القرن الثانى عشر. ثم موسى سنهٔ ثلاث منه. ثم شعبان خوجهٔ سنهٔ خمس منه ثم الحاج أحمد سنهٔ خمس و قيل ست منه ثم قارهٔ على سنهٔ تسع منه. ثم حسن شاوش سنهٔ عشر منه. ثم على سنهٔ إحدى عشر منه. ثم بابا الحاج مصطفى أهجى سنهٔ اثنا عشر و قيل ثلاثهٔ عشر منه. ثم حسين خوجهٔ شريف سنهٔ سبعهٔ عشر منه. ثم محمد بكداش خوجهٔ سنهٔ ثمانيهٔ و قيل تسعهٔ عشر منه. ثم دالى إبراهيم باى سنهٔ اثنين و عشرين منه. و هنا انتهى/ كلام الزهرهٔ النيّرهٔ. ثم بابا على (ص ۱۹۱)

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۵۶

سنهٔ اثنين و عشرين من القرن الثانى عشر. ثم بابا محمد سنهٔ ثلاثين منه. ثم بابا عبدى سنهٔ ست و ثلاثين منه. ثم إبراهيم أفاندى سنهٔ أربع و أربعين منه ثم إبراهيم خوجهٔ سنهٔ ثمان و خمسين منه ثم محمد سنهٔ إحدى و ستين منه. ثم على سنهٔ ثمان و ستين منه. ثم محمد سنهٔ تسع و سبعين منه. ثم حسين سنهٔ ثلاث و قيل خمس من القرن الثالث عشر. ثم مصطفى سنهٔ اثنا عشر منه ثم أحمد سنهٔ عشرين منه. ثم على سنهٔ ثلاث و عشرين منه. ثم الحاج على شريف سنهٔ أربع و عشرين منه. ثم محمد سنهٔ ثلاثين منه. ثم عمر آغا سنهٔ ثلاثين منه. ثم الحاج محمد سنهٔ اثنين و ثلاثين منه. ثم على سنهٔ اثنين و ثلاثين منه. ثم حسين سنهٔ ثلاث و ثلاثين منه. و هو آخرهم و عليه قامت الدولهٔ التاسعهٔ كما يأتى.

و كان الباشالار يأتى على يد الخليفهٔ الأعظم من إسطنبول من أولهم خير الدين بن المدليهٔ إلى عبد اللّه بلكباش سنهٔ خمس و ستين من القرن الحادى عشر كما مرّ فترك ذلك. و صار الباشالار تتفق عليه الأتراك و يقيمونه من الجزائر لا غير.

و أول من أقيم من الجزائر عبد اللّه بلكباش . و لما فتح مصطفى أبو شلاغم ابن يوسف المسراتى و هران كما مرّ. انتقل لسكناها من المعسكر فسكنها بأهله و صيّرها دار ملكه فهو أول باياتها الثمانيهٔ الآتى ذكرهم إن شاء اللّه تعالى و استقر بها إلى أن جاءها العدو السبنيول مرّهٔ ثانيهٔ.

عودهٔ وهران لحكم الدولهٔ السابعهٔ الإسبانيهٔ

ثم رجع ملك و هران للدولة السابعة الإسبانيين (كذا) فملكها سلطانهم ألوى دابوربوا و ذلك أنه تولى سنة إحدى و أربعين و مائة و ألف و سلم فى الملك تلك السنة لابن عمّه فيليب الخامس المار فبقى فى الملك المرة الثانية

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۵۷

اثنين و عشرين سنة. و فى السنة الثالثة من توليته و هى سنة ثلاث و أربعين و مائة و ألف جهّز يعنى فيليب لغزو و هران جيشا عظيما فدخلوها/ عنوة و ذلك بعد موت (ص ۱۹۲) الباشا بكداش رحمه اللّه و فى حياة الباى مصطفى أبى الشلاغم. و لما جاءها العدوّ خرج لقتاله الباى مصطفى أبو الشلاغم المسراتى فى جيش جليل و نشب الحرب معه بمناوشة قليلة قتل فيه النزر من جيشه و استشهد فيه على بن مسعود المحمودى الحشمى و حصلت الهزيمة فى جيشه فلجأ الباى إلى بنى عامر فخذلوه و لما رأى (كذا) ذلك أخذ أهله و أصحابه و أسلمها للعدوّ و ذهب لمستغانيم فصيرها دار ملكه و مكث بها بعد إقامة المسلمين بوهران أربعة و عشرين سنة فأخذها النصارى فى المرة الأولى بمالها و أهلها و أخذوها فى المرة الثانية بأكثر ما فيها من الأموال و نجت الأنفس. و إلى وقت خروج المسلمين منها و كم بقوا بها و دخول النصارى لها أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

من بعد عشر و عشر ثم أربعةعادوا إليها قرة أعين النعس

فملكوها بلا كبير ملحمةلاكن فى الأولى بخدعة متحيس

فمرّتين ابتاعوها غير غاليةكيف يباع ثغر و هران بالبخس

أتوها طورين انتقدوها عامرةوعد عليها إليهم غير منحبس

خلا لها الجوّ صرفا و اطمأنّوا بهاو قد تخلّت للكفر جلوة العرس

يا له من ثغر أضحى لها جزراللنائبات و الجدّ منه فى التعس

مدينة العلم و الإيمان حلّ بهاما حلّ بالحصن من الخبس و الخبس

من كل شارقة الإلمام بارقةمأتمها عاد للأعداء كالعرس

تقاسم الروم لا نالت مقاسمهمغرّ عقائلها المحجوبة النفس

كانت حدائق للأحداق مونقةفصرخ النصر فى الأدواح بالدحس

محى محاسنها طاغ أتيح لهااكتحل السهر لها مكثر الجوس

ما سهى عن هضها حينا مذ حاربهاو لا مكثّر للتوانى و النّعس

صارت تدور لناطورا واعدئيناو كلّما وعدتنا فهو فى ركس

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۵۸

و لا زال أبو الشلاغم رحمه اللّه بمستغانم منذ دخلها إلى أن مات بها فدفن (ص ۱۹۳)/ بالمطمر منها و على ضريحه قبّة.

عودة إلى تاريخ ملوك إسبانيا

ثم فردينة السادس تولى سنة ثلاث و ستين و مائة و ألف و بقى فى الملك ثلاثة عشر سنة. ثم كارلوص الثالث تولى سنة ستت و سبعين و مائة و ألف و بقى فى الملك تسعا و عشرين سنة إلّا أن نصارى و هران من حين الفتح الأول انكسرت شوكتهم عن الغزو العظيم للمسلمين و عرفوا قدرهم لكن (كذا) رعبهم لم يذهب من قلوب المسلمين بعد ذلك الفتح فأحرى بعد رجوعهم لها. قال الشيخ الحافظ المحقق أبو زيد عبد الرحمن الجامعى التلمسانى فى شرحه لرجز الحلفاوى: كنت وفدت عقب الفتح بقليل على العالم العلامة الداركة الفهامة، الدراية النقاد، سراج التحقيق الوقاد، منهل العلوم الأصفى أبى عبد اللّه سيدى محمد المصطفى القلعى الرماصى، تجاوز اللّه عنا و عنه يوم الأخذ بالنّواصى فوجدته يسكن بأهله ببيوت الشعر قرب غابة فى رأس الجبل يأوى إليهم ليلا و

یظل نهاره فی دار یطالع کتبه و یقری (کـذا) طلبته فسألته عن ذلک فقال لی کنّا علی هذه الحالة علی عهد النصاری خوفا منه لأننا کنا لا نأمن فی الدور من أن یصکّونا لیلا فخرجنا لبیوت الشعر لیسهل علینا الفرار إلی غابة الجبل فنمتنع منهم. فانظر إلی أین بلغ بالمسلمین خوف أولائک الطواغیت و لا یعرف حلاوة الإیمان إلّا من ذاق مرارة الخوف. ثم أن کارلوص المذکور جهّز جیشا عظیما فی خمسمائة مرکب لغزو الجزائر فغزوها سنة تسع و مائة و ألف فی ولایة الباشا محمد فخرجوا و نزلو بإزاء الحراش فی البر و جعلوا ترسا من حطب و لوح و غیر ذلک و بنوا برجا فی لیلة واحدة یقال له الآن برج مولای حسن و وافق ذلک قدوم البای صالح من قسنطینة للجزائر لدفع لزمة الصوف و هی محمولة علی الإبل فقدم تلک الإبل أمامه و جعلها سورا بین المسلمین و الإسبانیین و اجتمعت إلیه القبائل و الأعراب مع جیش الجزائر فأوقدوا نار الحرب و اشتد القتال و حمی الوطیس طلوع سعد السعود ؛ ج۱ ؛ ص۲۵۸

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۵۹

و بات النصاری لیلتهم فی موضعهم فلما کان قبیل صبیحة یوم الأحد رجعت الدائرة علیهم و هزمهم اللّه و کسرت لهم/ السفن و فشا فیهم القتل و الجراحات (ص ۱۹۴) و أثخن فیهم المسلمون إثخانا عظیما إلی أن علا دمهم علی البحر و مات منهم ما لا یحصی عدده إلا اللّه تعالی و رجعوا مغلولین خائبین لم ینالوا خیرا و استشهد من المسلمین نحو أربعمائة جعلت لهم مقبرة بإزاء عین الربط و بقیت عظام النصاری ماثلة فی رمال الحراش أعصرا و قد حضر لهذه الواقعة المنصور باللّه أبو الفتوحات سیدی محمد بن عثمان بای الإیالة الغربیة و تلمسان ثانی بایات و هران، بعسکره فظهر من إقدامه و اعتنائه مقامات تعدّ من مفاخر دولته و ذکر أنه آخر الأیام. ثم غزوها أیضا سنة سبع و تسعین و مائة و ألف فهدموا بالبونبة أزید من مائتی دار و طلبوا الصلح فلم یجابوا و رجعوا خائبین. ثم غزوها أیضا السنة التی بعدها فزحف لهم المسلمون فی البحر و ردوهم علی أعقابهم فرجعوا بلا طائل. ثم جاؤها أیضا سنة تسع و تسعین من القرن المذکور طالبین الصلح فی الحال، باذلین القناطیر من الأموال، راضیین بدخولها للتجر لما أیّسوا من الظفر و قدموا فی ذلک علجة علی عادتهم فانبرم الصلح بینم و بین المسلمین کل ذلک أیام الباشا محمد دولاتلی مات رحمه اللّه سنة خمس من القرن الثالث عشر أیام السلطان سلیم ابن السلطان مصطفی العثمانی. و الحاصل أن الجزائر کانت قبل بنا بلکّین الصنهاجی لها اخصاصا و کان بنوا مزغنة و أکثر متیجة یؤدون الخراج للإسبانیین و لما بناها بلکّین الصنهاجی و حصنها بالأسوار و أنزل بها الجیوش قصرت النصاری عن عادتهم و رضوا بدل الخراج بالبیع و الشراء معهم و هم ببرج المرسی الذی بالبحر.

و لم یزل خیر الدین لما تولی یحاصره و یقاتله و یصالحه إلی أن فتحه عنوة سنة ثمان و أربعین و تسعمائة کما مرّ و أول غزو النصاری لها بعد استیلاء الأتراک علیها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۶۰

سنة خمس و عشرین و تسعمائة فی ثلاثمائة و عشرین جفنا فهزمهم اللّه بعد ما قتل منهم خلق کثیر یزید علی عشرة آلاف و غزوها مرة أخری أیام (ص ۱۹۵) خیر الدین أیضا فهزمهم/ اللّه و أسر المسلمون نحو الثلاثة آلاف. ثم غزاها الطاغیة بنفسه و هو کرلوص شارل الأول لما استولی المسلمون علی بر المرسی بها و ذلک سنة ثمان و أربعین من العاشر فی زهاء سبعمائة سفینة فبعث اللّه علیهم ریحا کسّرت لهم أکثر مراکبهم و من خرج منهم للبّر قتل حتی أن الطاغیة رجع فی اثنا عشر مرکبا و کل هذا أیام خیر الدین رحمه اللّه و مرّ الکلام علی هذا مستوفیا غایة. و نظیر هذه الغزوة غزة قسطنطین بن هرقل ملک الروم لما أخذت الإسکندریة و استولی علیها المسلمون و علی کنیستها العظمی و قد کان المسلمون أخذوها قبل ذلک فی خلافة سیدنا عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه ثم رجع لها النصاری بعد أول خلافة سیدنا عثمان بن عفان رضی اللّه عنه فأخرجوا منها و حلف عمر بن العاصی (کذا) لیترکنها کبیت الزانیة تؤتی من کل جهة فلما سمع قسطنطین بهدم حصونها غزاها فی ألف مرکب فی الشتاء فغرّقتهم الریح کلهم إلّا مرکبه نجا لصقلیة فأدخلوه الحمام و وثبوا علیه فقتلوه جزاء له علی فعله و غزوه فی ذلک الفصل. ثم غزوها سنة سبع و ستین و تسعمائة و لم تحصل لهم فایدة و رجعوا خائبین. ثم غزوها الغزوات الثلاثة المارة و هی سنة تسع و ثمانین من القرن الثانی عشر ثم السنة التی بعدها ثم سنة تسع و تسعین منه و

هى ذات الصلح و تقدم هذا كله مستوفيا .

التحرير الثانى و النهائى لوهران و المرسى الكبير

ثم فردينة السابع تولى سنة خمس و مائتين و ألف و بقيت و هران تحت حكمه و فى وقته جهّز لها من قيّضه اللّه لفتحها و أرشده لسعادتها و نجحها الممتطى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۶۱

منصة الرضوان و المشيد رايات الإيمان و الباسط مهد العدل و الأمان، الباى السيد محمد بن عثمان، باى الإيالة الغربية و تلمسان أتحفه اللّه برضاه، و جدد له اللطف و أمضاه سنة خمس و مائتين و ألف من هجرة من حاز للكمال و الشرف و الوصف، جيشا حصل له به النصر و السرور و الاطمئنان (كذا) فخرج به من المعسكر قاصدا بحول اللّه و قوته فتح و هران و قدم أمامه/ البارود فى عدّة صناديق و جعله ذخرا ببرج (ص ۱۹۶) شلابى التركى بوادى سيق. ثم نزل بجيشه بوادى الحمام و رحل منه مرتجيا النصر له من المالك العلام. فنزل بسيق و هو كالليث الضرغام و ارتحل بقصد قتال النصارى بغير الملام. فنزل بوادى تليلات و اشتاقت نفسه لدخول روضات الجنات ثم ارتحل من الغد و هو بفعله كالغانج فنزل بوطاء وادى الهايج، و اجتمعت عنده الأعراش بالتمكين و جاءه المخزن و النصر بلوح عليه من رب العالمين. و كان الوقت وقت الحصاد، و الذى فيه تجمع قوت سنتها سائر العباد، فتفاوضوا معه فى الأمر و تشاوروا، و تجاوبوا معه فى القول و تحاوروا، و قالوا له يا نعم الأمير الرأى الذى لنا و لك فيه العزّ المنيف، أن تدع هذا القتال و تؤخره إلى وقت الخريف، لتذهب الناس لجمع عيشها، و تتفرغ لقتال العدو بجيشها، فأجابهم بقوله رأيكم فيه الحكمة و الصواب و لاكن (كذا) أنتم و نحن فى رأى الأولياء و العلماء أولى الألباب فهم أدرى بالأمور، و بإشارتهم يكون الفوز و السرور فبعثوا فورا للولى الشهير، بسيدى محمد أبى دية الضرير، و هو بزاويته بجبل تاسّالة، فأتوه به فى أكمل حالة لحالة كمّاله، فاجتمع هو و أعيانه به فشاوروه، و تردّد القول بينه و بينهم و حاوروه، فقا الولى لهم قولته الكاملة أنك لا تفتحها فى سنتك هذه و إنما تفتحها فى محرم السنة القابلة. فسّر الباى و فرح و اطمأن قلبه و انشرح. و كان الباى معتمدا على كلام الولى الصوفى سيدى الأكحل ابن عبد اللّه الخلوفى و كان أبو دية مأذونا له فى الكلام، و مشهورا بذلك عند الخاص و العام، حتى صار يقول من أبى دية الخبّار، لم يبق من يعط الأخبار.

و عند موته باع الولاية لأبى عمامة، فقام مقامه فى التكلم بأحسن استقامة، و لما سمع الباى كلام أبى دية ارتحل من حينه و لأمّ عسكر رجع. و صار يراصد الوقت الذى له أنفع، و لما دخلت سنة ست من الثالث عشر بالإثبات قدم لفتحها فى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۶۲

مائة فسطاط إلى أن نزل بوادى تليلات. و بها جاءه وليّ بهلول من غير خلف من أولياء اللّه المفتوح لهم حجاب الكشف و صار يدور فى المحلة و يقول يا أمير (ص ۱۹۷) المؤمنين/ إذا أردت أن تفتح و هران فجىء لها (كذا) على طريق جنين مسكين، و كان الجنين ببلاد أولاد على قريبا إليه، فلما سمع الباى ذلك أحضره لديه، و قال له أيها السيد ماذا نقوله فى مقالك فقال له القول هو ذلك، و إلا فأيّس من فتحها بتحقيق الخبر، فساعده الباى و رجع للمعسكر ثم خرج بمحلته المنصورة و نزل بحمام أبى الحنيفة ثم بالزفيزف و بعده بالقعدة، فنزل بجنين مسكين، و قلبه مطمئن بالفتح آمين، ثم تقدم لتليلات، فجاءه الولى بها بالبشارات قائلا له إنك تفتحها بإذن اللّه. و يكون لك فيها العزّ و الجاه، ثم ارتحل و نزل بالضاية، قبلتها فى صحيح الرواية، ثم ارتحل و نزل عليها و حاصرها، و ضايقها شديدا و قاهرها.

و كان القتال له عليها مترادفا، و الحصار لها من كل جهة متخالفا، و حضر لقتاله بها عدد من الطلبة يزيد على الخمسمائة، رائسهم (كذا) الشيخ محمد ابن المولود المخيسى المعدد لهم عدد الحيسى، و فيهم العلامة الأجل، المازونى صاحب الحاشية على الخرشى المسمّة بدرة الحواشى، فى حلّ ألفاظ الخراشى، و قد باشر هذا الأمير حربها بنفسه، مدخرا ثواب ذلك لرمسه، و لم يكن رحمه اللّه و

أدام وجوده، و خلّد ذكره و وفى معهوده، إلا فى محلته المعهودة له فى سائر الأيام و هى مائة فسطاط، و لم يمده محمد باشا بمدد يظهر منه فى هذا الأمر النشاط و قد توفى هذا الباشا أثناء الحصار و تولى بعده حسن باشا فى صحيح الأخبار، فأقرّ الأمور على ما كان عليه و لم يزده حامية إلا ما كان لديه، حتى فتح اللّه هذا الفتح المبين، الذى أضاء به للإسلام الجبين، و تبسّم به فى الثغر وجه الدين بعد عبوسه و استبدل النعيم بعد ضنكه و بؤسه، لا كما وقع للسيد مصطفى أبى الشلاغم ابن يوسف المسراتى فى فتحها الأول المزيل به لكربها، فإن الباشا محمد بكداش رحمه اللّه وجّه له من الجزائر الجيوش لحربها، و أمّر عليها من عرفت نجدته، و ظهرت فى المضايق شجاعته و شدته، رديفه و وزيره و صهره و خبيره السيد أوزن حسن رحم اللّه الجميع برحمته التى ليس فيها ثبط و الأمير (ص ۱۹۸) مصطفى فهو/ على محلته فقط. و تحرك لها الأمير محمد فى العام الثالث عشر من ولايته، رايما النجح (كذا) و التوفيق من اللّه فى عمله و سعايته. و رأيت فى بعض

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۶۳

التقاييد أنه من حين قصدها فى العام الخامس. لم يرجع عنها إلى أن أكمل له الأمر بالفتح و اندحض كل جالس. و قد أفرد ابنه الأمير عثمان فى هذا القتال، بمحلة فكثر منها على الأعداء النّزال و صار الحرب بين الأمير و النصارى سجال.

و قد أثخن الطلبة فى النصارى إثخانا عظيما حل به على النصارى التبديد و النكال. يقال فى صحيح الحكاية الموذنة للنصارى بالنكاية. أنّ من شدة قتال الطلبة للنصارى، تقدموا لهم من غير توان و لا قصارى إلى أن سبق طالب لنصرانى و ارتمى على ظهره، و لم يخش من بأسه و مكره، بل صيّره لنفسه مطيّة، و قال هذا إلىّ من اللّه عطية. و كان الطالب لطيفا، و فى جسمه نحيفا، فذهب به ذلك النصرانى و هو على ظهره فارا للمدينة، و ترك القتال و حلّت به الغبينة لم ينزل الطالب عن ظهره، و لا حاجة له فى نهبه و أمره، و إنما استخرج من جيبه سكينا صغيرا و صار يجرحه به تجريحا مترادفا كثيرا، و النصرانى لا يبالى بذلك و قصد به البلد، و لما رأى بعض الطلبة ذلك جرى فى أثره بالقوة و الجد، إلى أن لحقه فضربه للعراقيب بالسكين فخر النصرانى صريعا و قرب أجله فى الحين، فقتله الثانى و اجتزّ رأسه و أتيا به معا لمحلتهما فى غاية الاقتباس، و كل ما فعلاه فهو لمرءات الناس.

و يحكى أن الطبجية الذين بمرجاجوا حققوا النيشان بغير اشتباه، و ضربوا بكورهم فسطاط الأمير و هو بوسطه فكسروا ركيزته، و نجاه اللّه، فجاء أحد الطبجية الذين بمحلة الأمير إلى محل اختاره و هو فى غيظ كبير، و جعل نيشانا صحيحا نحو المدفع الذى جاءت منه الكورة، و كوى مدفعه فذهبت منه بسرعة الكورة، إلى أن دخلت جوف المدفع الأول فعطّله و نال حالة مشكورة، قيل و لم يخدم ذلك المدفع المعطل للآن. و رحل الباى من منزله و نزل بالمبرك غربى و هران، و لا زال رحمه اللّه يحرض النّاس على قتالها، و يتقدم لفتحها و زوالها فعدل نصره اللّه عن طرق عواقبها، فلم يعتبرها و لم يعبأ بثواقبها، و لم يلتفت لقول المرجفين من أنها ذات بأس شديد، و جند كثير/ عتيد، و أنّ اعتناءه بها فهو (ص ۱۹۹) من قبل اللعب و اللهو، لكونها أمنع بعقاب الجو، و أن عاقبة أمره معها عدم الظفر بها و قتل جنده بلا طائل، لا حصول قوة و نايل، بل نبذ ذلك كله وراء ظهره، و لم يعمل إلا برأيه و أمره و لم يستشر فى ذلك أحدا خوفا من تثبيطه و عدم شدته

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۶۴

و تنشيطه، لما فيه من رشده و نجحه سوى سيفه و رمحه، و دام حصاره لها بالقتل، الصادر منه و من جنوده، و شدة صواعقه و مدافعه و كوره و باروده، إلى أن فتحها فى أوائل المحرم سنة ست من القرن الثالث عشر بقتاله الذريع، و دخلها فى اليوم الخامس من رجب الفرد ضحى يوم الإثنين من سنته فى فصل الربيع. و قد أقام النصارى بها فى هذه المرة الثانية التى صارت بعد الفتح كالسنة ثلاثا و ستين سنة، و فى الأولى خمسا و مائتى سنة، و لما دخلها فى ذلك اليوم المبارك، أناخ بها راحلته و لا له فيها معاند و لا مشارك.

و اختلف فى كيفية فتحها على ثلاثة أقوال: قال بعضهم أن الأمير فتحها عنوة و دخلها بعد الزوال. و قال آخر أنها فتحت بشدّة الزلازل الحالة بها فى كل حين ففرّ منها النصارى دون علم من المسلمين و لما ذهب لها الطلبة ليلا للاختلاس و التجسيس. لم يجدوا أحدا

عند أبوابها و لا بها حس و لا حسيس.

فتسوروا عليها من جهة رأس العين و دخلوها، فوجدوها خاوية على عروشها ثم جالوها مفرقى أحدهم المنارة و رجع صوته بالأذان. و كان جهير الصوت ذا تطريب و ألحان، فسمع المسلمون ذلك و تحققوا من الطلبة أنقامهم، فأتوها و الأمير المؤيد بالنصر أمامهم، فألفوا الطلبة مقبلين على تلاوة القرآن، فدخلها الأمير رحمه اللّه فى أمن و آمان.

و قال الحافظ أبو راس أن أمير المؤمنين السيد محمد بن عثمان باى الإيالة الغربية و تلمسان، لما ضايق و هران أشد التضييق، سأل منه النصارى السلم و التوثيق، و راودوه عليه فأعطاهم الأمان، على أمتعتهم و أنفسهم من غير امتهان، (ص ۲۰۰) فذهبوا منها و تركوا كل ما فيها للأمير فأخذه منهم بالقيمة بلا تجميح،/ و قيل تركوها خاوية و الأول منهما هو الصحيح.

قال الحافظ أبو راس فى السينية:

حتى تداركها اللّه برأفتهمن بعد ما مضى لها مدة العنس

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۶۵ بتقليد المغرب الوسط لعمدتناأضاء شمسه بعد حالك القلس

ملك تقلدت الأملاك سيرتهدنيا و أخرى تراه محسن السيس

مؤيد لو رمى نجما لأثبتهو لود عاد بلا لبّ و ما احتبس

شهم شجاع بحزم الملك متّزرو مرتد النصر و فى الحلم ذو طخس

فملك آل منديل تحت سلطانهقد كان مدّ من واجر إلى تنس

كذاك ملك تجين فى إيالتهكذا الجدار القديم المتقن الأسس

ملك لآل يغمور فيه نصرتهمكذاك ملك ابن يعلا اليفرينى الرئيس

لشعنب و مصاب مدّت طاعتهعلى مسافات شتّى من أبى الضّرس

فمهّد الكل برخص و عافيةقد آمنوا كلهم عواقب الفلس

محمد بن عثمان نجم سعدهمرصد من كلّف يصع و من سجس

مدة ست و سبع من إمارتهحلّ بأهل و هران الويل فى التعس

عمّر كل مرصد كان مسلكهمبالخيل و الراجل مع حلق العسس

طلبة أثخنوا فيهم و عاثوا فلاتفسهم بقيس عبس و لا بيهس

أحيوا مراسم عفت من شيوخهمأحمدا و محمدا و ابن يونس

سنة خمس أتى لها بكلكهجند عظيم ما بين الشهم و الحوس

مدافعا و عرادات أحاط بهاكأنها بينهم كحلقة الجلس

يكاد يصدع الشامخات باروده‌رعد سحاب مديم الصعق و الجرس

يفنى الفناء و لا تفنى له حروب‌كأنّه من صروف الدهر لم تيس

يشيب من حربه رأس الغراب و لايشيب رأس نهار دايم الغلس

يسودّ مبيض وجه لرجاه- و لاييبضّ مسوده من شدة الدمس

بنقع خيله و دخان باروده‌يوم حليمة أو كرج لأرمنس

فحار بطريقهم من بأسه فرقاو قلبه مملوء بالرعب و الوجس

/ أخبارها قد طارت فى الأرض قاطبةلقتنا فى أمدوجات من ورا قابس

(ص ۲۰۱) أوبة حجّنا فقلنا هنيئا لناوصلنا حجّ جمع بالجهاد النفس

وجدنا سوسة و المنستير قد سمعامدينة اللخمى و جربة مع تونس

عدة أشهر الحرب يساجلهاطالع سعد له عليهم بالنحس

فطلبوا السلم من بعد مراودةفأعطوا الأمان على الأمتع و النفس

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۶۶ فكانت مدتهم فى هذه كمجرى بذا القلم قدما فى الطّرس

هم يخربون بيوتهم بأيديهمفاعتبروا يا أولى الأبصار و النفس

بنوا النضير فى المشر سبقوهم بذافكيف بالروم بفعل اليهود تس

نصارى و هران تركوها عامرةفالحمد للّه آمنا من الهجس

بأبى عثمان و عثمان قد رجعاإلينا ما يسلّى عن أرض أندلس

رماهم اللّه بالملك أميرنارميهٔ سهم أتتهم على غير قس

أقام أحوالا للأعدا منوّعةبالمكر و الكيد و الأنفاض و الدسس

إلى أن قال:

فى خامس الفرد ضحى يوم اثنينه كان الدخول بعون الملك القدّس

سنة ستّ ثم الحمد لخالقناوصل أيضا على المنقى من الرجس

و قال فى بقائهم بها فى الأولى كما مرّ:

ففتحت عنوة فى تسع عاشرةمن بعد سكنى؟؟؟ و الدين فى وكس

و لما اصطلح الأمير محمد بن عثمان مع نصارى و هران، على رفع القتال (ص ۲۰۲)/ عنهم يخرجون منها فى أمان، صاروا يخربون بنيانها بالألغام. نكاية منهم للمسلمين بالاحتكام، كفعل بنى النضير أحد فرق اليهود الذين بإزاء المدينة المنورة، لما عزموا على الجلاء بالمشتهرة لما حاصرهم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم تسليما، و شرفه و كرمه تشريفا و تكريما.

ثم أن و هران لما منّ اللّه تعالى بمنه و فضله على المسلمين بفتحها من الإسبانيين بالبيان، على يد الأمير المؤيد بنصر اللّه السيد محمد بن عثمان، باى الأيالة الغربية و تلمسان، طار خبرها للمشارق و المغارب و حصل السرور للمسلمين الأباعد و الأقارب، و استبشروا بالفوز و الربح و النجح و الحبور، «و قالوا الحمد للّه الذى أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور».

من اخترع البارود؟

قال شيخنا الزيانى فى دليل الحيران و اختلف فى أول من عمل البارود على ثلاثة أقوال. فقيل اخترع ببر الصين فى الزمان القديم و نقله المسلمون عنهم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۶۷

لهذه الأماكن و قيل اخترعه الروم لما نزلوا بقرب تونس لأخذها فى سنة تسع و ستين و ستمائة و قيل أحدث فى نيف و ستين و سبعمائة أحدثه حكماء المسلمين و هو المشهور و ذلك أن حكيما كان يعالج صنعة الكيمياء فعالج ذلك ففرقع له فأعجبه فاتخذه لآلة الحرب و هو قول الحافظ البنانى فى حاشيته على الزرقانى فى باب الذكات و الحافظ أبى راس فى كتبه و الحافظ الرباصى على العمل الفاسى. و أما المدافع و البنادق فأحدثهم النصارى بإسبانيا و إفرانسا سنة أربعين و سبعمائة.

تتميم لملوك/ الإسبانيين

(ص ۲۰۳) ثم ززاف الفرانسوى صنو سلطان الفرانسيس (كذا) نابليون بونبارت (كذا) تولى سنة خمس و عشرين و مائتين و ألف و بقى فى الملك خمس سنين. ثم فردينة السابع تولى مرة ثانية سنة ثلاثين و مائتين و ألف و بقى عشرين سنة. ثم إيزابلة الثانية تولت سنة خمسين و مائتين و ألف و بقيت فى الملك خمسا و ثلاثين سنة. و فى سنة ست و سبعين و مائتين و ألف جهزت جيشا لغزو تيطاون بهذه العدوة من المغرب الأقصا (كذا) فحصل بينهم و بين المسلمين قتال ذريع ثم استولوا عليها و بقوا بها نحو ثلاثة أشهر ثم خرجوا منها مختارين على أخذ مال معيّن من سلطان المغرب. ثم صار حكمهم للجماعة الجمهورية الشورية بينهم سنة خمس و ثمانين و مائتين و ألف و بقوا على ذلك سنتين. ثم أمادى تولى سنة سبع و ثمانين و مائتين و ألف و بقى فى الملك

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۲۶۸

ثلاثة أعوام. ثم رجع حكمهم جمهوريا أيضا مرة ثانية سنة تسعين و مائتين و ألف و بقوا عليه سنتين أيضا. ثم الفونص الثانى عشر و تسمّيه (كذا) المسلمون الفنش تولى سنة اثنين و تسعين و مائتين و ألف و بقى فى الملك عشرة أعوام و مات ملكا. ثم ابنه الفونص الثالث عشر تولى يوم موت أبيه و هو عام اثنين و ثلاثمائة و ألف و هو طفل صغير فى كفالة أمه فهى المديرة لحكمه و هو الموجود الآن فى الملك و اللّه يؤتى ملكه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

قائمة أباطرة الرومان

(ص ۲۰۴)/ و جملة ملوك الروم المشتهرين قبل الإسلام إلى أن ظهر الإسلام، ستة و خمسون ملكا. و أول من اشتهر منهم غانيوس ثم يوليوس ثم أغسطس و أصله بشينين معجمتين ثمّ عرب بسينين مهملتين و لقبه قيصر و معناه بلغتهم المبقور عنه لأن أمه ماتت بالطلق فأبقر عليه و أخرج فلقّب بقيصر و صار لقبا لملوك الروم و كان يفتخر به فيقول إنى لم أخرج من الفرنج كغيرى ثم طيباربوس ثم غانيوس ثم قلوذونس ثم نارون ثم ساسيانوس ثم طيطوس و ملك سبعة أعوام و غزى اليهود و أسرهم و باعهم ثم ذو مطينوس ثم نارواس ثم طرايانوس و قيل غراطيانوس ثم إذريانوس و مات مجذوما ثم أنطونينوس الأول ثم مرقوس و قيل قوموذوس و شركاؤه فى المملكة ثم قوموذوس و خنق نفسه فمات بغتة ثم فرطنجوس ثم سيوارس ثم أنطونينوس الثانى ثم الإسكندروس ثم مكسيمينوس ثم غورذ بانوس ثم دقيوس و يقال له دقيانوس ثم غاليوس ثم علينوس و لريانوس و قيل اسمه و لوسينوس ثم انفرد و لريانوس بالملك ثم قلوذيوس ثم أردفاس و قيل أورليانوس و مات بصاعقة ثم قلرونوس ثم قاروس ثم دقيطيانوس و هو آخر عبّادة الأصنام من ملوك الروم ثم قسطنطين المظفر و مات تابعا لدين المسيح عليه السلام بعد ما ملك إحدى (ص ۲۰۵) و ثلاثين سنة فى منتصف سنة ست و عشرين و ستمائة/ للإسكندر و لما مات انقسم

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۲۶۹

ملكه بين أولاده الثلاثة، و كان الحاكم عليهم منهم قسطس ثم لليانوس و ارتدّ إلى عبادة الأصنام و قاتل سابور ذا الأكتاف و انتصر عليه ثم قتل فى أرض الفرس بسهم ثم يونيانوس و اصطلح مع سابور ذى الأكتاف ثم و النطيانوس ثم أنونبانوس ثم خرطيانوس ثم ثاودسيوس الكبير ثم أرقاذبوس ملك بقسنطينة و شريكه أوثوربوس برومية ثم ثاوذسيوس الصغير و فى أيامه غزت فارس الروم و انتبه أصحاب الكهف من كهفهم ثم مرقيانوس ثم و الطيس ثم لاون الكبير ثم لاون الصغير ثم زبنون ثم اسطيثيانوس ثم يسطينيوس الأول ثم يسطينيوس الثانى ثم يسطينيوس الثالث ثم طبريوس الأول ثم طبريوس الثانى ثم ماريقوس الأول ثم ماريقوس الثانى ثم قوقاس ثم هرقل عظيم الروم و اسمه بالرومية أراقليوس و كانت الهجرة النبوية فى السنة الثانية عشر من ملكه و هو الذى بعث له النبى صلى اللّه عليه و سلم مع صاحبه دحية الكلبى رضى اللّه عنه كتابه يدعوه إلى الإسلام و أتيت بهذا استطرادا تتميما للفائدة فى ملك الروم .

عودة وهران لحكم الدولة الثامنة التركية و الألقاب و الرتب التركية

ثم رجع ملک و هران للدولة الثامنة و هی دولة الترک فملک و هران منهم الأمیر المنصور/ الأسد الهصور، و ثانی بایات و هران الثمان، المجاهد فی سبیل اللّه السید محمد (ص ۲۰۶) ابن عثمان، بای الإیالة الغربیة و تلمسان، بعد فتحها من أهل التثلیث و الأوثان.

اعلم أن البای عند أتراک الجزائر لقب لمن ولّی أحد الإیالات الثلاث و هو:

تلمسان، و تیطری، و قسنطینة فقط. و الباشا لقب للذی یولّی البایات الثلاث و لذا یقال له باشا بای و بای البایات و دولاتلی قال الحافظ أبو عبد اللّه محمد الصغیر الیفرینی فی کتابه نزهة الحادی: و معنی البای بلغة الأتراک قاید القیاد و یختص به قاید الصبایحیة. و لما یعظمونه یقولون له البای لار. و قال الحافظ أبو راس فی

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷۰

الخبر المعرب: و البای هو الذی یولیه الباشا ناحیة کبیرة فی عرفنا. و الحاصل أنّ أمراء الإسلام أعلاهم رتبة الخلیفة و قد انقطع هذا الاسم أوائل القرن العاشر.

ثم السلطان و هو الموجود الآن فی إسطنبول و المغرب الأقصا. ثم الوزیر و هو المتولی الحروب بإسطنبول. ثم الباشا و هو الذی یولیه السلطان قاعدة کبیرة کالجزائر و تونس و طرابلس و مصر و الشام و بغداد فی عرفنا الآن. ثم البای و هو عندنا من یولّیه باشا الجزائر جهة مخصوصة مثل قسنطینة، و المغرب الأوسط و غیر ذلک. و لار بمعنی جمیع و من ذلک یولضاش لار فیولضاش بمعنی الجندی و لار بمعنی الجمیع. و دأب العجم إضافة المضاف إلیه للمضاف عکس العرب لأن (ص ۲۰۷) معنی هذه الکلمة بالعربیة جمیع یولضاش. و الانقشریة/. العسکر الجدید و ذلک أن السلطان مراد بن أورخان بن عثمان خان الخاقانی اتخذ مماللیک سنة إحدی و ستین و سبعمائة فسمّاهم بهذا الاسم فهو أول من سمی به و الرأی بمعنی الراءیس (کذا) و الأودباشیة لار الواحد أودباش و معناه رایس الدار علی عادتهم فی الإضافة فلفظ أود هی الدار و باش هی الرایس. و أعلا منه البلکباشیة.

فالبلک اسم الجماعة و الباش الرایس کما مرّ و معناه رایس الجماعة. و أعلا منه آغا. و مواطن البای ثلاثة:

بایلیکات الجزائر و أقسامها

أولهم بای تیطری و هو أکبر البایات اسما لأنه أول من ولته الدولة الترکیة بذلک المحل. و قاعدته المدیة. و ثانیهم بای الشرق یعنی الجهة الشرقیة و قاعدته قسنطینة. و ثالثهم بای الغرب یعنی الجهة الغربیة.

بایلیک الغرب الوهرانی و عواصمه و بایاته

و فی الحقیقة أنه هو الثانی فی المرتبة لکون الترک تولوا علی الجهة الغربیة و جعلوا فیها بای قبل الجهة الشرقیة. و قاعدته و هران. و هذا الثالث کان منوّعا علی نوعین أحدهما مازونة و أول بایاتها حسن بن خیر الدین باشا و سلم فی

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷۱

وظیفة. ثم أبو خدیجة، ثم صواق و مات مسموما من سم سقته له زوجته. ثم السایح و بقی فی الملک إحدی عشر سنة و مات. ثم ساعد. و منه إلی محمد ابن عیسی تولی بمازونة عشرة بایات و ذهب عن حفظی ما تعلّق به منهم. ثم محمد بن عیسی و هو السادس عشر من بایاتها. ثم شعبان الزناقی الذی توفی بالجهاد فی و هران. و ثانیهما تلمسان و لم یبق بحفظی من بایاتها إلا عصمان، و یوسف/ المسرانی. ثم جمعا فی الثامن و تسعین و ألف لواحد و صارت القاعدة (ص ۲۰۸) قلعة بنی راشد، ثم صارت المعسکر، ثم صارت وهران فی الفتح الأول، ثم صارت مستغانیم، ثم صارت المعسکر، ثم صارت و هران فی الفتح الثانی و استمر الحال علی ذلک إلی انقطاعهم.

طبیعة حکم البایات و موظفوهم و نوابهم

و لبایات هؤلاء القواعد الثلاث التصرف المطلق فی الرعیة العربیة بکل وجه من القتل و القطع و الضرب و السجن و العقوبة بالمال المسمّة (کذا) بالخطیّة إلی غیر ذلک دون متعرّض لهم فی شیء، و لا یقدر الباای علی قتل أحد من الأتراک إلّا بمشاورة الباشا بالجزائر و لما یؤذن له فی قتله و یقتله یقال فیه أنّ الباای قد اشتراه من الباشا. و للباای خلیفتان من الترک أحدهما ینوب عنه فی الخروج للرعیة بالجهة الشرقیة خاصة لأخذ مال الدولة منها و یتصرف فیها بما شاء علی إرادة الباای و فی القدوم إلی الجزائر عند الافتقار و یقال له خلیفة الشرق. و الآخر ینوب عنه فی قاعدته بالجلوس علی الکرسی إذا غاب الباای فی الرعیة أو حالة الدنش و یقال له خلیفة الکرسی. و له کاتبان عربیان یکتبان له جمیع الأوامر و النواهی أحدهما کاتب السر و هو الکبیر و یقال له باش تافتار، و الآخر یکتب الرسایل و یسجلها إلی غیر ذلک و هو الصغیر. و له وزیران من العرب أحدهما کبیر و هو من أعیان الدوایر و یقال له قاید آغا و علی یده ما سوی المدن و الزمالة و الغرابة و مجاهر و فلیتة و رعیة خلیفة الشرق و الیعقوبیة فله دایرة کبیرة. و الآخر صغیر و هو/ من أعیان الزمالة و یقال له قاید کبیر و علی یده الزمالة (ص ۲۰۹)

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷۲

و الغرابة و الیعقوبیة و مجاهر و حمیان فله دایرة صغیرة لکون آغا علی یده الدوایر و بنی عامر و جمیع الجهة الغربیة إلی وجدة ما عدا تلمسان و حوزها کما علی یده بنی و عزان و أولاده المیمون و أولاد بالغ و بنی مطهر و الجعافرة الغرابة و ساير الحشم و رزیو و بنی شقران و البرجیة جبلا و وطاء و زدامة و الحوارث و خلافة و فرندة و الکسانة و الأحرار فی بعض الأحیان و أولاد الشریف و أولاد الأکرد و أولاد خلیف و ساير سوید و أولاد عاید و أولاد عیاد و بنی أمدیان و ساير من بالجبال. و حاصله أنه یمتد حکمه إلی ثنیة الحد فله دایرة کبیرة بخلاف قاید الزمالة فله الخمسة الأعراش المذکورة. و لا آغا الدوایر مشورة فی رعیة خلیفة الشرق و هذا المنصب لا یتولاه من الناس إلّا من کان من أبناء البیوت الکبار المتأهلین له غایة التأهل. و من جملة الأعیان المعتمد علیهم فی ساير الأمور، و یشتری من الباای بمبلغ وافر من المال و کان قبل أن یتولاه المزاری یبلغ عشرة آلاف فرنک بل ریال أو عشرة مایة شک من الراوی و لما تولاه المزاری أبلغه إلی عشرین ألفا أو عشرین مائة شک منه أیضا. و هاذان (کذا) الوزیران هما الذان (کذا) یقبال (کذا) دعاوی العرب و شکایاتها کل فیما یلیه ثم یعرضانها علی الباای للتنفید و لهما مدخل عظیم فی ذلک فلا بد للباای من مشاورتهما کل فیما یلیه و تارة یجمعهما للمشورة. و له ثمانیة شواش أعوان أربعة من الترک و لباسهم مخالف للباس شواش الباشا فهم عند الباای کسائر العسکر لکون خدمتهم لیست موظّفة من عند الباشا و إنما هی موظفة من عند الباای خاصة فله أن یأخذ من شاء (ص ۲۱۰) لقطع الرأس و نحوه. و یسمون شواشا ما داموا/ فی الخدمة لا غیر. و أربعة من العرب للتقدیم و التأخیر و ضبط أحوال الباای و أموره و یقال لهم شواش بنی عرب و له سبعة طبول و غوایط و ناغرات وعدة سناجیق یحملهم معه حال رکوبه و له فسطاط کبیر جدا یقال له الوتاق یحمله اثنا عشر جملا فضلا عن البغال.

و المتولی أمور داره یقال له قاید الدار و أمور سلاقه یقال له قاید السلاق، و أمور سبسیه یقال له قاید السبسی، و أمور ظلیلته یقال له قاید الظلیلة و أمور کرسیه یقال له قاید الکرسی، و أمور طابعه یقال له قاید الطابع، و أمور جنانه و منزهه یقال له قاید الجنان، و أمور مکاحلیته یقال له قاید المکاحلیة، و أمور خزنته یقال له خزندار و خزناجی، و القاطع للرأس بأمره یقال له طزبیر إلی غیر ذلک.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷۳

کیفیة حمل الدنوش إلی الجزائر

و للباای شرط فی الدخول للجزائر فی کل ثلاث سنین إن لم یکن به عذر من مرض و نحوه و إلّا بعث خلیفة الأول و هو خلیفة الشرق

عوضا عنه و يسمى هذا الدخول بالدنوش و سببه فى كل ثلاث سنين الإعطاء لمال الدولة بيد الخزناجى و الإعطاء للعوايد الجارية و فى يوم دخوله يقع المهرجان العظيم بالجزائر تخرج فيه أكثر الناس من البلاد لملاقاته و التفرج فى ذلك المهرجان و صفته: أن الباى إذا قدم للجزائر لما يبقى بينه و بينها مسافة سير الاربع سوايع (كذا) ينزل فى محل معزولة (كذا) يقال له حوش الباى و منه يقدم للجزائر فيصل قبل الفجر لمحل يقال له عين الربط فينزل به إلى ارتفاع النهار و انفتاح الأبواب فيركب أرباب الدولة من الخزناجيات و الأغوات و خوجة الخيل و الديوان و غيرهم و يخرجون للقائه و معهم نوبة الباشا تضرب عليهم فإذا وصلوا لقربه ركب/ الباى (ص ۲۱۱) و من معه تحت الألوية و الرايات و تضرب نوبته و يتوجه نحوهم و لما يقرب منهم تسكت نوبته و تبقى نوبة الباشا تضرب ثم ينزل الباى و من معه على خيولهم و يمشى خطوات ثم ينزل الخزناجى و من معه و يسلم كل فريق على صاحبه و يجلسون فى محل مرتفع هناك فتتسابق الخيل فى جريها أمامهم عليها فرسانها و يضرب البارود و يسمى هذا بالملعب و اللعب ثم يركبون جميعا و يقصدون الباشا و من حين الركوب يشتغل الباى بتفرقة الدراهم و رميها على رؤوس الناس الواقفين يمينا و شمالا إلى أن يصل لمقر الباشا فينزل و يدخل على الباشا فيحييه بأحسن التحية و يؤدى له الطاعة بالمبايعة و يجلس هنيئة معه ثم ينصرف للمحل المعد من طرف الدولة لنزول الباى فينزل به ثم يباشر خدمته وكيله المقيم بالجزائر المسمى بوكيل الباى و تلك الرتبة لا تعطى إلّا لمن كان هو أهل لها فتأتيه فى يومه الأول الأطعمة بما يتبعها ثم يشتغل فى اليوم الثانى بتوزيع العوايد الجارية فأول ما يبدأ به الباشا فإذا كان باى الشرق فإنه يدفع بعد مبلغ وافر من المال، البرانس، و الحياك، و المصوغ، و إذا كان باى الغرب فإنه يعطى بعد وافر المال، العبيد و الإيماء، و الحياك، و ريش النعام، و بيضه، و الزرابى، القلعية، ثم يعطى لأرباب الدولة و أصحاب المناصب حتى الشواش و غيرهم عوايدهم. و بعد دفع العوايد اللازمة و غيرها تضيفه أرباب الدولة و أكابرها و يعطى فيها مالا ءاخر (كذا)

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷۴

لخدام المحل على سبيل الإكرام زيادة على ما يدفعه للخزنة و يمكث فى البلد (ص ۲۱۲) ثمانية أيام لا غير و يرجع لمحل عمله و إذا خرج للرجوع لأهله فإنه لا يخرج/ معه من أرباب الدولة إلّا ءاغا لا غير فيشيعه على مسافة نحو الساعتين و الثلاث و يرجع عنه بعد أن يدفع له فى تشييعه قدرا جليلا من المال إكراما له. ثم إن الباشا إذا أراد قتله يبعث له من يقتله بمحل القتل و كذلك إذا أراد قتله قبل لقائه فإنه يبعث له من يقتله فى الطريق قبل الوصول بحسب ما اقتضاه أمر الباشا من خنق و غيره.

و لا يتولى باى، أو خليفته، أو قيادة المدينة، أو المرسى، أو فليتة، إلّا من كان تركيا أو قرغليا.

أقسام بايليك وهران الستة

اشارة

و لباى و هران فى دائرته تقسيم: فالقسم الأول المرس يكونون على يد قايد المرسى و هو أعلا (كذا) رتبة من سائر القواد لكون وسق البحر على يده مدخولا و مخروجا و علمه بمن يأتى من الأفاقيين و غيرهم و اطلاعه على إتيان العدو للاختلاس. و القسم الثانى دائرة آغا الدواير غربا و بحرا و شرقا و قبلة. و القسم الثالث دائرة قايد الزمالة و هى الأعراش الخمسة المارة. و القسم الرابع دايرة خليفة الشرق و ذلك من مينا إلى انتهاء رعيته و هران شرقا و بحرا وطاء (كذا) و جبالا- و مخزنه المكاحلية و أولاد سيدى عريبى و من انخرط فى سلكهما من أهل الفضاء و غيرهم نائبة له كما أن ما عدا الدواير و الزمالة و الغرابة و البرجية نايبة للأكابر و هم رؤساء الدواير و الزمالة و غيرهم من أعيان الدولة المخزنية بوهران.

و القسم الخامس المدن كوهران و تلمسان و المعسكر و القلعة و مستغانيم و مازونة و أحوازهم و هؤلاء على يد قايد البلد، و تحته

شيخ عرفى يقال له شيخ البلد. و القسم السادس فليتة و هم على يد قايد فليتة، و من يتولى قيادة فليتة و تلمسان فإنه يسوغ له أن يتولى بايا إذا كانت له إعانة بالجزائر.

الباى مصطفى بوشلاغم المسراتى

(ص ۲۱۳) و أول بايات و هران مصطفى أبو الشلاغم/ ابن يوسف بن محمد ابن إسحاق المسراتى الذى جمع له فى توليته بين الإيالة الشرقية و الغربية تولى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷۵

بايا على مازونة و تلمسان فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية بتمامها سنة ثمانية و تسعين و ألف و نقل كرسى المملكة من مازونة و تلمسان معا للقلعة، ثم للمعسكر، و جعلها قاعدته لكونها وسطا بين مازونة و تلمسان. و لما غزى و هران و أمدّه الباشا السيد محمد بكداش بالجيوش العديدة لنظر وزيره أوزن حسن و فتحها عنوة صبيحة يوم الجمعة السادس و العشرين من شوال سنة تسعة عشر و مائة و ألف نقل كرسى المملكة من المعسكر لوهران فسكنها بأهله و جعلها قاعدة ملكه. و بنا (كذا) بها و قيل بمستغانيم قبّة جليلة و روضة جميلة، فى آخر (كذا) شعبان سنة ست و عشرين و مائة و ألف و حبّسها للدفن على عقبه و عقب عقبه و كتب فيها اسمه و تاريخ بنائها و تحبيسها بما نصّه: حبّس هذه القبّة المباركة و الروضة المرونقة أمير المؤمنين، العاشق المحب فى سيد المرسلين، الباى مصطفى بن يوسف محى الدين رزقه اللّه كمال اليقين، و أفاض عليه من كرامة الصالحين، آمين يا رب العالمين على عقبه و عقب عقبه بأن لا يدفن فيها غيرهم و من بدّل أو غيّر فاللّه حسبه و يتولى الانتقام منه و أتممت و كملت هذه القبّة على يد المعلم أسطى أحمد أعراب الجزائرى بتاريخ أواخر شهر اللّه شعبان عام ستة و عشرين/ و مائة و ألف ثم هاتين البيتين من الرجز:

يا داخل القبّة اللّه يرعاكأبشر بما ترجه من خير مولاك

و كتب لهذه الأسطارأسطى أحمد صفه بالنجّار

و على القول بأنه بناها بمستغانيم فهى التى بمدينة المطمر من مستغانيم و هى التى دفن بها لما مات. ثم بنا (كذا) الأقواس التى بالبلانصة من وهران و كتب عليها اسمه و تاريخ البناء بما نصّه: الحمد للّه وحده و الصلاة و السلام على من لا نبىء بعده، أمر ببناء هذه الأقواس المجاهد فى سبيل اللّه السيد مصطفى ابن يوسف عام ثمانية و ثلاثين و مائة و ألف و لما دخل و هران بقى بها إلى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷۶

أن أخرجه الإسبانيون منها و دخلوها مرة ثانية سنة ثلاث و أربعين و مائة و ألف فخرج منها و سكن مستغانيم و صيّرها قاعدة ملكه و بقى بها إلى أن توفى سنة ست و أربعين و مائة و ألف بعد ما ملك ستا و أربعين سنة فدفن بها و على ضريحه قبّة مرونقة يجاوره بها قبر ءاغته الفارس الباسل الشجاع الكامل، البطل الصنديد، الهمام العتيد، الذى لا يطرق ساحة جاره الهم الملزومى، السيد البشير بن أحمد نجد المخزومى جد البحايثية، أصحاب الأقوال الصادقة و العطاء الحايثية. و لما حل أبو الشلاغم بمستغانيم و معه ءاغته البشير المذكور بنا (كذا) كل واحد منهما بها برجا جليلا فما بناه الباى يقال له برج التركى الأبطال، و ما بناه ءاغته يقال له برج (ص ۲۱۵) المحال. و توفى ءاغته المذكور، صاحب الاسم المشهور، ضحى يوم/ الاثنين رابع عشر من أول الربيعين سنة خمسين و مائة و ألف من هجرة حائز كمال الوصف. و لما مات رثاه العلامة الربّانى السيد يوسف بن بغداد الزيانى، بهذه الأبيات:

هنيئا لكك الجنان لا السّعيريا كافل الأرامل يا بشير

لقد عشت سعيدا فى رغد عيشو فزت بالشهادة يا أمير

ببلدة مستغانيم كان المثوىفنعم السكنى سكناك يا نحرير

و جاورت بالضريح خير إمامو بالمطمر ضريحك مستنير

فمن للأرامل و اليتامىو من إلى العلماء نصير

لقد بكا (كذا) هذا القطر عليكو صار رونق القدر دثير

و فى ضحى الإثنين فى نقط يدّمن أول الربيعين مسير

سنهٔ نشق كان الارتحالو حلّ بنا من الفراق تدمير

ه، و لم يمت حتى أخّر نفسه عن الخدمهٔ و صير أكبر أولاده بن عودهٔ بمحله بموافقهٔ باى الوقت على ذلك. و محمد بن إسحاق المسراتى جدّ أبى الشلاغم هو الذى بنا (كذا) قصبهٔ القلعهٔ التى يقال لها قصبهٔ المسارتيهٔ و يقال

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷۷

لها أيضا قصبهٔ بنى يوسف . و كان للمسارتيهٔ رياسهٔ و عزهٔ كاملهٔ بمسراتهٔ و القلعهٔ و انقطعت بموت محمد بن إسحاق جد أبى الشلاغم و لما مات محمد خلّف زوجهٔ حاملا فأتت بولد ذكر وسمته يوسف ثم ماتت عنه و خلّفته فى كفالهٔ أمها.

و كان بمسراتهٔ ولى كبير من أولياء اللّه المشاهير يقال له سيدى عابد/ ابن الزرقاء (ص ۲۱۶) يتعبد بمغاراتها التى بواديها و أصله من أولياء غريس فاشتهى يوما دشيشا باللّحم فسمعت به جدهٔ يوسف المسراتى فصنعت ذلك و أتته به لمحل تعبده و معها مكفولها حفيدها يوسف و لما أكل و رأت منه الإقبال عليها قالت له يا سيدى أدع اللّه لخديمك هذا اليتيم من الأبوين فقال لها، هو خليفهٔ على خليفهٔ إلى ما شاء اللّه، و إن تعدّ الحدود زالت عنه ضمانتى، و خرج من دعاوتى. و لما كبر يوسف قدم إلى الجزائر و انكتب جنديا و كان بنواحى قسنطينهٔ رجل يقال له يونس قاطع للطريق لا ينجوا (كذا) منه أحد مشهور بالحرابهٔ و قد نهب أموالا عظيمهٔ و لما بلغ خبره للباشا بالجزائر و تكررت عليه الشكايهٔ به جمع جنده و أرباب دولته و قال لهم يا قوم إن يونس القاطع للطريق كثر ضرره للمسلمين و تعطلت السبل بسببه ألم يأتكم عيب تدعونى أغزوه بجيشى و هو رجل واحد فقال له يوسف المسراتى أنا أكفيك أمره يا سيدى فذهب له و قتله و اجتز رأسه و أتى به للباشا ففرح به كثيرا و أعزّه شديدا و قال له اختر أى عمالهٔ من هؤلاء (كذا) الثلاث أجعلك بها بايا فأبى و اختار أن يكون خليفهٔ ببلد قسنطينهٔ فذهل لها و بقى بها مدهٔ طويلهٔ ثم جاء للناحيهٔ الغربيهٔ فسكن بمستغانيم ثم انتقل للقلعهٔ بلد أسلافه و بقى بها خليفهٔ إلى أن مات و ترك ثمانيهٔ أولاد ذكور و بنتا و هم مصطفى أبو الشلاغم، و يوسف، و مصطفى الأحمر، و مصطفى قايد، و محمد زرق العين، و محمد أبو طالب المجاجى، و محمد بن الزرقا، و عابد، و خروفهٔ. فأول/ من تولى منهم بايا (ص ۲۱۷) بالإيالهٔ الغربيهٔ مصطفى أبو الشلاغم بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتى كما مرّ.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷۸

الباى يوسف المسراتى

ثم أخوه يوسف بن يوسف بن محمد بن إسحاق المسراتى تولى يوم موت أخيه مصطفى أبى الشلاغم و بقى فى الملك سنهٔ واحدهٔ و مات بتلمسان بالوباء سنهٔ سبع و أربعين و مائهٔ و ألف و دفن بها و كان ءاغته الصنديد الكامل، الحائز للفضايل و الفواضل، من فى العطاء لا يعدّ و إنما يحث السيد بن عودهٔ بن البشير ابن بحث.

الباى مصطفى الأحمر المسراتى

اشارهٔ

ثم أخوه مصطفى الأحمر المسراتى تولى سنة سبع و أربعين و مائة و ألف و سقى السمّ فمات بمستغانيم و دفن مع أخيه أبى الشلاغم. و كان ءاغته الجواد الذى فى العطاء لا يعرف العدد بل فيه يحث، الشجاع الوجيه منتشر الصيت و مسموع الكلمة بالجزائر دار الملك السيد بن عودة بن البشير بن بحث، و مات بمستغانيم و دفن مع أبيه بقبّة المسارتية. و لما تولى السيد ابن عودة المذكور مدحه العلامة السيد عدة بن داوود العفيفى بهذه الأبيات التى مسكها دفور، فقال:

ترونقت بحسنها البهيج‌مستغانيم صارت فى التّبريج

لما حلّ السهم بها بن عودةءاغة من أقواله محمودة

كالأفعال فإنها مرضيّةو أنه نسبه بحثيّة

و ابتهجت عن جميع المدونو جميع القرى مع الحصون

أكرم به من وزير جليلو ءاغة معظم جميل

فاق بفضله جميع الوزراو نال عزّا كاملا ليس يرا

أنخبه عن غير المسراتى‌مصطفى الأحمر له المواتى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۷۹

الباى محمد أبو طالب المجاجى المسراتى

ثم أخوه محمد أبو طالب المجاجى تولى بموضع أخيه مصطفى و بقى فى الملك تسعة أعوام و مات قتيلا من الدولة، و هو الذى ترك زيارة أولاد سيدى عابد ابن الزرقا و اشتغل بزيارة ولى اللّه أخى حمّ العياشى المغراوى بعياشة أحد بطون مغراوة بشلف فذهب وزاره بتسعة دنانير ذهبا و سأل منه المملكة فقال له هى لك و تبقى فيها بعدد ما أعطيت و لو زدت فى العدد لزيد لك فيه أيضا و لما سمع ولد سيدى عابد بذلك قال إن أبى صرّهم فى صرّة و إنى قطعتهم فى مرة، لم يملك بعد هذا إلا قايد صاحب المقبرة، و لينفعهم العياشى لما تركوا خدمة صاحب الدشاشى، و هذا سيدى عابد هو مدفون بمقبرة البراق و هو الجبل المطل على القلعة. و كان ءاغته الطود الأعظم و الكنز المطلسم، ذو الأقوال و الأفعال المحمودة، البحثاوى السيد ابن عودة، و قتله المجاجى المذكور بسبب أنه رءا (كذا) كلمته قد علت عند العرب و الأتراك، و خاف منه التولية بموضعه أو توقيعه فى بعض الأشراك، فقتله غدرا، و لما لم يطلع أحد على ذلك ذهب دمه هدرا، و فرّ أخوه إسماعيل بأخوته و أمه إلى الغرابة فاستقر عند أبى علام بن الحبوشى رايس الغرابة فى أمن و أمان، و عزّ و اطمئنان (كذا) ثم قال له أبو علام فى بعض الأيام يا إسماعيل قد اشتد الطلب عليكم و قد خشيت على نفسى و عليكم من الوشاة أن يتملقوا/ بكلامهم عند الباى فيمكر بالجميع و الآن إنى أبعثكم عند (ص ۲۱۹) دموش ولد لشحط العلياوى رايس أولاد على فتمكثون عنده فى الأمان على نظرى حتى ننظر فى عواقبكم بما قدره اللّه تعالى و لا يكون إلا خيرا فساعده إسماعيل على ذلك و ارتحل بأمه و أخوته لأولاد على و قد زوده أبو علام بكل ما يريد فنزل عند دموش و بقى هناك إلى أن تزوج دمّوش بأم إسماعيل فصاروا فى أمان مع نظر أبى علام ثم إن إسماعيل لما كبر و اشتهر بالشجاعة ركب فرسه و ذهب لأم عسكر لسوقها خفية فقضى مئاربه (كذا) و لما رجع ألفى بالطريق أسدا فقتله ثم تعرّض به بعض المغاطيس بطريقه و هم ثلاثة فقتلهم و حين وصل لبيته تحدّث فى الدوار بما وقع له فمن الناس من صدق و منهم من ضحك و منهم من كذب فقال لهم مربيه و كان رجلا عارفا بالأمور من جملة أعيان أولاد على لا تكذبوا ولدى فى قوله و لا تضحكوا عليه فإنه صادق فى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸۰

ذلك و تعرفون بسالته و شهامته و إن تماديتم على ذلك فإنى أعلم والده دموشا بذلك و يحل بكم الانتقام ثم أنه قال لإسماعيل

اركب فرسك و امش بى لذلك فركب كل منهما فرسه و معهما أصحابهما و ذهبوا للمحل فألفوا الأسد و المغاطيس قتلى فسلخ مربيه الأسد و أخذ جلده به رأسه و اجتزّ رؤوس المغاطيس و حملهم على أعمدة و ذهب بهم للمعسكر فأعطاهم للباى و هم عصمان صهر المسارتية فقال له من فعل هذا فقال له إسماعيل ولد آغا البشير ابن بحث و أخو آغا بن عودة ولد البشير بن بحث فال عصمان نحبك تأتينى به لما الأثر لم ينقطع فالحمد للّه (ص ۲۲۰) على ذلك فأتاه به فجعله/ خليفة على آغا المخزن و هو الشريف الكرطى التّلاوى.

الباى مصطفى قائد الذهب المسراتى

ثم أخوه مصطفى قائد الذهب لقّب بذلك كثرة جوده و إعطائه الذهب للناس و يقال له باى المحال تولى يوم موت أخيه المجاجى، و هو سنة خمس و خمسين و مائة و ألف و بقى فى الملك ستة أعوام ثم قام عليه صهره زوج أخته خروفة و هو الحاج عصمان بن إبراهيم ففرّ منه لوهران عند الإسبانيين. و سببه أن أخاه محمد زرق العين كان متزوجا بابنة دلّة الحشمى أحد أجواد الحشم و كان أكبر من قايد و خليفة عليه فقال قايد لأخ زوجة أخيه زرق العين أقتله غدرا و لك ما تحب من المال و نوليك شيخا على عرشك فذهب له صهره و قتله غدرا و أخبر قايدا بذلك ثم خشى من قايد و فرّ لعرشه فندم قايد على قتل أخيه و لما اعتدت زوجة أخيه تزوجها فبقيت عنده مدة و لم ير منها إحسانا فقال لها ذات يوم أيتها الزوجة كيف لا تحسنى به و أنا قائد المسراتى فقالت له إن كنت قائدا كما يحكى عنك و تقوله أنت فطلقنى لأنك لا توافقنى و أنا لا أوافقك بعد قتلك لأخيك و لا شك أن اللّه ينتقم منك كما قتلته غدرا فطلقها ثم أنه نظر من المسارتية و الرعية ما يكرهه و انتشرت الأقاويل بأنه قتل أخاه لأجل زوجته مع قيام عصمان عليه ففرّ لوهران و بقى بها إلى أن لحقه المحال بنجوعهم فارين من عصمان لما صال

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸۱

عليهم فنزلوا بقرب و هران و أمّروه عليهم، و لما حصل الصلح بينهم و بين عصمان رجعوا لأماكنهم بين مينا و شلف/ و أتوا بقائد الذهب معهم فولوه عليهم و خرجوا (ص ۲۲۱) عن حكم عصمان بموافقة باشا الجزائر على ذلك ثم فر لتونس و سببه أنه سمع من الباشا ما يكرهه، ورءا (كذا) المحال قد اتفقوا على تمكينه بيد عصمان ليقتله و يبقوا تحت حكم عصمان لكون قايدا صار إذا ميّزوا عليه فرحا يعطيهم الصلة الكثيرة ظنا منه أنهم يحبون ذلك كسائر عرب زغبة و غيرهم و هم ينكرون منه ذلك ظنا منهم أنه أراد أن يتحدثوا به مع أهلهم إلى أن قالوا له يوما أيها الباى قد كثر غلطك معنا و سامحناك على ذلك فلا تعد لفعلك و لا تظن فى نفسك أننا نتحدث بك و بعطائك عند المحليات و نشكرك بينهنّ فإذا أردت ذلك فافعله مع بنى معين لا معنا فانظر كيف اختلف الظن من الجانبين و لما سمع ذلك فرّ لتونس و مكث بها إلى أن مات و بها ضريحه و لم أقف على تاريخ وفاته.

يحكى أنه لما حل بتونس استقر عند امرأة كبيرة فصارت تطبخ له و تغسل ثيابه و هو يكرمها بما أحبّ إلى أن مرض ببيتها فشمرت على ساق الجد فى دوائه و الإحسان إليه إلى أن برىء (كذا) فلم يجد ما يكافيها به إلا خاتم الملك فنزعها من أصبعه و أعطاها لها و قال لها بيعه لنفسك و عيشى فى ثمنه فأعطته للدلال فكل من أخذه لا يطيق على شرائه لكونه خاتما ملوكيا و تحدث الناس بذلك إلى أن بلغ الخبر لملك تونس فأمرهم بإحضار الخاتم فأحضروه و لما نظره تيقن بأنه خاتم ملوكى فسألهم لمن هو فقال الدلّال أعطته لى العجوز الفلانية فى المحل الفلانى لأبيعه لها فأحضرت لديه و سألها عنه فقالت أعطاه لى رجل مغربى هو فى بيتى منذ كذا فأحضر قايد لدى الأمير و كان يسمع بخبره و كان كاتب سرّه جاء مرة لمرسى و هران و رءاه (كذا) بها لما كان بوهران فلما رءاه (كذا) الكاتب تيقن به معرفة فقام له إجلالا و عانقه غاية رغبة و رهبة فقال له باى تونس من هذا فقال له فلانا فعند ذلك أجلسه الباى عنده و قال له هذا مقامك إلى أن تموت أو يرد اللّه لك ملكك فحصلت بينهما مودة الارتباط و تزوج قايد هنالك بامرأة و أتى معها ببنت يقال أن من ذرية تلك البنت الوجيه السيد على ولد مصطفى ولد محى الدين الذى هو الآن المترجم بالمحكمة الشرعية

الفرانسوية بالمطلب الأول من وهران و هو من أعيان المخزن الآن و له كلمة نافذة فى جميع الأمور و ذو عقل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸۲

راجح و فهم ثاقب و لبابة و فطانة و ذكاءة (كذا) و أدب و سياسة و معرفة و كياسة و نصرة (ص ۲۲۲) للمظلوم و القوى و الضعيف، و إعانة و نصيحة للوضيع و الشريف./ و فى حال مكث قايد بتونس اجتمع به رجل برجى من الأدباء فى إيابه من الحج فى وقت الصباح و هو بمحفل عظيم فقال له السلام عليك أيها الأمير الخرير أنعم اللّه صباحك يا باى ابن ثلاثة عشر بايا ببلادنا فسرّه ذلك غاية و قال له مثلك يليق للصحبة لكن هذه المقالة الأدبية ليتنى كنت معها فى بلدى وصاله بشىء فأبى الرجل من أخذه رأسا. و قايد هو الذى غزى من المعسكر حناشا شيخ المهاية فأخذه و سلب له فرسه المعروف عند الناس بعود حناش و كان فرسا طويلا مع الأرض يقال إنه كان يسابق ثلاث مشالى و يعلف برشالة من الشعير. و قيل إن الذى أتى به هو الباى إبراهيم الملیانى الآتى ذكره قريبا إن شاء اللّه تعالى.

فضل البايات المسراتية

و اعلم أن المسارتية هم فضلاء البايات بالمغرب و لهم نسل قليل. فأما أبو الشلاغم و قايد فلم يخلفا إلا البنات. و أما محمد زرق العين و يوسف و محمد أبو طالب المجاجى و مصطفى الأحمر فلم يعقبوا شيئا. و أما عابد فخلّف ابنين و هما يوسف و محى الدين فمنها يوسف خلّف ابنه القايد محمدا و هو خلف محمدا و أبا زيان فمحمد خلّف محمدا و محمدا الموجودين الآن و منها محى الدين خلف ابنه الخوجة و هو خلّف يوسف و هو خلّف أبا زيان و هو خلّف عدة أولاد موجودين الآن. و أما محمد بن الزرقا فخلّف ابنين و هما ابن على و على فابن على خلّف محمدا و هو خلف عدة وقارة و محمدا موجودين الآن و على خلف مصطفى و هو خلّف ابنين عابدا و بن يوسف و ذريته بالقلعة الآن. و كان ءاغته الشريف الكرطى و هو عبد اللّه بن عبد الرزاق التلاوى.

الباى الحاج عثمان

ثم الحاج عثمان و يقال له عصمان بن الحاج إبراهيم تولى أولا- بتلمسان لما كانت القاعدة بها و قام عليه مع أهل تلمسان يوسف المسراتى المتقدم الذكر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸۳

فخلعه و تولّى مكانه. و تولّى ثانيا على جميع الإيالة الغربية فى أواسط محرم الحرام فاتح سنة ستين و مائة و ألف فمكر بأهل تلمسان و المحال مكرا كبارا (كذا) أفنى فيه كثيرهم. و سببه أنه لما كان بايا فى المرة الأولى بتلمسان تعصّب عليه أهلها و نقموا حكمه و صاروا يرسون ساحته فى اليل (كذا) بكل نجاسة و ميتة و دم و غيرها/ فاغتاظ لذلك شديدا و ترك حلق رأسه و لحيته إلى أن كبرا و هو فى (ص ۲۲۳) تزايد الغضب ثم ذهب للجزائر و قد اشتد به العطش فى الطريق و لمّا مرّ بالمحال استسقاهم فأسقوه لبنا و فى حال شربه أهرقوا عليه الإناء و قهقهوا بذلك فأسرها فى نفسه و أسرع فى سيره للجزائر و لما دخلها اجتمع بالباشا بواسطة الأعيان فتعجب منه شديدا و سأله عن حاله فأخبره بكل ما صار له مع أهل تلمسان ثم المحال فى طريقه فصبّره الباشا على ذلك ثم أنه سأل من الباشا التولية و يعطيه قدرا من المال فولّاه و أرسل معه الجيش فجاء به مغربا و أوقع بأهل تلمسان إيقاعا شديدا. و مكر بهم مكرا عتيدا. ثم توجه إلى المحال و صال عليهم إلى أن أفناهم و أجلاهم لتلمسان ثم لوهران ثم رجعهم لمحلهم على أن لا يرفعوا رؤوسهم و حلّ بهم ما هو مشهور على الألسنة و مذكور فى كلام الفصحاء كابن سويكت و عدة ابن البشير و غيرهما و يحكى أنه قتل من أعيانهم فى يوم واحد أربعين بطلا فضلا عن غيرهم. و يحكى أيضا أنه لما نزل بأرض المحال أتوه لينظروه و بأيديهم حجلة فقال لهم ما عملت

هذه الحجلة المسكينة حتى أتيتونى بها بأيديكم ثم أطلقها فقالوا هذا الباى يقال له مسكينة و لقبوه بذلك بينهم و لمّا رجعوا لأهلهم و اجتمعوا بمديرهم و صاحب الرأى منهم قالوا له الواقع و أخبروه بأنهم لقبوه مسكينة فقال لهم كفوا عن قولكم هذا و أطيعوه فإن هذا الباى هو مفنيكم و أن الحجلة تجعل لكم فجلة، فكان الأمر كذلك. و جاءه المسارتية يوما لقتله فألفوه بالمحكمة فضربه أحدهم بكابوس بيده فنجاه اللّه من ذلك ثم أنه ظفر بهم فقتلهم و لم ينج منهم إلا اثنان و هما ابن الزرقا و عابد لصغرهما و لكون اللّه أراد بقاء النسل فيهما ففرّا لضريح سيدى محمد بن عودة بفليتة و استجارا به فعفا عنهما

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸۴

و أمنهما. و لا زال بابا إلى أن توفى بالمعسكر و دفن بها بعد ما ملك تسعة أعوام.

و هو الذى بنا (كذا) الجامع الأعظم بداخل المعسكر سنة توليته و نقش على (ص ۲۲۴) حجارة اسمه و تاريخ البناء و نصه: الحمد للّه حمدا لا نهاية/ لطوله، و صلى اللّه على سيدنا محمد نبينا عبده و رسوله، أما بعد فقد أمر ببناء هذا المسجد المبارك المحمود المعظم القامع للعداء من جمع بين الشجاعة و النداء و طلع على الناس بدر هداء صاحب لواء الحمد الأسماء و مالك أزمة المجد الإحماء حاج الحرمين الشريفين أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، صاحب الرتبة العالية، و نخبة الملوك العثمانية مولانا الحاج عثمان باى بن السيد إبراهيم خلد اللّه ملكه ملكا عاليا، و هو على الأمة واليا ساميا، و كان ذلك فى شهر شعبان عام ستين و مائة و ألف . ثم بنا (كذا) الدار و القبّة الملاحقة للجامع الأعظم بالمعسكر المعروفة عند الناس بقبة الباى إبراهيم لكونه مدفونا بها، و إلّا فهى قبّة الشيخ عبد القادر الجيلانى نفعنا اللّه به التى هى الآن محكمة قاضى المعسكر و أمر بكتب اسمه و تاريخ بنائها فكتب بحجارة بما نصه: بسم اللّه الرحمن الرحيم و صلى اللّه على سيدنا و مولانا محمد، أما بعد فقد أمر بناء هذه الدار المباركة الأمير الأجل العدل الشهير الأكمل الرفيع الحظ المجاهد المرابط المقسط عدله فى الجوائز مدن النواحى الغربية عبد اللّه أمير المؤمنين مولانا الحاج عثمان ابن إبراهيم خلّد اللّه ملكه و نصره حسبما أمر أيده اللّه بتشييد هذه القبة العظيمة حرمة للشيخ الجليل سلطان الصالحين سيدى عبد القادر الجيلانى أدركنا اللّه رضاه قصد بذلك وجه اللّه العظيم، و ثوابه الجسيم بتاريخ فاتح المحرم الحرام عام سبعة و ستين و مائة و ألف و أمر بتحرير العلامة السيد محمد بن حوّاء و إخوانه، و بنى عمه التجاجنة من جميع التكاليف المخزنية و كتب لهم بذلك رسما نص ختامه: بأمر المعظم الجليل المجاهد الكفيل أبى سعيد السيد الحاج (ص ۲۲۵) عثمان باى الإيالة الغربية و تلمسان فى أواسط جمادى الأولى عام سبعة/ و ستين و مائة و ألف . و كم له رحمه اللّه من غزوات لوهران و رباط عليها بقصد فتحها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸۵

و لم يمنّ اللّه تعالى بفتحها على يديه بل دخّر فضل ذلك لمن هو محبوب لديه.

و كانت وفاته سنة سبعين و مائة و ألف . و كان ءاغته الشجاع الجواد، الكنز المراد، عقد سمط الجواهر الشريف الكرطى التلاوى، و خليفته كافل الأرامل الشهم البارع إسماعيل بن البشير البحثاوى.

الباى حسن

ثم حسن باى تولى سنة سبعين و مائة و ألف ثم هرب من ملكه لإسطنبول لما أهانه الباشا بالجزائر و خليفته البحثاوى المسطور.

الباى إبراهيم المليانى

ثم أبو إسحاق إبراهيم باى المليانى تولى عام السبعين و مائة و ألف و كان محبا للعلماء بمحبته للعلم و راغبا فى الصالحين لنيل الفضل و الكرم. و هو الذى بنا (كذا) برج العسكر بالمعسكر، و أمر بكتب اسمه و تاريخه عليه فكتب بما نصّه: بسم اللّه الرحمن الرحيم و

صلى اللّه على سيدنا و مولانا محمد و أله و صحبه و سلم، أما بعد أمر بتشييد هذا الفندق المبارك الظريف الجامع لعسكر الجزائر المنتصر سيدنا أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين، ناصر الدنيا و الدين لرب العالمين، مولانا إبراهيم باى الإيالة الغربية و تلمسان خلّد اللّه ملكه و أعزّه و نصره آمين و كان الفراغ منه أول شهر اللّه العظيم رمضان عام ست و سبعين و مائة و ألف عرفنا اللّه خيره و كفانا ضيره و شره آمين يا رب العالمين و صانع هذا التاريخ محمد بن الحسين بن صرماشق. و توفى سنة خمس و ثمانين و مائة و ألف بعد ما ملك أربعة عشر سنة و دفن بالمعسكر بالقبة التى بناها الباى الحاج عثمان للشيخ عبد القادر الجيلانى الملاصقة للجامع الأعضم كما مرّ.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸۶

و كان ءاغته الفارس الأعظم و الطود الشامخ الأفخم، و الجواد الأكرم و الشجاع الأعزم. و البحر الطامى الألطم، الذى لا يدانيه شجاع و لا جواد له يساوى، السيد إسماعيل بن البشير البحثاوى، الذى تسمت به مدينة العرقوب بالمعسكر، (ص ۲۲۶) لكونه أول من بنا (كذا) بها فى المشتهر/. و هذا ءاغة مدحه العالم العلامة الدراكة الفهّامة كثير المعانى و مشارك الفنون، قاضى المعسكر السيد محمد ولد مولاى على الشريف بن سحنون بأبيات من الرجز فقال:

تكاثر بالسّيل السلسبيللك و كل الخير يا إسماعيل

لقد نلت الحسنى مع الزيادةلما فيك للناس من إفاده

يا من وقاك اللّه من مساوىو أرقاك للعلا يا بحثاوى

يا من ترصّعت بكل خيريا من تجنّبت لكل ضير

يا ءاغ يا بن ءاغ يا بن شيخيا رايس الوقت بكل فيخ

تغافلت عنّا فى هذا الوقتفاجبر لكسرى نجوت من مقت

قد قيل لى أنّ أمير المؤمنينإبراهيم باى يريد يا أمين

توليت غيرى و أنت المفتاحو الاتكال عليك يا مصباح

و كيف قد أخشى و أنت عندىيا ملاذى و عدتى و رشدى

فلا تدع تمنيت الأميرتكمل يا عمدتنا الشهير

ثم أن إسماعيل المذكور لما تولى ءاغة جعل أخاه الطود العظيم، الكنز المطلسم الفخيم، الفارس الأمجد، السيد عدة بن البشير بن نجد، خليفة عليه، و فوّض له الأمر فى سائر الأمور التى تلقى عليه و فى عدة المزبور، قال العلامة السيد عبد الحليم المستغانمى هذه الأبيات التى كالدّر المنشور:

لك العز قد تم بأسر يا عدهفأنت بإذن اللّه تخلص من شدّه

و أنت الذى بك الحوائج قد تقضىو يحصل لنا كل فوز بلا شدّه

و نبلغ للأمانى طرا بأسرهافليس لك شبه فى فعلك مذ عدّة

و كيف يخيب من تكون له حماو أنت المخزومى من جدّك و من جدّه

و جعل أخاه الموفق بن البشير قايدا على الدواير و أخاه يوسف قايدا على العبيد و هم الزمالة و نظر بعين المودة فى أبى علام بن الحبوشى و دموش ولد

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸۷

الشحط و صيّر كلّا منهما رئيسا (كذا) على قبيلة و لما توفى أخوه الموفق ترك ولده قادى فى حجره فزوجه بابنته هكذا قيل و اللّه أعلم.

الباى الحاج خليل

ثم/ الحاج خليل باى تولى سنهٔ خمس و ثمانين و مائهٔ و ألف . و كان (ص ۲۲۷) مبغضا للعلماء و الأولياء و غيرهم من أهل النفع. و توفى بتلمسان سنهٔ اثنين و تسعين و مائهٔ و ألف فدفن بقبهٔ سيدى محمد السنوسى جيرهٔ ضريحه. و سبب موته دعاء الشيوخ الثلاثهٔ عليه بالهلاـك و هم: سيدى المدانى بن عطاء اللّه العمرانى الغريسى شاعر الرسول صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه و الأولياء رضى اللّه عنهم، و سيدى الحاج الموفق الكبير بن سعيد الشقرانى ثم البوشيخى، و سيدى أبو ترفاس محمد ابن محمد الساحلى شيخ الطلبهٔ بالساحل. فالشيخ المدنى و رفيقه واعدهما خليل بالقتل إذا رجع من سفره فاشتغل الأول بالاستصراخ بشيخ الشيوخ سيدى عبد القادر الجيلانى فى عروبيته الملحونيهٔ يقول فى بعض أبياتها:

الباى خليل لا ترده من ذى التغرابا يا الجيلانى بابا حلف فىّ و قال لى من السّور ناليك.

و اشتغل الثانى بالعبادهٔ بأن تطهر ليلهٔ طهارهٔ كبرى و انفرد وحده و شرع فى الصلاهٔ بالقرآن العزيز و هو قائم على رجل واحدهٔ إلى أن ختمه فى ركعهٔ واحدهٔ و لما نام كل منهما أتا الهاتف لكل منهما و بشره بهلاك الباى فى سفره و أنه لا يرجع لأهله. و لما استيقظ كل منهما بعث رسولا لصاحبه يبشره بهلاك الباى فالتقى الرسولان برأس الماء و أخبر كل صاحبه فرجع الرسولان من هناك بعد التحويط على محل الاجتماع. و أما الشيخ أبو ترفاس فإنه غزاه الباى خليل بمدشرهٔ بالساحل و أخذ قيطنته و فرق طلبته و همّ بقتله لو لا أن اللّه عصمه منه فقال له أبو ترفاس نحن مساكين لا معرفهٔ لنا بالملوك و لا دخول لنا فى شئونهم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸۸

و فضحتنا علانيهٔ بلاـ سبب فضحك اللّه و عجّل بهلاكك لتستريح منك البلاد و العباد فرجع الباى و لما وصل لحمام أبى غرارهٔ بأرض دوى يحيى ابتلاه اللّه بعلّهٔ يقال لها الشهدهٔ و هى حيهٔ عظيمهٔ أصابته بين كتفيه و تعاظمت جدا و تخرقت كالشهدهٔ و ركبها الدود فحملوه لتلمسان فى أرذل حالهٔ و لما وصلها مات بالبيت التى بها دون علم أحد، و لما دخلوا عليه من الغد ألفوه ميتا. و توفى أبو ترفاس بعده بقليل فى فصل الشتاء ليلهٔ الجمعهٔ الحادى و العشرين من ذى الحجهٔ الحرام (ص ۲۲۸) سنهٔ اثنين و تسعين و مائهٔ و ألف /. و فيها ضحوهٔ يوم الخميس عاشر رمضان توفى القطب العلامهٔ الحافظ الشيخ عبد القادر المشرفى و رثاه تلميذه الحافظ أبو راس بهذه الأبيات الرائهٔ (كذا) من الطويل:

لقد كان للإسلام كهفا و ملجأتراه فى أقل الشئون ببادر

له الباع فى كل العلوم بأسرهاسريع الجواب عنها ليس بضاير

فيا لو رأيته بدرسه جالساو حوله حلقهٔ الأسود الهواصر

كأنّ قمر الأفق فى غيهب الدجامن بين كواكب النجوم الزواهر

فيتلوا فرايد عليهم نفيسهٔبحسن بيان و اختتام عواطر

فتلقاها أنوار القلوب بديهةكنقش فصوص للخواتم بواهر

يذلّل صعاب العلوم لهم كمايقرّب قاصيات عنهم نوافر

له خلق كمثل أحنف الذىغرائبه مسطورهٔ فى الدفاتر

تعود بسط الكف فى بحور النّدالقد فاق هرما و معنى و عامر

أيا ثرى الكرط كيف واريت سيّداماآثره مثل البحار الزواخر

لقد حلّ فيك العلم و الحلم و التّقىفحسبك رهنا من كريم العشائر

همام ثوى ضحى الخميس لعاشرمن شهر رمضان الهدى و المغافر

من سنة اثنين و تسعين قيدوامن بعد المائة و الألف أهل البصائر

و هى طويلة. و فى تسعين و مائة و ألف فى وقت الباى خليل حلّ بالناس قحط

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۸۹

عظيم و دام إلى نصف إحدى و تسعين فزال بإذن اللّه تعالى. و إلى هذا القحط أشار ولى اللّه سيدى الأكحل الخلوفى المعروف عند الناس بسيدى الأخضر ابن خلوف فى عروبيته الملحونية التى صيّرها تاريخا بطريق الكشف بقوله:

و نصف عام من بعد تذهب الكشرا.

و كان ءاغته الهمام الفاضل الجواد الباسل، المتجنب لسائر رذائل الدعاوى، السيد إسماعيل بن البشير البحثاوى. و هؤلاء البايات التسع كلهم كانت لهم دار ملكهم المعسكر، و كلهم كان لهم اعتناء شديد بالجهاد و لم يفز منهم بالفتح الأول إلّا أبو الشلاغم المسراتى.

الباى محمد بن عثمان الكبير

ثم أبو عثمان الفقيه المجاهد السيد محمد بن عثمان، باى الإيالة الغربية و تلمسان، الذى قيضه اللّه/ لفتح و هران، و أرشده إلى مهيع السعادة و الغفران، (ص ۲۲۹) الممتطى منصة الرضوان، و مشيد راية الإسلام و الإيمان و الإحسان، و باسط مهد العدل و الأمان فى كلّ زمان، اتحفه اللّه برضاه، و جدد له اللطف و أمضاه، تولى سنة اثنين و تسعين و مائة و ألف ، على الصحيح، فكان رحمه اللّه من أهل البلاغة و اللسان الفصيح، بعد أن كان خليفة على خليل رقى لمنصب الباى بالعز و التفضيل، فهو ثانى ملوك العثمانية، خلافا لما فى أنيس الغريب و المسافر من أنه هو أولهم و هى قولة واهية، و به رفع ذكرهم، و انتهى إليه خيرهم، فلقد دوّخ الأتراك و الأعراب، و هابته الأباعد و الأقارب و ذلت له الملوك و الجبابرة، و خشيته الفراعنة و الأكاسرة، و أطاعته الرعايا، و خصت به المزايا، و وفدت عليه الوفود و دارت به العساكر و الجنود فحاصر مدينة و هران، و ضيّق عليها من كل فج نزهة الزمان، و دام عليها إلى أن فتحها فى أوائل المحرم الحرام بلا وصب، و دخلها صبيحة و قبل ضحى يوم الإثنين الخامس من رجب سنة ست من القرن الثالث

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۹۰

عشر دون ثلب، كما مرّ ذلك مفصّلا، مختصرا لا مطولا. و فى وقته حصلت العافية قليلة الوجود، و تواخت (كذا) القبائل فى بعضها و اصطلحت على الراحة و ترك الفساد و العنود (كذا) حسبما أشار إلى ذلك الشيخ الأكحل فى عروبيته بطريق الكشف بقوله:

تأت العافيا فى أزمان ميم وحاهجّ و زيد حرفين قول ميم و دال

تضحا القبائل أخو جميع مصطلحالخ (كذا)

و كان رجلا جسيما بالتجدير، أسمر اللون لا بالطويل و لا بالقصير، محبا للعلماء و الصلحاء، و النبلاء، و الأدباء و الشجعان و الفضلا، قريب الغضب سريع الرضا، شديد الحزم و الأوامر و الإمضا، كثير الغزو على أهل الصحراء، دائم الارتحال و الإسرا، ففتح بنى الأغواط، و الشلالتين، و عين ماض، و مزابا، و أبا الضروس، و نزل شرّاعة و همّ بفتح بنى يزناسن و أبى عروس، و بلغ مبلغا لم يبلغه أحد من ملوك الأتراك، و وصل المواضع التى صعبت على غيره و سهل عليه فيها (ص ۲۳۰) الإدراك. و أعظم فتوحاته فتح و هران/ التى صيّرها اللّه على يده للمسلمين دار إيمان و أمان. و إلى ما تحت سلطاته أشار الحافظ أبو راس فى سينيته بقوله:

فملك آل منديل تحت سلطانهقد كان مدّ من واجر إلى تنس

كذلك ملك تجين فى إيالتهكذا الجدار القديم المتقن الأسس

ملك لآل يغمور فيه نضرتهمكذاك ملك ابن يعلا اليفرينى الرئيس

لشعنب و مصاب مدت طاعتهعلى مسافات شتّى من أبى الضّرس

و قد مرّ هذا فى الكلام على فتح و هران. و كان، رحمه اللّه، والده عثمان الكردى حاكما بمليانة ثم صار بايا بتيطرى، فهو أول ملوك

العصمانية، ولد ولدان ذكران أحدهما الباى محمد الكبير هذا و أمه أم ولد اسمها زايدة أهداها له ملك المغرب لمحبة بينهما، و الآخر الباى محمد الصغير و يقال له الرقيق كما يأتى و أمه حرّة اسمها خديجة بنت السيد محمد بن عيسى اللمدانية من مرابطين (كذا) المدية.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۹۱

ثم أن الباى الذى نحن بصدد الكلام عليه لما فتح و هران و ارتحل إليها بالسكنا (كذا) و صيرها دار ملكه الأسنا قصدته الشعراء من كل باب و تزاحمت فى الدخول عليه و معهم العلماء ما بين إيجاز و إطناب، فمن ذلك قصيدة العلامة الجامع، الدراكة المانع النّاثر الناظم اللّافظ، الشيخ أبى راس الحافظ:

خليلى قد طاب الشراب المورّدلمّا أن صار الأمير بالثغر يقصد

و أجفت رحال الوافدين أم عسكرو قد كان مأوى للوفود و مقصد

تجاذبته و هران لما افتتحهاو قد قالت جاءنى الملك محمّد

فهات أعقارا فى قميص زجاجةكياقوتة فى درّة تتوقّد

يصبّ عليه الماء مسبك فضةله حلق بيض تحلّ و تعقد

جلوسا على ذرى الحصون فما تريبوهران ناقوسا و لا الوثن يعبد

فهلّا أبصرت طربها بأذانناو قرائتنا أم كان طرفك أرمد

/ ألم ترها تهتز شرقا إلى النّداإذا قال فى الخميس المؤذن أشهد

إذا قطعت بأندلس يد العدايدا بقيت و الحمد للّه لى يد

و ما زال طمع المسلمين فى ردهلعلمك أن الدهر يدنى و يبعد

فها هى و هران العداء صفت لناو فى كل عورة لها لنا مرصد

كأن لم تكن بالأمس ترم صواعقهاعلينا بزمجر عتيلة صلد

تقنى من النار الجحيم بنفسهافيا عجبا لى كيف يجتمع الضّدّ

و كيف تدوم الخيزرات بفكرهمو تدمر و منها الفريدة روند

و قرطبة كانت محط رحالناشريس الشريسى و شقة ثم لوكد

بتذكارهم عمّت و جمّت همومناإلى أن نفى الأكدار قوم ممجّد

بفتحه و هران واسطة عقدهمبها طال ملكهم قديما ممدّد

زهت بها مصر ثم نجد و شامناو يضربهم بها غريض و معبد

و أهل الحجاز قد تسامعوا فعلهو لا شك للمصريين يعلو و يصعد

فكان بوسط الغرب دخر مضرّةو كم درّة علياء باليم توجد

و عم العفات نيل فيض عطائهو ذلك من إحسانه ليس يجحد

بها علا صيته الملوك بأسرهمفطاب له أصل و فرع و قعدد

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۹۲

و منها قوله فيه أيضا:

فقد سد ثلما كان يخشى اتساعهو رقّع خرقا ما عليه مزيد

و أصلح ما قد أفسدته صروفهو أذاب ما أثنى فخاب حسود

و قوم معوجا من الثغر فاستوىو بلّغه ما كان منه يريد

نفى عنه خبث الشرك و الرجز و الأذىو كم من رميم عاد و هو جديد

و جلا كروبا عمّ فى الأفق وقعهاو همّ له وسط الفؤاد ركود

و أشرق أنوار الهدى بعد حجبهاأنار لها دان و ضاء بعيد

و اطلع فى أفق السعادة أنجمالهنّ ترق فى العلا و صعود

و عمّ وفود العالمين بنيلهبذكر له بين الأنام مشيد

(ص ۲۳۲)/ مواس لأهل العلم فى كل بلدةو إن لم يكن منهم إليه ورود

جدير بأن يدعى وحيد زمانهو تفخر أبناء به و جدود

فكم رسم مجد قبله كان بالياو كم من واه ضعيف عاد جديد

فجمع خصال الكمال منيفةفهو بها عن الملوك فريد

و منها قوله فيه أيضا من البسيط:

سلطان و هران ما خيّب قاصدهزهت به و عالت (كذا) أقاليم الأمم

شدّ قواعدها بحزمه فعادتمكفولة به لم تيتم و لم تئم

يرثها بعده أولاده أبداكإرث آل شيبة مفتاح الحرم

فالدنيا ألبست البها بطلعتهرشيدها الثانى جاءت به للعلم

عمّ بإحسانه بدوا و حاضرهاكل لليث للهضبات يروى و الأكم

فى قبّة من نوى قد شيدت عن حسبو جعفر بن يحيى بها من الخدم

و ابن أمامة و ابن سعد أتابعهو حاتم و أبو دلف مع هرم

تعودت كفه بسط الحسام فلوأراد قبضها لم تعطه بل تهم

سار مسير زحل فى منازلهو هبّ كالرّيح فى الأراضى و الأطم

شمس بدت فى أعلى الأفق ساطعةأضاءت الخلق من عرب و من عجم

ملوك أقطار الأرض هم كواكبهاشعاع أنواره و أراهم كالظلم

بشرى فقد أنجاز الإقبال موعدهبالكوكب السعد لم يفل و لم يرم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۹۳ ذو المفاخر أعيته مآثرهمن دون أدناها وقفوا على العدم

و بالجملة فإن ما قيل فيه من المدح حال سكناه بالمعسكر و فتحه لوهران و بعد فتحه إياها و سكناها كثير، يقلّ حصره و تضيق به الدفاتير (كذا). و قصة فتحه لوهران مشهورة، مقرّرة مسطورة، ألّف فيها العلماء كالحافظ النقاد، النور الوقاد، العلامة الماهر أبى راس محمد بن الناصر و الحافظ البارع، العلامة الجامع، السيد مصطفى بن عبد اللّه الدحاوى و غيرهما عدّة تآليف، و صنف فيها ما بين النثر و النظم جملة تصانيف، و قد مرّ لنا بها طرف من ذكرها، حسبما نتجته/ القريحة من بنات فكرها. (ص ۲۳۳)

منشآت الباى محمد بن عثمان بوهران و معسكر و البرج

ثم أن هذا الباى المراد، الحاصل نفعه لجمع العباد، أمر بالهام من اللّه تعالى فى اليوم الحادى و العشرين من فتحه إياها بهدم الأبراج الموالية للبروهى برج مرجاج و برج رأس العين الكبير و الصغير و برج الويز و برج فراند و برج كالوص (كذا) و أشباههم من الأبراج الموالية للبر و من عادته رحمه اللّه أنه مهمى (كذا) أشار برأى إلّا كان فيه الخير و السداد و غرضه بذلك رفع الضرر عن المسلمين. و

حسما لمادة النصارى فإن البای أبو الشلاغم لما فتحها أولا ترک الأبراج بلا هدم و لما رجع لها النصارى کان أول ضرر حصل للمسلمین من تلک الأبراج فلذلک أمر رحمه اللّه بهدمها. و لما استقل قدمه رحمه اللّه بها جمع لسکناها الناس من کل فج و مکان، و أمرهم بتعمیرها لیتم فی الغایة الإیمان، فبعضهم بالإقطاع و بعضهم بالبیع بلا- نزاع، إلی غیر ذلک من الوجوه الصادرة من أمیر المؤمنین، و ثمن المبیع عمّر به بیت مال المسلمین. و فی یوم دخوله لها بأهله و مخزنه بغایة نیله، قدم أمامه العلماء و الصلحاء و بیدهم صحیح البخاری تبرکا به و تیمنا بفضله، فحقق اللّه رجاءه، و نشر صیته و دمر أعداءه، و بنا (کذا) بالموضع الذی وقف به فرسه عند الباب للواقف مسجد الصلاة الخمس و الجمعة یعرف عند الناس للآن بجامع بالناصف لکونه کان به وکیلا، و بأموره قائما کفیلا. ثم بنا (کذا) فی السنة السابعة و المائتین و الألف قبّة البرج الأحمر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۹۴

فزدات له رونقة لصعودها للسماء مشرقة، و لما أکمل بناءها کتب علی صالة مرکز جلوسه بأمامه الأبیات التی أنشدها العالم الجلیل، المتضمن الجمیل، العدل الماجد، البارع الفارد، الکاتب الفاخر، الناظم الناثر، ذو المعانی و الإعراب، و الفنون و الآداب، و الکرم و الفضائل، و الأخلاق و الشمائل الجامع بین الحسب و النسب الأصیل و المعارف و التحصیل، الشریف الجمیل، الذی هو أنجب من کل من حثّوا فی طلب العلم و لحّوا، السید مصطفی بن عبد اللّه بن دحّو (کذا)، مؤلف فتح و هران و جامع الجواهر الحسان، و هی من البسیط:

یا غافلا عن أمور زانها ذهبو لونها لجین و تمرها رطب

و نورها مضیء وجوها دائمو صوتها منشد بالحسن مرتقب

(ص ۲۳۴)/ أقصد إیوان أمیر المؤمنین أبیعثمان تلفی الخیرات کلها کوعب

به تشارک من نوی لمقصدهفهو منافع للوری فما أرهب

به اشتباک الزهر فی صفحتیه حکیفکیف بالعشائر المقیم صوحب

و حکی کیف الأهالی به یتفنونو کیف یسلکون بکلهم مذهب

فعند ذا خاطبونی و ابتسامی بدامنه جواب عن سنوی یظل المنحب

کیف انسباب الأمور اللواتی ارتبطتبرضی من یسرّ قدرا و ینتصب

أهکذا عقال عصری قد التصقوابالذی نصر القدیر علاه رجب

أظهر به کیف الذی ترونقهمحبة الصدیق عند الأهالی رکب

تجدهم باختلاف فی الدعاء إلیمن واحد لواحد بالنّدا رتب

إلی کمال العطا من غیر مبتخللأحد و لعطائه قد قرب

و بنا (کذا) المدرسة الجلیلة العظیمة بخنق النطاح التی بها ضریحه و تعرف للآن بالمدرسة . و بنا (کذا) أیضا الجامع الأعظم المعروف بها بجامع الباشا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۹۵

للآن و هو حسن باشا و کل ما صرف علیه هذا الأمیر فمن عند الباشا. یحکی أن الباشا حسن لما بشّر بفتح و هران سرّ سرورا کثیرا و لما رأته زوجته فاطمة و خالتها حلّ به الطرب العظیم قالتا له کان اللائق بک لإتمام سرورک أن تبنی بها جامعا عظیما یبقی ذکرک به مخلدا فی الألسنة فعند ذلک أمر البای ببنائه و بعث له بصندوقین مملوین (کذا) مالا واحدا بعد واحد لیصرف ذلک علی البناء صحبة أمین البنائین محمد الشرشالی بن بیرت. و لما شرع فی بنائه حفر أساسه فی بستان تحت البرج الأحمر، فألفی بالأساس قلّة معمرة ذهبا فصرفها فی البناء أیضا و جمع لمنارته حجرا ضخما أتی به السخارة من برج الصبایحیة فی أربعة أیام متوالیة و کلما صرفه البای علی

الجامع مفصلا و مجملا فهو مذكور فى دفاتره و ضربنا عنه صفحا خشية السئامة (كذا) و ابتدا (كذا) بنائه فى السابع من الثالث عشر بعد فراغه من القلعة و أتمّ بنائه فى الثامن أو التاسع منه. و تاريخ ذلك مكتوب بالحجارة التى بها جملة الأشياء المحبّسة. و بنا (كذا) رحمه اللّه الجامع الأعظم قليل الوجود بالعين البيضا (كذا) من بلد المعسكر و أحاط به/ المدرسة. و تاريخ (ص ۲۳۵) بنائه بمدرسته مكتوب بجانب محرابه و نسيته لطول العهد. كما بنا (كذا) جامع الكرط، و الجامع الأعظم بمدينة البرج، إلى غير ذلك من شعائر الإسلام و التى عملها. و كتب على بعض حوائط البرج الأحمر تاريخ فتحه لوهران و من فتحها و أى سلطان و باشا كان الفتح فى وقته مع تاريخ دخوله لها و نصّه:- الحمد للّه وحده فتحت و هران و أعادها اللّه للمسلمين و خرج الكفار منها أذلة صاغرين، فى سعادة المعظم السلطان الأفخم و الخاقان الأفخم، الخائف من مولاه الطائع الأواه، السيد سليم نصره اللّه، و دولة المعظم الأرفع و الهمام الأنفع، حسن باشا أيده اللّه على يد محى الدين كثير الغزو و الجهاد، و قامع أهل البغى، و الفساد، السيد محمد باى بن عثمان باى وفقه اللّه، فى أوائل محرم الحرام سنة ست و مائتين و ألف، لتمام المرام، و دخلها بتاريخ يوم الإثنين الرابع من رجب الأشرف سنة ست و مائتين و ألف. ه- لكن فى كثير النقل أنه دخلها فى خامس رجب و ربك أعلم بالصواب، و إليه المرجع و المئاب. و كان محبا للطلبة و لذلك بنا (كذا) لهم المدرستين الأولى بالمعسكر و الثانية بوهران.

يحكى أنه لما رفعت له الشكاية من أهل و هران بالطلبة و تكررت عليه أمر

بإخراجهم من وهران لينظر فى ذلك فخرج الطلبة منها، و انصرفوا بكلهم عنها، و هو ينظر فيهم من محلّه و قلبه متحير فى الأمر بكلّه، فلم ير من لحقهم ورء (كذا) النساء درجن على الأسطاح و أعينهم شاخصات نحوهم أسفا عليهم و فى غم من أهل الصلاح، فجاءه ءاغته الأسد الضرغام، البطل الهمام الشهم الكامل، الجواد العاقل، الكمى الباسل، فارس القتال، و صنديد النزال مبدد الأعداء، و فاصل الدعاوى، ءاغة السيد قدور الكبير بن إسماعيل البحثاوى و قال له يا سيدى لا يليق بك و لا بنا طرد الطلبة الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى، و يتلون كتابه العزيز بالإتلاء الحضى و إنما اللائق أن من فعل ذنبا يستحق به العقاب، عقب و من لا فلا بلا ارتياب. و الذين اشتكوا لك بهم بأنهم أهل افتيات، عليهم بحفظ أنفسهم و أهلهم مما ادعوه عليهم بغير إثبات، فقبل منه هذا الكلام، و فرح به كثيرا بالانتظام، و أمر بردهم لمحلهم فرجعوا، بعد أن (ص ۲۳۶) خرجوا منه و فزعوا، و لما استقروا بمواضعهم، و اشتغلوا بمصانعهم، ذهب/ لهم على فرسه بشواشه، متبخترا فى سيره و نواشه، و حين وصلهم لمحلهم، دفع لهم مالا كثيرا زيارة بقصد التبرك بهم، و قال لهم أيها الطلبة اشتغلوا بالقراءة و كفوا أنفسكم عن الإذاية فما فى المدينة من يحبكم إلا ثلاثة فى المحبة سواء، و هم:

أنا و ءاغة قدور بن إسماعيل البحثاوى و النساء. و فى ءاغة المذكور، الفارس المشهور، قال الحافظ العلامة، القدوة الفهامة إمام المحققين و حافظ الوقت على الإطلاق بالتبيين الشيخ محمد أبو راس الناصرى هذه الأبيات:

ألا إنّ أوصاف الكمال تجمعتبأسرها فى شهم جليل تبرّعت

أموره و هو قدور الذى قد فاقغيره و رتبه إلى السما قد علت

سليل إسماعيل سليل بشيرهايلقّب ببحث تلقيبا له دنت

جميع قواصيها و حاز كمالهاكما لسطوته الرقاب قد أخضعت

و نال علوا لا يناله غيرهفما للبحثاوى من شبه يرى- روت

فإنه حاتم و أخنق قيسهاهرم و مأمون رشيد بلا عنت

فاق ابن مكدّم فى كل أمورهو لو كان حاضرا سلّم له ثبت

و كيف و أنه من نسل صعصعةو هو من المخزومى أصلا له ثبت

و كانت رئاسة المخزن بين آغا هذا و محمد الزحاف ولد الشريف الكرطى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۹۷

التلاوى نوبة ابتدئت (كذا) من هاذين. توفى البای رحمه اللّه ببلاد صبيح حال إقباله من الجزائر على الصحيح سنة ثلاثة عشر و مائتين و ألف بعد ما ملك عشرين سنة. و ما فى در الأعيان و أنيس الغريب و المسافر من أنه بقى ثمانية عشر سنة سهو لما قد علمت أنه تولى سنة اثنين و تسعين و مائة و ألف و توفى سنة ثلاثة عشر و مائتين و ألف و بينهما عشرون سنة صحيحة. و بالجملة أنه كان خليفة على خليل سبعة أعوام و بايا مستقلا عشرين سنة فذلك سبعة و عشرون سنة خدمة للدولة العثمانية المنصورة. و لما طار خبر موته لأهل الجزائر بعثوا لابنه عثمان خليفته و هو أكبر أولاده بالمملكة فركب فورا و حث السير إليهم حثيثا بعد ما بعث أباه لوهران و أوصى على دفنه بالمدرسة التى بالموضع المسمى بخنق النطاح من وهران و حين وصل الجزائر ولّى بايا مكان أبيه تلك السنة. و كان للباى محمد ألقاب وكنى، فالألقاب: يقال له الكبير و المجاهد/ و الأكحل (ص ۲۳۷) و المنصور. و الكنا: يقال له أبو عثمان و أبو على و أبو محمد و أبو أحمد و أبو الفتوحات و أبو النصر و أبو المواهب و أبو الربيع و أبو الفتح إلى غير ذلك. قال الشيخ حسن خوجة فى درّ الأعيان، و الشيخ مسلم فى أنيس الغريب و المسافر.

و حدث بأول مملكته بالمعسكر مسغبة عظيمة هلك بها أناس كثيرة إلى أن أكلوا فيها الميتة و الدم و الخنزير و لحم الآدمى و العياذ باللّه من ذلك.

قلت و هو مخالف لما مر من أن ذلك حدث فى أيام خليل و هو الصواب ثم حدث بأيامه الطاعون العظيم الذى لم يحدث فى هذا الأقليم قبله قط إلى أن مات به جلّ الناس بدوا و حضرا و آل فيه الأمر إلى أن انتقل أهل الحضر و الباى بأهله و مخزنه إلى البدو فى خيام الشعر ظاعنين ظعن الأعراب البادية زمانا طويلا و قد جعل الباى خيمة حمراء من الوبر و سكن بها ببلاد أولاد سليمان أحد بطون بنى عامر و أدار بها الزمالة ثم أدار بهم الدوائر فسمى بذلك الزمالة و الدوائر لكونها زمالة الباى و دوائره و سمى العام بعام الخيمة الحمرا. ثم حدثت الزلزلة العظيمة التى لم تحدث قبل ذلك و اشتدت بوهران أكثر من غيرها إلى أن سقط بها الدور و الأبراج على أمم من النصارى فأهلكوا بذلك و دام ذلك إلى أن اتخذ النصارى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۹۸

بيوتا من اللوح لسكناهم. قيل و تلك الزلزلة هى سبب فتحها كما مرّ. و هذا الباى المنصور هو الذى جعل على المخزن رايسين (كذا) أحدهما كبيرا و هو آغا الدوائر و الآخرة صغيرا و هو قائد الزمالة و إلّا فكانوا قبله تحت رايس (كذا) واحد و هو القائد ءاغة و كان من الدواير لا غير كما مر. و أول من تولى ذلك من الزمالة مصطفى بن قرادة فإذا تولى قدور بن إسماعيل الكبير فإنه يتولى مصطفى بن قرادة و إذا تولى محمد الزحاف ولد الشريف الكرطى التلاوى فإنه يتولى قدور بن على و هلمّ جرّا.

الباى عثمان بن محمد

ثم ابنه عثمان بن محمد بن عثمان و هو ثالث بايات وهران، و أبوه ثانيهم، و أبو الشلاغم المسراى أولهم. كما مرّ. تولى سنة ثلاثة عشر و مائتين و ألف بعد موت أبيه بأيام قلائل و بقى فى الملك ثلاثة أعوام غير شىء. و لما تولى نقل الحكومة من البرج الأحمر إلى القصبة التى بأعلا البلانصة من ناحية مرجاجو و اشتغل ببناء المعالم المرونقة، و الغرف المعددة المزوّقة، و القصور المشيدة، (ص ۲۳۸) و الأساطين الكثيرة المعددة، و غرس/ الأشجار ذات الفواكه و الروائح الطيبة المختلفة، و جرى المياه فى القوارير الموتلفة و أعرض عن المملكة باللّبّ و أقبل بكله على اللهو و الطرب، فانهمك فيه انهماك بعض ملوك العرب، فصار مجلسه لا يخلوا (كذا) من الأدباء الظرفاء، و السادات الأعيان و الشرفاء و لم يلتفت لما كلفه اللّه به من أمور الرعية، بل جعل ذلك نسيا منسيا بالكلية. و كان من جملة ندمائه حقا، و أظرفهم خلقا و خلقا، الفقيه اللبيب، الكعب الأريب، الآخذ من كل علم وافر نصيب الحائز للآداب بالكمال المرعى، السيد محمد بن الجيلانى الخروبى- القلعى، الذى قال فيه الفقيه الحاذق، البارع السابق، الخرير الماهر السيد مسلم بن عبد

القادر، هاتین البیتین بمدحه فیهما بدون مین:

و ندیم لأبی محمد عثمانمصدّر فی کل شیء فقیه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۲۹۹ عفیف ذو نجابة مهابظریف ذو ریاسة وجیه

و قد تقدمتا. و اتخذ مجلسا للخلوة بأحکام، فصار لا یخرج منه للحکم إلّا بعد مرور أیام، و صرف أمر رعیته إلی من شاء من أرباب دولته، فانتفعوا نفعا کثیرا، و نالوا من الرعیة مالا غزیرا، و هو لا یلتفت إلیهم فی الذّکر و السّهو، لما شغف به من أمر اللعب و اللهو، حتی أنه جاءه یوما بعض قواده للمحاسبة علی ما بیدیه، فأطرده و قال له أن المحاسب هو اللّه و لا یکون الحساب إلا بین یدیه، ارجع إلی سبیلک و أمرک، فإنی لست بملتفت لما بیدک أو بید غیرک و دام علی ذلک إلی أن أداه حاله للعزل، و رجع أمره من السّمن إلی الهزل. و ذلک أنه بعث مع بعض التجار لتونس مالا- لیشتری له بعض الجواری المغنیات، ذات الجمال و الغناء الفائقات فأتاه بجاریتین مغنیتین بارعتی الجمال و الغناء متصدرتین فیه لإنالة المنا، تذهبان عن القلب ما به من النصب و العنا، فتسلّا بهما لیالی و أیاما و لغیرهما تحاشا، إلی أن بلغ خبره للجزائر إلی الباشا، فغضب منه غضبا شدیدا، و نهب ماله و سمّر داره و کبله قیدا حدیدا، و نقله إلی البلیدة، علی غیر الحالة المرضیة فنزلها بأهله و ولده و حشمه نزلته الکلیة.

ثورة أحمد بن الأحرش الدرقاوی

اشارة

و بقی بها إلی أن تولی بایا بقسنطینة/ و حاله لم یتشوش إلی أن قام علیه (ص ۲۳۹) ثائرا رجل من درقاوة یقال له السید أحمد بن الأحرش، فتی مغربی مالکی مذهبا، درقاوی طریقة، درعی نسبا، جاء لتلک القبائل و ادعی أنه الإمام المهدی المنتظر، و کان صاحب شعوذة و خنقطرة و حیل و خبر، یبدل بها الأشیاء للشیء الذی یرید فورا، کاستحالة البعر زبیبا و تقطیر السیف دما و الحجارة درهما و الروث تمرا، فرأت الناس منه العجائب، و أظهر لهم الأمور الغرائب، التی هی قلب العین، لا حقیقة لها دون مین فنصروه و عقدوا له البیعة حزبا حزبا، و جندوا معه و أمره کله کذبا، و اتبعوه فی المصادر، و امتثلوا له فی النواهی و الأوامر، فحرک بهم علی قسنطینة و حاصروها یوما کاملا، و کان البای عثمان خارجا عنها لبعض شئونه (کذا) فلما سمع أتاه عاجلا، فألفاه هزم و أصیب بالرصاص فی فخذه فتکسرت، لکن حاله لا زال مجتمعا غیر متشتت، فبات بداره و من الغد

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰۰

خرج لطلبه و هو بواد یقال له وادی الزهور فلحقه هناک و أثخن فیهم بالقتل و السبی و الأسر و الحرق أمّنه من شوکتهم الغرور، إلی أن توغل فی بلادهم و قد ترک وراءه معقلا- صعبا و مضیقا و عرا و کان أمره منشورا. ففرّ القبائل للمعقل و أجروا فیه الماء و داروا بعسکره من کل جانب دحورا. و اشتدّ القتال و حمی الوطیس و کبر النهار، فهزم الباای هزیمة شنیعة و ولّی الأدبار، فوجد المعقل علی غیر ما ترکه فحلّ به المکر بالقتل و الأسر و الکسر و السبی إلی أن کبّ به فرسه فی الطین ثم فرّ عنه و ترکه، فأخذ الباای و قتل هنالک و فرح ابن الأحرش بذلک، و لم ینج من جیش الباای إلا- القلیل، و قد أدارت (کذا) بهم القبائل إدارة عظیمة صار العزیز بها کأنه الذلیل. قال صاحب در الأعیان، و کذا صاحب أنیس الغریب و المسافر، و حدث فی أیامه الطاعون الذی کان قد وقع و ذهب فمات به جلّ الناس و کثیر من العلماء، منهم بالراشدیة العلامة الإمام، و الفهامة الهمام، ذکی الفهم و الأحوال ذکاءة المسک و العنبر و القرنفل و زهر القرفة السید عبد القادر بن السنوسی بن دحّ ابن زرقة، و منهم صنوه الفقیه ذو الفهم الراشمی، الخریر السید الهاشمی، و منهم ابن عمهما الفقیه الأدیب الألمعی الذکی الأنجب الشبیه بالأوزعی مؤلف فتح و هران السید مصطفی بن عبد اللّه و غیرهم من

الأعیان. و ظهر الجراد الکثیر کثیرا (ص ۲۴۰) جسیما/ فأفسد الزرع و الثمار فسادا عظیما. و کان ءاغته بالدوائر الشجاع الطاوی، السید عثمان بن إسماعیل بن البشیر البحثاوی. و بالزمالة قائده قدور بن علی الثابت فی الجزء (کذا) و الکلی. ثم صار علی الدوائر ءاغة بن عودة بن خده أحد أجواد غریس من ذریة الممدود و تولیته علی المخزن من وضع الشیء فی غیر محله و تطوّر الشخص علی غیر شکله. و سبب تولیته إنه کان شاوشا علی ءاغة قدور بن إسماعیل ثم تزوّج ءاغة بابنته میرة فصیّره خلیفة علیه و لما مات قدور و تولی أخوه عثمان أبقاه معه خلیفة إلی أن مات عثمان تولی ءاغة بموضعه و بقی ءاغة إلی أن مات بغارته انقاد فی وقت مصطفی بای فی تولیته الأولی.

الباي مصطفی العجمی و ثورة درقاوة

ثم الحاج مصطفی بن عبد اللّه العجمی و هو رابع بایات و هران التی منها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰۱

سبعة سرد، و واحد فرد، تولی سنة خمسة عشر و مائتین و ألف ، و کان رجلا عاقلا لکنه جبانا أدته جبانته للشقاوة حتی هاجت فی أیامه هیجانا عظیما عامة درقاوة. و قد أشار علیه بعض الأولیاء بقوله (کذا) سیأتی مصطفی عصی، هو فوق الکرسی و الناس تعصی. و فی السنة الثانیة من ولایته و هی سنة ستة عشر و مائتین و ألف غزی (کذا) أهل انقاد غزوته الذمیمة فهزموه الهزیمة العظیمة، مات فیها جملة من رؤساء مخزنه الأعیان منهم ءاغته بن عودة بن خدة و للجنان ذهبوا، و اشتدت الهزیمة حتی أسّروا و سلبوا، و هی أول واقعة وقعت بهذا الوجه فی المخزن، فدخله بها الرعب و الوهن بعد أن کان فی أحواله بالقلب هو المطمئن، و کثر طمع الرعیة فی شبه ذلک و قد مسّ المخزن بعض الجبن و الکسل من ذلک، لا سیما إذا کان الأمیر جبانا خوالا، فلم یزدهم ذلک إلا جبنا و کسالا (کذا) لأن الرعیة تابعة للراعی فی الصلاح و الفساد و أحوال المراعی، و الجیش إذا کان رایسه (کذا) أسدا فهو بذلک جدیر، و إن کان بعکس ذلک فهو بحسب الأمیر، قال الشاعر:

المرء فی میزانه أتباعهفاقدر إذا قدر النبیّ محمّد

أسباب ثورة درقاوة

اشارة

و سبب قیام درقاوة، أهل الحالة الدالة علی ذمّ و شقاوة، أنهم عامة ینتحلون العبادات، و یتلبسون علی الناس ببعض الخیالات.- یحسبهم الجاهل أغنیاء من التعفّف و هم فی أحوالهم فی غایة التلطف لإنالة مالهم به التوصّف، یجتمعون فی الأسواق و الطرق و الفنادق و مراح الدواویر و المقابر و المواسم و الزوایا حلقا حلقا و یذکرون لا إله إلا اللّه جهرا مناوبة/ ثم یذکرون الاسم المفرد بالأصوات (ص ۲۴۱) المتجاوبة، ثم یقومون للشطح و الرقص بعد الأکل الکثیر، إلی أن یغمرهم العرق و التشریر، و یرکبون علی القصب و الکلخ و ما هو کالعهن المنفوش، و یعلقون القرون و قلائد البوش، و یتسابقون علی تلک الحالة، و یعتقدون أنهم علی أکمل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰۲

الحالة، و یلبسون الثیاب المرقعة، و یرومون المسائل الموقعة، و ربما أخذوا جدید الثیاب! فیقطعونها ثم یرقعونها بالاستعاب، و یظهرون الزهد فی الدنیا إظهارا کلیا، و یجلبون الناس للأخذ عنهم و الدخول فی طریقتهم تحلیا، و یذمون الدنیا و تابعها، و یعظمون طریقتهم و

جامعها، و يطالعون كتب التصوّف فيأخذون منها الألفاظ الدالة على ذمّ الدنيا و مدح الآخرة. و فى الحقيقة أنهم ليسوا من أبناء الدنيا و لا من أبناء الآخرة. و إن هم إلّا كالأنعام بل هم أظل سبيلا، و أقدم حالة و أكذب مقيلا، و يكرهون الأولياء و العلماء و يقدحون فى أمواتهم سيما شيخ المشايخ الشيخ عبد القادر الجيلانى ذا السر الباهر، و ينفون عنه التصوّف بالكلية و ينسبونه لأنفسهم بالإخفاء و الظاهر، و ينتسبون إلى رجل مغربى من بنى زروال بوادى أبى بريح من فرقة يقال لها درقاوة، يقال له الشيخ مولاى محمد العربى بن أحمد و ينسبون له السرّ و النقاوة. أخذ عنه جملة من أشياخهم و أصولهم و أفراخهم، منهم السيد عبد القادر بن الشريف القائم بالغوغاء و العامة على أهل الملك و التصريف، و هو من أولاد سيدى أبى اليل (كذا) المرابطين بقبيل الكسانة النقد، حى من أحياء العرب البادية المتوطن بواد العبد. و كان هذا القائم فى أول حاله عالما متفننا فى (ص ۲۴۲) سائر العلوم، محققا لها بقيودها و المنطوق و المفهوم/ ورعا زاهدا، متعبدا راكعا ساجدا، صائما قائما، حنينا راحما، أستاذا يقرى (كذا) القرآن و يعزّ أهله و يزيل بتعلمه لكل جاهل جهله، و الناس يشيرون إليه بالصلاح. و النّسك و النجاح، فذهب للمغرب و أخذ عن مولاى العربى تلميذ مولاى على الجمل. فقدمه على إعطاء الذكر لمن بهذا المحل، ثم رجع من المغرب و ترك ما كان عليه من التعليم، و اشتغل فى زعمه بالتربية و التكليم، و لم يدر أنها انقطعت فى القرن التاسع باتفاق من الأئمة و ليس فى هذا مدافع، و لبس الخرقة المرقعة و علّق البوش و ركب الكلخ و علّق القرون المرقّعة، و ابتدع أمورا يمجّها الطبع، و ينكرها الشرع، و اقتدى به فى ذلك الجلّ من الناس، و أخذ عنه كل من هو فى عقله فى غاية الإخساس، خصوصا أهل الصحراء فأذعنوا له إلى أن قهرهم قهرا، و زاغت به نفسه الأمارة بالسوء و باع آخرته بدنياه، ثم أصبح بلا- بهما معايا و يلاه، و صارت عامة درقاوة تجتمع إليه، فيخرج بهم إلى الصحراء فيجتمعون عليه، و تتلقاه الأعراب بالفرح و السرور، حتى أخذت عنه جميعها الورد و هو فى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰۳

سرور، و صارت كل شيعة تهدى إليه الهدايا، و يأتون إليه من كل فج بالعطايا، و يشتكون إليه ضرر المخزن و ما هم فيه من أداء المغارم، و لم يعلموا أنهم سيرجعوا إلى انتهاك المحارم، فكان يعدهم بالفرج القريب المشكور، و يجمع تلك الزيارة و الهدايا فيذهب بها إلى شيخه المذكور و يدفعها إليه و يقص عليه ما هم فيه خدّامه من إهانة المخزن إليهم، فيقول له انصرهم و اللّه ينصرك عليهم، فحصل له بشيخه الطمع الكثير مع ما نظره من اجتماع الغوغاء عليه بالأمير العسير، و هم الأحرار و غيرهم من أهل العناد، الذين يشبّهون بصغار الجراد فى الفساد، فدعا أهل الصحراء كالأحرار و غيرهم لمبايعته فأجابوه فورا لذلك و لكل ما يشتهى و أقام بالأحرار/ يأمر و ينهى. و فى هؤلاء درقاوة وقع السؤال و الجواب (ص ۲۴۳) من العلماء أولى الألباب و نصّه:

أيا أهل تطوان فما الحكم عندكمفى أصحاب درقاو إلى الجمل ينسب

بنصّ يزيل المشكلات بأسرهاأيتبع مطلقا أم التّرك أصوب

و من أين ذاك الأخذ بالسند الجلب كما قرّروا للشاذلى الجاه يحسب

إذ ذّا المحدثات شاع فى الناس حكمهايا ذا الأمن بالأوطان بلدنا مغرب

و ما أحدثوا من جلد ذيب و نحوهفى لبسهم و الحبل و العود يركب

إذا نصبوا للاقتداء فهل لناثواب صلاتنا أم الأمر أصعب

و هل غيبة تجرى و ينصق عادلجوابكم نبغى من الحوض نشرب

جوابه

عليك سلام اللّه يا سائلىّ فخذنقولا من المعيار بالسوط يضرب

و ابن هلال شدّد جدا محرراو من يتّبع ذا الأمر إبليس يصحب

و من يعتقد الرقص و الشطح باليدعبادة ربّه فزنديق يحسب
و قد خالفوا سبل الرسول محمّدو من خالف سنّ النبيّ يعذّب
إمامتهم مع الشهادة باطلةلبدعتهم حقّا و صدقا مركّب
فلا غيبة تجرى فى سبعة طبّقوافى مثلهم الأخيار للعلم ينسب
فهذا هو المشهور عند جميعهمفجنّب طريق اللّهو للحقّ تقرب
و أيقن بأن اللّه أنزل حكمهفى تنزيله القرآن شرعا مهذّب
طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰۴

معركة فرطاسة و نتائجها

قال فبينما الناس على غفلة إذا بابن الشريف أصبح قائما بأقوالهم، معلنا (ص ۲۴۴) بجهاد/ الترك و المخزت محللا لدمائهم و أموالهم فاجتمعت عليه الغوغاء من كل جانب و مكان للحرك، و هبط مع وادى مينا قاصدا نحو المخزن و أذن لأتباعه فى النهب لأموال أتباع الترك. و كان الباى فى بعض حركاته راجعا بعد فراغه منها إلى و هران. و لما سمع بالدرقاوى جمع له الجيوش و خرج للقائه فبلغه الخبر المحقق و هو نازل بالموضع المعروف بالبطحاء الآن، بأن ابن الشريف بمينا بقرب تاقدمت بجيشه حائطا، فصار الباى صاعدا نحوه، و ابن الشريف له هابطا، إلى أن تلقيا بفرطاسة فى غاية الحزم و الشدة، و كان ذلك المحل ما بين مينا و واد العبد، فاشتدّ القتال بينهما على الماء و صارت نار الحرب بينهما دائرة بالحتوف، و تزاحفت لبعضها بعضا الصفوف و تراكم الأمر و حام الوطيس المعروف، فانهزم الباى و قام مخزنه على ساق واحد و ركب العدّو بظهره فى تزايد، و صار يقتل و يسبى و يأسر إلى قرب أم العساكر، و بقيت محلة الباى بما فيها بيد الدرقاوى المتجاسر، فأمسى الباى بمخزنة فى نكد، و أصبح الدرقاوى بأتباعه فى رغد، فسبحان المعز المذل الإله بوحدانية المنفرد، و دخل الباى للمعسكر على غير الحالة المعهودة، و عساكره خلفه مطرودة، و مات من مخزنه خلق كثير، و عدد حصره عسير، من جملتهم كاتبا الباى و هما: العلامة السيد الحاج أحمد ابن هطال التلمسانى الراوى، و العلامة الأديب أبو عبد اللّه السيد محمد الغزلاوى إلى غير ذلك من الأعيان، الذين انتقلوا إلى جنّة الرضوان. و فيها قال السيد حسن خوجة فى در الأعيان هذه الأبيات:

فرطاسة يومها ترى الجنود بهما بين قتلى و أسرى غير ناجينا
فالباى جاء بجيش لا نفاذ لهبه يريد لقاء العدو باغينا
فلم يحقّق له سعى و لا أملبل جاء جنده صفر الكف باكينا
(ص ۲۴۵)/ فاليوم لابن الشريف عزّ فيه علىباى الأعاجم لولا الدين لا دينا

و قال السيد مسلم الحميرى:

فيوم فرطاسة يوم كبيرذلّ فيه العزيز عزّ الحقير
طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰۵ لقد هيّا مصطفى جيشا كبيراتركا و مخزنا الملك الجدير
فلم تك ساعة إلّا و انهزموامن جيش قليل هيّأه الفقير

قال: ثم خرج من المعسكر عشية يومه و قيل عشية اليوم الثانى، و كان يوم الأحد ثالث أو ثامن من ربيع الأول بالبيانى، سنة تسعة عشر و مائتين و ألف ، من هجرة من حاز الكمال و الشرف و الوصف. و رجع لوهران فدخلها فى فلّه، و هو فى و جل ببعضه و كله، فاجتمع عليه أعيان مخزنه و سهّلوا عليه الأمر و هوّنوا عليه المصيبة، و أزالوا عنه ما بنفسه من الوجل و الريبة و قالوا له لا تجزع من الدرقاوى و أعرابه، و جيوشه و أصحابه فنحن سيوفك الماضية. و رماحك النافذة القاضية، و شجعانك الداهية و فرسانك الضارية الدامية، و

الأمر كذلك و فوق ذلك، و لا يكون إلّا ما تراه من الدفع عنك بأنفسنا و أكثر من ذلك، فإن كان الأمر من اللّه فلا يليق إلا التسليم، و الرضى؟ بما قدره و قضاه الحكيم العليم و إن كان غير ذلك فلا ترى إن شاء اللّه إلا ما يسرّنا و يسرّك بغير خلف، ألم تعلم أننا فحول هذه الأوطان و أبطالها موروث ذلك عندنا خلفا عن سلف، و من يناقمنا يحلّ به الويل، و يصده النكل و الخبل. و قد صدق فينا قول الشاعر الماهر، الذى قوله ذائع عند البادى و الحاضر:

إذا قالت قريش فى أمر شيئافذاك القول مصداق المرام

/ فصدقوها فى المقال حقاو لا يكن تكذيب فى الكلام

(ص ۲۴۶) و قول الآخر:

إذا قالت حذام فصدقوهافإنّ القول ما قالت حذام

و قول آخر:

و ننكر إن شئنا على الناس قولهمو لا ينكرون القول حين نقول

و قد نصبنا أنفسنا للموت و التزمناها، بحيث من لم يمت منّا بالسيف مات بغيره فيتمناها فصدق فينا قول الشاعر:

و من لم يمت بالسيف مات بغيرهتعدّدت الأسباب و الدّاء واحد

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰۶

و لا- خير فى خلف إذا لم يتبع السلف، و لا- فى الرجل إذا لم يتبع أباه و لخصاله يقتف، و الورقة من الشجرة، و النار من الزناد و الحجارة. و قال فعند ذلك اتفق رأيهم على تحصين البلاد بكل الأدوار، و إقامة آلة الحرب و ما يئول (كذا) إليه الحصار، و أتقنوا أمرهم غاية، و استعدوا للعدو بدءا و نهاية. و لما استولى الدرقاوى على المحلة و عزّ جانبه فى كل قرية و حلّة، و اتصف بالمزية، كتب بالبشائر و التهانى لجميع الرعية، قائلا لهم بقوله الذى بان لهم فيه النصيحة و المعونة، أننا نزعنا عنكم ما كنتم فيه من الحقر و الذلة و المسكنة، و أداء المغارم و الجزية الثقيلة، و المؤن الكثيرة الجليلة، الذى جميع ذلك هو حرام، على من انتظم بالدخول فى سلك الإسلام، و قد قطعنا دابر الترك الظلام، و أتباعهم الشّرار اللئام. فالواجب عليكم مبايعتنا و الإذعان لنا و طاعتنا، فوافقه على ذلك (ص ۲۴۷) جمّ غفير، و عدد كثير/ فاجتمع عند ضحى يوم الجمعة، ثالث عشر ربيع الأول تلك السنة ذات القصعة، ما لا يحصى عده، و لا يستطاع دفعه ورده، من رعايا البای، من ذوى العقول الفاسدة الرأى، فمرّ بغريس الشرقى و الألوية على رأسه فى غاية الخفقى، إذا به سمع امرأة تنادى على أخرى تركية، و كان ذلك اسمها فى المحكية، فأنف من ذلك و أبدل اسمها فورا بعربية، و قال ما عدونا إلّا الترك بأتباعهم و حشومهم و أشياعهم. ثم دخل المعسكر فأطاعوه، ما بين طوع و إكراه بايعوه و ما داعوه فصيرها دار ملكه و سكناه، و جمع بها أهله و أولاده و جعلها مثواه.

و قد ألفى بها وقتئذ الفارس القائد أبا محمد بالحضرى بن إسماعيل البحثاوى نسبا، الدايرى (كذا) مرتبا، قد كان البای بعثه لها لبعض شئونه، و قضاء مطالبه و مؤنه، فتقبّض عليه كغيره من القواد و سجنه، و كبّله و مهنه. و هزم جيشه خليفة البای مصطفى ببلاد مجاهر فى ربيع الثانى من تلك السنة هزيمة شنيعة، و قتلوا العسكر و نهبوا المحلة ذريعة. ثم خرج من المعسكر بجيوش كالجرذ أن تملأ الخراب و العمران، قاصدا بها فتح و هران. و لما حلّ بسيق بأرض الغرابة، فرّ منه أهلها بعضهم للجبال و بعضهم للغيب و الأماكن المتوعرة الشعابة، و من دخل منهم لغابة الجيرة التى هى طريقه أوقع بهم عظيما ما بين القتل و الأسر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰۷

و السبى و حلّ بهم تطريقه، حتى عرف بالموضع الذى وقع به ذلك للآن بشعبة النواح، لكثرة نوح الناس بالبكاء على أنفسهم و أهلهم و ما بهم من الفراح. و كان الولى أبا عمامة الغربى تلميذ أبى دية قبل الواقعة يقول و هو فى خلوته: مزينكم يا حواض السماء لو كان فيكم الماء لأن كل من فرّ لأحواض السماء و هو الجبل المطل على طلقة العلوج و سيق نجا، و كل من/ ذهب لغيره حلّ به ما يرتجا

(ص ۲۴۸) (كذا)، و صارت جنوده المفسدة الذميمة الوافرة العدد الجسيمة، ما تمرّ بموضع إلا تركته وحشا، مهانا و وجهه و خشا، و كان قدومه لوهران فى الصيف فى أبّان الحصاد، فسارت إليه و أطاعته جميع العباد لا عربى و لا مخزنى، و لا شريف القدر و لا دنى، خشية منه على زرعهم و مالهم و ضرعهم، لكون الجنود مضنة الفساد، و الضلال و النكاد، لا سيما عادة الجنود السلطانية المتوّجة بالتّيجان الشيطانية، فلم ينفع ذلك من دخل فى طاعته، و لا من أتاه للخلاص ببضاعته، بل سلّط من شدة ظلمه أتباعه، على من انتسب للمخزن فأكثر إيقاعه، فأخذوا ماله و نهبوه و سبوا أولاده، و تركوا حيارى زوجه و أفراده، فحرقوا و نهبوا و قتلوا و أسروا و سبوا، و صار المستغيث بهم كالمستغيث فى الرمضاء بالنار، أو السفيه فى القفار. فكانوا أهلا بقول الشاعر، الحاذق الماهر:

فالمستغيث بالسفيه عند كربته كالمستغيث فى الرمضاء بالنار

و لم ينج من وقائعهم الرذيلة إلّا من نجاه اللّه منهم أو لجأ إلى بعض المواضيع الممتنعة عنهم. قال: ثم ارتحل و نزل ضواحى و هران بقربها فى المشتهر، و صبحها بجنوده كأنها الجراد المنتشر، طامعا فى دخولها و أخذ ذخائرها، و تزوج نساء أكابرها، كطمع جنوده بذلك لضعف أهلها فى زعمه عن دفع ذلك، مستحلّين ذلك لضعف مذاهب الأعراب ذات الفعل القبيح الخائضة مع كل ريح، و ما ذلك إلا لضعف عقولهم و قساوة قلوبهم، و شدة جهلهم و كثرة لعوبهم و زلّة أقدامهم و رؤوسهم، و اتباعهم هواهم و ما سوّلته لهم أنفسهم فى قيامهم و جلوسهم، و شدة حسن ظنهم بأميرهم، و لا فرق بين كبيرهم و صغيرهم جازمين أن كلمته لا تردّ، و أن دعاءه مستجاب فى كل واحد، فاستعدّ/ للقائه (ص ۲۴۹) أهل البلد، و تهيّوا (كذا) لقتاله بكل مرصد و خرجوا لمبارزته و مكافحته و منابزته، و محاربته و قتاله، و مناطحته و نزاله، فقاتلوا شديدا مددا و هم مع ذلك أقل منه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰۸

عددا و عددا، فكان من أمرهم الظهور عليه بحشوده، و حصل النصر لهم فهزموه مع كثرة جنوده و مكر اللّه بالقوم الظالمين الفاجرين، قال تعالى كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ، و اشتد المخزن فى القتال مع قلّته، و انهزم العدو من حينه مع كثرته و جلّته، و صار ذلك اليوم هو باكورة سعدهم و نجحهم و علامة ظفرهم بالعدو و ربحهم و ظهور قوتهم و بأسهم، و مسرة بشارتهم و أنسهم، فما من يوم بعده حاربوه إلا كان لهم فيه النصر و الظفر، و المهابة و النصرة تجرى على القضاء و القدر، و لا زالت بينهم و بينه الحروب الشديدة، و المكايد المديدة العديدة، و انسدّت السّبل البريّة بين و هران و الجزائر أياما.

فبينما الناس كذلك و إذا بالسفن فى البحر تخفق فيها أعلاما مشحونة بعساكر الأتراك الشداد، تحت حكم باى آخر و هو محمد بن محمد بن عثمان على حسب المراد. و كان ءاغته البطل الشجاع الفارس الباسل المطاع، كافل الأراميل (كذا)، البحثاوى عثمان بن إسماعيل، ثم كثير الشدة، بن عودة بن خدة، ثم الطّود الشّامخ، الإكليل الباذخ البحثاوى على ولد عدة، المزيل لكل غمرة و شدة، ثم الفارس الجواد الباسل، الخرير الكامل الواصل، الضرغام الجميل، البحثاوى قدور الصغير بن إسماعيل. و من الزمالة مدير الأمور الوهرانى السيد محمد ولد قدور.

الباى محمد بن عثمان المقلش و حروبه مع الدرقاوى

ثم محمد بن محمد بن عثمان، الملقب بالمقلش و هو خامس بايات و هران، الذين نار بهم الوقت و طاب الزمان، كان انتقل مع أخيه عثمان إلى مدينة البليدة كما سبق البيان، و أقام بها إلى أن قام ابن الشريف الدرقاوى على (ص ۲۵۰) مصطفى بن عبد اللّه المارّ و حاصره بوهران/ و لما رءا (كذا) أهل الجزائر عجزه عن دفاع العدو و خانه، عزلوه و خليفته حسن و ولّوه فى مكانه لرياسته و شجاعته بالميامنية، و سعادة الوطن بولاية العثمانية. تولى سنة عشرين و مائتين و ألف و هو

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۰۹

ابن ثمانية عشر سنة على ما قد قيل، و قيل غير ذلك من الأقاويل و بقى فى الملك ثلاثة أعوام غير كسر بالبيان. و لما أمره الباشا

بالإتيان مع البرّ قال له أن ما بين الجزائر و وهران لا يسلكه حتى الذّبان، و كيف تأمرنى بالذهاب معه أيها الباشا، فالسالك معه لا شك أن أمره يتلاشا (كذا) فأرسله فى السفن فى البحر، و هو فى غاية الحزم و العزم و الصبر.

قال: و كان من خبره أنه لما قدم لوهران، وجد الدرقاوى محاصرا لها من كل جهة و مكان، و الناس فى ضيق شديد من طول الحصار، و انقطاع الأقوات البريـة باسـتلاء العـدو على ضواحيها بالاشـتهار، فكان طلوعه على أهل البلـد طلوع نجم سـعيد، يراصده رجل حكيم مفيد، و قدومه عليهم صعدا، و ملاقاتهم إياه فوزا و مجدا، يشمله قول الشاعر الحكيم الحاذق الماهر:

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعداو كوكب المجد فى أفق السّما صعدا

و كان للبلـد وقت ذلك خمسـة أبواب ألفاها كلها مغلوقة، لا من يدخلها من أهل الضواحى و لا من يخرج منها من أهل البلد إلا بإذن و خلوقة، فأمر بفتحها و حاله فى عزم و شد و نادى المنادى من قبله أيها الناس من أراد الدخول و الخروج فليدخل و ليخرج و لا حرج فى ذلـك على أحـد، فتفسـح النـاس و انفرج المضـيق و أمنت من حينه البرارى و الطريق، و صار المسافر لا يحتاج إلى الرفيق، و هبت رياح النصـر و خفقت أعلامه و ضاق متسع العدو و أظلمت عليه لياله (كذا) و أيامه، و سئم مكثه بالمحل الذى هو فيه و مقامه، و صار الحرب معه عنـد أهل البلـد عيـدا،/ و عـدوهم بين أيـديهم صـيدا متعـددا و فريدا، و الدّرقاوى يعد جنوده (ص ۲۵۱) كل يوم بفتـح و هران، و هو مسـتحوذ عليه الشـيطان، و يمنيهم بالأمـانى الكاذبـة، و يطمعهم بـأقواله الجالبـة، و يعـدهم المواعيـد العرقوبيـة، و يقـاولهم بالأقاويل الكذوبيـة، إلى أن جاءه شـيخه من المغرب و حضـر لمقاتلـة و شـدة الحرب، مع جيش تلميذه فرءا (كذا) بالعيان، ما لا يقدر عليه بكلمـة البهتـان، و أزعجه قتال المخزن و ما فيه من الأعيان، بعـد أن أمرهم بحمل الشواقير و الفيسان و أنهم فى يومهم يـدخلون و هران، و يصـيرونها بالهـدم و التخريب مغـارات للفيران، فباء و شـرذمته بغضب من اللّه، و لحقهم الضـرر من المخزن ما لم يلحقهم من أحد

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱۰

بإذن اللّه، إلا أن الجاهل كل الجهل من يريد أن يحدث فى الوقت ما لم يحدثه اللّه، عالم الغيب و الشـهادة و مقدر الشقاوة و السعادة، المعطى المـانع، المعز المـذل، الخـافض الرافع. قـال، و كان مع الـدرقاوى من أعيان المخزن أبو القاسم ابن ونّان قائـد الغرابـة مطيعا له راكبا، فرءاه يوما و رجله ترتعـد فى الركاب ارتعادا شديـدا قـد ارتعد لها جميع جسده و المخزن عليه كالبا، و كان رجلا جسـيما غليظ القوائم طويل القامـة بالطول الحايم، متسع الوجه مـدوّره شديد البياض كثيف اللحية طويلها سـريع الانقاض. فقرب منه و قال له ما هذا الخوف و الجزع، الـذى اعتراك حتى حـل بـك الارتعاد و الفزع، و أنت فى هم و حيرة، و غم و سـكرة، فقال له يا خالى أبا القاسم و اللّه لقـد ذهب جميع ما كان عندى من السـر الذى جئت و أنا لمن أرذل الناس كالنايم، فقال له أن شـيخك عما قريب يكون عندك، فتنتصر على غيرك وحدك، فأجابه بأن الشىء إذا ذهب ليس له رجوع، و لا يفيد (ص ۲۵۲) فيه الشيخ و لا غيره/ فى المسموع، فأيقن درقاوة من أنفسـهم بالعجز و الخـذلان، و أيسوا بحمد اللّه تعالى من فتح و هران. قال فى در الأعيان أولئك الطائفة حزب الشـيطان ألا إن حزب الشـيطان هم الخاسـرون، و هؤلاء الدافعـة هم حزب اللّه ألا- إن حزب اللّه هم المفلحـون الناصـرون. قـال فـاتفق رأيهم على الارتحال عنها برجف و خفق، لحصـنها و شـدة مخزنها و الذهاب عنها لغيرها من مدن الشـرق، فأصـبحوا ظاعنين و للعود لوهران ليسوا بطاعنين، و كان بالغرابة ولى من أولياء اللّه الكاملين الواصـلين الذين للسـر حاملين، يقال له السيد عبد القادر أبى عمامة، تلميذ الضرير سيـدى محمد أبى ديـة كثير الكرامة، و كان مأذونا له بالكلام فى أمور الكشف كشـيخه الجليل، و كان يسـكن فى عبادته بغابة مولاى إسـماعيل. و لما تحرك الدرقاوى مشرقا، و أحواله باطلة و قلبه مخفقا، صار يقول هذا الولى بكلامه المشجع يا سيدى داوود، غير هذه المرة و لا- تعاود، يا سـيدى مبارك، نوّض الجمل المبارك. و لما وصل الـدرقاوى لمزارع سـيق قرب سـيدى داوود قامت عليه الغرابة مجتمعـة للميـدان، و رايسـهم (كـذا) قايـدهم أبو القاسم بن ونان يرومون منه أخذ الثار بما فعله بهم من قتل الرجال و النساء و الصبيان فتعرضوا له بالضـرب و النهب، و القتل و السبى و العطب فنالوا منه بعض الإنالـة و ابتـدا (كـذا) فى النقص بتلك الحالـة. ثم لما وصـل

لسيدى مبارك قرب وادى هبرة، لقيته فرسان البرجية

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱۱

مع ما انضم إليهم من بنى شقران و صيروه غبرة، و قد تعرضوا له و هو سائر، و تكلم المدفع الرّبانى فيه من سيدى مبارك فى الدرقاوى الثائر، سمعه الغائب و شاهده الحاضر، فبصر اللّه البرجية على درقاوة، و هزموهم هزيمة شنيعة و أبدلوا سعادتهم بالشقاوة و أخذوا بظهورهم و أدبارهم/ و وضعوا البارود و السيف فى (ص ۲۵۳) خيارهم و أشرارهم فكان يوما عظيما على درقاوة، و غنم و قتل فيه من قتل و أسر من أسر و سبى من سبى و جرح، و حلت بهم الشقاوة و غنم منهم الحاضرون لهم من البرجية و بنى شقران، غنائم كثيرة ليس لها حصران، لم يفتقر بعضهم بعدها قط و لا- يرى الخسران، فلله درّ فرسان البرجية و من انضم إليهم، حيث قاتلوهم و هزموهم و غنموهم و سلطوا عليهم، لقد أشفوا العليل، و أبردوا الغليل، و لم يقنعوا منهم بأخذ القليل، بل تركوهم حصيدا لكل لاقط من الكثير و القليل.

قال و فرّ الدرقاوى مفلولا فلة جليلة فى شرذمة قليلة، قاصدا لأهله و خاصته بالمعسكر فمنعه أهلها من الدخول، و تقبّضوا بأهله و أولاده و سائر الذين بها من درقاوة، و مكنوهم من القائد السيد الحاج بالحضرى بن إسماعيل البحثاوى فجعلهم فورا فى الكبول. و ذلك أن الدرقاوى كان سجنه كما مرّ مع سائر القواد، و تركهم فى أرذل حالة على رؤوس الأشهاد. و لمّا حلّ بالدرقاوى من البرجية ما حل بسيدى مبارك، أخرج المعسكريون الحاج بالحضرى من السجن بمن معه و حكّموه عليهم و مكنوه من أهل الدرقاوى و أولاده و سائر طائفته عند ذلك، و أعطوه السلاح فصار حكيما أميرا، بعد أن كان مسجونا أسيرا، و فتك بدرقاوة ما بين القتل و الجرح و السّبى و الكبل، فتكا شديدا، لا يكون له مثل، و المرء بما دان يدان، و الأيام متداولة بأحوالها من الخير و الشر على كل إنسان. قال تعالى: وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ. و قال صلى اللّه عليه و سلم: «يوم لك و يوم عليك». و قالت العرب: يوم سمين و يوم هزيل. و قال الشاعر من بحر الطويل:

/ ثمانية تجرى على المرء كلّهاو كل امرء لا بدّ يلقى الثمانية

(ص ۲۵۴) سرور و حزن و اجتماع و فرقةو يسر و عسر ثم سقم و عافية

ثم أن الدرقاوى لما منع من الدخول للمعسكر فات على وجهه مع جموع الأحرار و سلّم فى أهله و أولاده و أصحابه و فرّ. قال و لما أتى الخبر للباى بتشتيت درقاوة قام من ساعته، و جمع أرباب دولته و أمرهم بالخروج لطلب الدرقاوى،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱۲

و فتح ما يتيسّر له من البلاد بالفتح الحاوى فقال له من معه من الوزراء و السادات و الكبراء، أمهل بالخروج المعلوم، و اكتب لأهل الضواحى من المخزن بالقدوم، و لا تعاقب أحدا بما فعل و لا تكن منك له لائمة لأنهم لم يروا ذلك فارطا فظنوا عند الرؤية أن لا تقوم لنا قائمة، فأساء اللّه ظنّهم، و خالفهم الدرقاوى بما منّهم فقال لهم رأيكم هو عين الصواب، و هو الذى يقع به الكتاب و أمر كتابه بمكاتبة ما أشار به أعيان المخزن، و قلبه مسرور ليس بمتحزن، ثم بعث للمعسكريين رسله ليأتوه بنساء الدرقاوى و أهله و ذخائره، فبمجرد الوصول بعثوهم له صحبة القائد الحاج بالحضرى و أعيانهم ببشائره، فقدموا بهم على الباى بوهران بإظهار السرائر، فأركبهم فى الفلك و بعثهم إلى الجزائر و طارت إلى كل مكان صحف البشائر.

ظهور الدرقاوى من جديد

ثم خرج نحو المعسكر فنزل بلد البرجية و معه أخوه أحمد المغيار، و أقام بها أياما ينتظر من كل جهة ورود الأخبار، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخبر الطائر، بأنّ الدرقاوى جمع جيشا جليلا من الصحرا (كذا) بموافقة مجاهر و بنى عامر، و أن مجاهرا عزموا على الغارة عليك و صمموا بالمجيء إليك، فتحيّر و ضاق به (ص ۲۵۵) المتسع/ و اشتد به القلق و الجزع، و الاضطراب و الفزع، و خشى أن

الخرق على الراقع يتسع، و نادى لنديمه الأديب و رفيقه الحبيب، و مؤنسه و صاحب سره، المطلع فى جميع الأحوال على سعده و نحسه و خيره و شره، شبيه الحكيم اليونانى، اللبيب الخروبى القلعى السيد محمد بن الجيلانى فلمّا أن حضر مجلسه أخبره بما سمعه و اقتبسه، فقال له أيها الأمير المالك، اجمع أعيان مخزنك و استشرهم فى ذلك، لأن الرأى هم أهله، و الحرب هم صدره و أصله، فأحضرهم و أخبرهم بالخبر و كرّر لهم ذلك و حرّر، فاختلف أمرهم فى الرأى بالجواب، فبعضهم قال بالرجوع لوهران و غلق الأبواب و أهل الجزائر يدفعون عن أوطانهم لعدم الطاقة عن دفع العدو و أقرانهم، و بعضهم قال غير ذلك، إلى أن سمع الباى رأى الجميع بما هنالك. و كان الفارس الهمام، و الأسد الضرغام و البطل الشجاع، و الصنديد المطاع، الذى للغيظ كظّام، النّافع لمن انضم إليه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱۳

من الأنام كافل اليتامى و الرامل، و قامع الشجعان البواسل من أسعده اللّه و أسعد به البلاد، و أقامه لنفود مصالح العباد، القائد الأنجد، الفاضل الأمجد، الجواد الأسعد، المخزومى الأوكد سمط عقدة أبو مدين السيد قدور الصغير بن إسماعيل البحثاوى ءاغة، مكّن اللّه من الجنّة إن شاء اللّه وصله و بلاغه، حاضرا ساكتا، و عارفا بالرأى و صامتا، فلما رءا (كذا) الاختلاف و عدم ما يحصل به الإتلاف قال له يا سيدى الذى أشير به عليك لا بدّ لنا من لقاء العدو لا محالة و لا تضرنا كثرته فإنهم حثالة الحثالة، بمنزلة الضباب أو النخالة، فلا يهوّلنك هذا الأمر، و لا تكن منه فى قلق و عسر، فما خرجنا إلّا لنلقوا مالا/ نحبّه، و عدونا إن شاء اللّه على أم (ص ۲۵۶) رأسه نكبّه، و الصبر مفتاح الفرج، و مزيل للجزع و الهرج و لا يدرك المجد إلا بالصبر و لا يحصل الظفر بالعدو إلّا بعد أكل الصّبر، لقول الشاعر، المفيد بالوعظ الماهر:

لا تحسب المجد تمرا أنت ءاكلهلن تبلغ المجد حتى تلعق الصّبرا

و الحكماء يقولون فاز باللّذات الجسور، و بالصبر يتميز الأمر من المأمور، و من يريد العسل، يصبر لجنى النحل، و من طلب المعالى سهر الليالى. و أنت أيها الملك إنما بعثك أهل الجزائر لتفتح لهم الوطن، فلا تخيّب لهم فيك الظن و تمهّد لهم البلاد، و تدوخ لهم الأبطال الشداد، فلا تخيّب لهم رأيا أصابوه فيك، و لا تكسّر لهم قلبا يسرّ حين يوافيك فإنهم على غيرك اختاروك، و أنت أولى بذلك لمّا اختاروك، و إياك أن تكون كمن فى أول غزاته (كذا) انكسرت قناته و انفصمت أوثق عراته، حتى تكالبت عليه العدا، و طمعت فى أكله الرخام و الحدا، و أنّ هؤلاء الأعراب لا يخفى علينا حالهم و ما لديهم كما لا يخفى حالنا عليهم، فلا رجوع لنا عن تدويخهم إلّا إذا متنا عن ءاخرنا، و يكون النصر لنا عليهم بانتصار ءامرنا (كذا) و قد جمع اللّه شملنا بعد ما فرّقه الدرقاوى، فصار المخزن كحاله المضاوى. و الرأى المتين الرجيح (كذا) أن تبعث من أعيان المخزن من يكشف لنا عن حال بنى عامر و ما هم عليه و يأتوك بالخبر الصحيح، كما تبعث لكبراء الحشم و البرجية الجبلية بغير تراوى. يجتمعون بكلهم و يلقون الدرقاوى، و نحن نكونوا (كذا) فى مقابلة مجاهر بقوة و شدة و وحدة، و نحاربوا (كذا) بحول اللّه و قوته لكل واحد وحده، و يكون النصر لنا لا علينا بانتقاد، لأننا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱۴

(ص ۲۵۷) نريدوا (كذا) الصلاح و هم يريدون/ الفساد، فهم فرقة باغية زاحفة فى هذا الأمر، فوقع الاتفاق على هذا الأمر. قال فظهر أمر بنى عامر كذبا، و اجتمع الحشم و البرجية كما أمرهم فورا و قربا، و لقوا الدرقاوى فهزموه بعد الحروب الكثيرة الصحاحى، و اطردوه عن سائر تلك النواحى، و قدم مجاهر إلى بلد البرجية فأثخنوا فيها بالنهبية و اشتغلوا بحوص الحب و نقله من المطامير، و هم فى حالهم بغير ناه و لا أوامير (كذا). و لما سمع الباى بما لديهم أمر مخزنه بالركوب إليهم، فامتثلوا أمره و شنّوا الغارة عليهم، فلم يك (كذا) إلّا قليل فى قتلهم، و إذا بالمخزن قطع نحو التسعين رأسا منهم و فرّ الباقون لمحلهم.

ثم رحل الباى فى صبيحة الغد، و نزل بطرف البرجية بينهم و بين مجاهر فى الحدّ، ثم رحل من الغد بقصد بلد مجاهر فلقوه بالضريوية و حاربوه ساعة، فهزمهم بعد ما مات من الفريقين كثير و نجوا سراعة، و نزل بماسرة، و أقام بها أياما، يدبر أمورهم جلوسا و قياما،

فبينما هو فى تلك الحالة، إذا بمجاهر اجتمعوا و جاؤه رجّالة و خيّالة، و غاروا على محلته وقت الصباح غفلة و دارت جنودهم بالمحلة و جالت جولة فخرج المخزن إليهم خروج اليقين، و تزاحفت الصفوف لبعضها بعضا و اشتدّ الطنين، فلم يكن غير ساعة إلا و مجاهر ولوا الأدبار بحالة المنهزمين، و مات من الفريقين خلق كثير، و عدد حصره عسير، و كان من جملة من مات من المخزن القائد المشهور، الفارس الذى عند الناس مذكور، الصنديد المكين، الزمالى السيد عدة بن محى الدين. ثم ارتحل الباى صبيحة غدا و نزل ببلاد مجاهر، أهل الضلالة و المناكر، و زاد فى الغد لوادى مينا و به نزل (ص ۲۵۸) و راغ، فأتته به جموع مخزن الشرق بالمسيرة و من الرعايا/ جماعة بنى أوراغ، ثم ارتحل و صعد مع وادى مينا إلى أن نزل بالواد المالح و أقام بها أياما و قلبه مطمئن فارح. فبينما هو هنالك بين اليقظة و النعاس، إذا بالدرقاوى بجمعه قصد المحلة على غفلة من الناس، فنادى المنادى بأفصح الخطاب، عليكم بالركاب إلى كاب، ففزع الناس لذلك و حكى كل لصاحبه بما هنالك و ركبوا خيولهم و خرجوا من المحلة ينظرون غيولهم و خرجت عساكر الأتراك كأنها الليوث العوابس، فهم أسود بنى آدم بزماننا، و جالت الفوارس، و حصل الحرب خارج المحلة، و كثر العياط بين الناس بغير القلّة و تزاحفت لبعضها بعضا الصفوف،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱۵

و العدوّ فى العدد ألوف الألوف. قال فلم يكن غير ساعة و إذا بالدرقاوى بجيوشه قائم شارد، و للنجات (كذا) سائل و نائد و أظلم الجو الغبار، و تكادر الأمر و كبر النهار، و غضبت فرسان المخزن و صارت حائمة كأنها الطيور، تخوض بين أسراب الزرزور، فلا ترى فى جيش الدرقاوى إلّا القتيل و المأسور، و المسلوب من الباس، و المقطوع الأعضاء و الراس، و زادوا فى الحملة إلى قرب قرية الولى الكبير الغوث القطب الشهير، ذى المناقب المعدودة، سيدى محمد بن عودة، فرجع المخزن بعد ذلك عنهم، و قلوبهم شائقة إلى الظفر بهم و الغنيمة منهم. ثم رحل الباى فى صبيحة غد متوجها للقرية المذكورة ذات المسالك فى طلب الدرقاوى و نزل بموضع هناك، ثم زحف للقرية بجنود لا قبل لهم فى حالة القتال، و كان بالقرية أمم لا تحصى فلم تغن شيئا حالة النّزال، و دخلتها العساكر و جالوا فيها و جاسوا ما لها من الحلال، و أخذوا فى السبى و القتل و أخذ الأموال.

قال/ صاحب در الأعيان و إنى رأيت امرأة مقطوعا رأسها كسائر الرجال، و لم ينج (ص ۲۵۹) إلّا من فرّ و لجأ لضريح سيدى محمد المشار إليه بالإجلال، لكون الباى أوصى باحترامه و عدم التعرض لمن لجأ إليه بحال من الأحوال. ثم ركزت الأتراك سناجقها لدى الضريح، و شرعت فى القتل و النهب و السبى و الجريح، إلى أن فرغت من ذلك فى المأثور، فرجعت لزيارة الولى المذكور، قال و لقد أخبرنى من أثق به أنهم قدّموا قبل الزيارة صدقة تنيّف على المائتى ريال دراهم، و بعد ذلك على الزيارة حصل التداهم، قال و أما المخزن فإنهم لقوا جموع درقاوة خارجا من القرية و هم فى عددهم ألفية، فقاتلوهم قتالا شديدا إلى أن جرح الأكثر من الكبراء و الرؤساء فى القول الأشهر، و كان النصر لهم على درقاوة كوقوع الدائرة عليهم، فهزموهم عظيما و اطرحهم من تلك الناحية من غير ملتفت إليهم. و لما افترق الحرب أمر الباى بجمع الرؤوس فجمعت، و بين يديه وضعت. قال فى در الأعيان و لقد رأيت الجندى يأتى بالثلاثة و الأربعة رؤوس بالعيانة فيضعها بين يدى الباى كما يضع البصل بالإهانة. و منهم من يأتى بالواحد و الاثنين، كل على حسب ما رزق من القطع بدون مين، و لما جمعت الرؤوس بعثها الباى لمدينة المعسكر مع بشائر الظفر و النصر.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱۶

ظهور الدرقاوى مرة أخرى

ثم ارتحل فى أثر ذلك و ألوية النصر تلوح عليه التزاما، قاصدا المعسكر إلى أن دخلها و مكث بها أياما. ثم أتاه الخبر المتفانن، بأن خليفة الدرقاوى بجموعه نزل بلد بنى مريانن، فذهب لطلبه و حصل بينه و بينه القتال الذريع، (ص ۲۶۰) و الحرب المترادف الشّنيع، فكان/ ذلك اليوم من مشاهير الأيام، سعد فيه الشجاع و خسر اللئام (كذا) قد أتى فيه للباى المنصور، بسلاح و لباس و فرس الخليفة

المذکور، و انجرح فیه من أعیان المخزن و کبرائه و أهل مشورة الملک و وزرائه، قطب رحاه، و شمس ضحاه، و أساس مبناه، و إتمام معناه و أکمل جوائزه، و أشد رکائزه، الفارس الباسل، الصندید الفاضل، الشجاع الرایق الکامل فی الخصال الفایق، ءاغته و کثیر جولته، و قائده، و سیف دولته، العری من جمیع المساوی ءاغة السید قدور الصغیر بن إسماعیل البحثاوی، فلم یزده جرحه إلّا تقدّما، و لعدوّه إلّا تعبّسا و لصدیقه إلّا تبسّما، فلقد صال علی العدو کالکاسد و فعله کالرایح، و مدحه صاحب درّ الأعیان، و صاحب أنیس الغریب و المسافر بأبیات. فما قاله صاحب درّ الأعیان ذهب عن حفظی. و ما فی الأنیس خذه، بإثبات:

جزی اللّه جلّ الناصر بالبواترقدور بن إسماعیل رایس الدوایر

لحزب الأتراک فی جمیع المعارکفإنّه لیث الحرب لیس بغادر

تراه إذا حام الوطیس مقدّمالقتل العدوّ الوارد ثم الصادر

و لا یولّی الأدبار و لو تراکمتعلیه العدا و لا یخاف من ضایر

کمی شجاع شهم الحرب یوم الوغاو کم له من حزم علی العدا ظاهر

و کم له من کرّ و لیس له فرّو کم له من طعن و قطع الحناجر

و کم له من وصل علی العدا دایمو کم له من فخر علی کل فاخر

و کم له من دفع لکل مزاجفیردّه أعقابا مولی للأدابر

(ص ۲۶۱)/ و فی بنی مزیانن زادت شجاعتهفکرّ علی الأعدا بغیظ مواتر

و زاد اندفاعا لمّا رأی رأس العداخلیفة ابن الشریف بالقرب حایر

یحاول قبضه و هو فی شهامةفحلت به الجراح ذا العزّ الباهر

فلم یلتفت لها و زاد فی حملهإلی أن نجا العدو بین الحوافر

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱۷ و خلّ فرسه سلاحه لبسهفأتی به اللیث لبای الأکابر

و دمه مهطل و هو غیر جازعفغمّ له البای و صار کالحایر

فقال له الفهد علی رؤس الملاإننی لفی خیر من کلّ المضائر

فسرّ به البای و عزّ جنابهو أدناه منزلا فی کل الأوامر

فلا غرو أنّ اللّه زاده رفعةو خیرا و إحسانا و کل البشائر

فلا تلد اللیوث إلّا الضراغمو لا تلد الفهود سوی القساور

و لا تأتی الصقور إلّا بمثلهاو لا تلد البزات سوی الأصاعر

فبیت هذا اللیث الزعیم بقوةفإنّها أعلا من بیوت الأکابر

قال، ثم إنّ البای رحل من مکانه للعمائر، و نزل بلد أولاد سلیمان أحد بطون بنی عامر. و رحل من الغد و نزل بالمبطوح ربضا، ثم ارتحل و نزل بثنیة مأخوخ بلد أولاد علی أحد بطون بنی عامر أیضا. و قد اجتمع بنو عامر بجمعهم الغاوی، و جیشوا ببلد أولاد الزایر مع الدرقاوی، یرومون لقاء البای، و ما ذاک إلّا من تلف الرأی، و البای فی قلبه شیء کبیر و غم عسیر، مما هم فیه القرغلان، المستقرون بتلمسان، حیث ضاق علیهم الحال، حتی عدموا القوت و المال، و طاش لهم اللّبّ و البال، بمنازلة العدو علیهم و لا یفارقهم بالغدوّ و الآصال، و رسلهم تتعاقب علی البای بأنهم فی النکال، و نزل بهم السخط و الوبال و لا لهم طاقة لما هم فیه علی القتال، و افترق التلمسانیون علی فرقتین: قرغلیة، و حضر، بغیر مین، و شعلت بینهما نار الحرب فی البلد، و طالت و اتصلت علی الوالد و الولد، و هم فی أشدّ عذاب و نکول، و لسان حالهم ینشد و یقول، ما هو فی الأنیس منقول، أبیاتا من المتقارب دالة علی الإضاعة و التعاطب:

/ إن لم تدرکونا عزما عاجلافاقطعوا لا ریب منّا الإیاس

(ص ۲۶۲) فالزّاد جميعه قد انقضاو مات كثير من جملة النّاس

و الحرب تدور فى كل يومو الجوع قد ضرّ بأكثر الناس

فلا صديق و معين لناسوى اللّه جلّ علا ربّ الناس

و لا تحويل و فرار لنايقينا عن جانبكم يا أناس

ألا فادركونا فورا عاجلامن قبل دخولنا إلى الأرماس

فالحرب علينا و ليس لناو نحن بها فى أشدّ نقاس

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱۸ و الجوع جرى علينا و طغاو جاز بنا حدّا فوق القياس

و ما هو فى درّ الأعيان مذكور، و محرر و مشهور:

ألّا فادركونا و إلّا فلم‌تجدوا منّا بحياة فتى

فقوتنا قد نفدت ضرراخزاينه مذ عدوّ أتى

و حرب عظيم يرى أبداإلى أين تبدو لنا أو متى

قال و لما بلغه خبر بنى عامر و الـدرقاوى، و أنه يقول لهم أنه هو طبيبهم من علـة الترك و لها مداوى، أقام بموضـعه أياما إلى أن جمع آلات حربه و سادات حزبه، و اعتمد على طعنه للعدو و ضربه، بباروده و مدافعه الشعالة، فرحل نحوهم و نزل تاسّالة، ثم رحل من الغد و فرسه ثائر، يريـد واد الحـد ببلـد أولاد الزائر، و عيونه ذاهبة و راجعة بأخبار الدرقاوى الزعلوك، كما هو شأن أولى الحزم و العزم من الملوك، إلى أن تحقق بـأن بـالوادى المـذكور الأعراب، يريـدون لقاءه، بزياداتهم أمامهم للانتخاب، و هى هوادج توضع على بوازل الجمال، و بـداخلها نساء يولولن بين صـفوف الحرب حال القتال، تزعم العرب أن ذلك يشـجع الجبان، و يزيد فى زعامة الشـجعان، و ذلك دأب العرب مع بعضها بعضا لا مع المخزن فى القتال أيضا، لأن عادة المخزن المعهودة، و القاعدة المحررة الموجودة أنّ الزعامة و الشجاعة لا تبطل على الرجال مدة الزمان، و أنه بمجرد (ص ۲۶۳) درايته للعدوّ و يصدمه كائنا ما كان، فوقف الباى بعد/ الخبر ساعة يحرض عساكره و مخزنه، و يثنى عليهم و يشـكرهم و ما همه ذلك و لا أوهنه، و يقول لهم لم يبق لنا إلّا هـذا اليوم الكبير الـذى نحن متقـدمون له، فعليكم بالصبر و الثبات و لا يصـيب الإنسان إلا ما كتب له. قال ثم زحف للعدو أيضا و انضـمت الناس لبعضـها بعضا، و انحاز كل حزب لحزبه، و تزايدت جيوشه لقتل من بعد عنه و من بقربه، و أشرف المخزن على العدو من ثنية هناك، فألفى مقدمة بنى عامر راجلـة معسـكرة مشـبهة بعساكر الأتراك، بمثابـة من شـبه البطـة بالطير، و ساقطـة اللبن بذات الضـير، و لما تراء الجمعان و انتهت الأمال، و بعدت الحيرة و قربت الموت و حضرت الأجال، أنشد المنشد بلسان الحال، هذه الأبيات، و قالها على التوال:

أيا عسكر الأعراب غركم جمعكمفسوف تروا ماذا بكم قد يصير

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۱۹ فالموت ها هى أتت إليكم بالعجل‌من قوم عادت منها الروس تطير

فتبّا لكم أنتم و ذل عليكم‌برأى خسيس خاب رأى عسير

و هذا يوم الفراق حان مجيئه (كذا)و البين غرابه نادى أنت كبير

و لكن أمر اللّه ليس له ردّو حين القضا يأتى فيعمى البصير

هذا قول صاحب الأنيس، و قال صاحب در الأعيان بالتأسيس:

أيا عسكر الأعراب تب جميعكمو سوف تروا ماذا بكم سيصير

فلا تعجلوا للموت ها هى دونكم‌غدات اللقا منها الرؤس تطير

فتبّ أمرؤ أغرّ افتراؤه جمعكمو بيس فصوب الرأى منه عسير

فيوم الفراق الآن حان مجيئهو نادى غراب البين يوم كبير

و لكن أمر اللّه لا مردّ لهفيعمى المرء فيه و هو بصير

قال و لما تلاقى المخزن و الأعراب صال عليهم صولـة جامـدة، و مال عليهم ميلـة واحـدة و حمل عليهم حملـة قويـة، و زاد عليهم فيها بقوّته الكليـة، و صـار شـعاره الموت الموت، أدركوهم أدركوهم قبـل الفوت، فأول المخزن نال بعض الضـرب و آخره لم يجـد محلا للضرب، و ترادفت على الأعراب الأمكار، و أظلم/ الجو (ص ۲۶۴) بالغبار، و حل بهم العمى و كبر النهار، و دخلوا فى شبكة الهلاك، و لم يجدوا سبيلا إلى السـلاك، فما لبثوا غير ساعة من النهار، إلا و عسـكرهم فرّ و ولّى الأدبار، و أخذ عسكر البای ظهورهم بالقتل و النهب و الأسـر و الغصب، و لم ينـج منهم إلّا من نجاه اللّه، و أطال له العمر و عافاه، و غرّتهم المواعـد العرقوبية، فتشـتتوا (كذا) على و لهاصة و غيرها، و فرّ الدرقاوى فى شـرذمة قليلة لليعقوبية، و لم يطق على حمل خيمته منه إلّا الشـجاع، و مع ذلك قلبه و اجل مفزاع، و نزل البـای فى الوادى المـذكور و لاـح عليه الفرح و السـرور بتشتيت تلـك الأمم، و شـدة ثبات مخزنه الأفخم، و جمعت لـديه الرؤس المقطوعة فى ذلك اليوم من درقاوة و بنى عامر فكانت ستمائة و بعثها كلها للجزائر. قال و يحكى من حضر لذلك أن الجندى الواحد يتقبّض على الخمسـة و السـتة رجـال، و يأمرهم بقتل بعضـهم بعضا إلى الآخر منهم فيقتله و يأتى برؤوسـهم للبای المفضال و ربما قال الجندى لأسيره اصبر للموت أو ما مت قط و أحوالهم كثيرة.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۲۰

و قصة ذلك اليوم مشهورة كبيرة، نسئل (كذا) اللّه السلامة و العافية المطاعة، و الانقياد بالأتباع إلى ما اتفق عليه أمر الجماعة.

ثم ارتحـل البای فى صبيحـة الغـد متوجها لتلمسان، و هو فى فرح و سـرور بمخزنه و به صار فى أمن و أمان، و جـدّ السـير إلى أن نزل بساحتهـا المتغليـة، فأتـاه قائـدها مع كبراء القرغليـة، و قصوا عليه مكابـدة الأهوال، و إساءة الحال، و غلب الرجال، و سـطوة الأغوال، و الكـل على بـاله، و مطرق بمسـمعه و حاله، فأجابهم بكلام السـياسة و خاطبهم بخطاب الرياسـة، قائلا لا يضـركم الأمر العسـير، فإن اللّه تعـالى قـال فى كتـابه العزيز، و هو على جمعهم إذا يشاء قـدير، و أن اللّه تعالى هو الفاعل المختار، و كل شـىء يجرى على العبـد فهو مقدّر عليه فى سابق علم اللّه و يبرز بالمقدار، و هذا أمر مقدّر لا محيد عنه من عاص أو مطيع؛ و سيفرج اللّه تعالى بمنّه على الجميع، و أنشد لسان حاله، أبيات الشعراء التى تغنيهم عن مقاله:

إذا كان عون اللّه للمرء خادماتهيّأ له من كل صعب مراده

و إن لم يكن عون من اللّه للفتىفأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

(ص ۲۶۵)/ و قول الآخر:

إذا لم يعنك اللّه فيما تريدهفليس لمخلوق عليه سبيل

و إن هو لم يرشدك فى كل مسلكضللت و لو أنّ السماك دليل

و قول الآخر:

إذا أعانتك الأيام فارقد لهاو اشعل إذا شئت فى الماء نارا

و إذا خانتك الأيام فلا تتعبفتعبك فى الدنيا إلّا خسارا

و قول الآخر:

إذا أعطيت السعادة لم تبلو لو نظرت شزرا إليك القبائل

لقتك على أكتاف أبطالها القناو هابتك فى أغمادهن المناصل

و إن شدت الأعداء نحوك أسهمانص على أعقابهن المحافل

ثم أنه أعطى الأمان لكبراء الحضر، و أرسل إليهم ليأتوه و لا يخشوا من

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۲۱

الضرر، فأتاه جماعة الحضرية، و أصلح بينهم و بين القرغلية، و ألّف بينهما تأليف المودّة الدائمة، و الصحبة و المحبة اللازمة و أوصاهما أن يكونا إخوانا، و على الطاعة و الدين أعوانا، و دخل البلد و أقام بها أياما، و الناس فى فرح و بطاعته قياما.

ثم ارتحل راجعا إلى وهران، و معه صهره قائد تلمسان، و هو أبو الحسن على قارة باغلى متنقلا بأهله انتقال من لا يولى، و صار يجدّ السير و أعلام النصر تخفق على رأسه و تحيات البشرى توضع على رأسه رائما محل أنسه، إلى أن دخل وهران مبرورا، و سالما مأجورا و فارحا مسرورا، و لسان حاله ينشد شعرا مأثورا:

فتح الفتوح و ءاب أوبة ظافربالله كان رحيله و إيابه

يلقى العداة و لا يملّ لقاءهافكأنما أهواؤه أحبّاؤه

قال فدخل و هران و أقام بها نحو الشهر إلى أن استراح، و اطمينت (كذا) نفسه و ضحك و لعب و ارتاح، ثم صار مهمى (كذا) سمع بالدرقاوى بجموعه، إلّا قصده و فضّ جمعه و صيره فى قموعه، و شتت شمله و أجلاه، و من المحل أطرده و أخلاه فأذلّ الأعراب و دوخهم و مقتهم و وبّخهم، و أخلا- بعض البلدان حتى من المسافر/ و أجلا (كذا) عنها أهلها كبنى عامر فإنهم ذهبوا و تركوا بلادهم خاوية (ص ۲۶۶) قفرا، و زهرهم غبرا، و للطيور و كرا، لا- يلقى فيها سالكها أنسا و لا أنيسا و لا يجد بها حسا و لا حسيسا، إلّا البوم و الذئاب، تعوى فيها ليلا و نهارا. و هى خراب.

و أكثر ما يلبى بها فى كل حين نعق الغراب، و غراب البين ينادى فى كل حين بكثرة الذهاب، و افترقوا على أماكن المغرب، ما بين فاس و غيره من المبعد و المقرّب. و لم يرجعوا إلّا فى توليه أبى كابوس محمد بن عثمان. و به حصلت لهم الراحة و الأمان. و لما استراح البای و قلبه قد اطمأن، و فاز بالسعادة فلم يكن من أهل الوهن و الجبن، جمع جيشا عظيما و جندا عرمرما جسيما، و بادر به لغزو مجاهر، لأنهم فى السابق أخذوا محلة الخليفة حسن و قتلوا رؤساءها و أعيانها المشاهر. فضلا عن غيرهم من الجيش و الأتراك، الذين يكون بهم الدفع و يقع الإدراك، و هى واقعة مشهورة، و قصة كبيرة مذكورة، محررة فى كتاب درء

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۳۲۲

الشقاوة، فى حروب الترك مع درقاوة، لأديب عصره و فريد وقته و دره، الشبيه فى أدبه بالبارع أبى نواس، المؤلف العلامة الحافظ محمد أبى راس، فلا- نأتى بها لطولها و شهرتها و تحقيقها فى رسوم جفرتها، و من أرادها فعليه بالكتاب المذكور، للحافظ القدوة المزبور. فخرج لهم من وهران بالأمم الكثيرة، و الجيوش العديدة الغزيرة و قد بلغ لهم الخبر، بأن البای غازيا عليهم ليقطع الدابر و الأثر، فبعثوا للدرقاوى على المدد بأنواع الشدائد، فبعث لهم خليفته الفارس بن المجاهد، و كان بطلا شجاعا شديد الرأى و القساوة، قلّ مثله فى طائفة درقاوة لكونه تربى فى المخزن و أخذ ببعض قوته، و صبره و شجاعته، و شدته، و زاد البای فى سيره إلى أن دخل بلدهم الذى هم فيه، و قد انحاز مجاهر بأسرهم لواد الرمال و اجتمعوا فيه، فطلبهم الباقى فيه و حملت عساكره عليهم حملة واحدة ففرّوا منها و لقيهم البحر و أثخن فيهم المخزن بالقتل إلى أن رجعت دماؤهم سائلة بعد أن كانت جامدة، و اشتد بهم القتل من ورائهم و أثخن فيهم إثخانا شديدا لا طاقة لأحد على إحصائه، (ص ۲۶۷) و دام عليهم إلى أن وصل دم قتلاهم للبحر فعلا- عليه/ و اختلط بمائه، و أفناهم إفناء عظيما أذعنوا به للطاعة و لا ملجأ لهم من أمامهم، فكان هذا اليوم من أنحس الأيام عليهم و من شرور أيامهم، فأفناهم و رجع سالما و مسرورا بجنوده سرورا دائما، و لمال عدوّه غانما.

ظهور بالحرش مع الدرقاوى فى غريس

ثم استقر بوهران أياما قلائل، و قد جمع اللّه له الأحوال و الشمائل و جمع جيشا عظيما و خرج به لتدويخ المشرق فأتته الناس طائعة مذعنين له و لأوامره و نواهيه سامعة، و لا- زال سائرا إلى أن نزل بأبى خرشفة أسفل مليانة فأتاه هنالك الطائع و الداوى، فبينما هو كذلك إذا بالخبر بلغه بقدوم الدرقاوى، و أنه حلّ من غريس بأرض عين السدرة، و معه درقاوة بنجوعها و نسائها و أولادها و جميع

مالها ظاعنة معه بالقوة و القدرة، و قد جالوا غريسا و جاسوا خلاله فأفسدوا زرعه و احتطبوا جنّته و بساتنه، و غيروا مرونقه و مواطنه و هم كالجراد المنتشر، و لم يبق لهم إلا القليل لدخول المعسكر، و جاءه أهل غريس بذلك الخبر، و ترددوا عليه المرّة بعد المرة بعد الأخرى على ما للراوى، محرضين له على القدوم إليهم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۲۳

ليخلصهم بجيشه المنصور من الظالم الدرقاوى فركب عند ذلك عجلا و سار حثيثا، و سأل من مولاه جل جلاله أن يكون له ناصرا و مغيثا، إلى أن وصل لذلك الموضع الذى به الدرقاوى على التحقيق. و كان السيد أحمد بن الأحرش قدم فى ذلك اليوم من المشرق على درقاوة فحصل لهم به الفرح و السرور و علموا أنه هو المعين الرفيق. فقسّم البای جيشه ثلاثا بلاـ مين، و جعله قلبا و جناحين، فالجناح الأيمن جعل فيه باختراعه أعيان الزمالة و أتباعهم و الحشم بأحكام الأوامر، و أمرهم أن يكونوا فى مقابلة جيش بنى عامر، و الجناح الأيسر جعل فيه الخليفة بجيشه و البرجية الدارئين (كذا) للمساوى و أمرهم أن يكونوا فى مقابلة الدرقاوى، و القلب استقر فيه هو و أعيان الدوائر و أتباعهم و عساكر الأتراك و أصحاب المدافع، فكانوا فى مقابلة عامة العامة من غير منازع، و لما تراء الجمعان و جاء الوطيس تزاحفت لبعضها بعضا الصفوف و كان الدرقاوى فى ألوف الألوف، فاشتد القتال و حام الوطيس، و فقد المألوف و الأنيس، و كثر الصياح/ (ص ۲۶۸) و الحسّ و الحسيس، و أظلم الجو بالغبار، و عظمت فيه المصيبة و كبر النهار.

فبينما الناس فى تلك الشدائد، و إذا بالجناح الأيسر قام على ساق واحد، و صبر رجال البرجية صبر الكرام، و اشتدّ ضربهم بالبنادق و الحسام، و تذكروا صبر أسلافهم و ما كانوا عليه من ضرب الحسام، و قالوا: فى مثل هذا اليوم تظهر الشجاع من اللئام (كذا)، إلى أن ذاق أربعة من كبرائهم كأس الحمام، أحدهم الصنديد مصطفى بن المخفى، والد الشجاع ءاغة قدور بالمخفى، و الثلاثة أبناء عمه الأماجد، و داموا على ذلك إلى أن قام درقاوة على ساق واحد، فانهزموا هزيمة كبيرة، تقشعوا فيها تقشع الغمام إذا طلعت فيه شمس منيرة، و ركب المخزن عند ذلك ظهورهم و غنمهم و نال دخورهم، و لا زال يقتل و يأسّر (كذا) و يسبى إلى وقت الظهر و درقاوة قلّوا، بعد ما كلت الناس من قتلهم وملوا، فبقيت نجوعهم على حالها بيد المخزن فأخذ أموالهم و سبا (كذا) نساءهم و أولادهم و قتل رجالهم، فاضمحلوا من ذلك اليوم و فشل ريحهم، و تلاشوا و بطل ريحهم و خاب سعيهم و نجيحهم. قال و لولا فرسان البرجية و رجالهم الكرام فى تلك الواقعة لكانت الدائرة على المخزن بالجمع و التمام، و لمّا رءا (كذا) الدوائر (كذا) صبر البرجية و موت كبرائهم، و قد ذهبت الناس فارّة إلى ورائهم، تقدموا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۲۴

للقتال و قالوا للبای لا يحلّ لنا البقاء من ورائهم، إذ لا طاقة لنا بعد موت الإخوان، و لا صبر لنا على مفارقة الأقران، و قاتلوا شديدا، و طعنوا العدو طعنا عتيدا، فسبحان من يجعل الخذلان فى العدد الكثير العرمرام و النصر بالأقل فهو المالك العلّام. فرجع البای بجيشه منصورا، و أعلامه تخفق عزا و سرورا، و دخل لوهران و جمعه موقر محترم، و أيامه مقبلة و شمله منتظم، و مكث بها أياما يسيرة، فى راحة و نعمة كثيرة.

عودة الدرقاوى للظهور

ثم سمع بالدرقاوى قد جيّش جيوشا قوية، و أنه نازل بجديوية فجمع عساكره المنصورة، و جيوشه المؤيدة المبرورة و خرج له من إيوانه بالبحور الزواخر، و بالرجال السادات الكرام الزواجر، الذين يقدمون الموت و يؤخرون (ص ۲۶۹) الحياة، و عند الشدة و الضيق/ يحصل بهم الفرج و الاتساع و تكون النجاة و أسرع لقتاله، طالبا لمحاربته و نزاله إلى أن وصل للموضع المسمى بأجديوية، و قاتله و حاصره إلى أن أتى المخزن على عامة درقاوة فى الأقاويل المروية و قد أفنى مخزنه عامة درقاوة، و صيرهم للضّلالة و الشّقاوة، و خمدت شوكة باقيهم و فاز بالغنيمة لاقيهم قتل فى ذلك اليوم نحو ألف درقاوى، و بقيت المحلة بما فيها فى يد البای و مخزنه و غنم

مال أهل المساوى و رجع لوهران فارحا بالغنيمة العظيمة، و قتله للعدو المقتلة الجسيمة فاستقرّ بها و استراح، و حصل له الانطراب و الانشراح، و بقى على ذلك أياما عديدة، و ليالى مديدة فى سرور و نخو، و لعب و لهو، فبينما هو فى إيوانه مع أرباب دولته جالس، و مستيقظ لأموره و ليس عنها غافل و لا ناعس، إذ جاءه الخبر بأن الدرقاوى بتافنة فى جيش جديد، كأنه البحر المديد و الجراد المنتشر، مغطيا السهل و الوعر، و هو الرجل المنفش المسمى بأحمد بن الأحرش، و معه أمة من الطلبة، سالكين معه اقتحام العقبة، لما شاهدوا عنده علوم الخنقطرة، و الشعوذة المنفطرة، ظنا منهم أن ذلك من الأسرار الإلهية، و لم يعلموا أنها من الأمور السحرية الواهية، فخرج له فورا بعساكره و مخزنه المبرور، الفائزين بالسعى المشكور، و أسرع فى سيره و أردف المراحل، سائلا من مولاه الإعانة فى المقاصد و السوائل، إلى أن بلغه بوادى تافنة، و أطلق

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۲۵

عليه سرعة بجنوده الظاهدة و الكامنة و أثخن فيه بالقتل، و النهب و الأسر و النكل، إلى أن مات من الطلبة أمة، و ذهب الدرقاوى مفلولا فى أشدّ غمّة، مذمورا مدحوضا، مدحورا مفضوضا، و قد أتى المخزن على جلّ محلته الجسيمة، فغنمها و رجع الباى لوهران فارحا مسرورا بتلك الغنيمة فجلس بها أياما للراحة طالبا من مولاه امتداد المساحة. قال فبينما هو جالس بإيوانه فى المنادمة مع أرباب دولته أهل الفخر و الاستقامة، و الأخذ من العدو الثأر و الجلب للسلامة، إذ بادره الخبر بأن الدرقاوى بجيوشه نازلا بالتّوتة من واد العبد، فخرج/ له عجلا (ص ۲۷۰) فى جيشه بالأزواج و الفرد، و اجتمع به فى تلك الناحية، و قاتله قتالا شديدا فى تلك الضاحية إلى أن بدّد شمله و مزّقه، و دمّره تدميرا شديدا و فرّقه، و قتل منه أمة كثيرة، و غنم له أموالا عظيمة فى عدّها عسيرة.

نهاية الباى المقلش المحزنة

و لهذا الباى مع درقاوة أيام أخرى غير مشهورة، و هى مبسوطة فى الكتب و على الألسنة مذكورة، أعرضنا عن ذكرها صفحا، و طوينا لها كشحا. قال و لما دوّخ المغرب الأوسط بأسره و مهّده و أمّن سبله و ضواحيه و سدّده، و نشر فيه العدل و العافية و أيّده، و قطع منه العدو و بدّده، عزله أهل الجزائر بالقوة و الشد، و أمروا بقتله بوهران فقتل شرّ قتلة بعد أن ذاق أنواعا من العذاب خارجة عن الحد، حتى كانوا يحمون سبائك الحديد، و يضعونها على رأسه و هو فى العذاب الشديد. و سببه أنه سرّح المحلة للجزائر كما هى العادة القديمة فيما حكى من الخبر، و لما عدم الدواب أمر بحمل الأثقال على البقر، فبلغ خبره الباشا فأنف من فعله و أمر فورا بعزله و قتله، مع ما تقدم له من شكاية المخزن و مرة أحمد التركى بالفعل القبيح، الذى لا ينبغى أن يذكر و لا يكون به التلويح فضلا عن التصريح. و كانت أيامه كلها حوادث، و لا حادثه أشد من الغلاء المفرط بوقته و فناء الناس و كثرة الفساد و العوابث. و الأمر للّه الواحد القهار العليم، بالظواهر و الأسرار. و كان ءاغته بالدوائر الفارس النبيل الخارج عن القال و القيل، السيد قدور بن إسماعيل، الصنديد البحثاوى، و الحاج قدور بن الشريف الكرطى التلاوى، و بالزمالة السيد محمد الوهرانى الحنين وعدة ولد محى الدين.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۲۶

الباى مصطفى العجمى و حروبه مع الدرقاوى

ثم مصطفى بن عبد اللّه العجمى تولى مرة ثانية، بعد المرة الأولى الماضية، فى آخر السنة الثانية و العشرين و المائتين و الألف ، من هجرة من له العز و الفخر و الشرف و كمال الوصف، و بقى فى الملك تسعة أشهر. و ارتقى خزناجيا بالجزائر. و جاء بموضعه الباى الفائز بالمزائر. و لما تولى قام و عليه ابن الشريف الدرقاوى، فقال يا عجبا منه كيف سلّط علىّ بالثوران الداوى، مهمى تولّيت إلّا علىّ يقوم، قد عرف اسمى و اعتقد أنى جبان و أنى لعكروم، فو اللّه لأذوقنّه (كذا) كأس الرّدا و لأجعلن شمله مبدّدا، و قد قام عليه

الدرقاوى فى (ص ۲۷۱) التولية الثانية/ مرتين، و كر عليه للمقاتلة كرتين. و لما سمع بالدرقاوى أنه قد جيّش الجيوش، و هو بالثعالبة من بلاد فليتة، قال سأخرج له و رأيه الفشوش، فعند ذلك خرج فى جيشه العزيز، الذى هو كاللجين و العسجد الأبريز، و تلاقى معه بالثعالب، فكان الدرقاوى مغلوبا و الباى هو الغالب و قدمه عالية بالمغالب، فهزمه هزيمة شنيعة، و عادت جيوشه للباى من وقتها مطيعة، و رجع لوهران فى عزّ و سرور، بغنيمة و حبور، فاستراح بها و أقام، فبينما هو بها إذ جاءه الخبر فى بعض الأيام، أن الدرقاوى بجيوشه فى مدغوسة من بلد خلافة، فخرج له فورا بجيوشه من غير جزع و لا مخافة، و جدّ السير نحوه و كاده كيدا و ترك المسير نحوه رويدا رويدا، إلى أن وصل للمحل المذكور، و حمل عليه حملة منكرة بجيشه المنصور، فلم يك (كذا) غير ساعة إلا و الدرقاوى مهزوما و مخذولا مفلولا مذموما، و قتل المخزن من أتباعه كثيرا و أفنا (كذا) منهم جما (كذا) غفيرا، و غنم الأموال العظيمة فرجع الباى لوهران مسرورا بتلك الغنيمة، فمكث بها أياما كثيرة، و انقطع عنه خبر الدرقاوى مدة شهيرة.

ثم سمع بأن مجاهرا قد سعوا فى الفساد، و حملوا أنفسهم على اتباع الدرقاوى و راموا العناد، فخرج لهم بجيشه الأفخم حاركا، و للمقام بوهران من ساعته تاركا، و نزل بوادى الخير أحد أودية شلف، فبينما هو به إذ جاء الخبر بأن

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۲۷

الباشا ولّاه خزناجيا بالجزائر ففرح بعد ما تأسف و بمجرد وصول الخبر له ذهب للجزائر، و ترك من حينه و هران بمخزنها المنصور للباى الآخر. و هو الذى بنا (كذا) للعالم العلامة القدوة الدرّاكة الفهّامة، شيخ الراشدية و غيرها على الإطلاق و مجدد القرن الثالث عشر بالاتفاق، من هو بعين العناية ملحوظ و مخلص من الضرائر، و الحاصر، الحافظ محمد أبو راس بن الناصر، المصريّة ذات العلو الأرفع، و بيت الكتب و المذاهب الأربع، فقال فيه الحافظ المذكور فى رحلته التى اسمها: «فتح الإلاه (كذا) و منّته، فى التحدّث بفضل ربى و نعمته»، و هذه المصرية بناها لنا الملك الأضفى، و الخليل الأوفى، و المحب الأصفى، السيد الباى مصطفى، برّد اللّه ضريحه، و أسكنه من الجنان فسيحه، و أنى بعثت إلى ضريحه بالمديّة مع بعض تلامذتنا بما نصه: عليك أتم السلام، أيها المولى الهمام، الذى عرف فضله الإسلام/ و خفقت بنصر عزّه الأعلام، و تنافت فى (ص ۲۷۲) إنفاذ أمره السيوف و الأقلام، قسّمت زمانك ما بين حكم فصل، و إمضاء نصل، و إحراز خصل و عبادة قامت من اليقين على أصل، السلام عليك يا مقرر الصدقات الجارية، و كاسى الظهور العارية، و قادح زناد العزائم الوارية، و مكتب الكتائب و السّرايا السارية، السلام عليك يا حجّة الصّبر و التسليم، و القلب السليم، و سامع الحديث و الذكر الحكيم، كرم اللّه تربتك و قدّسها و طيّب روحك و أنسها، فلقد كنت للمستجير مجيرا، و للمظلوم وليا و نصيرا، و لقد كنت فى المواكب بدرا، و للمواهب بحرا، و على البلاد و العباد ظلا ظليلا و سترا، بنا (كذا) اللّه لك بيتا فى الجنّة كما بنيت لنا بيت الكتب بلا أذى و لا منّة، نفّعك اللّه بصدق اليقين، و أعلا درجتك فى علّيين و حشرك مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين. ه. و كان ءاغته حبيبه بالغاية، و صديقه فى البداية و الأثناء و النهاية، واسع العطا و مفصل الدعاوى السيد قدور الصغير ابن إسماعيل البحثاوى. و من الزمالة السيد محمد الوهرانى ولد قدور، الفقيه الباس المشكور. و كان لهذا الباى ولدان بزماننا من أعيان الناس أحدهما كان كاتبا لدى نوّاب الدولة، و هو السيد محمد، و الآخر السيد مصطفى الصادق فى القولة.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۲۸

الباى محمد بن عثمان الرقيق و المسلوخ أبو كابوس و حروبه مع الدرقاوى

ثم الباى محمد بن عثمان الشديد فى الأمر العابوس الملقّب بالرقيق، و المسلوخ، و المشتمل، و المكنّى بأبى كابوس، أما لقبه بالرقيق فلأنه كان رقيق الجسم، و أما لقبه بالمسلوخ فإنه لقب به بعد موته الحسم، لكون ءاغة الجزائر عمر سلخ رأسه و هو حى و أحشاه قطنا كما يأتى فى صحيح الروايات، و أما لقبه بالمشتمل فلأنه متشبها بالعرب فى الاشتمال بالكساء كالمخزن و لا يلبس لباس الأتراك فى

غالب أحواله كغيره من البايات، و أما كنيته بأبى كابوس فلأنه كان يحمل الكابوس و هو البشطول و لا يفارقه أصلا سفرا و حضرا، و اشتهر بذلك لما قتل به السايح بن حضرا. و كان يقال له البای محمد الصغير فرقا بينه و بين أخيه البای محمد المجاهد فاتح و هران، فإنه كان يقال له البای محمد الكبير، تولى فى آخر السنة الثانية و العشرين و المائتين و الألف ، و بقى فى الملك خمسة أعوام غير شىء بغير الخلق. و لما تولى اشتغل بقطع الدرقاوى و فصم محالمه، (ص ۲۷۳) و قطع آثاره و معالمه. و بغاته و مظالمه/ مدّة أيامه، و طلوع نجمه و أعلامه، حتى أنّ من حسد أحدا و وشى به عنده و ادعى عليه محبة الدرقاوى جورا ينتقم منه فورا، و إذا ظفر بدرقاوى انتقم منه مبادرة، بأى نوع شاء من أنواع الانتقام و لا يراعى مشاورة، و لا يقبل فيه شفاعة شفيع، و اخترع قتلا لم يصدر من البايات قبله و هو فعل شنيع و نوّع عذاب من يظفر به إلى أنواع، فمنهم من يأمر بدقّ أعضائه حيا بالمعاول فى السوق إلى أن يموت بانفضاع، و منهم من يقلع عينيه و يتركه أعمى، و منهم من يأمر بقطع أعضائه إلى أن يموت أو يجهز عليه و هو أظمى، و منهم من يأمر بذبحه، و منهم من يقطع رأسه بعد فضحه، و منهم من يقتله خنقا، و منهم من يبقره و منهم من يقتله شنقا، إلى غير ذلك من الأنواع المختلفة المعاطب المؤتلفة و قد نجا الدرقاوى بنفسه، و فشل ريحه. و تراكمت عليه الهموم و الغموم و ضاق به فسيحه، و افترقت عليه أتباعه و تبرأت من عمله، و لم يبق من ينضمّ إليه لما نالهم من العطب لأجله، فإذا جاء عند أحد فرّ منه و لم يصل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۲۹

لمصحبه! و خاصمه و شتمه و استخف بجاهه و منصبه ما عدا مرة واحدة جاء لليعقوبية و استقرّ فاجتمعوا عليه يرومون وقعه، فقصده البای فورا و شتّت شمله و بدّد جمعه، فانتقل للأحرار فأطردوه، ثم ذهب لعين ماضى، و عنهم أبعدوه ثم قصد لبنى الأغواط فأبعدوه لمّا علموا مقصده عندهم، ثم انتقل لبنى يزناسن و هو فى مذلة و مسكنة فأقروه عندهم، و ترك ما سوّلت له نفسه، و دام ذلّه و بخسه، و لم يتحرك لشىء لعدم طاقته، و فقد مساعده و شدة فاقته. و صار لفظ الدرقاوى يقال لكل عاص مخالف، فتبرأت الناس من ذلك و لم يبق بينهم إلا اللفظ متعارف.

يحكى أن قوما من درقاوة كانوا بالقلعة يأكلون فى الطعام الممتزج بالزبيب، فظفر بهم قائد القلعة فقتلهم على تلك الحالة فألفيت أمريتهم مملوءة بالطعام و الزبيب، و أن رجلا أوتى به إلى قائد المعسكر على أنه درقاوى، فقال للقائد و حق سيدى دح بن زرفة منذ عقلت لم أقل لا إله إلا اللّه على ما قال الراوى، و غرضه النجاة/ لنفسه خشية حلوله فورا برمسه، فضحك القائد و من حضر من (ص ۲۷۴) قوله و تركه بلا مهلكة و قال له لا تعد لهذه القولة الكفرية فقال له يا سيدى قد جعلها اللّه لى مسلكة.

ثم غزى هذا البای فى السنة الثانية من توليته الحشم الغرابة بغريس فقتل أجوادهم و كبراءهم و قوادهم، و فتك بهم كثيرا جسيما، و أوقع بهم موقعا عظيما، و سببه أن الحشم بدت من بعض أعيانهم أمور مخالفة للسياسة و قد هرب الفاعل لذلك عند سيدى محى الدين بقصد الاحترام بالصناعة و الكياسة، فبعث له البای من يأتى به فعصى و ساعده الحشم، و اتفقوا على المعاندة التى كانت لهم هى عين السم، فاستغاظ البای بذلك، و اعتراه الغضب الشديد من ذلك، و أمر ءاغته رئيس الدوائر و قائده رايس الزمالة بالغزو على سيدى محى الدين، فقالا له اصبر فإن اللّه مع الصابرين الحامدين.

ثم إن ءاغة السيد قدور الصغير بن إسماعيل انتخب مائة فارس مقاتل من مخزنه الصبار، و بعثهم رفقة الحاج بن داوود بن المختار، كما انتخب قائد الزمالة السيد محمد ولد قدور خمسين فارسا مقاتلا بالتبيين و بعثهم فى رفقة الحاج المرسلى ولد محى الدّين، و لما وصل الجميع لقيطنة سيدى محى الدين، و راموا أخذ الهاربين بالتمكين امتنعت الحشم من تسليمهم للبعوث، و بدأتهم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۳۰

بإرسال البنادق التى تصب كالفراش المبثوث فحصل الضرب من الجانبين، آل فيه الأمر إلى أن قتل الحاج بن داوود و جرح الحاج المرسلى بغيرمين، و ذهب الحشم بالمظلومين لغريس، و عولوا على القتال الذى حلّ بهم به كل شىء نحيس، و لما رجعت البعوث لوهران و سمع البای ما حلّ بقومه ازداد غضبه و منه استبان، و جمع جيشه من المخزن و الأتراك، و غزى أجواد غريس بطىّ و

إدراک، و قاتلهم إلی أن أثخن فیهم بالقتل الشدید، و مکر بهم بالمکر العتید، فقتل من أعیانهم أربعة عشر فارسا کل منهم بقتل ذریع راکبا و جالسا، بحیث قتل عشرة فی دفعة واحدة، و اثنین منفردین فی القتل بعنایة جاهدة و لم یبق من هؤلاء الأربعة عشر إلا اثنان و هما قدور و عدة ولدا أبا نقاب، فکان منهما من القتال ما لا یحیط به جواب، و لا زالا فی جولان المیدان إلی أن قتلا معا بإرسال العنان، و قد مات الصحراوی و الحاج، فضلا عن غیر الأعیان من الضعیف و الوضیع و المحتاج، (ص ۲۷۴) و لما قتل کبراءهم نزل عوّاجة و رهّب علیهم و رام صغراءهم/ فبعثوا له علی عتید، و جعل علیهم عقوبة بالمال خطیّة عظیمة، و أذعنوا للطاعة، الإذعان الذی لیس قیمة، و قصتهم مشهورة، و علی الألسنة و کلام الفصحاء مذکورة.

حملة الباای علی عریب

ثم أنه لما تمهد له الملک غزی بأمر الباشا عریبا فصیّر رایسهم (کذا) ثریبا، و هم قبیل عظیم بادیة و لهم شوکة قویة، و هم رعیة ءاغة الجزائر وطنهم ما بین حمزة و الدهوص فی الحدّ بین بای قسنطینة و بای المدیة. و سبب ذلک أن شیخ عریب خالف برأیه ءاغة الجزائر لما أراد اللّه به أن یتلاشا فبلغ خبره، ءاغة فأعلم بذلک الباشا فلم یر الباشا من ینتقم منهم و یهتکهم هتکا، و یصیرهم هباء منثورا و یفتک بهم فتکا، و یرجّعهم کالأرض إذا دکت دکا دکا، إلّا بای الغرب لخبرة جنده بالطعن و الضرب فإن مخزنه أشداء علی العدو فی الحروب، و شدة

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۳۱

بأسهم عند تلاقی الصفوف فلا یعرفون الحیرة و إنما دأبهم الموت و لیس من شیمهم الهروب، فالقاضی عندهم قریب و العاصی لهم طائع منیب، و الصّعب عندهم سهل و کل واحد منهم ظریف لبیب.

أعراش المخزن الوهرانی الخمسة

و المخزن مهمی قیل له فی دائرة وهران فهو خمسة أعراش جالیة:

الدوائر، و الزمالة، و الغرابة، و البرجیة، و المکاحلیة، فهم نجوع شداد فی الحرب، و لبعضهم بعضا متوالیة و کلمتهم تحت کلمة واحد بلا- مخالیة غیر أن النجوع الأربعة هم مخزن البای، و الخامس و ما انضم إلیه هم مخزن الخلیفة سدید التدبیر و الرأی. و غیر هؤلاء کالحشم و بنی شقران و بنی عامر و مجاهر، فهم أعراب رعیة نائبة لیس لهم جرأة فی الحروب و ظفر الظافر، و إن کان عددهم کثیر، فالمخزن أهل جراءة (کذا) و رأی و تدبیر، فأمره الباشا بالغزو علی عریب، و کان ذلک لا یتعقل لعدم تصرف بای الغرب فی غیر رعیته بکل وجه بعید أو قریب، و بعد مکانهم عنه بالأحوال السویة، إذا حال بینه و بینهم بای المدیة، فنهض الباای من ساعته و هو فی أحوال خرجت عن إرادته و کان ذام حزم و جزم و عزم و کیاسة، و وزراءه ذوی تدبیر و رأی و شجاعة و بسالة و سیاسة، فجمعهم و عرفهم بالخبر، فأشاروا علیه بأنه لا بدّ من فعل هذا الأمر، لأنها مزیة عظیمة أن بلغوا منها مناهم و فرحة شدیدة أن وصلوا لمنتهاهم، فاتفق رأیهم علی ذلک و تحققوا بأن الأمر هو ذلک، و تواصوا/ بعدم إفشاء هذا السر بل یجعل ذخرا، (ص ۲۷۶) و خرج الباای بجیشه من وهران بجر الأمم فتعمر به أرض و تخلا به أخرا، إلی أن وصل وادی دردر و ما به من خشفة، أمر برد أثقال المحلة و ضعیفها إلی أبی خرشفة، و رکب أول نهاره و سار فی الفیافی طول نهاره، لا یلقی إلا النعام و الغزلان و طائر الجو من الحداء و الغربان، و بات یسیر سیرا شدیدا، و مخزنه بالظفر طامعا و فارحا بالواقعة إلی أن طلع النهار و عیونه ما بین الذاهبة و الراجعة، إلی أن بلغ لحیهم و نجعهم، فأرسل علیهم مخزنه بجمعهم، و أوقع فیهم جیشه أسرا و قتلا- و نهبا، و زادهم طعنا و ضربا و لا عرفت عریب من أین أقبلت تلک الجنود الداهیة علیهم و لا من هی لاختلاف ملابسها و أشکالها،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۳۲

و شجاعة فرسانها و قوة أحوالها، فأخذوهم أخذة رابية، و صارت أموالهم لهم غنيمة مجابية، ثم تحققوا بأنه باى الغرب، لما رأوا فى فرسانه من زيادة الطعن و الضرب، لا تكل لهم السواعد و ليس لهم فى الحرب إلّا الطعن و الضرب للقائم و القاعد، فكان من جملة ما سباه الباى بحيشه نساء شيخ عريب و أولاده، و أقام ببلدهم يومه و السرور زاده.

ثم كر راجعا للمدية فى طرب و ابتسام، فنزلها بعد مسيره ثلاثة أيام، و قد تعرضت له فى طريقه قبائل الطّمع، الذى يفضى بصاحبه إلى النجع، و هو سائر بين جبلين لأناس يقال لهم أولاد إعلان، و إذا بهم ابتدؤا الجيش بالضرب فى السر و الإعلان، فلما سمع الباى ضرب البارود. و رأى جيوشه حشودا بعد الحشود، لا تفعل شيئا إلّا بأمره ليكون ذلك من فخره، سأل عن ذلك تبليغا لمرادهم، فأخبروه بأنهم يريدون منه الزطاطة لمروره ببلادهم و كانت تلك عادة الأعراب، إذا لم يكونوا تحت القاهر الغلّاب، فقال عليكم بهم لا عنهم، و أيتونى بمن ظفرتم به منهم، فلم يك غير ساعة إلّا و المخزن يجرّ فى رؤوسهم و يقتل لمسعودهم و منحوسهم، و أتوه بعدة رجال فأمر بقطع أيديهم و قال لهم تلك الأجرة التى سألتمونيها، فانصرفوا و هو يزيد بمزيدهم. و لما وصل إلى المدية أقام بها أياما للراحة و بعث السّبى و المال للجزائر صاحب الإحسان، فرفعت مكانته عند الباشا رفعة عظيمة و كرّ راجعا لوهران. قال فلما وصلها مكث بها سائلا من مولاه الإعانة و السلامة و العافية، و هو فى فرح شديد بمخزنه سيما الأعيان السادات (ص ۲۷۷) الأسود/ الضارية، فصار لا يقدم ناره زناد، و إنما تأجّجها على الدوام فى ازدياد، بجنده العزيز، و مخزنه الأبريز. ثم أنه تحرك لأهل يبدر من أهل الساحل، لقطع ما سمعه من جموع الدرقاوى الذى ببنى يزناسن نازل، فغزى صهره الشيخ أبا ترفاس، لما سمع بالدرقاوى عنده على غفلة من الناس، و لما سمع الدرقاوى بنهوض الباى إليه فرّ هاربا متذللا و أخلا الأرض بين يديه و افترقت من حينها جموعه و جاءته عجلة قواطعه و قموعه فزاد الباى للساحل و أخلا منه ما أخلا، و قتل ما قتل و أجلا ما أجلا، و خرّب قرية أبى ترفاس و احتطب أجنتها، و سلط عليها أذاها و منّتها، و لما فعل بقرية الشيخ أبى ترفاس أفعال الشرور و الإفلاس، قال له أيها الباى لماذا فعلت بنا هذا و نحن من جملة ضعفاء الناس، فقال له

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۳۳

لأن صهرك درقاوى يأوى إليك فأنت مثله و أحوالك ببداية، فقال له إنى شيخ طلبة لا غير و عايرتنى بالتدرقى و لست من أهله و خرّبت مكانى خرب اللّه ملكك عن قريب و ألبس لك التدرقى عباية. و هذا أبو ترفاس ولد الشيخ أبى ترفاس الذى غزاه الباى خليل، فأهلكه اللّه لرجوعه لتلمسان فى السبيل ثم كر الباى لأهله راجعا و هو فى هلاك غير أبى ترفاس من درقاوة طامعا و لما وصل لوادى تافنة، حل به البلاء و انحط، و أصابه الثلج العظيم الذى لم يمطر مثله قط.

فمات به كثير الخيل و تعيّب كثير الجند و دخل الباى اضطرارا تلمسان، و افترقت محلته افتراقا مختلفا هامت به فى البلدان، فمنهم من مات جواده و الآخر تمزّق خباؤه، و منهم من تلفت سرجه و الآخر انكسرت بندقته (كذا) و البعض تورّمت أعضاؤه، و انهدمت بسببه الديار، و انكسرت منه الأشجار، فسبحان اللّه الواحد الأحد المالك القهار. و اشتهرت تلك الواقعة بحركة الثلج، و عرف عند الناس بقصة عام الدّلج. و بقى الباى بتلمسان إلى أن صفا الحال، و أمن على نفسه فضلا عن جيشه من الضرر و النكال، رجع لوهران و استقامت له الأحوال و اقتدت به الناس فى الأفعال و الأقوال.

نهاية الباى بوكابوس المحزنة

قال فبينما هو بإيوانه فى فرح و انبساط، و سرور و اغتباط، و إذا بالباشا بعث له بالحركة لتونس التى كانت عليه منحوسة، و أصل هلاكه و صارت أموره منكوسة، فهى سيئته و خطيئته، و بها كان هلاكه و سخيطته، و عذابه/ و زوال (ص ۲۷۸) الملك عنه، و إهانته و الانتقام منه. و سبب الحركة أن الجزائريين وقعت بينهم و بين التونسيين مقاتلة و مشاجرة و مواقفة و محاصرة، و دامت زمانا طويلا

سرا و جهرا، فتهيأ الجزائريون لهم بالحركة برا و بحرا و بعث الباشا لباى الغرب أن يتهيأ للحركة بالمحلة الجليلة من أنجاد مخزنه ذوى الجلالة لاتصافهم فى كل موطن بالشجاعة و الحزم و البسالة و مآثرهم فى الحروب مشهورة، و عند الناس فى كل مكان مذكورة ليس لها خفاء بالشدة و الجلدة، و كان يضرب بمخزنه المثل فى كل بلدة، فالواحد منهم بمنزلة العشرة فاعلا فى الثبات و الشدة، و الشجاعة و الفراسة و المعرفة و الكياسة و الأدب و الظرافة و الفطانة و اللطافة و التقدم لإزالة

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۳۳۴

الجماجم عند الطيش و الوحشة، و الثبات للزحف و قمع العدوّ عند الذهول و الدهشة. فهم رجال الوفاء و الخجل، و هم السادات الذين لا- يعتريهم الطمع و الوجل، بل شأنهم التقدم للنزال بين الصفوف، و الجولان فى الحرب بالبنادق و السيوف، و لهم معرفة بمكايد الحرب، و تخلقوا بأخلاق الطعن و الضرب، فلا يخشون من قتل يوم ترحف الراجفة و لا يفرون من موت حين تتبعها الرادفة، فإن ذهل غيرهم فهم ثابتون، و إن انهزم غيرهم فهم نابتون، فهم الذين صدق فى و صفهم قول الشاعر، الواصف لقومه و نفسه بالأمر الصائر:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضهفكل رداء يرتديه جميل

و إن هو لم يحمل على النفس ضيمهافليس إلى حسن الثناء سبيل

تعايرنا أنّا قليل عديدنافقلت لها أن الكرام قليل

و ما قلّ من كانت بقاياه مثلناقدم تسامى للعلا و كهيل

و ما ضرّنا أنّا قليل و جارناعزيز و جار الأكثرين ذليل

لنا جبل يحتلّه من يجورهمنيع يؤدى الطرف و هو كليل

و إنّا القوم لا نرى القتل سبّةإذا ما رامته عامر و سلول

و ما مات منّا سيد حتف أنفهو لا ضلّ منا حيث كان قتيل

تسيل على حدّ الظبات نفوسناو ليس على غير الظبات تسيل

علونا على غير الظهور و إنّنالوقت إلى خبر البطون نزول

و نحن كماء المزن ما فى نصابناكهام و لا فينا من يعدّ بخيل

و ننكر إن شئنا على الناس قولهمو لا ينكرون القول حين نقول

إذا مات منا سيد قام سيديدل بما يهوى الكمال يقول

و لا أخمدت نار لنا دون طارقو لا ذمّنا فى النازلين نزيل

و أيامنا مشهورة فى عدوّنالها غرر معلومة و حجول

و أسيافنا فى كل شرق و مغربلها من قراع الدارعين فلول

معودة إذا تسلّ نصالهافتغمد حين يستباح قتيل

سلى إن جهلت النّاس عنا و عنهمو ليس سواء عالم و جهول

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۳۳۵

خروج الباى من وهران فى طريقه إلى تونس و عصيانه

قال فامتثل الباى لذلك و تزود زادا كثيرا، و جمع من مخزنه جيشا عرمرما غزيرا، و خرج من وهران يروم تونس وفقا لما أمر به و صاحب الغيب أعلم بما فى غيبه، و لما نزل وادى يلّل، الذى بان به فساده و الخبل، حدثته نفسه برفض الترك و الخروج عن طاعتهم

فی سرّه و علاه، و الدخول فی سلک سلطان المغرب مولای سلیمان بن عبد اللّه فأصبح معلنا بقتل الأتراک یا للعجب، جازما بالدخول فی طاعة سلطان الغرب، فقتل کلّ من کان بقربه من الأتراک و لو أصهاره، و أمر بنی عامر بقتل محلة الترک التی عندهم فقتلوهم خدیعة بالتفرقة علی الخیام و لم ینج إلّا من نجّاه اللّه و اختاره، و تمادی علی ذلک و لا حصل له فی رأیه وهن، و لما سمع الباشا غضب و علی جیشه حزن، و دخل علی قارة باغلی صهره خلیفة الکرسی بمن معه من الأتراک لمازونة و سکن، و کر الباای راجعا لوهران، بمشاورة أعیان مخزنه خدیعة منهم له حیث فعل ما لا یلیق، و غرضهم القبض علیه و صیرورته فی الکبل الوثیق، فبینما هم لوهران داخلون، و إذا بالسفن المشحونة بعسکر الأتراک فی البحر و هم بالمرسی نازلون أتوا لیتطلعوا علی حقیقة الأمر و ما سبب ذلک، کما جاء عمر آغا فی البر بمحلة عظیمة قاصدا لوهران علی ذلک، فدخل الباای محله و قد سمع بذلک، فجزم بإلقاء النار/ فی خزنة البارود، لتصیر المدینة عالیها سافلها و لم ینج منحوس و لا (ص ۲۸۰) مسعود، و أنه میت معهم ما فیها المحالة، فصعب ذلک علی المخزن و أهل البلد و اشتد بهم القلق و الوجالة، فصعد له المخزن للدخول علیه و معهم کبراء البلد للقبض علیه و نهیه علی فعله، فلم یدع أحدا یدخل علیه و زاد فی قوله و فعله، فصرخت الناس بالاستغاثة و هرب من یطیق الهروب و أیقنوا بالهلاک بغتة دون الحروب، فعند ذلک صعد له العلماء و بأیدیهم المصاحف و صحیحا البخاری و مسلم، و ناجوه من بعید و أروه ذلک و وعظوه بلیغا فأذن لهم فی الدخول و أمنهم و قال من شاء تأخر و من شاء تقدم، فدخلوا علیه و صبروه و وعظوه، و بقضاء اللّه لزموه و للموت لحّظوه، فثبت یقینه و زال ما به من الغضب، و علم أن ذلک حیلة

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۳۶

من مخزنه فعلوها لنجاة أنفسهم من العطب، فاطمأن قلبه و رضی بالموت و زال عنه النصب، و أذن للعلماء فی قبضه فأبوا ذلک، و قالوا له هذا شأن المخزن لا شأننا فهم أولی بذلک، ثم أذن للمخزن و رؤوساء البلد فدخلوا علیه و کبّلوه و شددوا علیه و وحّلوه، حتی أن الوجیه ءاغة علی ولد عدة قال له لما اجتمع به بخروف قادما لوهران! أیها الباای فعلت الذمیم مع مخزنک سابقا و أهلکت نفسک لاحقا فلست من آل عثمان، و قاله ثانیا لما شرعوا فی تکبیله، و توثیقه و تنکیله و أخبروا العساکر التی فی السفن و أدخلوهم المدینة، و کتبوا لعمر آغا بذلک، لیدخل کمن کان فی السفینة. و قد أتی عمر معه بالقفطان المعد للملوک و بایات لار، فألبسه بمازونة لخلیفة الکرسی علی قارة باغلی باشتهار، و ولّاه من حینه بایا للإیالة الغربیة، بدلا من صهره أبی کابوس ذی الأحوال الحربیة، فظهرت فیه دعوة الشیخ أبی ترفاس المارة فی الروایة عایرتنی بالتدرقی ألبسه اللّه لک عبایة.

ثم قدم عمر و علی قاصدین بجنودهما وهران، فدخلاها و ألفیاه مکبولا فی سجنه نادما علی فعله الذی حسنته له نفسه و شیاطین الإنس و الجان، و هو صابر لما ساقته له المقادیر، فحق فیه ما قاله الشاعر الماهر:

قالت أراک مع الأرذال تصحبهمو من یصاحبهم فی دهره یهن

لا یصحب المرء إلّا من یشاکلهما رأیت الظّبا و الأسد فی قرن

(ص ۲۸۱)/ أجبتها مظهرا عذری و منشدهابیتا به تضرب الأمثال فی الزمن

یغمی علی المرء فی أیام محنتهحتی یری حسنا ما لیس بالحسن

عمر آغا یقتل الباای بوکابوس و ینصب الباای علی قارة باغلی

و لما رآه عمر آغا ترکه علی تلک الحالة بالاعتماد، و خرج معه الباای علی بجیوشهما یجوسان البلاد، و یتفقدان أحوال الرعیة و ما عملت و أخّرت و قدّمت، فوصلا لجبل ترارة و کانت بها دار ابن الأحرش الدرقاوی فأمرا بهدمها فتهدمت و صعدا مع الجبل إلی تاجرة ثم رجعا لتلمسان بعد خلوها و فرار أهلها عنها، ثم رحلا لناحیة الحشم و نزلا بالمعسکر بالخارج منها، و هناک أمر عمر آغا بقتل

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۳۷

العثمانية فقتلوا عن آخرهم و لم ينج إلّا من فر بنفس و عصمه اللّه من مكرهم.

قال ثم رجعا لوهران و دخلاها و بها قتل عمر ءاغة الباى الرقيق بأشر القتل، و نكل به بأشد النكل، فسلخ رأسه و هو حيّ و فعل به فعلا شديدا و ملّاه بعد السلخ بالقطن و بعثه للجزائر فعلّقوه على عمود طويل و تركوه به زمانا مديدا، و قتل أولادهم و هم صغار و لم يتق فيهم رب العالمين، و قتل بعض خدامه و صار بهم ما صار بالبرامكة مع الملوك العباسيين. و قال فيه كل من السيد حسن خوجة و السيد مسلم بن عبد القادر أبياتا، فأما التى قالها السيد حسن ذهبت عن حفظى، و أما التى قالها السيد مسلم خذها إثباتا:

ظننت برأيك أنه صلاح كلا و اللّه ذلك الفساد

من يستقل بالرأى ليس عاقلا خير فى رأى يعقبه الفساد

و فعلك ذا يؤدى إلى النكالو فيه حتف لمن غرّه الرقاد

/ غررت بنفسك و الآل كلاما لهم ذنب لا و لا المراد

(ص ۲۸۲) حتى بقوا نساؤهم يهمنفى كل وطن و أتلفت الأولاد

أبو راس يرثى الباى بوكابوس

قال و طلع فى أيامه نجم غير معهود الطلوع قبل ذلك، من الشمال ذا ذنب طويل شعاعى و أدام أياما ثم أفل و لم ير بعد ذلك. و لما مات هذا الباى قال فيه الحافظ أبو راس ما ذكره فى رحلته التى اسمها: فتح الإلاه و منته، فى التحدث بفضل ربّى و نعمته، من المدح و الثناء الجزيل، و الترحم له بالترحم الجميل، ما نصّه: و لمّا افتقرت مصريتنا بيت المذاهب الأربع للترفيع و أردت تجديد تبييضها و بعض ترميمها و تقييضها، ذكرت ذلك للباى الأسعد الأقعد الأمجد، الأنجد الأوحد، عزيز النصر، و نخبة العصر، و ريحانة الدهر السادل على الرعية الأمن و الأمان، الباى السيد محمد بن عثمان، اتحفه اللّه بالرضى و الرضوان و ألحفه مطاريف التكريم و الحنان، فبعث لى مع ساقه مائة ريال بوجهها، قامت أوفى إقامة بترميمها و تبييضها و ذلك قبل أن أحجّ عنه رحمه اللّه فوفّرنى أحسن و فارة، جعل اللّه ذلك القتل له كفارة، و لما أوبت من الحج سنة سبع و عشرين و مائتين

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۳۸

و ألف أعطانى مائة محبوب جعله اللّه يوم القيامة مقربا و محبوبا، أنّس اللّه غربته، و أزكى ذريته و تربته، و جعل ذلك الحج المبرور فى ميزانه و راجح أوزانه، و تقبل اللّه دعاءنا فى تلك المشاهد، التى ينتفع بها الغائب و الشاهد، و ما أنفقنا من نفقة هنا كبيرة أو صغيرة، إلّا عوّضه اللّه عنده، حسنات كثيرة أثيرة. و لما قبر (ص ۲۸۳) قمت و ذهبت إلى ضريحه و ترحمت و بكيت/، و قلت السلام عليك أيها الإمام، الثاوى فى دار السلام، كأنك لم تعرض الجنود، و لم تنتشر على رأسك البنود، و لم تبسط العدل الممدود، و لم تعامل بفضلك الركّع السجود، توسدت الثرى و أطلت الكرى، و شربت الكأس الذى يشربها الورى، و أصبحت ضارع الخد، كليل الجد، سالكا سنن الأب و الجد، و لم تجد بعد انصرام الملك إلا صالح عملك، و لا صحبت لقبرك، إلّا رابح تجرك فنسأل اللّه أن يؤنس اغترابك، و يصلح فى الآخرة ما فى الدنيا أرابك، أعطاك اللّه الوسيلة و تمم مقاصدك الجميلة، و منحك الزلفى الجزيلة، و لم أجد مكافآت لك إلّا التقرّب بدعاءى اللّه برحمتك، و تعفير الوجنات فى تربتك، و الإشادة بعد الممات بمجدك و كرمك، منحك اللّه المغفرة الطيبة، و التحيات الطيبة، مد الدهر و أباديه، و تراويحه و تغاديه، و أسكنك من الجنان بحبوحه، و أعطاك فيها فسوحه، آمين يا رب العالمين، و لا أرضى بواحدة حتى أقول ألف ألف آمين. و كان ءاغته الفارس المشهور، البطل الذى فى الموارد و المصادر مذكور أبو مدين قدور الصغير ابن إسماعيل البحثاوى، أبلغه اللّه المراد و أنقذه من المساوى و من الزمالة المرسلى و السيد محمد الوهرانى ولد قدور، السالكين النهج المسرور.

الباى على قارهٔ باغلى

ثم الباى على، المعروف بقارهٔ باغلى، نسبهٔ إلى بلدهٔ ببلاد الأتراك، يقال لها باغل بلا اشتراك. كان أتى إلى هذا الوطن بالمقامنهٔ فى وقت الباى محمد الكبير بن عثمان ثانى ملوك العثامنهٔ. و كان موصوفا بالعقل و الرياسهٔ، و المعرفهٔ (ص ۲۸۴) و الكياسهٔ فزوّجه الباى محمد الرّقيق ابنته/ و أدناه منه و صيره يتعمل بالأعمال

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۳۹

المخزنيهٔ، و يتوظف بالرتب السياسيهٔ إلى أن ارتقى للمملكهٔ بغير الخلف، فتولى بايا بالإيالهٔ الغربيهٔ فى نصف السنهٔ الثامنهٔ و العشرين و الماتين (كذا) و الألف فهو سابع بايات و هران و استقر بحول اللّه تعالى على الكرسى فى ذلك الإيوان.

فألفى بالمخزن تخليطا كثيرا بسبب أمر الباى محمد أبى كابوس الذى كان قبله اتّهم فيه الكثير من الناس بتهمهٔ الناكوس، و لشدهٔ عقله و رياسته و دينه و ما كان منه، و ميثاقه غفر جميع ذلك لمن اتّهم به و عفا عنه، و تلك التهمهٔ و الخلاط اختص به الزمالهٔ، دون غيرهم من المخزن فكانوا به حثالهٔ الحثالهٔ. و كان لا يقبل الوشاهٔ و لا يصغى للموهن، فإذا وشى أحد بغيره عنده لا يقبل و لا يسمع منه ما يؤذى به أخاه المؤمن، و هو قليل الخطيهٔ للناس، فلا يخطى إلّا القليل من الناس، لا سيما المخزن و أهل البلد و ذويه، عكس ما كان من قبله عليه. و انقطع فى أيامه ذكر الدرقاوى حتى صار لا يذكر إلّا على وجه الحكايهٔ كما قال الراوى.

قال و حدث فى وقته الجراد المنتشر غير المعهود الذى أفسد الزروع و الثمار، و عمّ بالشرق و الغرب سائر النواحى و الأقطار، و لم يخل منه مكان، إلّا مدينهٔ و هران، و كان من لطف اللّه تعالى الواقع بهذا الباى جيد السيرهٔ سديد الرأى، الذى زاد للناس أمنا متسعا و هدّن روعهٔ الوطن، و سكّن من الأمر ما تحرّك و أحرى ما سكن، فأسعدت به البلاد. و اطمأنت به قلوب العباد، أنّ عمر آغا لما فعل بأبى كابوس ما مر أخذ فى نهب ما فى بيت المال من الأموال، و لما رءا (كذا) إبراهيم خزندار/ الكبير ذلك علم أن الباى الآتى لا بد أن يكون من عدم المال، (ص ۲۸۵) مع الجيش و غيره فى ضرر و نكال، بادر إلى الخزنهٔ و أخذ منها غفلهٔ جملهٔ من المال، و صعد به إلى أعلا (كذا) سطح المحكمهٔ و جعله هنالك، و لم يطلع على فعله إلّا الخالق المالك، و حين تولّى الباى على و استقر بالإيوان نظر لبيت المال فوجدها خاويهٔ على العروش، فتحيّر من ذلك و تألّم كثيرا و قال كيف أفعل مع هؤلاء الجيوش فدخل عليه إبراهيم خزندار فوجده مع نفسه فى هم و حزن، و تأسف صاعد و هابط و محن، فقال له يا سيدنا ما طرقك حتى صرت فى هذا التأسف، و الضرر الشديد و التقشف، و أنت البايلار باى و أنت الذى تزيل عن

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۴۰

عيرك بفضل اللّه الأغيار، فقال يا إبراهيم و كيف لا أتأسف و بيت المال خاويهٔ فما أصنع مع هؤلاء، الجيوش الضاويهٔ فإن عمر ذهب فارحا أمينا بأخذه المال لنفسه و تركنى أسيرا مع الجيش حزينا، فقال له إبراهيم يا سيدنا لا تجزع، و لا تتأسف و لا تفزع فأنفسنا لك وقايهٔ، و مالنا لك حمايهٔ، و مخزنك كثير الجود و الشجاعهٔ، و الزعامهٔ و البراعهٔ لا يدعوك تتألم بسبب ذهاب المال، فلا ريب أنهم يجمعون لك فورا ما يكون به التطريب للبال، و أنى قد دخرت لك شيئا من الذخائر و الأموال، لتستعين بها على ما أنت فيه من الأحوال فقال له أحضرها و بادر، فأحضر ما كان تحت يديه من الذخائر، ففرح الباى و ظهر عليه السرور و استبشر و لاح على جبينه النور، و لما سمع المخزن أتوه. بما فيه الكفايهٔ و فوق الكفايهٔ و قالوا له طب نفسا فأنفسنا و مالنا لك هى الوقايهٔ، فشكر فعلهم الجميل، و أثنا (كذا) عليهم (ص ۲۸۶) الثناء الجزيل./، قال و فى ثامن جمادى الثانيهٔ سنهٔ توليته غزى ترارهٔ و معه عمر آغا كما مرّ فقتل منهم أربعهٔ و ثلاثين رجلا من الشجعان، و سبا (كذا) تسعين امرأهٔ بالبيان.

ثم غزى بنى مناد لما ظهر منهم الفساد، فأوقع بهم إيقاعا عظيما، و هتكهم هتكا جسيما، أفنا (كذا) منهم عددا من الأبطال و سبا (كذا) الأموال و النساء و الصبيان و أسّر الرجال. و مات بتلك الواقعهٔ من أعيان مخزنه القائد الأنجد، الفاضل الأمجد الشهم الشجاع الجواد

المطاع، الصنديد الباسل، الحليم الكامل، من هو لليتامى و الآرامل كافل. ذو اليد الواسعة و المآثر الساطعة، رئيس الدوائر، محى الدين بالنواهى و الأوامر، صاحب المحاسن و المعارف، و جائز المعالى و العوارف جالب الإحسان، و دافع المساوى مفتخر النسب المخزومى البحثاوى، السيد قدور الصغير بن إسماعيل آغا، واصل اللّه روحه إلى الجنة و أحكم بلاغه، كما مات الطالب الأديب الحاذق اللبيب، كامل الإحسان و الأجور، قائد الزمالة السيد محمد الوهرانى ولد قدور رحمهما اللّه بمنّه و فضله و كرمه آمين و جعل فى الفردوس آخر دعواهما أن الحمد للّه رب العالمين. و هما ركائز المخزن فى الأمور النفّاعة، و عمدته رأيا و شجاعة. و قد قال السيد مسلم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۴۱

خوجة فى ءاغة السيد قدور الصغير بن إسماعيل مرثية يخر لها القائم على ركبتيه جاثية، و هى:

حلى السياسة و طلى الرياسةقد اجتمعا و فيك غيرهما تتل

كريم عفيف توفى فيما تقولهو مهمى يضيق الأمر أنت له أهل

و ما من كريهة ألّا أنت مفتاحهاو ءالك جملة فحول و أبطل

و ثلم من سور مشيّد موضعو أسقطت ثلمة لم يوجد لها مثيل

/ لموتك قد بكا جميع الأحبّةو قد عزّ صبرهم زمانا و لم يسل

(ص ۲۸۷) لأن على يديك فتح الحوائجو من قطر ماء المزن جودك أهطل

يسعد من يلجأ لبابك يلجأو إن كان راديا تهذّيه يكمل

و قال أيضا:

فحزنى على المبلغ للمرادحليم منيب و تبر وقّاد

مزيل الكروب منيل المطلوبو مفجى الهموم و مجلى النّكاد

و معطى العطايا جزيل النداو مهدى الهدايا و من هو الزّاد

و ذى النجدة العظمى حال الحروبناصر المظلوم و طويل النّجاد

سريع الغضب قريب الرّضامغيث الملهوف كثير الرماد

شجاع الهيجاء و ضرغامهاحسين التدابير نعم النقّاد

قدور بن إسماعيل بن البشيرفإنه صار ضجيع اللّحاد

فأبكا الأرامل و اليتامىو أبكا الصلحا و أبكا الزهاد

و أبكى الشرفاء و العلماءو أبكا القرّاء و أهل الرشاد

و أبكا العساكر نعم الشّجاعو أبكا الشّجاع و أهل المعاد

و أبكا الجيوش و أبكا الأميرو أبكا الوزرا و أبكا القيّاد

و أبكا السادات الكرام الرضاو أبكا الطّلحا و كلّ العباد

و أبكى النساء و أبكا الرجالو أبكى العبيد و الصبيان زاد

فحق عليه البكا دائمابشقّ الجيوب و لطم الخداد

/ و خدش الوجوه و صوت عويلو ندب طويل بغير نفاد

(ص ۲۸۸) قد أبكى العيون هذا الباسلبرجف القلوب و حرف الكباد

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۴۲ فمن للأرامل من بعدهو من للياتامى فى جمع الأعياد

و من للشعرا إذا وفدواو من للمدين مرتاح القصّاد

فإنّ النّدا عليه باكياكذا الحرب قد بكا حال الطّراد

فمخزن و هران منه انغدرو وهران باكية بالثّماد

تقول بصوتها حال البكاعليك حزنى قد دام يا جواد

فبك احترامى و بك التوفيرو منك افتصاحى و منك السّهاد

فويل و ويل و ويل شديدو ويل و ويل لبنى منّاد

هم الذين غيّبوك عنّىو صرت رهين تراب اللحاد

قد أبرد اللّه لك الضريحاو أسكنك فى فسيح الخلاد

و لا راحم اللّه قاتلكمأويه جهنّم بيس المهاد

و قال أيضا:

يحق لنا البكا على أسد الوغاو ناصر مظلوم و قامع من طغا

و قاهر جبّار عنيد و ماردو جامع أشتات و مفن لمن بغا

و دامغ أعداء طالت لهم أيدو باذل أموال و معط لمن صغا

و حائز أوصاف الكمال بأسرهامهذّب أخلاق و مصغ لمن لغا

و معطى العطايا دون منّ و لا أذىكافل أرامل أيتام بما ابتغا

(ص ۲۸۹)/ و لكل عالم و صالح طالبمحبّ له فى اللّه حبّه ما التغا

و ذلك سيّد الدّوائر قدورنجل إسماعيل البحثاوى منصبه آغا

فلا رحم الرحمان آل مناديهالمّا قتلوا المرحوم نال لما ابتغا

بشرى لك بالجنان يا قدور الرضابشرى لك بالغفران و الخير أبلاغا

و راجع ما مرّ من واقعة بنى مريانن التى هى من أيام المقلش تستفد ما للخوجة فيه من الأبيات الدالة على مدحه بالجمع و الثبات. حدثنى المسنّ الطّاعن فى السّن أبو العباس الحاج أحمد بن عتّ الغربى و كان أصله من عكرمة قال حدثنى والدى عبد الرحمان بن عتّ عن خصال ءاغة السيد قدور بن إسماعيل المذكور، إنه قال أنى كنت من البيوت الكبار بعكرمة الشراقة و لنّا قايد يقال له المجاجى ليس من أهل السعى المشكور، و كان منافسا لى فوشا (كذا) بى كثيرا عند

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۴۳

خليفة الشرق بأفعالنا و أقوالنا، فلم يفده ذلك لاطلاع آغا و الخليفة على أحوالنا، ثم وشى بى عند الباى على مرارا عديدة فأثّر و شيه فى و خطنى الباى خطايا عديدة، ثم أن الباى كان بمحلته بالنواحى الشرقية، و معه حليفته صاحب الأخلاق المرضية و لما رجع للمعسكر قال قائدنا المجاجى و أنا على فرسى و كان من عتاق الخيل، يا سيدنا أنت لست بباى و أنا لست بقائد و إنما الباى و القائد هذا الرجل الذى تراه على الفرس الأدهم كاليل (كذا) فأمر الباى فورا بقتلى، لاكنه (كذا) لم يتم أجلى، فأحيل بينى و بين فرسى و أخرجونى للقتل فتكلم الخليفة و آغا الشرق على خلاصى فلم يفد ذلك بالرتل، فسمع آغا السيد قدور ابن إسماعيل ذلك، و عاين ما هنالك، فتقدم و قال للباى لا يقتل لأنه مظلوم و المجاجى قائده مسلط عليه/ فى الأمر المعلوم، و أن قتلته بسبب هذا القائد (ص ۲۹۰) البوطال بقيت الجهة الشرقية فارغة من الرجال، فترك الباى قتلى و حملنى مسجونا على بغلة لوهران، و قد أخذ فرسى بالإعلان، و لما وصل لوهران أدخلنى السجن ثلاثة أشهر متتابعة، و مهمى يسل المساجين أخبره بأحوالى قولة قاطعة، إلى أن قلت له يا سيدى خلصنى من السجن أو اقتلنى و لا تدعنى فى السجن الدائم، فقال له آغا السيد قدور المطلوب من سيادة الباى أن تسرح هذا الرجل من حينه

لأنک أطلت سجنه بسبب قول قائده الظالم. قال فسرحنی البای من وقتی، وجیت (کذا) لأهلی فی الفرح و السرور، و لما وصلت خیمتی جاءنی القائد المذکور و قال لی أنّ البای خطّک بمائة سلطانی لا ریال، و خلاصها علی یدی فلا بد من دفعها فورا فی الحال، فقلت للقائد أن البای لم یخطنی بشیء من المال، و إن کان کما قلت فأین بطاقته حورا فقال لی لا تزد فی الکلام أدّ ما أمرتک به فورا، و إلّا یحلّ بک الانتقام، و تعود لسجنک علی الدوام فقلت له یفتح اللّه و سیحصل بعد العسر الیسر، ثم أنی بعثت لصهری المختار العکرمی علی فرسه بسرجه فبعثه لی و رکبت مع رفقائی لیلا- و سرت إلی أن دخلت وهران مع الفجر، و لما نبیت الحکومة تقدمت للشکایة بالقصد فنادیت جهرا یا سلطان الحق السید إذا حرر عبده و مکّنه من التحریر هل یتعرض له أحد، فقال لی أعد ما قلت فکرّرت قولی ثانیا و ثالثا، فقال لی ما معنی کلامک فلا تکن ناکثا، فقلت له یا سیدی إنی خدیمک الفلانی الذی عزلت عنی فرسی بالمعسکر بسبب کلام القائد

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۴۴

المجاجی، و أمرت بقتلی بلا نتاجی فخلصنی اللّه منه علی ید ءاغة سیدنا قدور ابن إسماعیل، و سجنتنی ثلاثة أشهر متوالیة و خلصنی اللّه منه علی ید سیدنا آغا (ص ۲۹۱) المذکور الجمیل، و إنی لما ذهبت/ لأهلی جاءنی القائد المذکور، و قال لی أن البای خطک بمائة سلطانی و خلاصها علی یدی بالمحضور و أنی ترکته بخیمتی نازلا، و جیتک لیلا نازلا و قد أخذت فرسی و هذا طلبته علی صهری، أطال اللّه حیاتک و خلّد ملکک فانظر فی أمری، فاستغاظ البای کثیرا، و قال للخوجة انظر خطیته فی الدفتر جهیرا، فال الخوجة أنی لم أکتب شیئا و لا هو سجلا، و قال قائد الطابع أنی لم أمکنه من الطابع علی هذا الأمر أصلا، فتقدم ءاغة السید قدور ابن إسماعیل، و قال للبای قد اتضح ظلم القائد و جوره علی الرعیة بالجملة و التفصیل، و هذا القائد لا یلیق للتولیة و إنما شأنه العزل و بالمائة سلطانی تکون له الخطیة، لینتهی هو و غیره عن ظلم الرعیة، فأمر البای بعزله للقصاص، و خطه بالمائة المذکورة و عیّن له من مکاحلیته الخلّاص، ثم قال لی ءاغة المذکور، یا هذا الرجل مثلک لا یلیق له السکن بمخزن البای المنصور، فقال البای نعم قولک یا آغا هو المسطور، فرحلت من حینی و جیت (کذا) للحامول فسکنته بأهلی، بالزمالة و صرت وکیلا علی السید محمد بن الحفاف کثیر المجالة، ثم انتقلت و سکنت بأهل الخوجة الغرابة، ثم سکنت بدوار أهل العید فها أنا فیهم من غیر استرابة.

قال ولده الحاج أحمد و لا زال بأهل العید إلی أن مات فی أیام الأمیر السید الحاج عبد القادر بن محی الدین بالبیان، و دفن بمقبرة سیدی عبد القادر ابن زیان، و لا زلنا نحن أولاده بأهل العید للآن. و أنه کان کثیر الدعاء و الترحّم علی ءاغة المذکور، و کان یوصینا الإیصاء التام بالتعرف بذریته و قرابته لنیل الأمور، ثم قال الحاج المذکور قال لی والدی المزبور، و هذا الفعل کله فعله معنا آغا المار له لا لغیره، فو اللّه لم یأخذ منّی شیئا بل کل ذلک من فضله (ص ۲۹۲) و خیره، و بعد أمد اجتمعت/ به و أردت مکافأته فقال لی یا هذا العاقل لا تعد لمثل هذا القول فإنه ضیر، و أنا ما فعلت ذلک معک إلّا ابتغاء لوجه اللّه و نصرة للمظلوم لا غیر، فقلت له زادک اللّه الفضل و المنة، و عوضک علی فعلک قصورا فی الجنّة. و لما مات ببنی مناد أعطاهم اللّه الشرور و الکساد، کنت أول من تقدم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۴۵

لحمله، و لم أزل ملازما لنعشه فی نقله، إلی أن أوصلناه لوهران، فرحمه اللّه الرحیم الرحمان و أثابه علی فعله ثوابا عظیما، و أعطاه أجرا جسیما. و إنما أتیت بهذه الحکایة دلیلا علی أن ءاغة المخزن له التصرف فی جمیع الرعایة.

ثم أنّ البای علیا خرج فی أیامه ابن الشریف الدرقاوی من بنی یزناسن و نزل بالأحرار، و راودهم علی القیام علی البای فی الاشتهار، فأنکرهم جلّهم، و لبّاه قلّهم، فسمع به البای المذکور، فامتلأ بالغیظ و طارت عنه الشرور و خرج حارکا إلیه بأحوال مستقیمة، فألفی محلة الطریق و هی محلّة الغرب بمینا فأخذها و صعد بها مع الوادی و معه عساکر عظیمة، و أمر جمیع نواحی القبلة بالظعون معه و التقدم أمامه. بأهالیهم و أموالهم و هو فی أثرهم مخفّقة علیه أعلامه. فامتثلوا أمره و أجابوا دعوته و حوره، و ذهبوا معه إلی أن نزلوا ببلاد الأحرار. فأفسد زرعهم و شتّت لهم الأقوار، و لم ینازعه أحد، و لم یکن له فی ذلک حد، و أنحلّ عقد الدرقاوی و انتثر و افترقت

أتباعه، و تركه من حينه منفردا وحيدا ذهبت عنه أشياعه و جاءت شيوخ الأحرار بأجمعها لدى الباى تلتمس منه الرضى، فأكرم نزولهم و أعظم مثواهم و زال عنه الغضب و جاءه الرضى و ذهب الدرقاوى إلى فقيق و أقام به أياما و قد ضاق به فسيحه/ ثم رجع لبنى يزناسن و هو محله الأول فخمدت ناره (ص ۲۹۳) و سكن ريحه.

ثم رجع الباى لوهران مسرورا فى غاية المفاخر، و ذهبت محلة الطريق لموضعها و لما وصلت للجزائر، قاموا على عمر باشا فقتلوه بالحمام، باتفاق الأعيان، و قالوا أنه لم تسعد عليه و به الأيام و البلدان، و لم يكن بوقته راحة و لا- أمان. و قد مات بأيامه الرايس حميدو المجاهد فى سبيل الرحمان و غلت الأسعار بوقته و ظهر الطاعون، و قام النصارى الإنجليز عليهم بالجزائر و منع الماعون. و ذلك أن الإنقليز جاؤ للجزائر و دخلوا مرسيها بسفنهم على وجه الخديعة من تعرية رؤوسهم مثل المبايعة بغاية الصنيعة، و بأيديهم

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۳۴۶

سجل عظيم يرقانى، زعموا أنهم أتوا به من عند السلطان الأعظم صاحب الباب العالى أمير المؤمنين محمود الخاقان و لما جازوا رماية مدافع المسلمين، ابتدروا بإرسال صواعقهم إلى أن حرقوا سفن المسلمين، و كان ذلك وقت العصر و استمرّوا على ذلك الحال بغاية التمكين، كأنّ مدافعهم فى الإرسال واحد إلى تمام عشر سوايع بعدّ الحاسبين الموقتين، فأبطلوا الضرب و ملوا لما لحقهم من المجاهدين. قال ثم اصطلحوا مع أهل الجزائر بإعلان، على المنّ بأسارى النصارى الذين بالجزائر و وهران، فأسلموهم كلهم باعتبار المقاصد، حتى أنه لم يبق بعمالة الجزائر نصرانى واحد. قال الذى تواترت به الأخبار تواتر المصدع، أنهم أرسلوا على الجزائر أربعين ألف مدفع. و لما قتلوه أقاموا مكانه عليا باشا إقامة الأكابر، و أجلسوه على كرسى مملكة الجزائر و لما استغل له (ص ۲۹۴) ذلك/ و استقر بالملك قدمه، غيّر الصرف تغييرا كان به عدمه. فالريال دور (كذا) كان فيه خمسة عشر وقيّة، حطه إلى اثنا عشر وقية، فقد انقص خمسه، و أضاع من حينه فلسه، و الريال الجزائرى كان فيه ثمانية أواق، فحطّه إلى ستة أواق، فأنقص منه ربعه، و غيّر من ساعته جمعه، و أحدث أمرا لم تحدثه قبله ملوك الجزائر فى الأوامر. فولّى خليفة الشرق من الجزائر، كما ولّى قائد تلمسان و كان قبله لا يولى من الجزائر إلّا الباى بالبرهان.

نهاية الباى على قارة باغلى

ثم عزل الباى عليا من منصبه، و أزاله عن مقامه و مرتبه، و سبب العزل له و القتل، كما هو مقرر فى النقل، أن هذا الباشا المذكور فى البيان، لمّا تولى الملك نفى بعض الأتراك من أصحاب عمر باشا لوهران و بعث فى أثرهم للباى على بقتلهم قتلة شرّة، و لما أحسّوا بذلك فروا لمحلة الشتاء التى بهبرة، فبلغ خبرهم للباشا فغاب لبّه و طاش و استغاظ شديدا على الباى، و اتهمه بأنه هو الذى صدر منه لهم ذلك الرأى، و بقى فى غيظه و غضبه على الباى بلا ناكث، إلى أن ذهب الباى مدنشا للجزائر كما هى العادة عندهم فى الدنوش بأنه يكون على

طلوع سعد السعود، ج ۱، ص: ۳۴۷

رأس العام الثالث. و لما وصل للمشرع و هو موضع بأبى خرشفة بأسفل مليانة، أرسل الباشا إليه من دويه من عزله قبل الدخول ثم قتله عيانة، و دفن فى محل القتل بعد تكفينه فى الحصير نكاية له و الملك و البقاء و الدوام للّه تعالى سبحانه السميع البصير.

و ولّى من حينه حسنا بايا لكثرة جفائه، و أمر بطبع داره و سجن أولاده و تثقيف نسائه. و تلك عادة الأتراك فى الأصل، فإنهم يقولون يوم للطبل و يوم للحبل، و ذهب حسن مدنشا بجميع ما دنش به الباى علىّ من الأموال الكثيرة، و الذخائر النفيسة الغزيرة، و الخيول المسوّمة، و الأمتعة/ المثمنة المقومة، و زاد متماديا إلى أن دخل الجزائر، فتلقته الناس بالمبايعة و البشائر، فقضى بها أربه، و أكمل مطلبه و خرج منها قاصدا وهران، و أعلام النصر على رأسه كأنها شقايق النعمان، و الجنود به دائرة، و الجيوش خلفه سائرة، تقف بوقوفه و تذهب بذهابه، و تمتثل لأمره و نهيه، و تخشى شدة عقابه، و لا زال سائرا إلى أن دخل مدينة وهران، و قال الحمد و الثناء للّه

سبحانه الملك الديان الغافر الرحيم الرحمان.

قال و كانت واقعة الإنقليز بالجزائر و خروج ابن الشريف الدرقاوى و قضية الباى على فى سنة واحدة، ليس بينهما طول و لا تفريق فى حصول الفائدة.

و كان ءاغته من الدوائر عليّ ولد عدة، و قدور بن إسماعيل، و الحاج قدور بالشريف، و من الزمالة السيد محمد ولد قدور الوهرانى، و الحاج المرسلى ابن مخلوف، وعدة بن قدور بالتعريف.

الباى حسن بن موسى الباهى

اشارة

ثم البـاى حسن بن موسـى المعروف بأهـج حسن، و هو ثـامن بايات وهران و آخرهم فى القول الأحسن، تولى فى منتصف ذى الحجة الحرام بغير الخلف، سـنة اثنين و ثلاثين و مائتين و الألف و هو اليوم الـذى مات فيه الباى عليّ كما مر فى القول الجلى. و من خبره أنه كان فى أول أمره طبّاخا لأربعين جنديا من

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۴۸

الأتراك، فى غاية ما يكون من التدريج و الاشتراك، ثم صار تبّاغا يبيع الدخان، و يتعاطى بيعه فى السر و الإعلان. قال فى در الأعيان فى أخبار وهران، و كان ذا عقل وافر و سياسة، و رأى ناجح و رئاسة، و لما رءاه الباى محمد الرقيق على تلك الحالة شغف بحبّه، إلى أن أخـذ بمجـامع قلبه، و ظهر أنه لا يصـلح لمصاهرته ألّا (ص ۲۹۶) هو، و أنه هو الـذى/ يوافقه فى الجـد و الهزل، و الذكر و السـهو، فقرّبه منه و أدناه و أولاه سرّه و معناه، و زوّجه من ابنته و صيره من جملته، و شوّر ابنته بدرة بما لا له قيمة مثل الدرة اليتيمة و الذهب و الحرير، و الـدراهم و الـدنانير، و غير ذلك من الشورة و الأمتعة فصار من حينه متسعا فى غايـة السعة، و ولّاه قائدا بفليتة، و انضـبطت أموره فليس لها تفليتة. قال صاحب در الأعيان، و هو السيد حسن خوجة كثير المعانى و البيان، و كنت كاتبا لأموره الشاملة و لازمته فى الخدمـة السـنة الكاملـة، فلم أسـمع قـط منه جناحـا و لاـ كلمـة فحش و لاـ منـا و لا فخرا و لا تكبرا و لا مزاحا، و إنما يظهر منه من محاسن الأخلاق، و التعبّد ما يرضّى المالك الخلّاق.

قال و كان قليل الغضب كثير الرضـى، يمسح برؤوس اليتامى و يعيد المرضـى كثير الترحّم و التودّد للفقراء و المساكين، محبا للعلماء و الشـرفاء و الأوليـاء و الصـالحين و المسـاكين، مواضـبا على الطهـارة لا يتركها أصـلا محافظا على الصـلوات فرضا و نفلا، مجالسا لأهل الفضل و العناية، مجانبا لذوى السفاهة و الجناية.

ثم ولاه خليفة الشرق لكنه لم يبلغ فيها مناه، و لا توصّل إلى مرغوبه و منتهاه، بل وافق أمره فيها مخالفة صهره الباى محمد الرقيق لأهل الجزائر، كما مرّ فعاقه العيوق عن تلك المراتب و المشاعر. ثم كان من أمر اللّه تعالى أنه بلغه إلى مكانة أرفع منها و أرقاه بايا و الأولى أعرضه عنها. و قـد قحط الورى قبل ولايته (ص ۲۹۷) فلم يمطروا، و دام عليهم ذلـك إلى أن تضـرروا، و لمّا ولّى عليهم أمطرهم/ اللّه تعالى بمنّه و فضـله، و خفّ بعض غلاء الشـعر الصادر بعـدله. قال السـيد حسن خوجة التركى فى الكتاب المذكور، و هو ذكر الأعيان المشهور، و لذلك قلت فيه هذه الأبيات، الدالة على كماله بالثبات، و اللّه يقول الحق و هو يهدى السبيل و هو حسبى و نعم الوكيل، و هى من بحر الطويل:

أيا معشر الإسلام دام سروركم‌بدولته من فى الناس دولته ترضا

أمير أتانا بعد ما قحط الورىفأمطرنا رب العباد به أرضا

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۴۹ تراها و قد أبدت من الغيث أبحرافمن هائم طولا و من هايم عرضا

كما حسنا كان اسمه حسنت بهليال و أيام و طبّت به مرضا

إذا ذكر البايات كان أعفّهمو أكثرهم جودا و أوضبهم فرضا

و إن ذكر الفرسان كان أكرّهمو أفرسهم خيلا و أرماهم غرضا

و إن ذكر الأبرار كان أبرّهمو أوسعهم صدرا و أكظمهم غيظا

سياسة الباى حسن و سلوكه

قال شيخنا العلّامة الربّانى، و القدوة الصمدانى، الشريف الحسنى ذو البيانى السيد محمد بن يوسف الزيانى، فى كتابه: دليل الحيران و أنيس السهران فى أخبار مدينة وهران، و لما استوسق له الملك و أذعنت له الرعية، رفض ما كان عليه من الوصف السابق و كثر ظلمه و غضبه و غيظه و غصبه و عبثه بالرعية، و حدث بوقته الوباء العظيم العسير و تكرّر رجوعه بعد ذهابه إلى أن مات به الخلق الكثير.

وفاة أبى راس الناصر بمعسكر

و مات بوقته مجدد القرن الثالث عشر ذو التآليف العديدة، و التصانيف الكثيرة المديدة، الشريف الأمجد، العلامة/ الأفرد، الضابط الجامع الحافظ (ص ۲۹۸) الدراكة المانع المحقق اللافظ، أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر، ابن محمد بن أحمد بن الناصر بن على بن عبد العظيم بن معروف بن عبد الجليل الراشدى المعسكرى الناصرى الذى ليس له نظير بالراشدة، و لا مثيل، يوم الأربعاء خامس عشر شعبان سنة ثمان و ثلاثين و مائتين و ألف ، من هجرة من له كمال العز و الشرف، و صلى عليه العلامة الأسد الهائج فريد وقته المعبر عنه بالراشدية بالخرشى الكبير السيد أحمد الدايج، و دفن بعقبة بابا على من المعسكر، فنسبت له تلك العقبة إلى أن بها اشتهر و على ضريحه قبّة نفعنا اللّه به و أورثنا منه محبة و قربة. و فى تلك السنة رفع المطر عن العباد بعد ما فرغوا من

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵۰

الحراثة إلى أن بقى للصيف شهر واحد فى القول الذى ليس من أقوال الرثاثة، فأرسل اللّه مطره النافع للعباد، و أزال ما بهم من التخمين و الكساد، و نبت الحبّ و تمت الصابة و حصدوا، و بلغوا مناهم فشكروا اللّه على ما أولاهم و حمدوا، فسميت تلك السنة بصابة الشهر، و تعاطى اسمها فى البدو و الحضر. قال و اجترأ على العلماء و الأولياء و الشرفاء و الرعية فبان منه الجور و الظلم و التعدى، و كثر منه الضلال و هتك المحارم و التردى، و طغا و تجبّر و تكبر و كثر منه الفساد و السفك بغير موجب لدماء العباد، و لم يراقب فى ذلك خالقه و لم ينظر ليوم المعاد، فقتل فى سنة تسع و ثلاثين و مائتين و ألف ، قتلة ذميمة، ولى اللّه الفقيه السيد محمد ابن أحمد الصدمى من أولاد سيدى بن حليمة، لمّا سعى به خاله أبو ذريع عنده (ص ۲۹۹) بأنه يريد أن يقوم عليه بغتة بالعقبة، فبعث له ما أتاه به و على رأسه ساجل من/ الحلفاء ظليلة على عمود نكاية له إلى أن وصل بتلك الحالة لوهران فعلّقه بها مع الخشبة. و فيها فى شهر شعبان أمر بقطع رأسى الفقيهين العالمين الجليلين، الوليين الكاملين الجميلين، السيد بن عبد اللّه بن حواء التجينى الدرقاوى و السيد فرقان الفليتى بغير الكلام و أكثر من الخظية و هى العقوبة بالمال للرعية، و لم يراقب فيها قط الأحوال المرعيّة، حتى صار يقول لعماله من اصطاد لنا حجلة فله جناحها، و ربحها و نجاحها، يريد بذلك أن من سعى عنده بأحد للعقوبة بالمال و الساعى من الخواص، فإنه يأخذ حظه من الخطية و هو القدر الذى يأخذه من الأجرة لما يذهب للخلاص، و لشدة ظلمه أمر كاتبه أن يكتب لمن يريد أن يخطّيه على الفورية، إنما استوجبت هذه العقوبة لخدمتك الرّدية. و أنه فى بعض الأيام نظر لضعف الرعية و حصول الغنا للقواد و

الأغات و العمّال، استعمل حيلة ليأخذ بها منهم ما شاءه من الأموال، فقال لهم و هم بمجلسه حجيتكم أيها السادات الكرام الدائرين بى فى هذا المقام، إنى هزلت من اليدين و الرجلين و سمنت من الأذنين و العينين، فتحيّر عمّاله فى فهم حجّايته، و أمعنوا النظر فى فكها كل بحسب عنايته إلى أن قال لهم ءاغة المعظم الوجيه النبيه المحترم من خاض البحور فى فهم المعانى إلى أن أظهرها لكل قاص منهم و الدانى، المعتصم فى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵۱

أموره كلها بالبارى، الشجاع الأفضل السيد الحاج محمد المزارى، أيها الأعيان إنّ باينا يريد بيديه و رجليه الرعية لما رءا (كذا) ضعفهم ببصره، و يريد بأذنيه و عينيه أغواته و قياده لما كثر مالهم فى نظره، فعليكم بإعطاء الأموال ليلا يصير كل واحد منكم فى أرذل الأحوال، و بادر لذلك فأعطاه من العدد ما أرضاه فى الصك، و قال له هذا الجواب حجايتك فإنى واحد من أذنيك و عينيك فقال له أنك الخبير بالفك، ثم شرع كل واحد من الأعيان فى دفع ما قدر عليه، فسرّ بذلك البای و علا قدر المزارى لديه، و قال لوزرائه و أهل مجلسه أن المزارى لفهيم، و أنه على التحقيق لآغا جسيم، و عاتب البای يوما بعض أصدقائه على كثرة الخطية، التى ضعفت بها الرعية، فقال له/ أن أهل الجزائر قد أكلونى (ص ۳۰۰) بالكلية، و لذلك ترانى قد أكلت للرعية. ثم صار مهمى مات أحد من رعيته و هو ذو مال و فلوس، إلّا صيّر نفسه واحد من الورثة و يأخذ حظّه معهم على عدد الرؤوس. و فى سنة أربعين من القرن الثالث عشر أمر ببناء الرّحبة لبيع الحبّ بمدينة المعسكر، و كتب على رخامتها ما نصه: بسم اللّه الرحمن الرحيم، و الصلاة و السلام على أفضل رسله محمد الكريم، و على آله و أصحابه المرشدين للصراط المستقيم، أما بعد فقد أمر ببناء هذه الرحبة الماسوسى، صاحب الخيرات و الحسنات السيد حسن بای بن موسى زاد اللّه تعالى خيراته، و عفا عنه سيئاته و لوالديه آمين ثم كتب هذه الأبيات:

بناها حسبة للّه حسن بای‌بوجسصّة إيلدى بنيّا داى

صحفه خطر أيله أجنلف‌جهانك عافيته أولسون

أول تارىّ غدا أيكان‌جهانك أيلسون شادان

و هم أيلسون رحمت بوانو أجداد له ربّ غفران

صوره أحمد بن محمد سنة أربعين و مائتين و ألف، ثم أمر بجعل قبرية لضريح سيدى على أبى الوفا، بعد ما بنا عليه القبة، و ذلك سنة ثلاثة و أربعين من الثالث عشر بالحسبة و كتب بأحد جانبيها ما نصه: الحمد للّه أمر بصنعة هذه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵۲

القبرية و تزويقها المعظم سيدنا حسن بای العمالة التلمسانية، و الثغور الوهرانية، و قد أدّى جميع ما أصرف عليها و أهداها للولى الصالح سيدى على أبى الوفا و بتاريخ أواسط رمضان المبارك من عام ثلاثة و أربعين و مائتين و ألف و المتولى لحلية تزويقها الطالب صالح بن سالم وصيف الشيخ سيدنا محمد بن أبى زيان القندوسى سامحه اللّه آمين. و بالآخر هذه الأبيات:

يا رجال الإلاه إنّى مريض‌و أن الدّوا لديكم و الشفاء

أنتم البای و الإلاه كريم‌من أتاكم له المنا و الهناء

فكم أننى حماكم من سقيم‌و زال عنه سقمه و العماء

كم أغنتم على الدوام مريض‌فى الفراش و قد كفاه النّداء

فانظروا بفضلكم فى علاجى‌و امنحونى جودكم ما أشاء

و أكثر من الربطة حتى أنه دفع له المزارى سبعة آلاف و خمسمائة ريال فى عام توليته، و كتب له رسما لتبريته، و نصّه: الحمد للّه تذكرتنا بيد القائد (ص ۳۰۱) المزارى بن إسماعيل، آغا على أنه دفع لنا سبعة/ آلاف ريال و خمسمائة رياب بودهيا؟ من قبل الربطة يوم توليته أواسط ربيع الأول الأنور من عام ۱۲۴۱ و كتب بأمر المعظم الأرفع السيد حسن بای وفقه اللّه و بمقلوب الرسم خاتم البای

المنقوش فيه ما نصه: الواثق بالرحمان، عبده حسان باى بن موسى ۱۲۳۲ .

ثورة أحمد التيجانى

اشارة

ثم قام عليه فى عام اثنين و أربعين و مائتين و ألف السيد محمد الكبير ابن القطب العلامة المعبر عنه بالقطب المكتوم السيد أحمد بن سالم التيجينى بغير الخلف، و جاءه حاركا فى ستمائة رجل من التيجانية أهل عين ماضى،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵۳

الزاوية المحفوفة بحفظ اللّه فى الزمان الآتى كالماضى و عدد كثير من العرب الصحراوية التى لا تمتثل للمعروف و لا تنتهى عن المنكر، مع قوم الحشم إلى أن وصل للمعسكر و دخل منها حومة بابا على ثم خرج منها و رجع لغريس فمات بعوّاجة مع أصحابه كلهم بلا تحريس، و من خبره أن الباى حسن كان قد دخله التخمين بأن التجينى سيقوم عليه بالأصفى، كقيام ابن الشريف الدرقاوى على الباى مصطفى، لإقبال الناس عليه فى كل ناحية و انتشار صيته فى كل ضاحية، فرام كسر شوكته قبل تزايدها، و هدم قوته قبل تعاهدها فجمع له جيشا عظيما، و عددا كثيرا جسيما، و غزى به عليه بعين ماض، و حاصره بها شهرا كاملا يماض، إلى أن حصل الصلح بينهما على يد كاتبه السيد الحاج محمد ابن الخروبى القلعى على أن يعطى التجيتى للباى لزمة سنوية فى المرعى، قدرها خمسمائة ريال منجّمة، و يعطيه ألفى ريال حالّة مقدّمة (كذا)، و كان ذلك عام إحدى و أربعين و مائتين و ألف ، فأخذ الباى تلك الغرامة الحاضرة و ارتحل لوهران بالشضف، و قد انكسر فى قتال تلك الواقعة بلا تمارى، عدة ولد عثمان البحثاوى خليفة آغا الحاج محمد المزارى. ثم أنّ التجينى لمّا رأى ما حلّ به بغير سبب ظهر له مقاتلة الترك و الغزو على الباى حسن فى محلّه للعطب و دسّ ذلك فى سويداء قلبه، و صار يحشد الجنود و يجمع الحشود لشىء لم يكن من كتبه، و يكاتب من يظن به الإذعان للمهالك و من جملتهم الحشم فأخبرهم بمراده و وافقوه على ذلك. و لما دخلت سنة اثنين و أربعين و مائتين و ألف ظهر للباى السفر للجهة الغربية لإزالة الغلف، و يتفقد أحوالها فى السرّ و الإعلان، فذهب بجيوشه/ الكثيرة التى رأسها المخزن سيما أعيانهم قاصدا تلمسان. و لما نزل (ص ۳۰۲) بالحناية كأنه الأسد الحاقد جاءته ثلاثة مكاتب فى وقت واحد، أحدهما من عند الهوارى الحشمى، صاحب الصدق للباى فى القول الجزمى، و ثانيها من عند قدور بن سفير قائد المعسكر و ثالثتهما من عند مرة أحمد التركى الذى نفاه الباشا حسين من الجزائر للمعسكر، و صيّره بها بمنزلة ناظر الأحباس، يخبرونه فيها

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵۴

باتفاق الحشم على القيام مع التجينى و إظهار الأرجاس و لما قرأ الباى تلك المكاتب، أعلم أعيان جيشه و مخزنه بما فيها من الأمر العاطب، و قال لقواده لا بد تأتونى بجيوشكم الباقية و الجمع بيننا بوادى ماكرة، و ارتحل من الحناية فنزل بيسّر و بعده بماكرة، و أقام بها أياما و الجيوش تجتمع عليه إلى أن صار خميسه فى غاية الخميس، ثم رحل و نزل بالزفيزف ثم بعوّاجة من أرض غريس، فأتاه الحشم بأجمعهم للضيافة، و لم يعلموا ما سيحل بهم من المكافة، فضيفوه و بعد الأمل قالت له نفسه لا يستقيم لك الأمر و تحصل لك الرّاحة إلّا بقتل قواد الحشم الإثنا عشر، و هم محمد ولد عبد اللّه و ابن أخته الحبيب و محمد بن ركموط و محمد ابن نكروف و غيرهم فى صحيح الخبر، و كان الكبير فى هؤلاء القواد سنّا و رأيا و تدبيرا و شجاعة محمد ولد عبد اللّه فالصادر منه هم له طاعة، فأمر الباى بقبضهم فقبضوا، ما عدا القائد الحبيب فإنه لا زال على فرسه و قد سمع ما لفظوا و صار واقفا من بعيد ينتظر ما يحل بهم من الانتقام، فلما رآهم ذهبوا بهم لبشوضة و هى محل القتل ذهب فارا بعد طول القيام، ثم أنّ القواد الإحدى عشر لما عاينوا القتل و تحققوا به و هم فى الجزع و الدهش، نطق كبيرهم ملتفتا وراءه لناحية الباى و قال يا هذا الوتاق ظلمتنا من غشك سلط اللّه عليه الغش،

فقال له محمد ابن زكموط يا مختل العقل حلفك لا ينفع، و صاحب الوتاق لا ينظر فيك و لا لكلامك يسمع، فالشّاه فيك على القساوة، حيث كنت فى نجاة و من السعداء و صرت فى هلاكك و من أهل الشقاوة و لما وصلوا لبشوضة و قد صارت جموعهم مفضوضة، قال ابن زكموط لظربير، و هو المأمور بقطع الرأس، بأمر الأمير، ناشدتك اللّه أن تبدأ بمحمد ولد عبد اللّه لتحصل به الراحة، لقلة رأيه الفاسد (ص ۳۰۳) و عدم إصغائه/ لقولنا حيث كان من أهل السمع فصار أصمّا كما صار أبكما بعد أن كان فى الفصاحة، ثم اقطع رأس الباقين واحدا بعد واحد. ففعل ظربير ما قاله ابن زكموط الماجد، قال و لما قتل الباى فى ساعة واحدة إحدى عشر قائدا، و بعث برؤوسهم للمعسكر بعثا متواردا، أنكر عليه ذلك كافة الترك الذين كانوا بالمحلة و الغائبين، كما أنكر عليه ذلك أغواته الذين هم من الراكبين، و قالوا له سترى ما ينتج لك و لنا معك من الضرر العظيم، حيث لم تستشر أحدا، و استقلّيت برأيك الصميم، و أظنك استشرت المازرى و ابن وارد، فقالا نحن

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵۵

على براءة من هذا الكلام الوارد، فإنه لم يستشرنا و نحن من جملتكم، و إنما ذلك رأيه هو أدرى بأحواله منّا و منكم.

ثم أنه لما قتلهم و حاله استبشر، رحل من عوّاجه و هو فى نخوة و دخل المعسكر و كان فى قلبه و جل من القائد عبدى و أبى الأقدار لعلوّ كلمتهما عند العرب و الترك فى السرّ و الإجهار و ميل أصحاب الجزائر لهما لما فيه الغاية، و ربما تتولد له منهما النكاية، و قد ضرب على الحشم الخطية الكبيرة، و العقوبة المالية العسيرة، رأى أنه لا تكمل له الأيام، و لا تتم له الفائدة إلا بقتل هذين، التركيين القيام، بعثهما لقبض تلك الخطية، و مراده قتلهما لتكون لهما الرزية و يتهنا من أمرهما و يستريح، و ينفرد فى مملكته من المليح و القبيح، فذهبا لقبض تلك الخطية، و لما وصلا للحشم قالوا لهما جئتانا لإتمام الرزية، بالأمس قتلتم قوادنا، و الآن جئتما لأخذ مالنا و قد جرحتم أكبادنا، و غرضكم إتمام النكاية فستريا ما لكما فيه من النكاية، و بادروا لقبضهما، لأخذ الثأر فى نفلهما و فرضهما، ففرّ عبدى هاربا و أتبعه الحشم إلى أن دخل لخيمة سيدى الأعرج من أولاد سيدى محمد بن يحيى و جلس عند النساء للحرم فدخلوا عليه و أخرجوه منها جبرا على السيد المذكور بالاشتهار، و قطعوا رأسه كما قطعوا رأس أبا الأقدار، و قالوا هذا ثأر القواد، الذين ذهبوا لجنة الخلود فاذهبا لجهنم و بيس المهاد، و بعثوا بالرأسين للتجينى و قالوا له على عبدى هذا رأس الباى حسن، و على أبى الأقدار هذا رأس خليفته كثير المحن فاستراح الباى بفعله بالتركيين و الحشم، و لم يبال بما سيأتيه من الغم و الهم.

تآمر الحشم مع التيجانى ضدّ الباى حسن

ثم أن الحشم حثوا على التيجنى حثيث الاحتباك/ فى القدوم معهم لقتال (ص ۳۰۴) الأتراك، و لما رجع الباى لوهران و مكث بها مدة فى أمن و أمان، قام عليه التيجنى فى جيش عظيم يريد المجاجنة من أهل الصحراء، و اليعقوبية و ستمائة رجل من التجاجنة، و وصل لغريس فى خريفة اثنين و أربعين و مائتين و ألف

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵۶

فنزل بفروحة فى يوم الأحد بغير الشك و الخلف، فبعث الهوارى للباى بذلك، و أخبره بتحقيق ما هنالك، فلذلك جعله قائدا على الحشم فى الرواية الفريدة، و قد أطاع الحشم للتجينى لما أحلّ بلادهم بجيوشه العديدة، ثم كاتب التجينى بنى عامر و بنى شقران و البرجية و الغرابة و الزمالة و الدوائر و سائر النواحى الشرقية و الغربية له بالإذعان، فأمّا البرجية و الغرابة و الزمالة و الدوائر هؤلاء الأعراش الأربعة المتوالية الذين هم مخزن الباى فقد أبوا من الإذعان، و أما بنوا عامر و بنوا شقران و غيرهم فقد توقفوا، و صاروا ينتظرون الغالب يتبعونه و بذلك اتصفوا.

محمد التيجانى يهاجم مدينة معسكر

ثم رحل التجینی فی یوم الإثنین لمدینة المعسکر و هی علی سبعة أقسام، حومة العرقوب بسورها، و حومة سیدی علی محمد، و حومة عین البیضا، و حومة الباب الشرقی، و حومة بابا علی، و حومة سیدی محمد أبی جلال، و حومة المدینة الداخلة، و هو الوسطی بسورها ذی أدهام، و نزل علی الحومة الغربیة وسط النهار و هی حومة العرقوب، یرید الدخول إلیها و یظفر بالمطلوب، فتلقاه أهلها بأسرهم بالقتال، و صار الحرب بینه و بینهم فی السجال، و أعانهم بنوا شقران علی ذلک القتال، و قد مات من الفریقین خلق کثیر و قد بات فی تلک اللیلة (کذا) بأعلا الحومة البحریة و هی بابا علی فی تحریر، و فی یوم الثلاثاء بعث لهم لیدخلوا فی طاعته، فأبوا و بدءوه (کذا) بالحرب من غیر مراعته، فکان من أمرهم أنه قتل منهم خلقا کثیرا و دخل تلک الحومة فجاس خلالها و دمّرها تدمیرا، و لما رأوا ذلک قادوا له فرسا أشهب و دخلوا تحت حکمه بانتخاب و أتوه لیلتهم لمؤنته (کذا) جیشه من المأکول و المشروب و علف الدواب و اندرج فی ذلک أهل الحومة الشرقیة بلا محال، و هی حومة الباب الشرقی، کما اندرج فی ذلک أیضا حومة سیدی محمد أبی جلال.

(ص ۳۰۵) ثم فی الغد و هو/ یوم الأربعاء ارتحل من موضعه و نزل بخصیبیة علی الحومة القبلیة، و هی سیدی علی محمد و عین البیضاء، و سألهم الإذعان أو یحلّ بهم ما حلّ بالحومة البحریة فقادوا له فرسا و دخلوا فی الطاعة، دفعا عن أنفسهم

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵۷

و علموا أن ذلک من الخروج عن الجماعة. و فی یوم الخمیس تهیأ بجیشه لقتال الحومتین المحیط بهما السور و هما العرقوب و المدینة الداخلة، و کان فی السابق دخل أهل سیدی محمد أبی جلال، و أهل سیدی علی محمد، للمدینة الداخلة، ثم ظهر لهما فی الخروج فخرجا و شدت أبواب المدینتین و کل فی مخزنه.

الباى حسن یذهب لمعسکر لمحاربة التیجانی

فبینما هو یحاول القتال مع هاتین الحومتین و إذا بالباى حسن بلغه الخبر فخرج من وهران بجیشه و مخزنه، و حث السیر فبات بالکرمة، و تلیلات، و سیق، و وادی الحمام، فنزل بمشرع حسین، و هو کالأسد الضرغام، سمی المشرع بذلک سرا و جهرا لکون حسین الترکی تعدی علی بعض العرب بالمنکر بذلک المشرع فقتل به و ذهب دمه هدرا. و کان من عادة الباى لا یدخل للمعسکر إلّا مع عقبة الملّاحة، سمیت بذلک للنکبة الکثیرة الواقعة بها الدواب الملّاحة، فنکّب عن تلک الطریق و ذهب مع تیفرورة، و معناها ذات الخیر الکثیر فهی بالبربریة مشهورة و أخذ طریق سیدی علی بن أحمد الولی المشهور. و لما قرّبه طوی ألویته و ترک ضرب الطبول بتوابعها توقیرا للولی المذکور، و بعث لضریحه زیارة تدفع بید المقدم لیحصل له الفوز علی التجینی و الحشم و سأل من اللّه الإعانة علی عدوه فی الحفی مقدما فی دعائه، التوسل إلی اللّه تعالی بذلک الولی و لما جاوزه قال له لیث الضراغم، و من کثر للأعداء منه التقاصم، ءاغته المتقاعد النبیل المحترم السید مصطفی بن إسماعیل و سائر الأغوات الباقین، أیها الباى لا تخش أحدا إلا ربّ العالمین فانشر سناجقک و نقطر طبولک کالعادة، حیث جاوزت الولیّ، فالنصر لک و لنا معک فی الزیادة، و العدو لا ریب یحل به النّکال لأنه ما معک إلّا لیوث الرجال.

قال و لما وصل الباى لخروبة الصیادة المطلة علی غریس، هبط علی قریة الکرط، و مرّ علی سیدی علی القطنی کأنه أسد التغلیس، و لما بلغ الخبر بأن التجینی لا زال محاصرا للمعسکر، رجع نحوه/ متوجها له و هو بخصیبیة من غیر (ص ۳۰۶)

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵۸

المفر، و لما طلّ علیه و رأی عنده الجراد المنتشر، و سمع به التجینی فتأخر عن المعسکر، و هبط دالجا ناحیة أولاد رحّو یروم المقاتلة و عنه یلحّ دخل الباى الخوف و الجزع، و لحقه الرعب و الفزع و ظن أن الدّائرة کائنة علیه فثبّته أعیان مخزنه و واعده بأن النصر مقبل علیه، و قال ءاغته المتقاعد الشبیه بالجوطی الحاج عبد اللّه بن الشریف الکرطی أیها الباى رأیک الذی استقلیت به حیث ترکت المشورة لکل أحد فی ابتداء الأمر، هو الذی وصلک و أوصلنا معک لهذا الأثر فضحک ءاغته المتولی وقت ذلک، و هو السید الحاج

محمد المزارى البحثاوى من ذلك، و قال للباى يا من أنت فى ستر الحليم الغفار، و حفظ العزيز القهار، لا يدخلك الجزع و لا تصغى للقول المعسار، سترى ما يصدر من مخزنك الأبرار، فإن لهم حق عليك فى المشورة، و أنت تركت ذلك لجميعنا إلى أن صارت الحضاجر هى القسورة، فأحسن ظنّك باللّه و لا تهن، و لا تجزع و لا تحزن، فعند حلول الكفاح فى الميدان يتبين لك الشجاع من الجبان، و من كان صغيرا فى السن يصير كبيرا فى الضرب و الطعن و ليس الكلام بالأفواه وقت تقابل الصفوف، و إنما الكلام للبنادق و السيوف، و يظهر الكر من الفر فالشجاع يتقدم و الجبان يتأخر، و لا يخفى سيدنا طعن مخزنه للعدو إذا تراءا (كذا) الجمعان و غلت الجماجم و تأججت النيران سيما الأعيان الدارئين (كذا) عن سيدنا ما يلحقه من ألم الدعاوى، سيما ما ولده البشير البحثاوى فهم فداؤك فى الهموم و الكروب، و وقايتك فى القتال و الحروب، فسرّ الباى و جميع الجيش بقوله، و علا شأن عمّه مصطفى و طلع رأسه إلى أن قال أهلا بقوله. و قد كان بن يحيى ابن محمد الغلالى ثم الشقرائى فيما الراوى قد رواه، كتب لآغا السيد مصطفى ابن إسماعيل بطاقة يخبره فيها بقدوم التجينى لأم العساكر و مقاتلتهم إياه، لكون هذا ابن يحيى كان خليفة قائد المعسكر فى الوارد، و خليفة القائد عند الأتراك يقال له ءاغة القائد، و بعث بطاقته مع ابنه فجاء بها ليلا لغنيمة الفىء، و لما وصل المحلة قبضه أهلها و منعوه من الدخول لها و سلبوه من كل شىء، و هو يقول جهرا يا قوم أوصلونى عند السيد مصطفى بن إسماعيل، فإنى ولد ابن يحيى بن محمود (ص ۳۰۷) الغلالى قاصدا للنبيل، و جئته بالمكاتب/ من عند أبى فلم يلتفتوا لقوله و صفا و لا زال ينادى إلى أن سمعه ءاغة مصطفا (كذا) فأمرهم بالإتيان به و مطلبه، و لما

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۵۹

وصله سأله عن نفسه و نسبه، و عرّف بذلك دون شبيه و ناوله مكتوب أبيه، فأمرهم فورا بردّ ما أخذ له بأسره لما ظهرت العلامة، فردوه فورا و لم تضع له حتى الغلامة و ذهب ءاغة مصطفى بمكتوب خليفة القائد للباى حسن، و عرّفه بالواقع و زال ما به من الوهن، و قال له أنّ ما تراه من الجراد فضباب على رؤوس الحبال، و ستطلع عليه الشمس الحارّة فينصرف عن آخره و هو فى النكال، و أن العرب ستأكل بعضها بعضا و يقتل بعضها بعضا و النصر مآله إليك، فانشر ألويتك و نقّر طبولك و اضرب غوائطك بناغراتها و لا حرج عليك، فنشرت السناجيق فى الحين و نقرت الطبول و الغوائط و الناغرات بصوتها الحنين، و التقى الجمعان بعوّاجة بلاد أولاد رحّو فكان ثمّ أعظم الوقوف، و نشأ الحرب بين الفريقين و تزاحفت لبعضها بعضا الصفوف و حام الوطيس و ترادفت الردوف، و اشتبكت الناس ببعضها بعضا و هاج الرّيح العصوف.

المعركة الفاصلة و مقتل التيجانى

قال فلم يكن غير ساعة إلّا و الحشم و سائر الأعراب قامت على ساق واحد، و بقى وحده فى تجاجنته و اطّلع على رأيه الفاسد. و يقال أن الباى فرق أموالا كثيرة على أعيان الحشم و كافة العرب فأوقعوا الهزيمة، و فرّوا و تركوه بجيشه الخاص به منفردا فى الحالة الذميمة، فصار جيشه يذبّ عن نفسه عن نفسه و يسارع فى مشيه نحو بستان أولاد رحّو (كذا) و هو بستان عظيم من الهندية ليتخلصوا به و يتفسحوا فحال بينهم و بينه جيش الباى و أوقفوهم بموضع يقال له السّمّار، و أداروا بهم دور مقياس بسواعد الأبكار، و اشتدّ القتال إلى أن قتل التيجينى بجميع جيشه و لم يفلت منهم واحد، و مات خليفة التجينى و هو السيد إبراهيم بن يحيى من أولاد سيدى محمد بن يحيى ذى الفضل الماجد، و من جيش الباى عدد كثير بالأمكن منهم محمد ولد قدور البحثاوى و قائد غمرة و غيرهما و تكسّر ءاغته المزارى من ساقه الأيمن، و كان عدة بن قدور ءاغة الزمالة المتقاعد عن الخدمة فى نوبته وقتا، حلف أنه/ إذا ظفر بالتجينى ليضربنّه بسيفه (ص ۳۰۸) حيا كان أو ميتا، و لما ألفاه ميّتا ضربه بسكينه للصّدر إزالة للكربة إلى أن هضمه من صدره تهضيما كبيرا بتلك الضربة، فعابته الأعيان على ذلك كثيرا، و قالوا له

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۶۰

لو ضربته حيّا لنلت المراد، و لكنك فعلت بنا عسيرا. و لما تمّ القتال أمر الباى بقطع الرؤوس رأس التيجنى و يده و رؤوس التجاجنة أهل الضرر فقطعت الرؤوس و بعث بها الباى أمامه للمعسكر، و رحل و دخلها فارحا مسرورا، و مؤيدا مغتبطا منصورا، و بمخزنه العظيم نال عزا و شكورا، ثم رجع لوهران فى عزّه و إكرامه، و فضله و إنعامه، و ألوية النصر تخفى على رأسه و هو فى أنيسه، و اشتد أمره و جرصه، و كتب لقائد ملیانة يخبره بما نصه: الحمد للّه و صلى اللّه على سيدنا محمد و آله المكرم ولدنا علىّ قائد ملیانة وفقه اللّه آمين السلام عليكم غاية و رحمت (كذا) اللّه و البركة و بعد فالذى نبشركم به خيرا إن شاء اللّه تعالى هو أننا طحنا على محلة الظالم ابن التجينى و أحزابه فقتلناه هو بنفسه و قتلنا خليفته و قطعنا رأسيهما معا و قتلنا جميع من كان معه بمحلته و لم يفلت أحد منهم ما يزيد على ألف رأس و سبينا جميع ما عندهم من خيول وابل حتى الأخبياء جميعا و الحمد للّه على هذه البشارة المباركة لقد هنيت العباد من ظلمه و فساده وها نحن بشرناك و السلام بأمر المعظم السيد حسن باى آمنه اللّه آمين.

حصول القحط و غلاء الأسعار

و فى فصل الربيع سنة اثنين و أربعين و مائتين و ألف باقتباس وقع غلاء عظيم و قحط فيه الناس إلى أن صار الباشا يفرق الرغيف بالمدن على الناس، فسمى العام بعام خبز الباشا، و تواتر على الألسنة للآن و فاشا. و كانت الأولياء فى المستبن تقول آخر الترك من يسمى حسن، و منهم من يقول سيأتى الباى حسن يأكل الرتعة و يزيد الرسن، و معنى هذه الإشارة بالكمال أنه يأكل الرتعة و هى الرعية و يزيد الرسن و هو العمال، فكان الأمر كما قالت الأولياء، نعم السادات الأصفياء الكرام.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۶۱

سجن الشيخ محى الدين بوهران

و قتل هذا الباى ولى اللّه سيدى الحاج محمد البو شيخى المقيم بقيزة، بإغراء عدة بن ونزار رايس الونازرة الزمالى له علية فى الوجيزة، بحيث علّقه مع خشبة بوهران، و قال هذا جزاء من يريد الظهور و الإعلان. و منع شيخ الجماعة من الحج و هو السيد الحاج محى الدين بن سيدى مصطفى بن المختار والد الأمير السيد الحاج عبد القادر، و أسكنه بوهران بمنزلة المثقف و لم يخلّ سبيله إلّا بعد/ أمد طويل متكاثر، و لما سامه بالسجن عفانا اللّه منه، قال فيه العلامة السيد (ص ۳۰۹) السنوسى ابن السيد الحاج عبد القادر بن السنوسى الدحاوى قصيدة نونية لتسليته و إبعاد الهمّ عنه نصّها بتمامها:

عوّل على الصبر لا تفزعك أشجانو لا ترعك بما فاجتك وهران

أما هى الدار لم تؤمن غوائلهابلى هى الدّار أغيار و أحزان

تخفى الدسائس لم تظهر لها حيلو لم تعاقداها و اللّه أيمان

شبّت على الغدر لم تعطف على أحدإلّا و من غدرها صد و هجران

ما أنت أول من دهت و لا آخرو لا بأوسط من خانته إخوان

انظر إلى يوسف الصديق كم لبثفى السّجن نفسه لم تزره خلّان

و انظر إلى ابن رسول اللّه ثم إلىهلمّ جرّا و ما لاقاه عثمان

تلك العوائد أجراها على قدرمدبّر الأمر كيف شاء ديّان

لم يشتوك أمحى الدين عن زلةرأوا و لكن أشقى القوم شيطان

صبرا فلا غرو أن تنحلّ عقدة منمن أجله قد عاد عليك سلطان

و يكظم الغيظ من خصم و من حكمو يكشف الغمّ أن صدّوا و أن خانوا

بل لا عليك و إن ساءت ظنونهمسيهزم الجمع أو يشتت ديوان

إن العواقب فى القرآن ثابتةللمتّقين و صدق القول قرآن

و أنت و اللّه لم تزل على سننيهدى إلى الحق لم يملك طغيان

تقرى الضيوف و تسعى فى حوائجهمو تحمل الكل لا غشّ و لا ران

تبيت بين الدجا تتلوا المفصّل عنقلب و تصبح مثل البدر تزدان

تدرّس العلم مرة و ثانيةتلقّن الذّكر و الفؤاد يقظان

فاللّه أسأل أن أراك منطلقاو ما حواليك حرّاس و أعوان

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۶۲ و منه أرغب أن ألقاك معتدلاكالحال قبل و قد أمّتك ركبان

ثم الصلاة بمحمود الصلاة علىمحمّد المصطفى ما تمّ إيمان

حملته على الشيخ بلقندوز التيجانى و قتله

(ص ۳۱۰) ثم جمع جيشا عظيما يقينا، و ذهب به لزاوية الشيخ بالقندوز/ القدّارى التجينى يمينا، و ليس عند هذا الشيخ الصريح سوى الطلبة لقراءة القرآن و رام قتله فى الصحيح و لما رءاه على تلك الحالة التى بها خبره انصدع، قال مثل هذا لا يثور علينا و رجع.

ثم غزاه فى عام خمسة و أربعين و مائتين و ألف فى جيش عظيم لا يطيق له أحد على الوصف، و لما وصله قال لمن بعثه يأتى به شهيرا، إذا امتنع من الإتيان معك و أراد الطلبة الحرب فارجع لى بذلك و كان عددهم كثيرا، و أوصى جيشه الأتراك أيضا رصدا، بأنه إذا ضرب البارود بالكابوس فعليكم بنوايل الطلبة فاقتلوهم و لا تحاشوا أحدا. و كان من عادته إذا أراد المكر بأحد و الناكوس، يعض لحيته فصار يعضها و بيده الكابوس، و لما رءا (كذا) ذلك جهرا، ءاغته السيد مصطفى بن إسماعيل البحثاوى أتاه فورا، و قال له ماذا تريد أن تفعله وحدك، و لم تنس بواقعة التجينى ما بقصدك، أردت أن يتكلم فيك البارود من جيشك الذى معك فعند ذلك تندم على رأيك، فقال له و أى سبب، حتى يحل بنا هذا العطب، فقال له أن هؤلاء الطلبة كلهم من الجيش الذى معك بعضهم من البرجية و الزمالة، و الدوائر بالقول المتراجع، و بعضهم من بنى عامر و الحشم و بين شقران و مجاهر و فليتة إلى غير ذلك من النواجع فمنهم من هنا ولده و قريبه، و منهم من هنا أخوه و حبيبه، و إذا رأوا ذلك القتل فيهم و أجهدهم لا جرم أنهم يقاتلونك على قرابتهم و الحق عندهم و الرأى الذى فيه المصلحة اترك ما نويته و أبعث من يأتك (كذا) به لأنك جئت له لا لكلهم، حيث لم يهدك اللّه فى شأنه و اترك الطلبة يذهبون لأهلهم. قال فقال له رأيك صوابا، و أحسنت تدبيرا و جوابا، فترك ما أمر به بجده و أدخل كابوسه فى غمده، و بعث له السيد قدور بن المخفى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۶۳

فذهب و لم يأت له بعد إعطائه الزيارة ثم بعث له من حلّ به المكر و الخسارة، و هو ابن دهما العامرى الخالفى شرير الفعل بكل جواريحه حتى فيه، فدخل عليه بنوالته و لطم خدّه و أخذه بشدة و أسحبه على الأرض إلى أن أوصله للباى و هو يسحب فيه، فأمر الباى بوضع الكبل عليه لقلّه، و افترقت الطلبة من حينهم فذهب كل واحد لأهله. و كان بالقندوز يقول قبل وقوع الأمر به للطلبة، نعم السادات ما تقولون هل الأفضل الذبح أو الخنق بالغلبة، ثم قال الذبح يؤدى لاختلاط الدماء فالخنق أفضل، فمن أراد الذهاب فليذهب و من أراد البقاء، فليقعد حتى يشاهد القول الأكمل.

/ ثم ارتحل من موضعه و ذهب مشرقا، إلى أن نزل برهيو فقتله به خنقا مع (ص ۳۱۱) داوود المزابى قولا محققا. و لما مات الشيخ

بالقندوز دون علم أحد من الناس بغير اشتباه، صار وليّ اللّه السيد الحاج محمد أبو قراب يقول أتى أمر اللّه يا عباد اللّه، فأرسل اللّه على المحلة ريحا عاصفا بصعصعه، إلى أن تكسرت ركيزة و تاق الباى و أزيل الوتاق من موضعه، و ضجت الدواب بالصهيل، و ماجت الناس و هم خائفون من التبديل، ثم سكن ذلك بعد ساعة، فعلموا بموت السيد فواروه فى رمسه باستطاعة. و كان أبو قراب من أولياء اللّه الكاملين، و الرجال السادات الواصلين، و كان قرابه بيده على الأبد و يمشى على رجليه مع المحلة حيث ذهبت، و لا تسبقه للمنهل و لو فى مشيها أسرعت و غصبت، بل هو الذى يسبقها فى سائر الأحوال، و يبقى فى الصدود من ورائها حتى يذهب ضعفاء الرجال، فلذلك اشتهر بهذه الكنية، و امتاز بها فى المرثية. و قد أمات اللّه ابن دهماء أشر موتة، و مقته أشر مقتة. و لما قتل بالقندوز صار الشيخ الكامل القطب الواصل، السالك المجذوب المقرب المحبوب، صاحب الملجأ و المناصى، السيد مولاى محمد الولهاصى يقول للعجب كل العجب بالتّوفيه، التركّ يقتلون بالقندوز و مولاى محمد يموت فيه، و بموته يحصل الفرج للإسلام، و يحل بالتركّ الانتقام ثم يراقب البحر، و يقول بالجهر بالمركيش أرواح اتعيش، فى لحم البقر و الدشيش، و يكرر ذلك فى سائر الأوقات، إلى أن تم أجله و مات، و بموته انقطع الأتراك، و انفصم حبل الاعتراك. و من الأولياء من كان يقول فى أيام الصمائم، ماذا يقع بأهل العمائم، و لم ينج وليّ من الباى حسن إلا السيد محمد بن عبد اللّه

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۶۴

المشتهر بابن سحنون و يقال له مولاعين الحوت، فإنه لم يتصرّف فيه بشىء فى المثبوت و كان ساكنا بضواحى تلمسان، و الوشاة ساعون به لدى الباى بوهران، فبعث له أناسا يأتوه به، و كل من يصله لا يخبره بشىء من مطلبه، و يرجع للباى فيقول له قد أبى و بان منه العصيان، و لا يأتيك إلا إذا غزوته بجيشك فيحل به ما كان، ثم أن الباى قال كيف أغزوا (كذا) رجلا واحدا بجيشى، و ربما يكون به إزالة ريشى، فبعث له الفارس الأمجد الشجاع الأوكد، الواثق بالبارى، السيد (ص ۳۱۲) الحاج محمد المزارى/ و قال له اذهب للإتيان به مكبلا و استعن بالبارى، و كان المزارى وقت ذاك لم يكن آغا أصلا، فامتثل الأمر و قال لا قوة إلا باللّه و لا حولا، ما هذه المصيبة التى ابتليت بها عن غيرى و ما هذه الرزية التى جاءتنى تجرى، و لما وصله نزل عنده و نظره فى أحواله، و تدبّر فى أفعاله و أقواله، فألفاه بريئا و أنه من أولياء اللّه المتعبدين بجحرهم، المعزّين للفقراء و المساكين و الضعفاء و غيرهم و للوافدين عليهم فى محبّة اللّه أهلا، و مرحبا بكم و سهلا، و أنه ليس من أهل الثوران، و لا خوف منه على باى وهران، فبات عنده و نفسه تدبر فى كيفية الخلاص من الأمر الذى ابتلى به المفضى للأخذ بالنّواص، و لما أصبح اللّه بخير الصباح و ارتفع النهار و ضوؤه بان، أراد أن يقول له على القدوم معه لوهران، فسبقه ذلك الولى بالقول مسرعة و قال له يا لمزارى أنك مأمور بأخذى معك لوهران مكبلا على برذعة فخذ الكبل و افعل ما أمرت به لا خوف عليك، و كل من جاءنى قبلك لم يقل لى شيئا بما لديك فقال لى يا سيدى لا أطيق على حملك معى مقيّدا على البرذعة و لكن اركب فرسك مسرجا و اذهب معى و ننيل (كذا) إن شاء اللّه للمنفعة إلى أن نصلا (كذا) لوهران دون تشديد، و يفعل اللّه سبحانه فى ملك ما يريد. فقال له الوليّ لا تعص الأمر لأنه أمر أمير المؤمنين. و طاعته واجبة على الذين بقلوبهم مؤمنين، فقال له لا يليق إلا ما نطقت به إليك، و لا شىء إن شاء علينا و لا عليك، فقال له الولى خذ القيد من بيتى لنذهبا (كذا) راكبين على السروج، و حيث نقربا (كذا) وهران نركب البغلة المبردعة مكبلا و لا فيها حروج، ثم أتاه بالقيد، و أمر صاحبه أن يبرذع البغلة بغير رويد و يسرج فرس المزارى و فرسه، و يذهبون لوهران بلا نفسه ففعل الخديم كل ما قاله الولى و ركبوا و أتوا وهران، و لما قربوا منها أقسم على المزارى أن يكبله

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۶۵

و يركب على البغلة ليكون الاطمنان (كذا) ففعل المزارى ما رضى به السيد الحليم و دخلا وهران على تلك الحالة التى مثالها (كذا) الفوز العميم ثم ذهب به المزارى لبيته و بها بات، و من الغد تركه بالبيت و ذهب عند الباى وقت اجتماع الأغوات، و قال يا سيدنا أن الذى أمرتنى به جئتك به على تلك الحالة، و أنه ببيتى و أريد منك الأمن عليه و لا تلتفت لقول القوالة، و أخبره بأمر السيد من أوله

إلى أخره و ما احتوى عليه من باطنه و ظاهره، فظهرت البشرى على وجه البای و قال ما تريد يا المزارى فقال/ له إذا أردت ديته أو الخطيئة نؤديها لك من مالى (ص ۳۱۳) لما قلت لى و استعن بالبارى، كما لا تنتقم منه بالسجن فإنه فى ضمانتى فى دارى، فقال له عليه الأمان التام أن لا يخشى من شىء و اللّه شاهد علىّ فى ذلك، غير أنى أحب أن اختبره ببعض الأمور السياسية ليطمئن قلبى بذلك فأحضره المزارى لديه، و لما مثل بين يديه حصلت للباى منه هيبة و رهبة و محبّة و رغبة، و قال له يا هذا الرجل ما هذا يسمع عنك من اجتماع الناس فى كل وقت عليك، و وفودهم فى كل آن إليك، فقال له إذا أخبروك بأنى جاعل خيمة للطلبة و ضياف اللّه، و المخزن إذا جاء فذلك حق ليس به اشتباه، و إذا أخبروك بغير هذا فذلك عنّا بعيد، و نحن فى طاعة أمير المؤمنين كما أمرنا الرسول و المولى الكريم المجيد، فقال له الباى إنى نخايل فيك بعض الأسرار، و أردت اختبارك بأمور تنشأ لك منها الأضرار، فإن كنت من ذوى الأسرار الربانية خلصت منها بسرك، و إن كنت من الأحزاب الشيطانية كانت آخرا لعمرك فقال له افعل ما تريد ينفذ، غير أنى أقول لك قولا إن هلكتنى تهلك و إن أنقذتنى تنقذ و أن بعثتنى برا تبعث برا، و إن أرسلتنى بحرا ترسل بحرا، فبادر بالاختيار و انظر لما يكون لك له النجاة من الأسار، فألقاه أولا- على مخاطيف الحديد، فصار يلعب عليها و الباى ينظر و يزيد، ثم ألقاه ثانيا ببيت السباع، فبصبصت له و هى ذات إيطاع، و صار يركبها واحدا بعد واحد و هم به فارحون و له صابرون، و الباى بمن معه من أرباب دولته ينظرون، ثم ألقاه ثالثا فى الكوشة، فطفيت نارها كأن الماء بها فى العروشة، فاتّكأ فيها طولا و عرضا و الناس ينظرون له ثم لبعضهم بعضا و يتعجبون من أمر اللّه الواحد البارى، ثم أخرجه و بعثه لبيت المزارى، و قال له غدا نبعثك لبنى يزناسن مع البحر فى اطمأنان (كذا) و يلحقك أهلك فقال للمزارى اعلم أنى

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۶۶

ضمنت لك من الآن الرياسة و الرفعة و السياسة، و لأولادك من بعدك مؤبّدة و دائمة مسرمدة لا يقطعها منكم قاطع، و لا يزيلها قانع و لا طامع و لا يتصرف فيكم أحد (ص ۳۱۴) بسوء فى السر و العلن، و أنتم/ على الأبد فى أمن و أمان من ضرر المخزن ثم من الغد بعثه الباى حسن لبنى يزناسن فى السفينة، و أمر أن يلحق به أهله فى أمن و أمان من كل خوف و غبينة، فكانت دعوته بالخير على المزارى هى سبب توليته ءاغة فإنه فى تلك الأيام صار ءاغة و هى توليته الأولى لذلك المنصب، و اطمأن قلبه و زال ما به من النصب. هذا ما حدثنى به الفقيه الأديب، الحاذق اللبيب، الشريف العدل السيد محمد بن الحبيب الغربى ثم البو عمرانى أحد أولاد سيدى عمارة أهل السر الربانى. و كذلك خلص من ضرره الشيخ الضرير، السيد إبراهيم الخروطى الخرير، فإنه بعث له مكاحله محمد بن المختار الزمالى ليأت (كذا) به لأمر ظهر عليه غير الموالى، و لما أتاه به نظر فى حاله و أصله، فألفاه من الذين لا يثورون عليه فسرّحه لأهله. و يقال أنه دعا بالشر على محمد ابن المختار، و مقامه كما مرّ خارج سور وهران، من ناحية الحمرى لاشتهار. و فى أيامه سنة أربعة و أربعين و مائتين و ألف قتل العالم العلامة الحجة الفهامة السيد محمد بن قريد الغربى شهيدا ببيته، بخنق النطاح بوهران فى المعترف، قتله بعض من تسلّط على زوجتيه من اللصوص عمدا لا جهلا، و لما قام ليدافع قتل ليلا، و من الغد أخذت زوجتاه و ذهبتا للباى فأمر بتشكيرهما، و رميهما فى البحر من غير تحويرهما، فقيل للباى أن أحدهما حامل، فقال ليست تأتى بابن قريد فى القابل، فنفذ فيهما الأمر تنفيذا، و استحوذ بهما تحويذا، و أمر بحرق نوائل تلك الحومة، و صيّرها تنوح بها البومة، و حضر لدفن العلامة، و شاهد منه عجائب الكرامة، و نجا الظالمان إلى أن قبض أحدهما فى ولاية الأمير ناصر الدين، السيد الحاج عبد القادر بن محى الدين، و رفع به فبحث عن أمره بحثا مشددا.

و لما ثبت القتل عليه مكّنه من قرابة الشيخ ابن قريد فقتلوه قصاصا لا رحم اللّه قاتل الشيخ أبدا.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۶۷

الهجوم على قبائل الأحرار و عقابهم

ثم غزى أدقافايت قرية من قرى القبائل بالظهرا، من رعية المغرب الأقصا و قصدهم جهرا، فلم يصلهم لبعدهم عن رعيته، بل وصل إلى عيون بنى مطهر و رجع بفوريته، و قد عتقهم اللّه تعالى من ظلمه و غصبه و سبيه و نهبه. و فى عام أربعة و أربعين من القرن الثالث عشر بالاشتهار، غزى من رعيته، قبيل الأحرار، و هم بأرض اليعقوبية، ركب لهم بمحلته من بلاد بنى عامر فأخذهم الأخذة الكروبية بحيث شفا فيهم لنفسه/ العليل، و أبرد فيهم الغليل و كتب بذلك (ص ۳۱۵) لحسين باشة الجزائر، يخبره بما نصه بالبشائر: الحمد للّه وحده و صلى اللّه على سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه و سلم أبقى اللّه سعادة من أنام الأنام فى مهد الأمان و أفاض عليهم سحائب العدل و الإحسان الفاضل الكامل المجاهد الحافل، سيف الدولة و لسانها و عين أولئك الأعيان بل هو إنسانها، مولانا السلطان المعظّم، الملك المفخم، ذو الأيادى الجسام، و الفتوحات العظام، ناصر الدنيا و الدين، قامع أعداء اللّه الكافرين الجاحدين مولانا الدولاتلى سيدنا حسين باشا، لا زالت الأعداء من خوفه بحول اللّه برا و بحرا تضمحل و تتلاشا، سلام على سيادتكم يملّا البسيطة أرجا و طيبا، و يقوم على منابر السنا بنشر محاسنكم خطيبا، و رحمت (كذا) اللّه تعالى و بركاته، تغشاكم ما دام الفلك و حركاته، أما بعد أبعد اللّه عنا و عنكم ما تكرهون، و قرّب لنا و لكم ما تحبّون و تشتهون، فإننا غزونا على قبيل الأحرار الغرابة بعد المراصدة و تخلّف العيون، لما هم عليه من عدم الغفلة و كثرة الظنون و قد ركبنا إليهم فى المحلة المنصورة من بلاد بنى عامر و سرنا نحوهم سيرا عنيفا، نحثّ المطايا علّنا (كذا) نظفر بتاليدهم و الطريفا، فأصبحنا عليهم و هم فى غفلة فأحطنا بهم إحاطة الهالة بالقمر، و الخاتم بالخنصر فجمعنا مالهم جمعا، و حزناه وترا و شفعا، فشفا منهم العليل، و برد الغليل لكوننا طال ما رمنا أخذهم فلم يأمنوا و الآن قد ظفّرنا اللّه بهم فأخذناهم أخذة رابية، بغزوة شافية كافية، و ذلك ببلاد اليعقوبية و رجعنا نحن و العسكر بالسعية، و المخزن بخير و على خير فالحمد للّه على الغنيمة و السلامة و الكل من فضل اللّه و بركاتكم أدام

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۶۸

اللّه لنا وجودكم و أفاض علينا بركاتكم وجودكم، و قد وقع ذلك يوم الخميس الرابع من المحرم الحرام فاتح أشهر سنة أربع و أربعين و مائتين و ألف و يصلكم صحبة الحامل الطالب الذى أمرتمونا ببعثه ليرقى إنسانا مريضا جعل اللّه دواءه على يده و كشف عن ضره كما كشفه عن أيوب عبده، و قد اخترناه لمعرفته بتلك الأمور و ديانته فإن البركة تلازم لأهل الدين و التقى، فلذلك تقضى بهم الحوائج دعاء ورقى و المولى جلّ جلاله ييسر الأمور و إنه على ذلك قدير، و بالإجابة حقيق و جدير، و ثم السلام التام فى البدء و الختام، و كتب عن إذن (ص ۳۱۶) ابنكم المعظم السيد حسين باى الإيالة/ الغربية آمنه اللّه آمين.

و لا زال حسن بايا بوهران إلى أن دخلها الفرانسيس بالبيان سنة ست و أربعين و مائتين و ألف ، بالثبات فحملوه للمشرق و بقى به إلى أن مات.

رأى محمد بن يوسف الزيانى فى الأتراك

قال شيخنا الشريف الحسنى الصمدانى، و القدوة الربانى، العلامة السيد محمد بن يوسف الزيانى، فى دليل الحيران و أنيس السهران، فى أخبار مدينة وهران: و اعلم: أن الأتراك لما تمهد لهم الملك بالجزائر كثر ظلمهم و فسادهم، و عتوهم فى الخلق و عنادهم بحيث لا يليق أن يذكر ما كانوا فيه من الظلم و المناكر، و تواتر ذلك على الألسنة بغاية المتواتر فاشتغل العلماء فى ذكر ذلك فى نثرهم و نظمهم، و سألت الناس اللّه أن يزيل بهم ما حلّ من ظلمهم، فمن ذلك قول العلامة الأديب الشاعر الدراكة اللبيب الماهر أبى عثمان سعيد بن عبد اللّه المنداسى التلمسانى الحاذق النبيل، فى قصيدته النونية التى هى من بحر الطويل:

بنا السدّ ذو القرنين للناس رحمةفيا ليته من شوكة الترك هنّنا

إلى آخرها. و منها قول العلامة الكاتب البارع الشاعر، فى رجزه السيد مسلم بن عبد القادر:

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۶۹ أدّبهم ربهم لما طغواعرّفهم بقدرهم لمّا بغوا

فاشتغلوا بالظلم ليس من عدلفاتّخذوا (كذا) أخذا و بيلا بالمهل

لمّا نسوا ما ذكروا به ختمعلى قلوبهم اللّه و انتقم

إلى أن قال:

صناديد لولا الفساد فى الورىلقلنا قلّ مثلهم فوق الثّرى

عتوا عتوا على الخلق و جاروافكانوا أكثر العباد و باروا

فرفع الكلّ الأكفّ و دعوابما به أجاب اللّه و رجوا

أمهلهم لن بلغ الوقت الأجلأبدلهم بغيرهم تمّ العمل

أغوات الباى حسن

و كان ءاغته من الدوائر بالنوبة الصناديد الثلاثة الذين لا يرون فى فللهم النّكاثة و هم الحاج عبد اللّه بالشريف الكرطى التلاوى، و مصطفى بن إسماعيل، و ابن أخيه الحاج محمد المزارى البحثاوى، و من الزمالة ثلاثة أيضا بلا زايد، و هم الحاج المرسلى بن محى الدين، وعدة بن قدور، و قدور بن وارد، بقوا على ذلك/ إلى انقطاع الأتراك، فزال التداول و الاشتراك و الدوام للواحد القهار (ص ۳۱۷) الملّاك.

انتهى الجزء الأول من طلوع سعد السعود و يليه الجزء الثانى و مبدؤه الدولة التاسعة.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۷۱

الفهارس العامة

اشارة

- فهرس الأعلام.
- فهرس القبائل و الجماعات.
- فهرس الأماكن الجغرافية.
- فهرس الكتب.
- فهرس الخرائط.
- فهرس الموضوعات.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۷۳

فهرس الأعلام

- أ- أحمد بسطانجى: ۲۵۲.

أحمد العاقل: ۷۰، ۷۱، ۸۰، ۱۹۳.

أحمد بن يوسف: ۷۰، ۷۶، ۹۹.

أحمد بن إدريس: ۶۸.

أحمد الهايج: ۷۳.

أحمد بن غانم: ۷۴.

أحمد الفيلالى: ۹۱.

أحمد بن الخوجة: ۹۸.

أحمد بن التهامى: ۹۹، ۱۰۱، ۱۰۲.

أحمد بن على: ۹۹، ۱۰۴.

أحمد بن أفغول: ۱۰۶.

أحمد بن الهاشمى: ۹۹، ۱۰۴.

أحمد بن هطال: ۱۰۶، ۳۰۴.

أحمد بن الطاهر الرزيوى: ۱۰۸.

أحمد العبد: ۲۱۴.

أحمد بن أبى جمعة الوهرانى: ۹۷.

أحمد الكلاعى: ۱۰۸.

أحمد الشماع: ۱۵۶.

أحمد بن مرزوق: ۱۵۷.

أحمد بابا: ۱۵۰، ۱۹۶، ۲۵۰.

أحمد بن الناصر: ۱۵۶.

أحمد بن زيان: ۲۱۶. طلوع سعد السعود ؛ ج۱ ؛ ص۳۷۳

مد بن محمد الشقرانى: ۲۱۴.

أحمد خان الثالث: ۲۴۶.

أحمد إعراب الجزائرى: ۲۷۴.

أحمد بن الأحرش: ۳۰۰، ۳۲۴، ۳۳۶.

أحمد التركى: ۳۲۴، ۳۵۳.

أحمد التيجانى: ۳۵۲.

أحمد زروق: ۷۶، ۷۹.

أحمد بن الشماع: ۱۵۶.

إدريس بن عبد اللّه: ۱۱۷، ۱۳۰، ۱۴۳.

إبراهيم بن الوليد: ۱۲۹.

إبراهيم بن أدهم: ۱۵۱، ۱۵۶.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۷۴

إبراهيم الوهرانى: ۹۵.

إبراهيم باشا: ۲۳۷، ۲۲۸.

إبراهيم خزناجى: ۲۵۲.

إبراهيم أفندى: ۲۵۶.

إبراهيم الملیانی: ۲۸۲.

إبراهيم بن يحيى: ۳۶۲.

إبراهيم التازى: ۶۹، ۷۴، ۷۸، ۷۹، ۹۷.

إبراهيم خزندار: ۳۳۹.

بن آمنة: ۱۱۱.

الأخطل: ۱۵۲.

أبو إسحاق إبراهيم: ۱۵۷، ۲۸۵.

أبو إسحاق الشيخ: ۱۶۳.

أبو إسحاق الشاطبى: ۱۳۷.

أرطغل: ۲۴۲.

إسحاق عروج: ۲۵۲.

إسحاق الإسكندر: ۲۱۶.

إسماعيل سلطان: ۲۳۰.

إسماعيل بن على العلوى: ۲۲۷.

إسماعيل بن البشير البحثاوى: ۲۸۵، ۳۴۲.

إسماعيل أو علام المدنى: ۲۷۹.

الأشعرى: ۲۴۱.

أميۀ الأموى: ۱۲۹.

الإسكندر إسحاق: ۲۴۹.

أندرى دوريا: ۲۲۴، ۲۲۵.

أوزون حسن: ۲۳۵، ۲۵۲، ۲۷۵.

أورخان: ۲۴۲.

أوغسطس: ۲۶۸.

إيزابيلا الكاثوليكيۀ: ۲۶۷.

- ب- باديس بن المنصور: ۱۲۶، ۱۳۸، ۱۳۹.

بابا حسن: ۲۵۵.

بابا محمد: ۲۵۶.

بابا عبدى: ۲۵۶.

بابا على: ۳۵۳.

بختى بن عياد: ۸۲، ۹۷.

بدر الدين: ۸۹، ۱۰۶.

البشير بن يحيى: ۸۸.

البخارى: ۱۹۶.

البشير بن أحمد: ۲۷۶.

بلقندوز القرارى: ۳۶۲.

بوقلموس (ن): ۲۱۱، ۲۱۶.

ابن بطوطة: ۱۴۹.

بولكين: ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۸، ۲۵۹.

البكرى: ۵۶، ۱۱۷، ۱۲۱.

أبو بكر الصديق: ۱۱۹.

أبو بكر بن عمر اللمتونى: ۱۳۱، ۱۴۰.

بكار بن إبراهيم: ۱۳۲.

أبو بكر بن يحيى: ۱۵۷.

أبو بكر الحسين: ۱۷۶.

أبو بكر بن غازى: ۱۸۶.

بلاحة المهاجى: ۲۳۱.

أبو البهار بن زيرى: ۱۲۴، ۱۲۸، ۱۲۹.

بكير الحاج: ۲۲۳.

البيهقى: ۲۰۷.

الباى بوكابوس: ۳۲۳، ۳۳۶.

بن يبقى محمد: ۸۲، ۴۷.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۷۵

- ت- تاشفين: ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۴۰.

أبو تاشفين: ۱۷۶، ۱۸۸.

ابن تافراكين: ۱۷۶.

ابن ترقاس: ۳۳۶.

ترك بن كومر: ۲۳۰.

التغريزى: ۲۱۱.

تميم بن معنصر: ۱۳۲، ۱۳۸، ۱۳۹.

ابن تومرت: ۱۳۵.

- ث- الثعالبى: ۷۵.

أبو ثابت: ۱۷۷، ۱۷۸، ۱۸۰، ۱۸۹.

- ج- جابر بن يوسف: ۱۶۲.

جبور بن حسنة: ۲۱۵.

جعفر رایس: ۲۵۴.

جعفر البرمکی: ۱۶۰.

جعفر بن علی: ۱۲۳.

أبو جعفر بن عطیة: ۱۴۴، ۱۴۶.

ابن جرار: ۱۷۸.

ابن الجوزی: ۲۰۴.

جنکیز خان: ۲۴۲.

جوهر: ۱۲۲.

ابن جلول: ۱۷۷.

- ح- الحبیب البخاری: ۱۱۰.

الحبیب بن بروکش: ۱۰۴.

الحبیب بن الهاشمی: ۱۰۴.

ابن حمدون: ۱۲۳.

ابن حمید داوس: ۱۱۷.

حماد بن بلکین: ۱۳۸.

حذیفة بن الیمانی: ۲۴۱.

الحسن ابرکان: ۸۳.

حسن آغا: ۲۲۰، ۲۲۲.

حسن بن خیر الدین: ۲۲۶، ۲۵۲، ۲۵۴، ۲۷۰.

حسن خوجة: ۲۵۵، ۳۳۷، ۳۴۸.

أبو الحسن المرینی: ۲۳۱.

حسن بن قبطان: ۲۵۲.

حسن بابی: ۲۸۵.

حسن الترکی: ۳۳۷.

حسن التیجانی: ۳۵۳.

حسن بن موسی (مکی): ۳۴۵.

حسین الشیخ: ۲۵۵.

أبو حفص: ۱۵۶.

حمد المعاشی: ۲۷۹.

أبو حمد موسی: ۱۷۵، ۱۷۹، ۱۹۶.

حفص بن حولات: ۱۱۵.

الرایس حمیدو: ۳۴۵.

ابن حزم الظاهری: ۳۷۷.

- خ- خالد بن المنتخب: ۱۵۷.

أبو خدیجة (بای): ۲۷۱.

خروفة: ۲۸۰.

خدیجة: ۲۹۰.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۷۶

ابن الخطیب: ۱۴۲، ۱۷۶، ۱۷۹.

ابن خلدون: ۱۱۷، ۱۷۹، ۱۹۹.

ابن خلکان:، ۵۶، ۵۸، ۲۰۶.

خزر بن حفص: ۵۵، ۵۷، ۱۱۵.

ابن خمیس: ۵۹.

خلیفة الهواری: ۷۹.

خلیل بکداش: ۲۵۳.

خوجة بکداش: ۲۵۳.

الخیر بن محمد: ۱۱۹، ۱۲۳.

خیر الدین: ۲۲۰، ۲۵۲، ۲۵۶.

- د- دالی إبراهیم: ۲۵۳.

دادة أیوب: ۶۷، ۱۳۷.

بن داود بن المختار: ۲۳۰.

داود المیزابی: ۳۶۳.

داود بن حولات: ۱۱۷.

أبو دبوس: ۱۷۲.

الحاج داود بن المختار: ۳۲۴.

أبو دیلم بن خطاب: ۱۲۸.

دنونة: ۱۷۳.

أبو دیة: ۲۶۱، ۳۱۰.

أبو دهما العامری: ۳۶۳.

الدرقاوی بن الشریط: ۳۰۶، ۳۰۹، ۳۱۰، ۳۱۱، ۳۱۲، ۳۲۴، ۳۲۵، ۳۳۹، ۳۴۷.

دموش: ۲۷۹، ۲۸۰، ۲۸۶.

- ر- راشد بن مندیل: ۱۶۵.

راشد بن یحیی: ۱۸۶.

رابح بن حاولة: ۲۱۸.

ابن رشد: ۱۳۵.

ابن رشيق: ۱۴۲.

الرشاطی: ۵۶.

الرشيد المؤمنی: ۱۶۲.

الرشيد عبد الواحد: ۱۳۵.

أبو راس الناصر: ۵۵، ۵۷، ۵۸، ۶۳، ۷۴، ۷۸، ۸۱، ۸۸، ۸۹، ۱۰۸، ۱۱۷، ۱۲۱، ۱۳۷، ۱۴۷، ۱۵۸، ۱۷۵، ۱۷۷، ۱۷۹، ۱۹۷، ۱۹۹، ۲۰۱، ۲۲۶، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۳۶، ۲۵۰، ۲۶۴.

- ز- زاوی بن بلكين: ۱۳۹.

زاوی بن كبيسة: ۲۱۱.

الزرقانی: ۲۶۷.

ابن زرقون: ۱۴۶.

زكريا اللحيانی: ۱۵۷.

زيان بن ثابت: ۱۵۸.

أبو زكرياء يحيی: ۱۵۸.

أبو زيان بن سعيد: ۱۶۵.

أبو زيان الرشيد: ۱۸۳.

أبو زيان: ۱۸۰، ۱۸۹.

أبو زيان محمد: ۱۹۴.

أبو زيد الهزميری: ۱۶۶.

أبو زيد ابن الإمام: ۱۷۶.

الزهار محمد الشريف: ۲۱۶.

ابن زهر الطبيب: ۱۵۲.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۷۷

زيری بن عطية: ۱۲۵.

زيری بن مناد: ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۲۷، ۱۳۸.

- س- سارة بنت المنذر: ۲۰۰.

أبو سالم إبراهيم: ۱۷۵، ۱۸۰.

السايح بن خضرا: ۳۲۸.

السطی أبو عبد اللّه: ۱۷۷.

سعيد المنداسی: ۳۶۸.

سعيد المغربی: ۱۹۹.

السعيد بن أبی عنان: ۱۸۰.

أبو سعيد عبد الرحمن: ۱۷۸، ۱۷۹.

أبو سعيد عثمان: ۱۶۵.

السعيد المؤمنى: ۱۶۲.

سليمان بن عبد الملك: ۱۲۹.

سليمان بن النزارى: ۱۰۸.

سليمان باشا التركى: ۲۲۶.

سليمان شاه: ۲۴۲، ۲۴۴.

سليمان الثانى: ۲۴۶.

سليم الأول: ۲۴۴.

سليم الثانى: ۲۴۴.

سليم الثالث: ۲۴۷، ۲۴۹.

سليمان بن سابق: ۶۲.

سليمان أبو الربيع: ۱۷۵.

سليمان بن موسى: ۱۹۴.

ابن السويكت: ۲۸۳.

السملالى: ۲۴۰.

سويد بن عمارة: ۲۱۵.

السموأل: ۳۲۴.

- ش- شارل الأول: ۲۱۶.

شارل الثانى: ۲۲۹.

شارلكان: ۲۲۰.

شانجة: ۱۷۴.

الشريف الوادفلى: ۱۰۶، ۱۱۱.

ابن الشريف الدرقاوى: ۱۰۶، ۳۰۳، ۳۰۹، ۳۲۶، ۳۴۵.

الشحط والد دموش: ۲۳۱.

شراعة: ۹۲.

الشقرانى أحمد بن محمد: ۲۱۴.

الشريف الكرطى: ۲۸۰، ۲۸۲، ۲۸۳.

الباى شعبان: ۲۲۹، ۲۳۰، ۲۳۱، ۲۵۲.

شعبان آغا: ۲۵۳.

شعبان خوجة: ۲۵۳.

أبو الشلاغم: ۲۳۵، ۲۵۸، ۲۷۶، ۲۸۲، ۲۸۹.

الحاج شعبان: ۲۵۴.

شهاب الدين الخفاجى: ۲۰۷.

- ص- صالح الزواوى: ۷۸.

صالح القلعی: ۷۴.

الصباغ القلعی: ۷۴.

الصفدی: ۵۶.

صلاح الدین: ۱۵۰.

صواف الباي: ۲۷۱.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۷۸

ابن الصغیر: ۱۵۲.

- ط- الطاهر المشرفی: ۹۹.

طارق بن زیاد: ۲۰۰.

طیباربوس: ۲۶۸.

الطیب المشرفی: ۱۱۱.

- ع- عبد اللّه بن خطاب: ۸۶.

عبد اللّه بن عمارة: ۱۰۸.

عبد اللّه بن سعد: ۱۱۵.

عبید اللّه المهدی: ۱۱۹.

عبد اللّه بن یاسین: ۱۳۱، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۲.

عبد اللّه بن وجلید: ۱۴۲.

عبد اللّه بن بلکین: ۱۳۹.

أبو عبد اللّه محمد: ۱۴۲، ۱۵۶.

عبد اللّه بن عبد الواحد: ۱۵۶.

عبد اللّه المستنصر: ۱۵۸.

عبد اللّه الیعقوبی: ۲۲۶، ۲۲۷.

عبد اللّه الغالب: ۲۲۶.

عبد اللّه بلکباش: ۲۵۶.

عبد اللّه العباسی: ۱۳۵.

عبد اللّه بن الشریف: ۳۶۰.

عابد بن الزرقاء: ۲۷۷، ۲۷۹، ۲۸۲.

بن عبد اللّه بن حواء: ۲۹۴.

عبد الرحمن الحکم: ۵۵، ۵۶.

عبد المؤمن بن علی: ۶۰، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۳۸، ۱۴۰، ۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۶، ۱۶۹.

عبد الرحمن الجامعی: ۶۳، ۱۷۴، ۲۲۶، ۲۳۰، ۲۴۷.

عبد الرحمن الجوزی: ۸۸.

عبد الرحمن بن الطیب: ۱۱۰.

عبد الرحمن الناصر: ۱۱۹، ۱۲۹.

عبد الرحمن الداخل: ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۳۹.

عبد الرحمن بحشو: ۳۴۲.

عبد الرحمن بن هشام: ۱۲۹.

عبد الرحمن المعافری: ۱۳۶.

عبد الحق: ۱۸۹.

عبد الرحمان العماش: ۲۱۴.

عبد القادر بن داود: ۲۱۵.

عبد القادر (الأمیر): ۲۴۷، ۳۴۴.

عبد القادر بن السنوسی: ۳۰۰.

عبد القادر الشریف: ۳۰۲.

عبد القادر الجیلالی: ۲۸۴، ۲۸۵، ۳۰۲.

عبد القادر المشرفی: ۲۸۸.

عبد القادر بن مصطفی: ۹۹.

عبد القادر الحسنی: ۱۰۲.

عبد القادر بن بروکش: ۱۰۴.

عبد الحق بن محیو: ۱۷۱.

عبد المالک: ۱۲۹.

ابن عبد الکریم العجیسی: ۱۲۸.

عبد الرحمن مقلاش: ۹۶.

عبد الحلیم المستغانمی: ۲۸۶.

عبد الرزاق التلاوی: ۲۸۲.

عبدی آغا: ۲۵۳.

عبد الرزاق الجزائری: ۲۵۰، ۲۵۲.

عبد العزیز خان: ۲۴۸.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۷۹

عبد الحمید خان الثانی: ۲۴۸، ۲۴۹.

عبد الحمید الأول: ۲۴۷، ۲۴۸.

عبد الواد: ۱۹۳.

عبد الواحد: ۱۹۲.

عبد المؤمن بن عبد الرحمن: ۲۱۴.

العبدوسی: ۶۸.

العباس بن بختی: ۱۲۸، ۱۳۳.

ابن عبد القوی: ۱۶۵.

ابو عباس البجائی: ۱۶۷.

عثمان الغازی: ۲۴۱، ۲۴۲، ۲۴۵.

عبد السلام التونسی: ۱۴۴.

عثمان بن إسماعیل: ۳۰۰.

عثمان بن محمد: ۲۹۸.

عثمان الکردی: ۲۹۰.

عثمان بای: ۲۸۴.

عثمان الثالث: ۲۴۷.

عثمان بن یوسف: ۱۶۲.

عثمان بن یعمراسن: ۱۶۵، ۱۷۵.

عثمان السعید: ۱۷۵.

عثمان بن وزمار: ۱۸۱.

عثمان بن مسلم: ۱۸۴.

ابن العالیة: ۱۱۰.

عثمان بن عفان: ۱۱۵، ۲۱۱، ۲۶۰.

ابن عرفة: ۷۰، ۱۵۸.

عروج الترکی: ۷۶، ۲۴۹، ۲۵۲.

أبو عصیدة: ۱۵۷.

عقبة بن نافع: ۱۴۱.

عدة بن محی الدین: ۳۱۴، ۳۲۴.

عدة بن المشیر: ۲۸۳، ۲۸۶.

عدة بن داود: ۲۷۸.

عدة ولد الصحراوی: ۲۲۸.

عدة ولد قدور: ۳۵۹.

عدة بن ونزار: ۳۶۱.

علی التدرومی: ۷۵.

علی بن أحمد الکثیری: ۷۵.

علی بن یوسف الدایری: ۱۰۸، ۱۷۵.

علی بن أبی طالب: ۱۱۹، ۲۳۸.

علی بن ثور: ۱۲۳.

علی بن یحیی المسوفی: ۱۴۰.

علی بن محمد: ۱۴۰.

أبو على المليانى: ۱۶۶.

على بن راشد: ۱۷۹.

أبو عزة بن حميدة: ۲۳۱.

علاء الدين: ۲۴۲.

على آغا: ۲۵۳.

العلج على: ۲۵۴.

على بو صبع: ۲۵۵.

على بن عبد الرحمن: ۱۰۹.

على بن أحمد: ۳۵۷.

على أبو الوفاء: ۳۵۱.

البای علی: ۳۴۶، ۳۴۷.

على بن مصطفى: ۲۸۱.

عصمان بن إبراهيم: ۲۸۰، ۲۸۱.

أبو علام: ۲۷۷، ۲۸۶.

أبو عباس العاقل: ۱۹۴.

عمر آغا: ۲۵۶، ۳۲۶.

عمر الزحاف: ۱۹۸.

عمر بن يحيى الهنتاتى: ۱۳۷.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸۰

عمر بن عبد العزيز: ۷۰، ۱۲۹، ۱۵۸، ۲۱۶.

عمر بن الخطاب: ۱۱۹، ۱۷۶، ۲۶۰.

عمر بن العاص: ۲۶۰.

أبو العلاء: ۱۵۶.

عمر بن أبى زكرياء: ۱۵۷.

ابن أبى عمارة: ۱۵۸.

أبو عنان: ۱۷۸، ۱۷۹.

بن عودة: ۲۷۶، ۲۷۸، ۲۸۰.

عيسى بن مريم: ۱۹۸.

عيسى بن غريب العربى: ۲۱۱.

العزيز بن المنصور: ۱۳۹.

عطية بن موسى: ۱۸۶.

- غ- غانية: ۱۴۰.

ابن غانية: ۱۹۶.

غانیوس و یولیوس: ۲۶۸.

الشیخ غانم بن یوسف: ۸۴، ۸۵، ۸۶.

الغزالی: ۱۳۵.

الغازی بن قیس: ۱۴۲.

- ف- فاطمة: ۲۹۵.

فاطمة الزهراء: ۱۱۹.

أبو فارس عزوز: ۷۰، ۱۵۷، ۱۵۸، ۱۶۸، ۱۶۹، ۱۷۴، ۱۸۰، ۱۸۶، ۱۹۲.

أبو الفداء: ۵۶، ۵۷، ۱۵۱، ۱۹۷.

فرقان الفلیتی: ۱۰۶، ۳۵۰.

ألفونسو ۱۲: ۲۶۸.

ألفونسو ۱۳: ۲۶۸.

فیردیناند: ۲۱۵.

فیردیناند ۶: ۲۵۸.

فیردیناند ۷: ۲۶۰، ۲۶۷.

فیلیب: ۲۱۵، ۲۵۷.

فیلیب ۲: ۲۲۷.

فیلیب ۳: ۲۲۷.

فیلیب ۴: ۲۲۷.

فیلیب ۵: ۲۳۵، ۲۵۶.

- ق- القاسم بن محمد: ۱۵۹.

قارة باغلی: ۳۳۸.

قارة الجزائری: ۱۰۸.

القائم العبیدی: ۱۲۰.

القباب: ۶۸.

قدور الکبیر بن إسماعیل: ۲۹۶، ۲۹۸، ۳۰۰، ۳۲۴، ۳۵۳، ۳۴۴، ۳۴۷.

قدور بن علی:، ۲۹۸، ۳۰۰.

قدور بن الشریف: ۳۶۴.

قدور الصغیر: ۳۲۴.

قدور بن سفیر: ۳۵۳.

قدور بن المخفی: ۳۶۲.

الفلجاوی: ۷۹.

القائم أبو دیوس: ۱۵۶.

قسطنطین بن هرقل: ۲۶۰.

قلودينوس: ۲۶۸.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸۱

- ک- کارلوس: ۲۱۶.

کارلوس: ۲۲۹.

کارلوس۲۵۸ : III.

کارلوس: ۲۶۰.

کجّک علی: ۲۲۰.

کوسه محمد: ۲۵۳.

کعب بن زهیر: ۹۷.

کریستوف کولومب: ۱۹۹.

- ک- لذریق: ۲۰۰.

لسان الدین ابن الخطیب: ۱۷۴، ۱۷۶.

الولید بن عبد الملک: ۲۰۰.

الولید بن یزید: ۱۲۵.

لویس: ۲۳۵.

- م- المأمون العباسی: ۱۶۲، ۲۰۵.

مامی الحاج: ۲۲۲، ۲۲۳، ۲۵۳.

محمد بن قرید: ۳۶۶.

محمد بن المولود: ۲۶۲.

محمد الصغیر الغبرینی: ۲۶۹.

محمد بن عیسی: ۲۷۰.

محمد الزناقی: ۲۷۱.

محمد المزاری: ۲۷۲، ۳۵۱، ۳۵۸، ۳۵۹، ۳۶۴، ۳۶۵.

محمد المسراتی: ۲۷۶، ۲۷۷.

محمد أبو طالب: ۲۷۷، ۲۷۸، ۲۷۹، ۲۸۲.

محمد بن زرفة: ۲۷۷.

محمد بن عودة: ۲۸۴، ۳۱۵.

محمد بن یوسف الزیانی: ۳۶۸.

محمد بن علی الشریط: ۲۸۶.

محمد الصغیر: ۲۹۰، ۲۹۵.

محمد بن الجیلالی القلعی: ۲۹۸.

محمد بن عثمان: ۳۰۸.

محمد ولد قدور: ۳۰۸.

محمد الوهرانی: ۹۵، ۳۲۴، ۳۳۸.

محمد المجاهد: ۳۲۴.

محمد ابن عبد اللّه: ۳۵۰.

محمد بن الخروبی: ۳۵۳.

محمد الصادق: ۳۲۴.

محمد بن یوسف القیروانی: ۵۶.

محمد بن أبی عون: ۵۶، ۱۱۷، ۱۲۰، ۱۲۸.

محمد بن عبدون: ۵۶.

محمد بن عثمان: ۶۴، ۱۸۱.

محمد بن عبد المؤمن: ۸۱.

محمد بن الهواری: ۷۵.

محمد بن عمر الهواری: ۷۸، ۸۳، ۹۶، ۱۵۸.

محمد الفاسی: ۸۴.

محمد بن حواء: ۸۶، ۹۰، ۱۰۶، ۲۸۴.

محمد بن یحیی: ۸۸.

محمد بن أبی یعزی: ۸۹.

محمد بن خمیس: ۹۷.

محمد بن عثمان الکبیر: ۹۷، ۲۳۱، ۲۶۱،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸۲

۲۶۴، ۲۶۹، ۲۸۹، ۲۹۰، ۳۲۴، ۳۳۸، ۳۸۸.

محمد بن البشیر الحریزی: ۹۹.

المشرفی الطاهر: ۹۹.

محمد بن الخیر: ۱۲۲.

بن محمد صالح: ۱۲۰، ۱۲۱.

محمد بن خزر: ۱۲۲، ۱۲۸.

محمد بن عبد الرحمن: ۱۲۹.

محمد المهدی: ۱۲۹.

محمد بن تنعمر المسوفی: ۱۳۳.

محمد صالح: ۱۳۶.

محمد بن واقاق: ۱۳۹.

محمد بن علی: ۱۴۱، ۱۸۹.

محمد بن عبد اللّه: ۱۴۱.

محمد بن سلیمان: ۱۴۱.

محمد النفس الزكية: ۱۴۱.

محمد اللحيانى: ۱۵۶.

محمد بن أبى بكر: ۱۵۸.

محمد بن يوسف: ۱۶۶.

محمد بن قريد: ۱۰۸.

محمد الصادق الحميسى: ۱۰۶.

محمد بن أقوجيل: ۱۰۶.

محمد بن الجيلالى: ۱۰۴.

محمد بن جلول: ۱۰۴.

ماخوخ الزناتى: ۱۶۸.

محمد بن ورزيشى: ۱۶۸.

أبو محمد بن تافراكيش: ۱۷۷.

محمد أبى أبى ظريف: ۱۸۹، ۱۹۲.

محمد بن خولة: ۱۹۱.

محمد بن أبى تاشفين: ۱۹۲.

محمد المستعين: ۱۹۶.

محمد بن غانية: ۱۹۶.

محمد بن موسى: ۲۰۵.

محمد أقدار: ۲۱۴.

محمد بن داود: ۲۱۵.

محمد الشريف الزهار: ۲۱۶.

محمد على الشريف: ۲۱۶.

محمد بن يحيى: ۲۱۸.

محمد الشيخ السعدى: ۲۲۷.

محمد خوجة: ۲۳۵.

محمد خان: ۲۴۳.

محمد بكداش: ۲۴۶، ۲۷۵.

محمد خان الأول: ۲۲۷.

محمود الثانى: ۲۴۷.

محمد بو شناق: ۲۵۵.

محمد بن صالح: ۲۵۴.

محمد الرابع: ۲۴۶.

محرز بن خلف: ۲۲۶.

محمد بن الحسين: ۲۸۵.

محمد البوشيخى: ۳۶۱.

محمد بن جلال: ۳۵۶.

محمد بن يحيى: ۳۵۵.

محمد بن كروف: ۳۵۴.

محمد بن زكموط: ۳۶۴.

محمد ولد عبد اللّه: ۳۵۴.

محمد بن عبد اللّه سقاط: ۹۹.

مصطفى بن التهامى: ۱۰۲.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸۳

محى الدين المختارى: ۱۰۲، ۲۹۵، ۳۲۵، ۳۴۰.

مراد بك خان: ۲۴۳.

مراد الثانى: ۲۴۳.

مراد الرابع: ۲۴۵.

مراد الخامس: ۲۴۸.

مروان بن محمد: ۱۲۹.

ابن مرزوق الحفيد: ۷۸، ۱۷۹.

مزدلى: ۱۳۲.

المزوار بن غانم: ۲۱۸.

المسعودى: ۷۵.

أبو مدين شعيب: ۷۸، ۸۷، ۱۴۴، ۲۱۶، ۲۲۷.

مسلم بن عبد القادر: ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۴۵، ۲۵۱، ۲۵۸، ۳۰۴، ۳۸۸.

مسعود الزياتى: ۱۶۶.

ابن مسعود: ۱۹۱.

مصطفى بن إسماعيل: ۳۵۷، ۳۵۸، ۳۶۲.

الباى مصطفى: ۹۹، ۲۷۵.

مصطفى قايد: ۲۷۷.

مصطفى زرق العين: ۲۷۷، ۲۸۰، ۲۸۲.

مصطفى بن عودة: ۲۷۸.

مصطفى الأحمر: ۲۷۸، ۲۷۹، ۲۸۰، ۲۸۲.

مصطفى الدحاوى: ۹۹، ۲۷۳، ۳۰۸.

مصطفى بن قرادة: ۲۹۸.

مصطفى باى: ۳۰۰، ۳۰۶، ۳۲۴.

مصطفی بن عبد اللّه: ۳۰، ۳۲۴.

مصطفی بن الهاشمی: ۱۰۴. طلوع سعد السعود ؛ ج۱ ؛ ص۳۸۳

طفی بو الشلاغم: ۲۴۶، ۲۵۶، ۲۵۷، ۲۷۴، ۲۷۷.

مصطفی الثانی: ۲۴۶.

مصطفی خان: ۲۴۷.

مصطفی باشا: ۲۵۳.

مصطفی کوسهٔ: ۲۵۴.

أبو موسی المشدالی: ۱۶۷.

موسی بن عیسی: ۱۷۹.

موسی بن صالح: ۱۷۹.

موسی بن برغوث: ۱۸۱.

موسی بن خالد: ۱۸۶.

موسی بن أحمد: ۱۹۴.

موسی بن نصیر: ۱۹۹.

موسی آغا: ۲۵۳.

موسی بن أبی العافیهٔ: ۱۱۹، ۱۲۰.

أبو منصور الماثوریدی: ۲۴۱.

ابن مکی: ۱۷۶.

ابن میمون: ۱۳۶.

ابن مطروح: ۱۴۱، ۱۴۹.

موسی بن علی العربی: ۱۶۶.

مفتاح البخاری: ۱۰۶.

المعتز: ۱۱۷.

معاشو بن أحمد: ۸۵.

المعز العبیدی: ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۳، ۱۳۸.

المنصور بن أبی عامر: ۱۲۱، ۱۲۳، ۱۲۴.

منشد بن سعید: ۱۱۹.

المنذر بن محمد: ۱۲۹.

معاویهٔ بن أبی سفیان: ۱۲۹.

معاویهٔ بن یزید: ۱۲۹.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸۴

منصور بن بلکین: ۱۲۵.

مناد الصنهاجی: ۱۳۸.

منديل المغراوى: ۱۴۰.

المعز بن الناصر: ۱۳۸.

أبو مهدى الزنداوى: ۲۱۸.

أبو مهدى عيسى: ۲۲۶.

المهدى بن تومرت: ۱۳۵، ۱۴۰، ۱۴۴، ۱۴۷.

الحاج المرسلى: ۳۲۵.

مولاى على الجمل: ۳۰۰.

- ن- الناصر العبدوسى: ۱۳۴.

الناصر عياض: ۱۳۵.

الناصر بن علناس: ۱۳۸.

نابوليون بونابرت: ۲۶۷.

نارون: ۲۶۸.

نزار العبدلاوى: ۲۲۸.

ابن النصرانيۀ: ۲۲۸.

ابن نصابيۀ: ۲۳۰.

- ه- ابن هارون: ۱۷۷.

هشام المؤيد: ۱۲۱، ۱۲۴، ۱۲۹.

هشام الراضى: ۱۲۸.

هشام بن عبد الملك: ۱۲۹.

هيدور (الشيخ): ۶۷.

هوارى إسحاق: ۷۷.

هوارى أبو إسحاق: ۷۶.

الهوارى (الشيخ محمد بن عمر): ۶۸، ۷۳، ۷۸، ۸۳، ۹۶.

- و- واضح بن عثمان: ۱۲۶، ۱۶۴.

وادفل بن عبو: ۱۸۶.

وزمار بن عريف: ۱۱۵، ۱۷۸، ۱۷۹.

الوازعى أبو إسحاق: ۷۷.

بن ونان: ۳۱۰.

- ى- أبو يحيى زكرياء: ۸۱، ۱۹۴.

يحيى بن تومرت: ۱۳۶.

يحيى بن محمد: ۱۴۰، ۱۵۷.

يحيى بن إبراهيم: ۱۵۷.

يحيى السائح: ۱۵۷.

یحیی الحمی: ۱۵۷.

یحیی بن داود: ۱۷۹.

بن یبقی سیدی محمد: ۸۲.

یزید بن معاویة: ۱۲۹.

یعلی بن محمد: ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴.

یعقوب المنصور: ۱۵۰.

یعقوب بن علی: ۱۱۷.

أبو یعزی العربی: ۸۹، ۱۴۵.

یوسف بن تاشفین: ۱۲۰، ۱۲۱.

یوسف بن قریون: ۶۲.

یوسف الشریف: ۸۵.

یوسف بن تاشفین: ۱۲۱، ۱۲۸، ۱۳۱، ۱۳۵، ۱۳۹، ۱۴۰.

یوسف بن زیری: ۱۳۲.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸۵

یوسف بولکین: ۱۳۸.

یوسف بن عبد المؤمن: ۱۴۷، ۱۴۹.

یوسف الغفاری: ۱۶۲.

یوسف بن خزرون: ۱۶۳.

یوسف المرینی: ۱۶۵.

یوسف بن یعقوب: ۱۶۶، ۱۷۶.

یوسف الناصر: ۱۷۵.

یوسف بن منصور: ۱۷۷.

یوسف المسراتی: ۱۷۱، ۲۸۲.

یغمراسن الزیانی: ۱۵۴، ۱۶۲، ۱۷۵.

الیفرینی: ۱۵۲، ۲۱۱.

یونان بن یافث: ۱۹۸.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸۶

فهرس القبائل و الجماعات

- أ- آل عثمان: ۲۴۳، ۳۳۶.

آل زیان: ۱۷۵.

الأتراک: ۱۱۵، ۱۵۸، ۱۹۵، ۲۲۳، ۲۲۶، ۲۲۸، ۲۳۱، ۲۳۲، ۲۸۹، ۳۰۸، ۳۴۸، ۳۶۸.

الأثبج: ۱۲۷.

أزديجة: ۱۲۸.

الأحرار: ۲۷۲.

الأغزاز: ۱۴۸.

الألبيريون: ۱۹۸.

الإغريقيون: ۲۰۷.

الإسبانيون: ۲۱۷، ۲۲۸، ۲۴۶، ۲۴۷، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۶۶، ۲۷۶، ۲۸۰.

الأكراد: ۲۴۱.

الأدارسة: ۱۱۷، ۱۳۰، ۱۶۰.

الأمويون:، ۱۱۵، ۱۲۳، ۱۲۸.

الإنجليز: ۱۹۷.

الأندلسيون: ۱۹۸.

أوربة: ۱۴۸.

الأوس و الخزرج: ۲۴۱.

بنو أمية: ۱۲۴.

بنو إسرائيل: ۱۹۹.

بنو الأحمر: ۶۲.

أولاد حمدان: ۲۱۲.

أولاد حمزة: ۱۷۶.

أولاد بليل: ۱۹۴، ۳۰۲.

أولاد عريف: ۱۸۱.

أولاد سيدى أحمد: ۱۱۰.

أولاد على: ۲۱۲، ۲۲۹، ۲۳۱.

أولاد عبد اللّه: ۲۱۲، ۲۲۹، ۲۳۰.

أولاد عابد: ۲۷۲.

أولاد عياد: ۲۷۲.

أولاد عربى: ۲۷۴.

أولاد الأكرد: ۲۷۲.

أولاد نصيف: ۲۷۲.

أولاد بالغ: ۲۷۲.

أولاد الشريف: ۲۷۲.

أولاد الميمون: ۲۷۲.

أولاد سليمان: ۲۲۹، ۲۳۱، ۲۹۷.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸۷

أولاد سيدى محمد بن يحيى: ۳۵۹.

أولاد رحو: ۳۵۸، ۳۵۹.

أولاد علان: ۳۲۲.

أولاد بلبشير: ۱۱۱.

- ب- البرامكة: ۳۳۷.

البربر: ۱۴۸، ۱۸۸.

البرجية: ۲۲۸، ۲۳۲، ۲۷۲، ۲۷۳، ۳۲۱، ۳۵۶.

البلكانية: ۳۱۰، ۳۱۱، ۳۳۲، ۳۶۲.

- ت- التاشفينيون: ۱۳۹.

التتار: ۲۴۱، ۲۴۲.

الترک: ۲۲۷، ۲۳۵، ۲۴۰، ۲۵۱، ۲۶۹، ۳۰۴، ۳۰۶، ۳۵۴، ۳۵۵، ۳۶۳.

التركمان: ۲۴۱.

التوارق: ۱۳۱.

توجين: ۱۷۷، ۱۷۸، ۱۷۹، ۲۸۴، ۳۵۵.

- ث- الثعالبة: ۱۹۴.

- ج- الجركس: ۲۴۱.

الجعافرة: ۲۷۲.

- ح- الحشم: ۱۴۶، ۲۲۸، ۳۵۴، ۳۵۵، ۳۵۶، ۳۵۷، ۳۶۲.

حصين: ۱۹۴.

حميان: ۲۲۹، ۲۳۲، ۲۷۲.

بو حفص: ۱۵۶، ۱۷۶، ۱۸۱.

بنو حمامة: ۱۱۵.

- خ- بنو خزر: ۱۱۷، ۱۳۳، ۲۲۱، ۲۴۱.

خزريون: ۱۲۸، ۲۴۰.

- د- الدوایر و الزمالة: ۱۰۸، ۲۷۴، ۳۲۱، ۳۵۶، ۳۵۹، ۳۶۲.

- ذ- الذواودة: ۱۷۷، ۲۱۵.

- ر- الراشدية: ۶۳، ۱۶۲، ۱۶۵، ۲۱۸.

الروس: ۲۴۱.

الروح: ۱۷۴، ۱۹۸، ۲۶۷.

- ز- بنو زيان: ۷۴.

بنو زروال: ۸۷، ۳۰۲.

زواوة: ۱۶۰، ۱۶۶.

بنو زطاط: ۱۳۲.

- س- السلاجقة: ۲۴۲.

سوید: ۷۴، ۲۳۱.

السبنیول: ۱۹۷.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸۸

- ش- شافع: ۲۱۲، ۲۲۹.

بنو شقران: ۲۲۹، ۲۷۲، ۳۱۱، ۳۲۱، ۳۵۶، ۳۶۲.

- ص- الصقالبة: ۲۴۰.

صنهاجة: ۱۳۱، ۱۳۸، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۱، ۱۴۸.

- ع- بنو عامر: ۸۴، ۱۷۹، ۱۸۱، ۱۹۰، ۲۱۱، ۲۱۲، ۲۲۹، ۲۷۲، ۳۲۱، ۳۲۴، ۳۲۵، ۳۶۲، ۳۶۷.

بنو عطیة: ۱۲۳.

بنو عبس: ۱۴۴.

بنو العیش: ۱۶۰.

بنو عبد المؤمن: ۱۶۲.

بنو و عزان: ۲۷۲.

عبد الواد و بنو عبد الواد: ۱۱۵، ۱۶۲، ۱۶۹، ۱۷۳، ۱۷۷، ۱۷۸، ۱۷۹، ۱۸۹.

عریب: ۳۰۷، ۳۲۱، ۳۲۲.

العبیدیون: ۲۷۲.

- غ- غمارة: ۱۵۰.

غمرة: ۲۱۲، ۲۲۹.

بنی غدو: ۷۴.

- ف- الفاطمیون: ۱۱۹، ۱۳۰.

الفرانسیس: ۱۱۵، ۱۴۰، ۱۵۶، ۲۰۰.

الفرنج: ۱۳۴، ۲۰۸، ۲۴۰، ۲۴۵، ۲۶۸.

الفندال: ۱۹۸.

الفینیسیون: ۱۹۸.

فلیتة: ۲۷۴، ۲۸۳، ۳۶۲.

- ق- القرطاجنیون: ۱۹۸.

القطلان: ۲۰۰.

القوط: ۱۹۹.

قیزة: ۲۱۲، ۲۲۹.

قیس بن عیلان:، ۲۴۴.

- ک- کتامة: ۱۲۱، ۱۵۶.

کریشتل: ۲۲۹، ۲۳۱.

کومیة: ۱۴۷.

- ل- اللاتینیون: ۲۰۶.

لمتونة: ۱۳۹، ۱۴۱.

بنی لومی: ۱۶۸.

- م- الموحدون: ۱۱۵، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۴۰، ۱۴۱، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۵۰، ۱۵۶، ۱۶۶، ۱۷۷، ۲۳۱.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۸۹

المرابطون: ۱۱۵، ۱۳۶، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۱، ۲۳۹.

المروانیون: ۱۱۷، ۱۲۰، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۸.

الملثمون: ۱۱۵، ۱۳۹.

المصامدة: ۱۴۱، ۱۴۸، ۱۵۰.

بنو مرین و المرینیون: ۱۵۶، ۱۶۳، ۱۷۴، ۱۸۸، ۱۸۹.

بنو مطهر: ۱۶۲، ۲۷۲.

بنو مزغنة: ۱۳۴، ۲۵۹.

بنو ماد:، ۳۴۰، ۳۴۲، ۳۴۴.

بنو مریانن: ۳۴۲.

بنو مسفن و مسرفین: ۷۶، ۱۱۷.

مغراوة: ۵۵، ۵۶، ۱۱۰، ۱۱۵، ۱۲۳، ۱۳۳، ۱۴۸، ۱۶۶، ۱۷۷، ۱۷۸، ۱۷۹، ۱۸۱، ۲۰۱.

مضر: ۱۶۶.

مدیونة: ۱۶۸.

- ن- بنو النظیر: ۲۶۶.

النفار: ۲۰۰.

نفزة: ۵۶.

- ه- الهلالیون: ۱۲۸.

هبرة: ۲۲۸، ۲۳۲.

هوارة: ۱۹۵.

- و- الونازرة: ۲۲۸.

بنی واتیل: ۲۰۱.

بنی وراغ: ۸۵.

بنی وامانو: ۱۶۹.

بنی مطاط: ۱۸۱.

- ی- یاجوج و ماجوج: ۲۴۰.

بنی یزناسن: ۱۳۳، ۱۷۵، ۱۹۳، ۳۴۵، ۳۶۵.

بنی یفرن: ۱۱۷، ۱۲۱، ۱۳۳.

يغمراسن: ۱۹۲.

اليهود: ۶۲.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹۰

فهرس الأماكن الجغرافية

- أ- الأغواط: ۲۳۰.

أرزيو: ۱۰۸، ۲۳۲، ۲۳۵.

أشبونة: ۱۳۵، ۱۵۰، ۱۹۷.

أشير: ۱۳۸.

إشبيلية: ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۱، ۱۹۹.

أزمور: ۱۵۶، ۲۰۱.

أرض الروح: ۲۴۲.

أرقون: ۲۰۰.

أرض النوبة: ۲۰۳.

إسبانيا: ۱۷۷، ۲۰۴، ۲۵۶، ۲۱۹، ۲۲۳، ۲۶۷.

الإسكندرية: ۱۵۸، ۱۸۸، ۲۶۰.

أسوان: ۲۰۳.

آسيا: ۲۰۴.

إستوريا: ۲۰۰.

اسطنبول: ۲۸۵.

أدرنة: ۲۴۳.

إفريقيا: ۱۱۵، ۱۳۸، ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۵۰، ۱۵۶، ۱۶۲، ۱۷۵، ۱۷۶.

إيفيكان:، ۱۲۰، ۱۲۱.

أقادير: ۱۶۴، ۱۷۹.

أوروبا: ۱۹۹، ۲۰۴.

أمريكا: ۱۹۹، ۲۰۴.

أمريكا الجنوبية: ۱۹۹.

الإيالة الغربية: ۶۴، ۲۶۵، ۲۷۷، ۳۳۶.

أوقيانيا: ۲۰۴.

الأندلس: ۵۶، ۱۱۵، ۱۱۷، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۵، ۱۳۴، ۱۳۵، ۱۳۸، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۸، ۱۵۱.

- ب- بحر النيل: ۱۳۹، ۱۴۰.

بحر البلطيك: ۱۹۹.

بابل: ۲۰۴.

البحر المحيط: ۱۳۵، ۲۰۲.

باب الواد: ۲۲۱، ۲۲۲.

باب الجزيرة: ۲۲۲.

باب عزون: ۲۲۲.

بجاية: ۱۳۵، ۱۳۸، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۵۳،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹۱

۱۵۶، ۱۶۵، ۱۸۴، ۱۸۸، ۱۹۴، ۲۲۱، ۲۵۰.

البحر المتوسط: ۱۳۴، ۲۰۱.

البحر الرومی: ۲۰۱.

بخاری: ۲۴۱.

برج اليهودی: ۲۱۱.

برج المرسی: ۶۲، ۲۲۱، ۲۲۶، ۲۳۲.

برج مرجاج: ۵۹، ۲۹۳.

برج الحمارات: ۶۲، ۲۳۲.

برج رأس العين: ۶۲، ۲۲۹، ۲۹۳.

برج الفنار: ۲۲۱.

برج الترک: ۲۷۶.

برج الأمحال: ۲۷۶.

برج لويس: ۲۹۳.

برج فيرناندو: ۲۹۳.

برج کارلوس: ۲۹۳.

برج الأحمر: ۲۹۵، ۲۹۸.

برقة: ۱۴۶، ۱۴۷.

برشک: ۱۶۵، ۱۹۳.

برشلونة: ۱۹۷، ۲۰۱.

بسکرة: ۱۱۹.

البصرة: ۱۲۳.

البطحاء: ۲۱، ۱۲۲.

بغداد: ۱۳۴، ۲۴۴، ۲۴۵.

البرتغال:، ۲۰۵.

بروسيا: ۲۴۳.

بلاد العدوة: ۱۷۵.

بلد النامسة (النمسا): ۱۹۹.

بلنسیا: ۲۰۰.

بلاد درعة: ۲۰۱.

بلخ: ۲۴۲.

البلیدة: ۲۹۸، ۳۰۸.

بلاد الترک: ۳۳۸.

بلاد الیعقوبیة: ۳۶۷.

بنزرت: ۲۰۲.

- ت- تاهرت: ۱۱۷، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۴۰.

تادلس: ۱۸۶.

تاغیة: ۱۷۹.

تافنة: ۳۲۴.

تاوریرت: ۱۸۶.

تافیلالت: ۱۶۹.

تازة: ۱۸۹.

تاجرة: ۱۳۸.

تازة: ۱۷۰، ۱۷۵.

تاکدمت: ۳۰۴.

التبت: ۱۸۴.

ترکیا: ۲۷۹.

تمانتفوس: ۲۲۵.

تلمسان: ۷۰، ۷۸، ۱۱۷، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۶، ۱۴۴، ۱۵۶، ۱۷۲، ۱۷۳، ۱۷۵، ۱۷۶، ۱۷۹، ۱۸۰، ۱۸۶، ۱۹۲، ۲۱۹، ۲۷۱، ۲۷۲، ۲۸۱، ۲۸۲، ۲۸۳، ۲۸۴، ۲۸۵، ۲۸۷، ۳۲۳، ۳۶۵.

تنس: ۱۳۴، ۱۶۰، ۱۶۵، ۱۷۹، ۱۹۳، ۱۹۴.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹۲

توزر: ۱۷۷.

تونس: ۷۰، ۷۸، ۱۱۹، ۱۵۶، ۱۶۵، ۱۷۶، ۱۷۷، ۱۷۸، ۱۹۲، ۲۰۲، ۲۰۵، ۲۲۶، ۲۴۶، ۲۶۱، ۲۶۷، ۲۷۰، ۲۸۲، ۳۲۳.

تیطری: ۱۸۸، ۲۶۹.

تینملل: ۱۴۹.

- ث- ثنیة ماخوخ: ۸۵.

ثنیة تیزی: ۱۸۶.

ثنیة المد: ۲۷۲.

ثنیة بلوزیر: ۱۸۶.

- ج- جامع الباشا: ۲۹۵.

جبل تاجرة: ۱۴۳.

جبل هیدور: ۵۹، ۸۷، ۱۳۷، ۲۱۲، ۲۲۷، ۲۳۱.

جبل غمرة: ۵۹.

جبل تیطری: ۱۳۸.

جبل عجیسة: ۱۳۸.

جبل مرجاجو: ۵۹، ۶۲.

جبل ماخوخ: ۸۴.

جبل قیزة: ۱۲۰، ۲۱۲.

جبل الفتح: ۱۴۶.

جبل البیرینی: ۱۹۸.

جبل بنی ورنید: ۱۶۳، ۱۸۶، ۱۹۶.

جبل طارق: ۱۹۸.

جبل راشد: ۲۰۱.

جبل خیاشة: ۲۰۱.

جبل الثلج: ۲۰۲.

جبل درن: ۲۰۱.

جبل زیان: ۱۸۸.

جبل المایرة: ۲۸۲.

جبل سیراط: ۲۱۲.

جبل تازة: ۲۰۱، ۳۳۶.

جدیویة: ۳۲۴.

جزیرة کورسیکا: ۱۱۹.

الجزیرة الخضراء: ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۷۴، ۱۸۹.

جزیرة کوبا: ۱۹۹.

جزیرة العرب: ۲۰۵.

الجرید: ۱۵۶.

الجیزة: ۳۰۶.

جرجرة: ۱۶۰.

جون تامانتفوست: ۲۲۲، ۲۲۳.

- ح- الحراش: ۲۵۸.

حجر بادیس: ۲۲۶.

الحجاز: ۱۴۴.

حلب: ۲۴۲، ۲۴۴.

حماة: ۵۶، ۵۷.

الحامة: ۲۲۳.

حمام بو عزارة: ۲۸۸.

الحناية: ۳۵۳.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹۳

- خ- خراسان: ۱۵۰.

خصيبية: ۲۹۴.

خنق النطاح: ۲۹۴.

- د- دانمارک: ۲۰۴.

دللس: ۱۸۹.

دمشق: ۶۹، ۱۲۹، ۱۴۹، ۱۵۰، ۲۰۰.

- ر- رأس تافورة: ۲۲۴.

رباط الفتح: ۱۴۷.

رباط وهران: ۱۳۷.

الراشدية: ۱۰۴.

رشقون: ۱۱۷.

ريغة: ۱۸۲.

رأس العين: ۲۶۶.

- ز- الزاب: ۱۱۹، ۱۵۶، ۱۷۷، ۱۸۲.

زبوج مولای إسماعيل: ۲۲۸.

زفيزف: ۳۵۴.

- س- سبتة: ۶۱، ۱۲۳، ۱۴۰، ۱۶۳، ۱۴۸، ۱۹۹.

السرسو: ۲۱۴.

سعيدة: ۲۱۵.

السودان: ۱۳۱، ۲۰۰.

السند: ۲۰۴.

السمار: ۳۵۹.

السوس الأقصی: ۱۳۵، ۱۴۶، ۱۴۷، ۲۰۱.

سيدی البشير: ۹۰.

سيجيلماسة: ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۳۵، ۱۶۷، ۱۷۵، ۱۷۴.

سيف: ۱۸۴، ۲۲۸، ۳۰۶، ۳۱۰.

سيراط: ۱۳۴.

سويسرا: ۲۰۵.

سد أرمينيا: ۲۱۴.

سيدى لخضر: ۲۱۲.

سيدى مبارك: ۲۱۲، ۳۱۰، ۳۱۱.

سيدى داود: ۳۱۰.

سلا: ۱۴۷، ۱۴۸.

- ش- شاطبة: ۲۰۱.

الشاح: ۶۹، ۱۳۴، ۱۵۱، ۲۰۳، ۲۰۴، ۲۴۴.

شريس: ۱۴۸، ۲۰۱.

شلف: ۱۳۴، ۱۴۰، ۱۶۶، ۱۸۶، ۲۰۱، ۲۳۰، ۲۷۷.

- ص- صقلية: ۲۰۱، ۲۵۸.

الصين: ۲۴۱، ۲۶۶.

- ط- طرابلس: ۱۵۳، ۱۵۹، ۱۷۷، ۲۰۵، ۲۴۴، ۲۴۹، ۲۷۰.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹۴

طرطوشة: ۱۳۶، ۲۰۱.

طليطلة: ۱۹۹، ۲۰۹.

طنجة: ۱۳۲.

- ع- العراق: ۱۳۴.

العباد: ۱۹۵.

عوينت الزيتون: ۲۱۲.

عين الربط: ۲۷۳.

العرايش: ۲۲۷.

عين ماضى: ۲۹۰، ۳۲۸.

العرقوب: ۲۸۶.

- غ- غابة مولاى إسماعيل: ۳۱۰.

غاليسيا: ۲۰۰.

الغزوات: ۲۸۴.

غرناطة: ۱۳۶، ۱۳۹، ۱۴۵، ۲۰۰.

غريس: ۶۳، ۲۴۷، ۲۷۷، ۳۰۰، ۳۰۶، ۳۲۸، ۳۵۴، ۳۵۵، ۳۵۷.

غمرة: ۸۲، ۸۶، ۱۴۸.

غيليزان: ۱۸۴.

- ف- فاس: ۶۸، ۱۲۰، ۱۲۳، ۱۴۸، ۱۶۶، ۱۷۷، ۱۸۹، ۱۹۲، ۲۰۹، ۲۵۴.

فرطاسة: ۳۰۳.

فروحة: ۳۵۶.

فرنسا: ۱۹۸، ۲۰۵.

فليتة: ۳۵۶.

- ق- قابس: ۱۴۰، ۱۷۷.

قادس: ۲۰۱.

قرطبة: ۱۱۹، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۳۵، ۱۳۶.

قسنطينة: ۱۶۶، ۱۹۳، ۲۵۸، ۲۶۸، ۲۷۰، ۲۷۷.

قشتالة: ۱۷۴.

قفصة: ۱۴۸، ۱۷۷.

قعر الصخرة: ۱۷۴.

القدس: ۶۵، ۱۲۳.

القاهرة: ۶۰.

القلعة: ۱۳۸، ۲۷۱، ۲۷۴، ۲۷۷، ۲۷۹، ۲۸۲، ۲۹۸.

قلعة خولان: ۱۴۸.

قلعة جابر: ۱۴۷.

قصبة القلعة: ۲۷۶.

قلعة مرجاجو: ۲۲۸.

قصبة طانجة: ۱۷۵.

قصبة وهران: ۱۸۷.

قسنطينة: ۱۶۶، ۱۹۳، ۲۵۸، ۲۶۸، ۲۷۰، ۲۷۷.

القسطنطينية: ۲۴۱، ۲۴۳، ۲۵۱.

قرمان: ۲۴۲.

قرطاجنة: ۱۹۸.

قديل: ۲۳۲.

قونية: ۲۴۲.

القيطنة: ۳۲۸.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹۵

- ك- كاتالونيا: ۲۰۰.

الكرط: ۳۵۷.

كدية الخيار: ۲۲۹.

كدية الصابون: ۲۲۳.

كريشتل: ۲۱۲.

مالقة: ۲۰۱.

مازونة: ۱۲۵، ۱۳۴، ۱۶۵، ۲۲۹، ۲۴۶، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۴، ۳۳۵، ۳۳۶.

المدية: ۱۳۸، ۱۶۵، ۱۷۹، ۱۸۱، ۱۸۶، ۱۹۴، ۲۷۰، ۳۳۶.

مدريد: ۱۹۷، ۲۰۰.

المدينة الجديدة: ۹۰.

مرسى وهران: ۵۶، ۲۸۱.

المرسى الكبير: ۶۷، ۱۳۷.

المدينة المنورة: ۷۸، ۱۱۵، ۲۶۶.

مراكش: ۱۳۱، ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۰، ۱۵۶، ۱۶۳، ۱۷۶، ۲۰۵.

مرسية: ۲۰۰.

مرجاجو: ۲۹۸.

مدغوسة: ۳۳۶.

مزاب: ۲۹۰.

مزغران: ۱۸۱، ۲۱۲.

مرسى الجزائر: ۲۴۹.

مسراته، ۷۵.

مستغانم: ۸۵، ۹۸، ۱۲۵، ۱۸۱، ۱۹۵، ۲۵۷، ۲۵۸، ۲۷۱، ۲۷۶، ۲۷۷، ۲۷۸.

المسيلة: ۱۱۹، ۱۲۴، ۱۸۴.

مسرفين: ۲۲۸.

مشرع حسين: ۳۵۷.

مصر: ۶۰، ۶۷، ۹۵، ۹۹، ۱۳۴، ۱۵۷، ۲۰۲، ۲۰۴، ۲۴۴، ۲۷۰.

المحيط الغربى (الأطلسى): ۲۰۱.

المطمر: ۸۵.

معسكر: ۱۰۲، ۱۱۰، ۲۵۶، ۲۶۱، ۲۷۱، ۲۷۴، ۲۸۰، ۲۸۵، ۲۸۶، ۲۹۴، ۳۰۴، ۳۳۷، ۳۴۹، ۳۵۵، ۳۵۶، ۳۵۷، ۳۵۸، ۳۶۰.

المقطع: ۲۲۸.

مقبرة سيدى الغريب: ۹۱.

متيجة: ۱۹۴.

المغرب: ۷۸، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۳۱، ۱۳۲، ۱۳۳، ۱۳۵، ۱۴۲، ۱۴۳، ۱۴۶، ۱۴۷، ۱۵۰، ۱۶۹، ۱۷۵، ۱۷۶، ۱۸۰، ۱۹۲، ۲۳۰، ۲۵۱، ۲۵۴، ۳۰۲.

المغرب الأوسط: ۱۱۷، ۱۲۰، ۱۲۲، ۱۲۴، ۱۳۱، ۱۳۸، ۱۳۹، ۱۴۰، ۱۵۶، ۲۲۹، ۲۴۷، ۲۷۰، ۳۳۶.

المغرب الأقصى: ۱۱۷، ۱۳۰، ۱۳۹، ۱۵۶، ۲۲۷، ۲۶۷، ۲۷۰.

المشرق: ۱۲۸، ۱۸۰، ۲۴۱، ۳۶۸.

مكناسة: ۱۴۸، ۱۸۱.

مكرة: ۱۸۱.

مليانة: ۷۴، ۱۲۵، ۱۳۸، ۱۴۰، ۱۶۶، ۱۷۹، ۱۸۱، ۱۸۹، ۱۹۴، ۳۴۷، ۳۶۰.

مملكة إسبانيا: ۲۳۵.

ملیلیة: ۲۰۹.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹۶

مکة: ۷۸.

مملکة المغرب الأقصی: ۱۹۲.

مملکة غمارة: ۱۹۶.

المنصورة: ۱۶۵، ۱۷۶، ۲۶۲.

المهدیة: ۱۵۳، ۱۵۸.

میورقة: ۱۴۰، ۲۰۱.

مینورقة: ۲۰۱.

- ن- ندرومة: ۱۶۲، ۱۷۶، ۱۷۸، ۲۲۶.

الناظور: ۲۲۲.

النرویج: ۲۰۴.

نفوسة: ۱۳۹.

نهر برو: ۲۰۲.

نهر ملویة: ۲۰۱.

نهر النیل: ۲۰۲.

نهر دجلة و الفرات: ۲۰۲، ۲۴۲.

نهر سیحون و جیحون: ۲۰۲.

- ه- الهند: ۱۳۴، ۲۰۰، ۲۰۴.

هنین: ۱۴۳.

هولاندا: ۲۰۵.

- و- و انشریس: ۱۳۴، ۱۵۸، ۱۶۵، ۱۸۲، ۱۹۴.

وجدة: ۱۳۳، ۱۶۳، ۱۷۵، ۱۷۶، ۱۸۶، ۱۹۶، ۲۷۲. طلوع سعد السعود ؛ ج۱ ؛ ص۳۹۶

د مکرة: ۳۵۴.

واد الحمام: ۳۵۷.

والد الخیر: ۳۳۶.

واد تافنة: ۳۲۲.

واد یلل: ۳۲۵.

الواد المالح: ۳۱۴.

واد مینا: ۳۰۴، ۳۱۴.

واد العبد: ۳۰۱، ۳۰۴.

واد زهور: ۳۰۰.

واد تلیلات: ۲۶۱، ۲۶۲.

واد الهايج: ۷۳.

واد فروحة: ۸۸.

الواد المبطوح: ۱۰۶.

واد نون: ۱۴۶.

واد رهيو: ۱۶۳.

واد تلاغ: ۱۶۹، ۱۷۰.

واد الشلف: ۱۷۹.

واد سلی: ۱۶۳، ۱۷۹.

واد ملال: ۱۸۰.

واد زرقون: ۱۸۲.

الواد الكبير: ۲۰۱.

واد هبرة: ۲۱۴.

واد الحمام: ۲۱۴، ۲۱۵.

واد سيف: ۲۱۴.

واد فرقوق: ۲۱۵.

واد الحراش: ۲۲۵.

واد تخمارت: ۲۱۵.

ورفلة: ۱۸۲.

وهران: ۵۵، ۶۰، ۶۷، ۶۹، ۷۸، ۸۶، ۸۷، ۸۹، ۹۰، ۹۱، ۱۰۴، ۱۰۸، ۱۰۹،

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹۷

۱۱۵، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۳، ۱۲۴، ۱۲۵، ۱۳۳، ۱۳۵، ۱۳۶، ۱۴۲، ۱۴۳، ۱۵۶، ۱۶۲، ۱۶۸، ۱۷۶، ۱۷۷، ۱۷۸، ۱۸۹، ۲۰۹، ۲۱۱، ۲۲۶، ۲۲۷،

۲۶۲، ۲۶۴، ۲۷۰، ۲۷۱، ۲۷۴، ۲۸۰، ۲۸۱، ۳۸۳، ۲۸۵، ۲۹۵، ۳۰۰، ۳۰۴، ۳۰۵، ۳۰۶، ۳۰۷، ۳۰۸، ۳۰۹، ۳۱۰، ۳۱۲، ۳۲۱، ۳۲۲، ۳۲۳،

۳۲۴، ۳۲۵، ۳۲۶، ۳۴۲، ۳۴۳، ۳۴۵، ۳۴۶، ۳۴۷، ۳۵۵، ۳۵۷، ۳۶۰، ۳۶۷، ۳۶۴، ۳۶۶.

- ی- یابسة (جزیرة): ۲۰۴.

یسر: ۳۵۴.

الیونان: ۲۰۵.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹۸

فهرس الكتب

- أ- أثمد الأبصا: ۶۹، ۷۶، ۸۸، ۸۴، ۸۸.

الأخبار الجالية فی أخبار الدولة المرابطية: ۱۴۰.

أخبار إفريقية و تونس: ۱۵۸.

أنيس الغريب و المسافر: ۱۰۵، ۱۴۵، ۲۸۹، ۲۹۷، ۲۹۶، ۳۰۰.

الأنیس المطرب: ۱۴۲: ۱۳۷، ۱۳۶، ۱۴۴، ۱۷۴.

- ت- تحفة الناظر: ۱۴۹.

ترجمان البحر: ۱۷۳.

- ج- جواهر الأسرار: ۶۹، ۷۶، ۸۳، ۸۸.

جواهر الاختصار و البیان: ۸۶.

- ح- الحلل السندسیة: ۵۷.

حسن المحاضرة: ۶۰.

- خ- الخبر المعرب: ۵۷، ۵۸، ۱۴۳، ۱۵۲، ۱۷۵، ۲۴۱، ۲۷۰.

الخریدة: ۲۰۲.

- د- در الأعیان: ۲۹۶، ۲۹۷.

دلیل الحیران: ۵۷، ۵۸، ۶۴، ۶۷، ۹۵، ۱۱۵، ۱۳۶، ۱۳۷، ۲۰۰، ۲۰۶، ۲۴۸، ۲۶۶، ۳۰۰، ۳۰۴، ۳۴۹، ۳۶۸.

الدرر المکنونة: ۵۸.

دوحة الناشر: ۲۴۹.

- ر- روض السلون: ۵۸.

رجز الحلفاوی: ۵۶، ۶۳، ۲۲۱، ۲۳۹، ۲۴۶.

رقم الحلل: ۱۴۲، ۱۷۲، ۱۷۶.

روض القرطاس: ۱۴۳.

- ز- زهرة الشماریخ: ۱۸۱، ۱۹۹، ۲۵۰.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۳۹۹

زهر البستان: ۱۸۷.

- س- السهو و التنبیه: ۶۹.

السینیة: ۲۹۳، ۲۵۶، ۲۵۷.

سبائک الذهب: ۲۴۸.

- ص- صحیح البخاری: ۱۹۰.

- ع- عجائب الأخبار: ۵۷، ۵۸، ۱۳۶، ۱۳۷، ۱۴۳، ۱۵۱، ۱۵۸، ۲۵۰، ۲۵۱.

عجائب الأسفار: ۵۶، ۵۸، ۷۱، ۸۸، ۱۱۹، ۱۶۵، ۱۷۵، ۱۸۰، ۱۸۷، ۱۹۲، ۲۰۶، ۲۲۹، ۲۵۰.

العجالة: ۱۶۱.

عقد الجمان النفیس: ۸۸.

عقد الأجیاد: ۹۵.

- غ- غرائب الأخبار: ۲۲۹.

- ف- فتح وهران: ۶۳، ۹۹، ۲۹۵، ۳۰۰.

فتح الاله و منته: ۳۳۸.

- ق- قلادة الجواهر: ۲۴۸.

القول الأوسط: ۲۵۱.

- ک- کتاب الحاوی: ۱۶۲، ۱۵۶.

کتاب الإشارة: ۱۹۰.

کتاب الشفاء: ۱۹۰.

کتاب اللباب: ۶۱.

کشف النقاب: ۱۱۱.

- ل- اللامیة: ۷۴.

- م- المختصر: ۵۶، ۵۷.

مختصر الشیخ خلیل: ۷۸.

المدونة: ۱۴۶.

- ن- نظم الدر و العقیان: ۱۶۱، ۱۹۰.

نظم السلوک: ۱۸۷.

- و- وفیات الأعیان: ۵۸.

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۰۰

فهرس الخرائط

- خریطة وهران و المرسی الکبیر و المنطقة الغربیة الوهرانیة ۲۱۰

- خریطة الأنفاق الأرضیة لمدینة وهران خلال الاحتلال الإسبانی ۲۳۴

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۰۱

فهرس الموضوعات

تقدیم و توضیح ۵

تمهید فی التعریف بمخطوط طلوع سعد السعود ۱۳

أقسام المخطوط و تاریخه ۱۵

محتویات المقاصد الخمسة ۱۷

بعض الملاحظات حول محتوی المخطوط ۳۳

هل مخطوط طلوع سعد السعود من تألیف المزاری ۳۸

طلوع سعد السعود فی أخبار وهران و مخزنها الأسود ۴۹

المقصد الأول فیمن بنی وهران ۵۳

المقصد الثانی فی ذکر بعض أولیائها ۶۵

المقصد الثالث فی ذکر بعض علمائها ۹۳

المقصد الرابع فی ذکر دولها ۱۱۳

الدولة الأولی مغراوة ۱۱۵

الدولة الثانية الشيعة الفاطميون ۱۱۹

قائمة حكام وهران ۱۲۸

قائمة الخلفاء الأمويين ۱۲۹

قائمة خلفاء الشيعة الفاطميين ۱۳۰

قائمة ملوك الأدارسة بالغرب الأقصى ۱۳۰

قائمة ملوك السليمانيين بالمغرب الأوسط ۱۳۱

الدولة الثالثة المرابطون ۱۳۲

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۰۲

قائمة ملوك صنهاجة ۱۳۸

الفرقة الأولى البلكانية ۱۳۸

الفرقة الثانية المرابطون ۱۳۹

الفرقة الثالثة الغانية (بنو غانية) ۱۴۰

الدولة الرابعة الموحدون ۱۴۲

قائمة ملوك الموحدين ۱۵۳

الدولة الخامسة الزيانيون ۱۵۹

الدولة السادسة المرينيون ۱۶۸

عودة وهران لدولة بنى زيان ۱۷۸

عودة وهران للدولة المرينية ۱۸۰

عودة وهران للدولة الخامسة الزيانية ۱۸۱

عودة وهران للدولة السادسة ۱۸۹

عودة وهران للدولة الخامسة ۱۸۹

الدولة السابعة الأسبان ۱۹۷

أنهار الشمال الإفريقى و العالم ۲۰۱

جبال العالم ۲۰۳

موقع إسبانيا و الأقاليم الأرضية ۲۰۴

محيط الدائرة الأرضية ۲۰۵

أصل الإسبان ۲۰۶

قائمة ملوك الإسبان ۲۰۸

غزو المرسى الكبير و وهران ۲۱۱

غارات الإسبان على أحواز وهران ۲۱۲

غارات الإسبان على تلمسان و معسكر ۲۱۷

غارات الإسبان على مدينة الجزائر ۲۲۰

حملة شارلكان الكبرى على مدينة الجزائر عام ۱۱۵۴ ۲۲۰

حملة الإسبان على تونس عام ۱۵۳۵ ۲۲۶

معركة كدية الأخيار و استشهاد الداى شعبان ۲۲۹

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۰۳

حملة السلطان إسماعيل على وهران ۲۳۱

قائمة الملوك الوطاسيين و السعديين و العلويين ۲۳۲

منشآت الإسبان بوهران ۲۳۳

التحرير الأول لوهران عام ۱۷۱۸ ۲۳۵

الدولة الثامنة التركية ۲۴۰

نسل الأتراك و سلاطينهم ۲۴۱

أسباب قدوم الأتراك إلى الجزائر ۲۴۹

قائمة الحكام الأتراك بالجزائر ۲۵۱

عودة وهران لحكم الدولة السابعة الإسبانية ۲۵۶

التحرير الثانى و النهائى لوهران و المرسى الكبير ۲۶۰

من اخترع البارود ۲۶۶

تتميم لملوك الإسبانيين ۲۶۷

قائمة أباطرة الرومان ۲۶۸

عودة وهران لحكم الدولة الثامنة التركية و الألقاب و الرتب التركية ۲۶۹

بايليكات الجزائر و أقسامها ۲۷۰

بايليك الغرب الوهرانى ۲۷۰

طبيعة حكم البايات و موظفوهم و نوابهم ۲۷۱

أقسام بايليك وهران الستة ۲۷۴

البای مصطفى بوشلاغم المسراتى ۲۷۴

البای يوسف المسراتى ۲۷۸

البای مصطفى الأحمر المسراتى ۲۷۸

البای محمد أبو طالب المجاحى المسراتى ۲۷۹

الباب مصطفى قائد الذهب المسراتى ۲۸۰

فضل البايات المسراتية ۲۸۲

البای الحاج عثمان ۲۸۲

البای حسن ۲۸۵

البای إبراهيم المليانى ۲۸۵

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۰۴

البای الحاج خليل ۲۸۷

البای محمد بن عثمان الكبير ۲۸۹

منشآت الباى محمد بن عثمان بوهران و معسكر و البرج ۲۹۳

الباب عثمان بن محمد ۲۹۸

ثورة أحمد بن الأحرش الدرقاوى ۲۹۹

الباى مصطفى العجمى و ثورة درقاوة ۳۰۰

أسباب ثورة درقاوة ۳۰۱

معركة فرطائة و نتائجها ۳۰۴

الباى محمد بن عثمان المقلش و حروبه مع الدرقاوى ۳۰۸

ظهور الدرقاوى من جديد و اختفاؤه ۳۱۲

ظهور الدرقاوى مرة أخرى و اختفاؤه ۳۱۶

عودة الدرقاوى للظهور ۳۲۴

نهاية الباى المقلش المحزنة ۳۲۵

الباى مصطفى العجمى و حروبه مع الدرقاوى ۳۲۶

الباى محمد بن عثمان الرقيق و المسلوخ أبو كابوس و حروبه مع الدرقاوى ۳۲۸

أعراش المخزن الوهرانى الخمسة ۳۳۱

نهاية الباى بوكابوس المحزنة ۳۳۳

خروج الباى من وهران فى طريقه إلى تونس و عصيانه ۳۳۵

عمر آغا يقتل الباى بوكابوس و ينصب الباى على قارة باغلبى ۳۳۶

أبو راس يرثى الباى بوكابوس ۳۳۷

الباى على قارة باغلى ۳۳۸

نهاية الباى على قارة باغلى ۳۴۶

الباى حسن بن موسى الباهى ۳۴۷

سياسة الباى حسن و سلوكه ۳۴۹

وفاة أبى راس الناصر بمعسكر ۳۴۹

ثورة أحمد التيجانى ۳۵۲

تآمر الحشم مع التيجانى ضد الباى حسن ۳۵۵

طلوع سعد السعود، ج۱، ص: ۴۰۵

محمد التيجانى يهاجم مدينة معسكر ۳۵۶

الباى حسن يذهب لمعسكر لمحاربة التيجانى ۳۵۷

المعركة الفاصلة و مقتل التيجانى ۳۵۹

حصول القحط و غلاء الأسعار ۳۶۰

سجن الشيخ محيى الدين بوهران ۳۶۱

حملته على الشيخ بلقندوز التيجانى و قتله ۳۶۲

الهجوم على قبائل الأحرار و عقابهم ۳۶۷

رأى محمد بن يوسف الزيانى فى الأتراك ۳۶۸
أغوات الباى حسن ۳۶۹
الفهارس العامة ۳۷۱
فهرس الأعلام ۳۷۳ فهرس القبائل و الجماعات ۳۸۶
فهرس الأماكن الجغرافية ۳۹۰
فهرس الكتب ۳۹۸
فهرس الخرائط ۴۰۰
فهرس الموضوعات ۴۰۱

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَى.
– من الأنشطة الواسعة للمركز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹